

بالرحلة إلى مصر والشام وإسطنبول

رحلة تاريخية على متن سكة حديد الحجاز

قام بها السيد العلامة شيخ بن محمد بن حسين الحبشي

١٢٦٥ - ١٣٤٨هـ

استغرقت تسعة أشهر تامة

ابتداء بمكة المكرمة في صفر ١٣٢٨هـ ؛ فبراير ١٩١٠م

وانتهاء بها في ذي القعدة ١٣٢٨هـ ؛ نوفمبر ١٩١٠م

اعتنى بها وعلق عليها

محمد أبو بكر باذيب

دار الفتح
للدراسات والنشر

الشاهد المقبول

بالرحلة إلى مصر والشام وإسطنبول

الشاهد المقبول بالرحلة إلى مصر والشام وإسطنبول
قام بها السيد العلامة شيخ بن محمد بن حسين الحبشي
اعتنى بها وعلق عليها : محمد أبو بكر باذيب
الطبعة الأولى : 1433هـ - 2012م

قياس القطع : 17 × 24
الرقم المعياري الدولي : ISBN : 978-9957-23-206-1
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية : (2011/2/600)




دار الفتح للدراسات والنشر
هاتف : 199 4646 6 (00962)
فاكس : 188 4646 6 (00962)
جوال : 799038058 (00962)
ص.ب: 183479 عمّان 11118 الأردن
البريد الإلكتروني: info@daralfath.com
الموقع على الشبكة الإلكترونية: www.daralfath.com

الشاهد المقبول

بالرحلة إلى مصر والشام وإسطنبول

رحلة تاريخية على متن سكة حديد الحجاز

قام بها السيد العلامة شيخ بن محمد بن حسين الحبشي

١٢٦٥ - ١٣٤٨هـ

استغرقت تسعة أشهر تامة

ابتداء بمكة المكرمة في صفر ١٣٢٨هـ؛ فبراير ١٩١٠م

وانتهاء بها في ذي القعدة ١٣٢٨هـ؛ نوفمبر ١٩١٠م

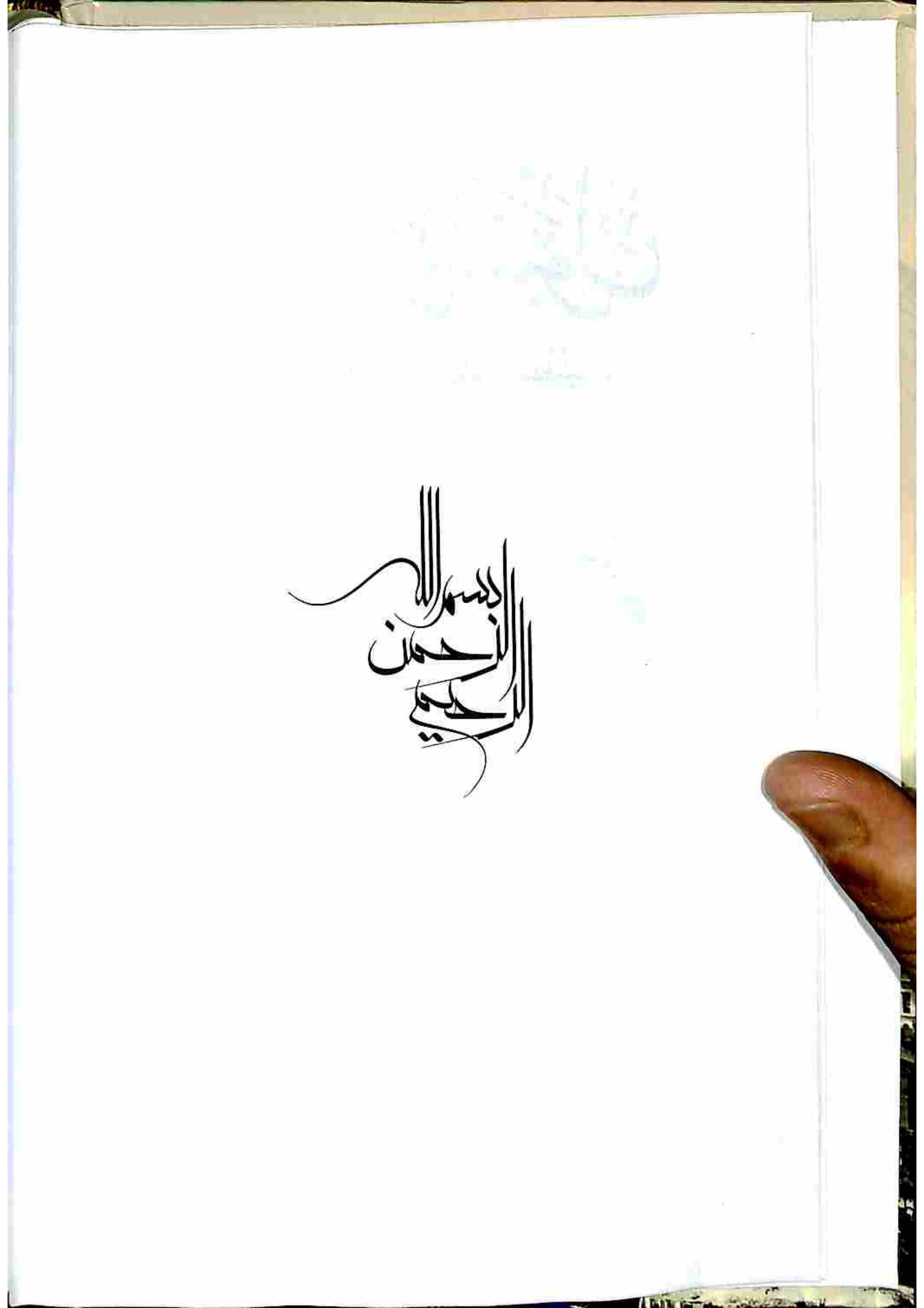
اعتنى بها وعلق عليها

محمد أبو بكر باذيب



دار الفتح

للدراسات والنشر


بسم الله الرحمن الرحیم

قالُوا عَن هذه الرِّحْلة

(١)

الحبيب علي بن محمد الحبشي

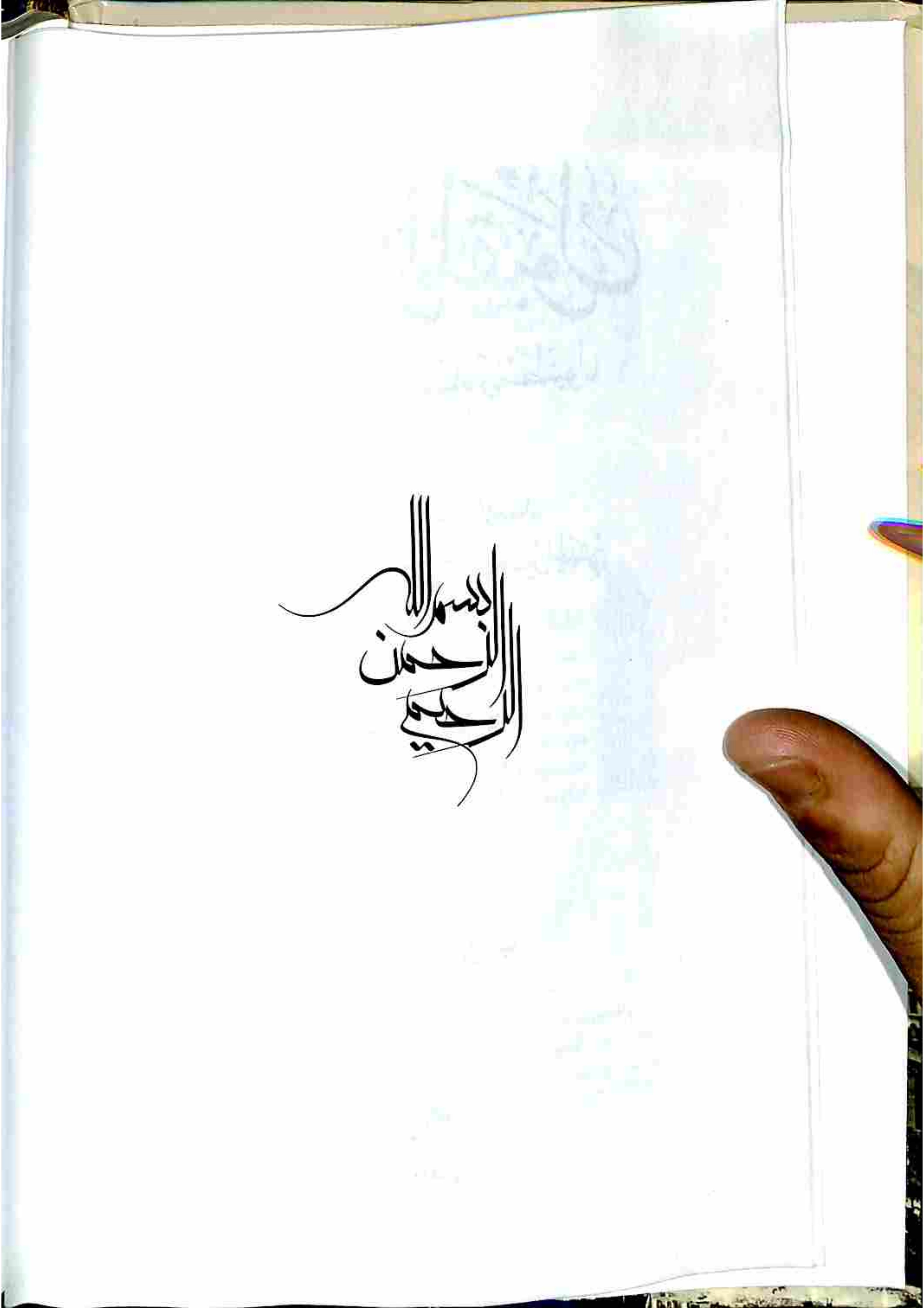
(١٢٥٩-١٣٣٣هـ)

قـال مِنْ مكاتبةٍ: «وأخي شـيخُ بن محمد الحبـشي وردتْ منه كتب من جهة جاوا وشرح فيها أسـفاره، وأطواره وأوطاره، وثقته إن شـاء الله تعالى بالله قوية، يبلغ بها أمله عن قريب، ويعود إلينا سـالما من الزمان وفتنه، وهُو لي يا محبّي؛ نعمَ الأنيسُ والسّلوةُ في زماني، وقد كدَّر عليَّ سفرُه غايةَ التكدير، ولكن الرجاء في الله أن يعيدَه، ويبلغه من خير الدارين ما يريده.

وقـد أرسـل إلينا هذه الأيام مقدمة رحلته المسـماة «الشـاهد المقبـول بالرحلة إلى مصر والشـام واسـطنبول»، فتصفّحْناها فإذا هي سلوةٌ للناظرين، وسرورٌ للمستمعين، شرحَ فيها مما شـاهدَه فيما لاقاه، أشـياءُ تقوّي الإيمان بالله، وأخوكم المبارك عوض سمِعَ غالبها، وألزَمْناه أن يخبرَكُم بذلكَ»[1] .

---

(١) هذا النص ورد في مقدمة الرحلة: ص ٣٨، ونص هذه المكاتبةِ كاملا يوجد في مجموع المكاتبات: ص ٤٤٩ (عن نسخة بقلم الحبيب عبد القادر بن أحمد السقاف)، وتاريخها: يوم السبت ٢٧ جمادى الآخرة سنة ١٣٢٩هـ، والمخاطبُ بها هو صديقه الشيخ سالم بن عبد الرحمن باسويدان الشبامي، المتوفى بشبام سنة ١٣٣٦هـ وتوفي أخوه الشيخ عوض سنة ١٣٥٨هـ.


بسم الله الرحمن الرحیم

قالُوا عَن هذه الرِّحْلة

(١)

الحبيب علي بن محمد الحبشي

(١٢٥٩-١٣٣٣هـ)

قال مِنْ مكاتبةٍ: «وأخي شيخُ بن محمد الحبشي وردتْ منه كتب من جهة جاوا وشرح فيها أسفاره، وأطواره وأوطاره، وثقته إن شاء الله تعالى بالله قوية، يبلغ بها أمله عن قريب، ويعود إلينا سالما من الزمان وفتنه، وهُو لي يا محبّي؛ نعمَ الأنيسُ والسّلوةُ في زماني، وقد كدَّر عليَّ سفرُه غايةَ التكدير، ولكن الرجاء في الله أن يعيدَه، ويبلغه من خير الدارين ما يريده.

وقد أرسل إلينا هذه الأيام مقدمة رحلته المسماة «الشاهد المقبول بالرحلة إلى مصر والشام واسطنبول»، فتصفّحْناها فإذا هي سلوةٌ للناظرين، وسرورٌ للمستمعين، شرحَ فيها مما شاهدَه فيما لاقاه، أشياءُ تقوّي الإيمان بالله، وأخوكم المبارك عوض سمعَ غالبها، وألزَمْناه أن يخبرَكُم بذلكَ»[1] .

---

(١) هذا النص ورد في مقدمة الرحلة: ص ٣٨، ونص هذه المكاتبةِ كاملا يوجد في مجموع المكاتبات: ص ٤٤٩ (عن نسخة بقلم الحبيب عبد القادر بن أحمد السقاف)، وتاريخها: يوم السبت ٢٧ جمادى الآخرة سنة ١٣٢٩هـ، والمخاطبُ بها هو صديقه الشيخ سالم بن عبد الرحمن باسويدان الشبامي، المتوفى بشبام سنة ١٣٣٦هـ وتوفي أخوه الشيخ عوض سنة ١٣٥٨هـ.

(٢)

الأستاذ عبد الله بن محمّد الحبَشي

(معَاصر، حفظه الله)

كتبَ يقولُ: «هذه الرِّحلَةُ من أوسَـع ما وقفتُ عليه في مجالِ الرِّحْلاتِ عند أهل اليمَن، ويكادُ الوحيدَ الذي تصدَّى لكتابةِ الرحلة عن قصْدٍ وعنايَةٍ من أهلِ حَضْرمَوت. فهم على الرّغْمِ من كثرَةِ هجْراتهم ورِحْلاتهم، لم نجد منهم من قام بكتابة رِحْلةٍ مسْتقلةٍ لنفسِـه، وإنما هي أخبارٌ شـفهيةٌ، تقالُ هنا وهنَاك، وقد اضمحلّـتْ بانتهاء أهْلها. فكانَ العلامَةُ شيخُ بن محمدٍ الحبَشيُّ رَائِدَ هذا الفنِّ عندَ الحضَارِم»[1].

وقـالَ: «في أوائـلِ القَـرنِ الرابـعِ عشَر الهجـريِّ، والخلافَـةُ العثمانيـةُ في بداياتِ الاحتضَـار، كانَ لعلماء اليمنِ ولعٌ كبيرٌ بزيـارَة عاصِمَة الخلافةِ، وكأنهم يحسُّـونَ بأنهم يودِّعونَ آخِرَ أمجادِ المسلمينَ والحضَارة الإسْلاميةِ وفتوحِها المجيدَة.

وقـد رأينـا جماعةُ من أهـل اليمَن يحدُوهم الشـوقُ إلى تقبيل الأعتابِ المقدّسـة، ومشاهدَةِ بقية المجدِ الغابِر، حيثُ محمّدٌ الفاتحُ، والسلاطينَ العِظَامُ من آل عثمان، وكان العلامةُ شـيخُ بن محمّدٍ الحبشيُّ، واحداً من أولئك الذين زارُوا الآسـتانةَ، وانعطَفوا قبلَ زيارتهم لها إلى مصْر والشّام».

❊ ❊ ❊

---

(١) «الرحالة اليمنيون»: ص ٢٤٦.

تقديم

بقلم الحبيب المنصب علي بن عبد القادر الحبشي

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾

الحمدُ لله الذي خلَق في عُظَماء البشر همماً تكِلّ الجبالُ الراسياتُ عن حملها، وجعلَ في سِيَرهم قصَصاً لمن له قلبٌ أو ألقَى السمْعَ وهو شهيدٌ، وأصلِّي وأسلمُ وأبارك على المتبوعِ الأعظم، والرسُول الأكرم، ﷺ، وعلى آله حملة علمه، وينابيع حكْمَته، وصحابته حُرَّاسِ فكْره، وأمَناء دعوته، وعلى تابعِهم سلفاً وخلفاً، فهُم القومُ الذين خُلِقوا ليدلُّوا على الله، واجتهَدوا ليَهدُوا إلى الله، ورحَلُوا ليظْهِرُوا من أسرار عجَائب ملْكِ الله.

فكانُوا رسُلَ خَيرٍ وألسُنَ بِشارةٍ، بعْد أن ارتَوتْ وتنوّرتْ عقولهم، وزكَتْ نفوسُهم، وتحققَتْ أرواحُهم بمعنى مدلولِ خبر قولِه تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾. فكم هو عَجيبٌ هذا الإنسانُ الخليفَة، الذي حمَل الأمانةَ بعْد أن أبتْ وأشْفقَت السمواتُ والأرضُ والجبال أن تحملَها. وكان من نوعِ هذا الكَائن البشريِّ الذي هو محلُّ خلافةِ الله في أرضِه، رحّالتُنا صاحبُ هذه الرحلة، الحبيبُ العلامة، شيخٌ.

❊ ❊ ❊

عَجيبٌ أمرُ هذَا الفذِّ الأشَمِّ، والحبرِ العليم، والرحّالة الغَطمْطَم، وليس هذا بعجيبٍ! فكيفَ؛ وهو ابنُ مفتي مكة المكرمة، وصِنوُ محدِّث الحجَاز، وزينة وادي إبراهيم، وأخٌ ومريدٌ مُؤسِّس أولِ رباطٍ للعلم بحضْرموت، فكان هذا الإمام الحبيبُ النسيب، والفقيهُ الخرِّيتُ، شيخُ بن محمد الحبشيّ، تتمة القلادَة، وثالثُ الثلاثة، أولادِ مفتي مكة، التي قامَت عليها منصّة العلمِ والدعْوة التي حملَها هؤلاء العظَام، مع إخْوَتهم الأعلامِ، خلافةً عن والدهم.

شخصيةٌ فذّة متفردة، جمعَتِ العلْمَ الكبير، والعقْلَ الخطير، والشعر الغزير، فكانَ لوحةً جمعتْ فنونَ العلمِ المتنوعةِ، تفسيراً، وحديثاً، وفقْهاً، وأدباً، وما ذلك على الله بعزيز:

وليسَ على الله بمستنكَرٍ ... أن يجمعَ العَالمَ في واحِدِ

فكيفَ، وهو ابنُ مفتي الشافعية بمكة المكرمة، وابن أمٍّ داعيةٍ، وجدُّه لأمه قاضي مدينة تريم الغناء، فترعرعَ في مكةَ، بين البيتِ العتيق والمسعَى نشأةً، وبين حيِّ جرْول وخَيفِ منى تعلُّماً وتربيةً، ولم يفارِقْ والدَه المفتي في الحرم المكيّ، فكان كالظلِّ لشاخصِ والده في مجالسِ إفتائه وتدريسِه، وتعليمه وقراءته عليه، وتلقيه السند عنه في جملة من الكتبِ منهَا: كتاب «كشف الغمة» للإمام الشعراني، وكتاب «الشِّفا» للقاضي عياض، وغيرها[1].

وكان بلبلَ حلقةَ شيخِه العلامةِ السيد أحمد زيني دحلان، في قراءة «تفسير البيضاوي»، وغيره من فنون الفقه والنحو. وأذناً صَاغيةً لمجلسِ ودرسِ سَماعٍ وإملاءِ أخيه المحدّث الحسينِ بن محمّدٍ، في درس «صحيح مسلم»، وكتاب «الأسماء والصفات» للبيهقيّ، ولكَ أن ترَى ذكْره لذلكَ، في إجازة المؤلف كذلك للشيخِ المباركِ، المذكورة في هذه الرحلة.

---

(١) انظر إجازته للشيخ محمد المبارك الجزائري.

ولقد كان تلميذاً متلقياً ملازماً حريصاً، لشَيخ فتْحه، بمكّة أولاً، ثم بحضْرموت برباطِ العلمِ ومسْجد الرياضِ بمدينة سيؤون، في مجالسِ ودروس شَيخه الأكبر، ونَجْمه الأزهر، وبابِ دخوله في وصُوله، ومعْراجِ روحِه في قبوله الكبير، وسِراجه المنير، الذي ليس له في نظرِه شبيهٌ ولا نظير، ولا ينبئك مثلُ خبير، أخيه الإمام المجدِّد، نور الدينِ، علّي بن محمد بن حسين الحبشيِّ، نفعنا الله به في الدارين. فقد كانت بدايةُ اتصاله به في مكة المكرمة، عام ١٢٨٢هـ، وهو في شَرْخ الشبابِ، فقربه منْه وأدناه، وأتحفه بنظراتِه الإكْسيريةِ وربّاه، فأسرعَ إليه ملبياً، وبما ألبسَه من الصفاتِ الحسنة متحلياً، وأقام معه مدةً في مكة وهو ملازمٌ له.

ثم إنه عند خرُوجه من مكّة المكرمَة راجعاً إلى مدينة سيؤون، وطنِه، صَحِبه بعد أن طلبَه من إخوانِه الكرام: عبد الله، وأحمد، والحسين، فأسعفوه بذلك. فخرجَ به في معيته، وله منه كمالُ الملاحظةِ، حتى وصل سيؤون، فلازمه ولازمَ دروسَه ومجالسَه صباح مساءً، وقرأ عليه جملةً من الكتبِ في كل فنٍّ من فنُونِ العلم، وأجازَه إجازاتٍ خاصّة وعامةً، وألبسَه الخرقة، ولقّنه الذكر، وله منه المكاتباتُ الجامعة، والوصَايا النافعة، فمنها وصيّته مع أولادِه وأولادِ سيدنا الإمام، وأحيلك إلى هذه الرحلة، في إجَازة المؤلفِ للسيد حسن البار، لترى صورةً بقلمِ المؤلفِ من ذلك الوصْف والتعبيرِ، والأدَبِ الكاملِ مع أخيه وشيخِه الإمام، وذكره باكورةَ اتصالِه، وكمالَ انتفاعه به.

ومن قرأ تلكَ الوصَايا والإجازاتِ، يتجلى له العطفُ الأخويُّ والأبويُّ، وحسْنُ التلقي والتأدّبِ بجميعِ أشكاله، ومدى الحبِّ الكبيرِ، ومعاني الودّ والتربية التي تزْخَر بها تلك الأقلامُ المفعَمَةُ بالمشاعر الفياضة، علَّنا نأخذُ منها منهجاً لما ينبغي به التعاملُ بين الإخوانِ ومع كلّ إنسانٍ، ولعل يطلعُ عليها الخلفُ فيأخذوا عبرةَ ودرساً من ذلك السلفِ.

❊ ❊ ❊

رحلَ إلى شرْق آسيا حاملاً همّ الدعوة إلى الله، وعَاد إلى سيؤون وحضرموت مسقطِ رأسه ليكونَ أحدَ كواكبِ هذه المجرة العلمية، والدَّوحة النبوية، وركناً من أركانِ رباط العلم بسيؤون، وهذه المدرسَة الحضرمية السنية الأشعريةُ العلوية الصوفية، التي وصل شُعَاعها إلى غَانا غرباً، وإلى الهند شرقاً، وإلى تركيا شمالاً، وإلى جنوب أفريقياَ. فاقرأ في شخصيته العلم والعمَل، والورعَ والخوفَ من الله، وتعلّمْ منه الأدبَ والهدْيَ النبويَّ، وحُسْنَ السمتِ ولطفَ التعامل، وتفهّمْ منه براعةَ الوصْفِ والأخبار، والحظْ منه أنفَةَ النفسِ ورُوحَ الإباءِ، واستَشْعِر في كتابته الدقّةَ و النزاهة.

كلّ هذا وذاكَ، لم يكن حديثُنا عن فردٍ بذاتِه ، أو شَخصٍ بعينه، ولكنَّ حديثَنا عن مرحَلة تاريخيةٍ، وحقبةٍ زمنيةٍ، وعن نتاجِ تربيةٍ، ونَجاح تجربَةٍ، ومخاضِ مرْحَلةٍ، صنعَتْ لنا هذا العالم المتفرِّدَ، فعندما نتحدّثُ عنه، فإنما نتحدّثُ عن التاريخ ورجَاله، والعلْمِ وحملتِه، والشعْرِ وعذُوبتِه، والفقهِ ودقائقه. نتحدّثُ عن مكةَ العلم والإسناد .. وحضرموت التربيةِ والتلقي .. وسيؤون العلم والأدب.

* * *

وهنا أجدُ نفسي قد أخذَني تيارُ فكري، بعد أن فقَد قلمي مجاديفَ قاربِه الصّغير، في خِضَمّ هذا البحْر المتلاطِمة أمواجُه. فليعذُرْني كلّ قارئ أكانَ باحثاً، أو مؤرخاً، أو أديباً، أو سائحاً مطّلعاً، عن تقصيري في وصْف أحداثِ ومباحثِ هذه الرحلة، تاركاً لسان حالها تتحدّثُ عن نفسها، وتصف أخبارها، لأنه سيقف في ثنايا أسْطرِها ، على معانٍ خفية ، ومقاصدَ معنويّة، للغة أهل العلم، ومنهجَهم في تبادلِ الأخْذ والتلقي عن بعْضهم البعْضَ، تحملاً وإجازةً، استمداداً وإمداداً، من هذه الرّحلة النفيسة، الجامعة الماتعة.

* * *

ولقـد انتفعْنـا بمخطوطِ هـذه الرحْلة زمناً طويـلاً، وأحببنَا أن يكـونَ النفعُ والانتفـاع أعمَّ وأكبر، لهذا الكنز الثمين، والسِّـفْر الموسـوعيِّ العَظيـم، الذي لم يرَ النور منذُ مئةِ عامٍ من حين كتابتها.

وقد أذنَ الله بطباعتها ونشْرها محققة على يد احد أبنائي الباحثين المتعطشين لنشر التراث وخدمته، وهو الباحثُ، محمد بن أبي بكر باذيب، الذي عهدتُه طالبا مجدًّا نشِطاً، حينها كنتُ أسـتاذًا أدرّسُ بكليةِ الشريعةِ والقانونِ بجامعَة الأحقاف، وفّقَ الله الباحِثَ، وسدّد خُطَاه، وزاده فتحاً وفهما وتوفيقاً.

وباركَ الله في ابني الموفّق المنوّر، شَـيخ ابن الجد علويّ، ابن مؤلف الرحلة، الجدّ شيخ بن محمد بن حسين الحبشي، الذي تمَّ على يدِه نيةُ ومشروعُ والدِه المرحُوم في طبعِها ونشْرها. تقبلَ الله من الجميعِ، وشـكرَ سـْعيهم، وجعلَه في ميزان حسـناتهم، والحمدُ لله أولا وآخراً، وصلى الله على سيدنا محمّدٍ باللسانِ الجامعةِ، في الحضرة الواسِعَة، وعلى آله وصحبه وسلم.

قال ذلك بفمه ورقمه بقلمه المنصب

علي بن عبد القادر بن محمد ابن الإمام علي بن محمد الحبشي

برباط العلم الشريف، سيؤون - حضرموت - اليمن

غرة محرم من ١٤٣٢ هـ

❊ ❊ ❊

مقدمة المحقق

الحمد لله أهلِ الثناءِ والحمْدِ، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينَا محمّدٍ أكرَم رسُولٍ شرفه الله وفضله على كل مخلوقٍ وعبد، دعَا إلىٰ سبيلِ الله بالحكمَة والموعظة الحسنة، وسلَك في دعوته كُلَّ فجّ وأرْضٍ وسهْلٍ ونجْد، وعلى آله وصحبه أهل الفصاحَة والمجْد، ومن أتَى من بعدِهم إلىٰ يومِ الحشْد.

(١)

وبعد؛ فقد كان القرنُ الرابع عشر الهجري، عصراً حافلاً بالكثير من الأحْداثِ العِظَام، وكانت فيه نهضةٌ تعليميّةٌ، وحركاتٌ إصْلاحية تجديديةٌ.

وكان هناك عدد من الرحالة العلماء المسْلمين يجوبون طولَ البلادِ وعرضها، سعياً إلىٰ التعرّف على إخوانهم في الدين والعقيدة، ربطاً لأواصر الأخوّة الإسْلامية، وتعزيزاً لمبدأ وحْدة الأرض، والدين والعقيدةِ، والفكر، لقد خدم أولئك الأفذاذ بلادهم وأمتهم، وأحسنوا أيما إحسانٍ بتدوينهم تلْكَ الوقائعِ التي حفظتْ لنا تاريخاً مجيداً، ومعلوماتٍ ثرّةً غنيةً بالتجْرِبة، وحافلةً بالإثارة.

(٢)

وليس المقام هنا مقام حصر وتعديد لرحلات أولئك الرحالة، الذين عاصروا السيد شيخ الحبشي كاتب هذه الرحلة، ولكني أكتفي بالإشارة إلىٰ رحلتين لاثنينِ من كبار علماء المسلمين، أحدُهما من الشرقِ؛ وهو العلامة الشيخ جمال الدين القاسمي (ت ١٣٢٩هـ)، والآخر من أقصى الغرب، وهو العلامة السيد محمد بن جعفر الكتاني (ت ١٣٤٥هـ). وكلاهما قامَا برحلَةٍ مستقلة، في سنةٍ واحدة، هي سنة ١٣٢١هـ.

فأما العلامة جمالُ الدين القاسمي؛ وهو دمشقي، فقد قام برحلة إلىٰ بيت المقدس استغرقت شهرين[1]، من أواخر محرم ١٣٢١هـ، إلىٰ مطلع ربيع الأول من السنة نفسها. وأما السيدُ محمدُ بن جعْفر، فقد ابتدأت رحلتُه[2] بالسفر من فاس يوم السبت ١٧ شعبان من تلك السنة (١٣٢١هـ)، مر خلالها بمصر والشام وبيت المقدس، وكان قصده الحج والزيارة، وانتهت بعوده إليها يوم الأحد ٥ ربيع الثاني ١٣٢٢هـ. وكلاهما مخدومتان خدمة جيدة، ومحققّتانِ تحقيقا جيداً؛ أضف إلىٰ أن مؤلفيهما كانا على صِلة مباشِرَةٍ بمؤلّفِنا.

ومن أهل حضرموت ممن زار الحرمين ومصر قبل رحالتنا، العلامة الحبيب أحمد بن حسن العطاس (ت ١٣٣٤هـ)وبعده: السيد العلامة حسن بن عبد الله الكاف (ت ١٣٤٦هـ)، وكان يصحبه الشيخ الفقيه محمد بن عوض بافضل (ت ١٣٦٩هـ)، وكانت رحلتهما تلك سنة ١٣٣٠هـ، وهي مطبوعة بعنوان «الطرف الشهية المستفادة من الرحلة إلىٰ الديار المصرية والحجازية»، ثم تلاهما السيد العلامة محمد بن هادي السقاف (ت ١٣٨٢هـ) حيث قام برحلة إلىٰ مصر والقدس أيضاً، سنة ١٣٤٣هـ، ولا تزال هذه الرحلة مخطوطة لدى أبنائه.

(٣)

وأما رحلتنا هذه، فهي أول رحلة لعالم من حضرموت يجوب تلك البلاد، واختصت عن بقية رحلات الحضارمة بدخول الرحالة إلىٰ تركيا، ولقائه السلطان

---

(١) نشرت هذه الرحلة تحت عنوان «رحلتي إلىٰ البيت المقدس»، بتحقيق وعناية الصديق الفاضل الشيخ محمد ناصر العجمي، وصدرت عن دار البشائر الإسلامية، هذا العام ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م، في مجلد لطيف يحتوي على (١٣٥ صفحة)، مزودة بالصور.

(٢) نشرت هذه الرحلة تحت عنوان «الرحلة السامية إلىٰ الإسكندرية ومصر والحجاز والبلاد الشامية»، قدم لها وعلق عليها د. محمد بن عزوز، وخرج أحاديثها د. محمد حمزة الكتاني، وصدرت عن مركز التراث الثقافي المغربي، بالتعاون مع دار ابن حزم ببيروت، وتقع في مجلد متوسط يحوي (٤٠٥ صفحات).

محمد رشاد، آخر سلاطين بني عثمان، وقد دوَّن مشاهداته وانطباعاته عنها وعن أهلها، وسجل بقلمه دقائق من المعلومات والأمور التاريخية الهامة.

لقد اعتاد الناس أن يقرأوا لعلماء حضرموت من زاوية داخلية، أو بنظرةٍ محليّة، ولكن هذه الرحلة، وغيرها من الرحلات، تفتحُ آفاقا جديدة للبحث التاريخي، وللتواصل الاجتماعي المطلوب بين الأقوام والشعوب.

إنها رحلة تهيّج عواطف المسلمين في كافة أنحاء المعمورة، الذين ساءهم ويسوؤهم مآل الأمور إليه في العالم الإسلامي عقب سقوط الخلافة الإسلامية، التي كانت متمثلة في سدة الحكم المناط بالباب العالي في الآستانة، في العصور الأخيرة، والتي تعرضت إلىٰ العديد من الهجمات على كثير من الأصعدة، إلىٰ أن تم تقسيم البلاد طولا وعرضا، وتفتيت الكيان الإسلامي الكبير.

يرحل بنا الكاتب رحمه الله، في جولة هادئة، يمخر عباب البحار، ويقطع الوهاد والجبال والصحارى الشاسعة، ويمضي في أسلوب راق، وبيان عال، يصور الوضع الاجتماعي، والوضع الديني، ويرسم لوحة بريشة عالم فنان، لكل المظاهر الغريبة التي يراها لأول مرة، في العواصم الإسلامية الكبرى.

(٤)

في هذه الرحلة، سيجد الكثيرون من الأدباء، والمؤرخين، والباحثين في علم الاجتماع، وفي العلوم الشرعية كعلم الحديث وفنون الإسناد، سيجد الجميع بغيته. فهناك الشعر الذي يستشهد به المؤلف، وهناك القصائد التي قيلت في الترحيب به. وهناك التراجم وأسماء الأعلام الذين لقيهم المؤلف، وأحياناً إشارات إلىٰ الشخصيات التي زار أضرحتها أو مقاماتها،ومن الناحية الاجتماعية، سيجد القارئ حديثا متصلا يتعلق بحسن الظن، الذي رافق كاتبنا الكريم عندما يمر بتكية أو زاوية صوفية (خانقاه)، أو ببعض الأماكن العامة، فيجد فيها الدراويش، والمجاذيب.

فيتحـدث عنهم بسـلامة صدر، وحسـن ظـن كبير، وبنظـرة حانية، تصـوّر احترامَه وتقديره لأولئكَ الذين ربما اشـمأزّ منهم ونبذهم الكثيرون، وهناك الإجازاتُ التي تبادلها مع كبَارِ الشخصيات التي لقيها، من أهل العلم والفضل والإسناد.

(٥)

ومما يزيد من قيمة هـذه الرحلة، حرص المؤلف رحمه الله، على وصف الكتب التـي اطلـع عليها، أو التي اشـتراها أو أهديـت له، وهو لا يدخل بلـدة أو مدينة إلا ويبدأ أهلها بالسـؤال عن الكتب والمكتبات، وقد ذكر لنا أسماء كتب كانت موجودة في بعـض الخزائـن في المدينـة المنـورة، وغيرهـا، كان مآلهـا الضيـاع والفقـدان. وقد حرصـت على تتبع أسـماء الكتـب ومؤلفيها، وذكر النسـخ المتوفرة منهـا في مكتبات العالم الإسلامي،لاسيما ما لم يطبع منها.

(٦)

كـما لا يفـوت رحالتنا، أن تبـدر منه لفتاتٌ نقديـة لبعض المظاهـر التي يراها غريبـة عـن جوهر الدين، أو شـئوناً غـير مألوفة لديه. فهـو عندما يذكـر الرقصات التي يؤديها أتباع الطريقة المولوية، الذين زار مقرهم في دمشـق، وشـاهد أسلوبهم في الرقص والدوران، لم يفته أن يعلق قائلاً:

«ولهم أسلوب غريب في استدارتهم، فسبحان الله، وزينا لكل أمة عملهم».

وعندمـا دخـل كنيسَـة القِيامة في القُـدْسِ الشَّريف، وشـاهَد مـا يزعمون أنه صورة المسيح مصلوباً، علقَ على ذلك بقوله:

«فدخَلنا، فرأينا ما يزعمون من أنه محل الصلب، وهو مسنود، وصورةُ سيدنا عيسـى عليه السـلام كأنـه مصلوبٌ، ورأينـا أشـياء تقشَعِرُّ منها الجلودُ، قبّحَهُم الله، ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾».

(٧)

ومـن تعليقاتـه الطريفـة والجميلـة، مقارَنتـه بعْـضَ مشَـاهداتِه بـما عليه أهل حضرمـوت، فعندمـا حـَضر في المدرسـة الريحانيـة بدمشـق، ورأى طريقـة الشـيخ عبدالجليـل الدرا في التعليم، وأسـلوبه في تأديب الصغـار وتحفيظهم المتون، وترقيق طباعهم بالأشعار المستحسنة والآداب الجميلة، قال:

«وتعليـم الشـيخ للتلاميـذ فيه ما يشـبه قواعدنـا في جهة حضرمـوت، لأنهم يبتدئون بأمور الدين المهمة، من الصلاة ونحوها».

وفي مدينـة (يافَـا) الفلسـطينية، شـاهد الحبيب شـيخٌ بعْـضَ تقنيَاتِ السّـقْي والرَّي، واستخراج المياه من الآبار بواسطة العجَلات التي تدارُ عن طريقِ الجازولين (القاز)، فيقول:

«وتمشي الفابريكة على القاز، كل يوم نصْف بلَيق [جالون]. فتمنينا أن لو كان مثلها في حضرموت، وخصوصا في (مُغيثَة) لقرب مائها».

فهـو هنـا يتمنـى أن لو وجـدَتْ في بلاده تلك الطـرق المسـتحدثة، التي تعين المزارع في عمله، وهذا حسٌ حضاري و وطنِيّ مطلوبٌ، تجدر الإشادة به.

(٨)

لقـد ظلـت هذه الرحلة بين يـديَّ مُدّةً غـير قليلة، وتأخّر صدورها لأسـبابٍ وظرُوفٍ خاصة، وكنت كلّما نظرتُ إلى أوراقها ومسـوداتها ازداد لومي لنفسي، وقد قـال تعـالى: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾. ويخففُ اللومَ عـن نفسي قولي لها: إنّ ما شـغلتُ بـه في هذه المـدة، لم يكن ببعيدٍ عن نطاقِ البحث العلمـيّ، وخدمة تراث حضرموت العـام. وقد زاد الطـين بلة، ضَياعُ المسـودة الورقية والرقمية التـي قمت بتصحيحها

ومقابلتها مع الأخ مصطفى العيدروس، وهو أمرٌ يضعفُ الهمّة، فكانت إعادةِ المقابلة والتصحيح شاقّة، والحمد لله على كل حال.

وختاماً أشكر الأخ الفاضل السيد شيخ بن علوي بن شيخ، حفيدَ صاحبِ الرحلة، على متابعته الحثيثة، وحرْصِه على خروجِ الرحلة مخدومةً مصححة، تلبية لرغبة والده رحمه الله، الذي كلفني بالقيام بهذه المهمة قَبْل وفَاته، في صَفر من عام ١٤٢٦هـ، وكتب ذلك لي بخطّ يده.

كما أشكر السادة الفضلاء الذين راجعوا الرحلة وتعليقاتي عليها قبل الطباعة، خصوصاً السيد طه بن حسن السقاف، والسيد الأديب عبد القادر بن سالم خرِدْ. أسأل الله أن يجعل هذه الخدمة مقبولة عنده، ومدخرة لديه، والحمدُ لله أولا وآخراً، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

محمد أبوبكر عبد الله باذيب

جدة؛ غرة ذي الحجة ١٤٣١هـ
الموافق ٧ نوفمبر ٢٠١٠م

ترجمة صاحبِ الرحلة
السيد العلامة شيخ بن محمد بن حسين الحبشي[*]
(١٢٦٥ - ١٣٤٨هـ)

مولده بتريم الغناء في ٣ رجب سنة ١٢٦٥هـ، كما في الشجرة العلوية الكبرى، وكما في الدليل المشير، وأما صاحب تاريخ الشعراء فأرّخه في ١٢٦٤هـ، وتبعَه كثيرونَ، لانتشار كتابه واعتمادِ النّاس عليه.

ووالدتُه بنت الشّيخ القاضي سعيد الكبير[١].

ولما هاجر والده العلامة محمد بن حسين الحبشي إلى مكة المكرمة سنة ١٢٧٠هـ، وكان عمرُه حينها خمسةُ أعوامٍ[٢]، أخذه معه إلى مكة صحبةَ أخويه حسين وعبد الله، وأقام بمكة المكرمة ينهلُ من علومِ والده وشيوخ الحرم المكي الشريف. ثم كانت وفاة أبيه أواخر سنة ١٢٨١هـ، فقدِم إلى مكة أخُوه الحبيب علي لتعزية



(*) مصادر ترجمته: الشجرة العلوية الكبرى: ٧/ ق ٦٨ ب، الدليل المشير: ١١٠-١١٢، تاريخ الشعراء الحضرميين: ٤/ ٢٠٩-٢١٨، رحلة الأسفار: ١٥٥، لوامع النور: ١/ ٢٤٧، جني القطاف: ٩٨-١٠١، فيوضات البحر الملي: ٢٦٠-٢٧٤، منحة الإله: ص٢٨١-٢٨٣، الفرائد الجوهرية: ٣/ ٧٢١؛ شعراء حضرموت، بقلم علي باكثير: مخطوط غير مرقّم.

(١) عمر الكاف، الفرائد الجوهرية: ٣/ ٧٢١ (ترجمة ١٢٣٨، الهامش ٢). وهو من الفقهاء المعتبرين في حضْرموت، كان حيًّا مطلعَ القرن الرابع عشر الهجري، رأيت له بعض التقييدات الفقهية، ينظر: محمد باذيب، «جهود فقهاء حضرموت»: ٢/ ٩٣٠.

(٢) بناء على ما ورد في مختصر نشر النور والزهر: ص٤١٨، أو يكونُ عمره عام واحدٌ على ما في «تاريخ الشعراء»: من كون هجرته سنة ١٢٦٦هـ، والله أعلم.

إخوانه في والدِهم، وعند عودته إلى حضرموت طلبَ منهم أن يأخُذَ أخاه شيخاً معه إلى حضرموت فوافقوا على ذلك، وخرج به وهو يناهز البلوغ فقام بتربيته ورعايته.

حليته:

قالَ فيه الشيخُ عبد الله باجمّاح العمُودي: «السيدُ الجليل، الهمام العالم، ذو الأخلاق الرضية، والشمائل المرضية، والسيرة العلوية». وقال ابن عبيدالله السقاف: «كان شهماً كريماً، ونزهةً نديماً، سليمَ الذَّوق، مائيَّ الأخْلاقِ:

فلو كانَ ماءً كان ماءَ غمامَةٍ ولو كَان نَوماً كانَ تعريسَةَ الفجْرِ

له شعرٌ جيِّد، وأدبٌ غضٌّ، ونكاتٌ لطِيفة، ونوادِرُ عجِيبة، وكان بيني وبينَه إخاءٌ ووُدٌّ»[1]. وقال حفيدُ أخيه، السيدُ أبوبكر بن أحمد الحبَشي: «هو الإمامُ العلامةُ المعمَّر، الجليلُ». وقال السيدُ سالم بن حفيظٍ: «كانَ شريفاً ظريفاً أديباً، لطيفاً ناسِكاً عابداً».

وجاء في «تاريخ الشعراء» عنه (بتصرف يسير)، إنّه: «من ذَوي الفضَائلِ والعلُومِ والآدابِ، الداخلينَ إلىٰ المكارم والمَحامدِ من كلِّ بابٍ، وفي الواقعِ إنّ مريدَ التحدُّثِ عن أخلاقِه الكَريمةِ، فليتحدّثْ عن النَّسيم، والرِّقّة، واللطْفِ، والنعُومةِ، والنفسيةِ الطيّبةِ، ولينِ الجانبِ. كما لَه أن يَسْتعليَ إلىٰ الصفَاتِ السلفيّةِ، والشمائلِ المحمديّة، مارًّا بالتواضُعِ، والاسْتقامةِ، والتقْوَى، والزهْدِ، والورَعِ. في استشعارِ رطُوبةٍ خفيفةٍ في طبَاعِه، وميولِه إلىٰ التبسّط والمفاكَهة حتى مع أولاده، على ندُورِها. ويعرفُه الناس جماليَّ المظهَرِ والمخْبر، والملبوسِ الأبيضِ النظيفِ، كمناظرَ مضَافةٍ إلىٰ جمالِ صُورتِه، وبياضِ وجْهِه المسْتطيلِ، وقامَةٍ نحيلةٍ طَويلةٍ، في نُحفٍ شَديدٍ، بمثابةٍ

---

(١) «إدام القوت» طبعة دار المنهاج (ص ٧٠٨)؛ وطبعة الإرشاد (ص٤٢٥).

عظْـم على جلـدٍ!. بلحيَةٍ وعارِضَين خفيفَـينِ، وربما غضَّ غضًّا خفيفـاً جفنُه الأيسَر حينَ التحدّث».

وقال الحبيب عمر بن سـميط عنه في «رحلته»[1]: «السيدُ العالم العامِل، الذي لا تسمحُ بمثلِه الأيامُ، في فضله ومجده، ولا تكتحل عينُ العُلا برؤيةِ ندِّه، أحَدُ مفاخرِ سيئون وحسَناتِها، وأحَد أعلامِها الحاملينَ لراياتِها».

شيوخُه:

أخذ صاحبُ الترجمة عن عددٍ من رجالِ عصْرِه، وأعيانِ مصرِه، ذكر هو منهم عـددا في بعـض إجازاته، وأوصلهم صاحـب «الدليل» إلىٰ أربعةَ عشر شـيخاً، وزاد السقاف في «تاريخ الشعراء» ذكر عدد من معاصريه ممن يصح أخذه عنهم، ولكن بما أن صاحبَ «الدليل» تلقى أسـماء الشـيوخ عن المترجم نفسه، فإن الثقة بكلامه أكبر، وعليه المعول. ونحنُ نذكرهم بحسب وفياتهم:

فأجلّهـم والـده العلامـةُ، مفتـي الشّـافعيةِ، الحبيب محمد بن حسـين الحبشي (ت ١٢٨١هـ)، وقـد أخذ عنه في صِباه، وتوفي أبوه وهـو يناهز البلوغَ، وقد ذكر في إجازته للسـيد حسـن البار مقروءاته عليه، وهي ضمن هذه الرحلة، ولا نطيل بذكر ذلـك بعـدا عن التكـرار. ومنهم إخوتُه الأربعةُ، وعلى رأسِـهم شـيخُ فتحه، الحبيب علي (ت ١٣٣٣هـ)، وإليه ينتسِـب وينتمي في الأخْذِ والمشْـيخةِ والتربية والسـلوك، وهـو كثير الإشـادة بذكـره في إجازاته لمريديه ومحبيه، كما سـيراه القـارئ في نصوص إجازاته. وبقيتُهم: المفتي حسـين (ت ١٣٣٠هـ)، وعبد الله (ت ١٢٩٩هـ)، وأحمد، بنو العلامة محمد بن حسين الحبشي.

ومنهم العلامة أحمد بن حسـن العطاس (ت ١٣٣٤هـ)، كرر ذكره المؤلف في

---

(١) النفحة الشذية: ص ٧٤.

الرحلة كثيراً، وأشـاد بأخذه عنه في عدة مواضع منها. وعن الشـيخ محمد بن عوض بافضل (ت ١٣٦٩هـ) عن المترجَم، قال:

«جلستُ يوما مع سيدي أحمد بن حسنٍ رضي الله عنه في مكانه المسمى (شَرْج عمْلِـه)[١] بضَواحي بلد حريضة، فانفسـحَ صدرُه وطـابَ المجلِسُ، وأخذ يتكلم في علوم الأسـماء والصفات بلسـان كالسيل المنهمر، ما سـمعتُ مثلها، وأطال المذاكرة والبحث في ذلك، فتعجبتُ من هذا الفتح العظيم»[٢]، انتهى.

ومنهم الحبيب أبوبكر بن عبد الله العطاس (ت ١٢٨١هـ).

ومنهم العلامة السيد أحمد زيني دحلان (ت ١٣٠٤هـ).

ومنهم الحبيب أحمد بن محمد المحضار (ت ١٣٠٤هـ).

ومنهم الحبيب المعمّر أحمد بن عبد الله البار (ت ١٣١١هـ).

ومنهم الحبيب عيدروس بن عمر الحبشي (ت ١٣١٤هـ).

ومنهم الحبيب طاهر بن عمر الحداد (ت ١٣١٩هـ).

ومنهم العلامة المفتي عبد الرحمن المشهور (ت ١٣٢٠هـ).

ومنهم العلامة المفتي محمد سعيد بابصيل (ت ١٣٣٠هـ).

رحلاته:

للحبيب شـيخ عدةُ رحلاتٍ وأسـفار، زار خلالها العديد مـن البلدان، وأقام فيها مددا متفاوتة، وتقدم أنه رحل في صباه مع والده من حضرموت إلىٰ مكة، وأقام بمكة نحو عشر سنوات، حتى ناهز البلوغ، فتوفي أبوه سنة ١٢٨١هـ.

---

(١) يقع هذا الشَّرْج خارج بلدة حريضة، في طريق الذاهب إلىٰ وادي عمد. أفادني بهذا السيد الفاضل سالم بن علي العطاس، حفظه الله.

(٢) من مجموع مناقب الحبيب أحمد بن حسن، جمع ابنه المنصِب علي بن أحمد: ١/ ١١٩.

فأخـذه أخوه الحبيب علي إلىٰ حضرموت، وأقام بها نحو عشر سـنوات أيضا، من ١٢٨٢هـ إلىٰ ١٢٩٢هـ. وفي هذه السنة توجه إلىٰ شرق آسيا، صوب جزيرة جاوة، وأقـام بها مـدة طويلة، نحو (١٨ عامـاً)، عاد بعدها إلىٰ حضرموت سـنة ١٣١٠هـ، وهذه الرحلة مع طولها لم يدون أحداثها ولا مجرياتها.

ثم عنّتْ له الرحلة إلىٰ الحرمين سـنة ١٣٢٨هـ، ومن هناك انطلق صوبَ بلاد الشام وإسطنبولَ ومصر، وفي هذه المرة دوَّن أحداثَ رِحْلته، واستدرك ما فاته وضاع عليه من رحلاته السابقة، وهي هذه الرحلة التي بين أيدينا.

ويبدو أنه لم يعُد بعدَ حجِّ تلك السـنة (١٣٢٨هـ) إلىٰ حضرموت مباشرةً، بل سار باتجاهِ إندونيسيا أيضاً، حسبما تشير إليه المعطيات التاريخية[١]، وأقام بها نحو عام واحـد، ثم عـاد إلىٰ حضرموت، وأقام بها في جوار أخيه وشـيخه الحبيب علي، إلىٰ أن توفي وانتقل إلىٰ رحمة الله، في ربيع الثاني سنة ١٣٣٣هـ.

ما مدح به في حياته:

قال فيه أخُوه وشـيخه الحبيب علي بن محمد، مرحّباً به، في قدومِه من سَـفرٍ في رمضان سنة ١٣١٣هـ، من الشعر الحميني[٢]:

حيا وسـهلا بمن جانا وانا في السهنْ	قل للمبـشر إذا جا بالبشـارة تمنْ
الله يعـــود لنـا اعيـادنـا والزينْ	يامرحبابن محمدبن حسين الحسنْ
حيا بشيخ الذي لقياه يجلي الحزنْ	وارتعشت ارواحنابه يوم جاء للوطنْ

(١) تنظر مكاتبته إلىٰ السيد عمر بافقيه، بعثها إليه من سورابايا في شوال سنة ١٣٢٩هـ.

(٢) نقلا عن «فيوضات البحر الملي»: ص ٢٧٢.

رعشة ظهر سرها في القلب هو والبدنْ   الحمد لله مولانا جزيل المننْ
لي رد صنوي إلىٰ الأوطان باقرب زمنْ   يا شيخ حيا بكم لا خيب الله ظَنْ

❊ ❊ ❊

وكان بينه وبين صَديقِه العلامة الحبيب علوي المشهور (ت ١٣٤١هـ) أشعارٌ وقصائد متبادلة، وللمترجَم فيه قصيدةٌ سينية، مطلعُها:

خَطرَتْ فأزرَتْ بالغُصُونِ الميَّسِ   رُعْبوبَةٌ برزَتْ بأفخَرِ ملبَسِ

وهي بكمالها في «الديوان» المرفق بهذه الرحلة. ولصديقه فيه قصيدتان، نوردُهما هنا، نقلاً عن «لوامع النور».

فأما القصيدة الأولى[1]:

برزَتْ فأبدَت للمتيَّم دَلَّها   فعلَى البرُوزِ لذي الهوَى من دَلَّها؟
ورنَتْ بمقلَة جُؤذَرٍ من وَجرة   فتكتْ بمُهْجةِ من يؤمِّل وصْلَها
فهُو القتيلُ إذا بمَصْرعه غَدا   يرجُو الحياةَ إذا حبَتْه بعَلِّها
رُعبوبةٌ هيفَاء ذاتُ محاسِن   لم يُدركِ الشّعراءُ أينَ محلّها
ما الكأسُ والثغرُ الشهيُّ مشبَّهٌ   منهَا ولا الصّهْبا تقَاسُ بطَلّها
سحّارةٌ بمحاسِنِ الإبْداعِ مِن   لفَتاتها فلَها الكمالُ قد انتَهى
ومن القَديم حَديثُها فمُعَنعنٌ   في حبّها لو يدْرِ جَانبُه وهَى

---

(١) «لوامع النور»: ١/ ٣٤٩. حيث جاء فيه: «وللجَدّ علوي في صديقه المذكور أبياتاً حفظَها لنا «ديوانُه الحكمي» المخطوط، (ص ٢٧)، صدَّرها بقوله: «هذه الأبياتُ جوابَ قصيدةٍ وردَتْ من السيد الفاضلِ شيخ بن محمد بن الحسين الحبَشي».

لو أنّ أشْمطَ راهبٍ عرَضَتْ له ... تـركَ الـصّرورَة زاهـداً وبها لَهَا

شُغِفَتْ بطلعَتها القلوبُ كما على ... مدحِ الفتَى الحبشيِّ شَيخِ ذوي البَها

نجلُ الجمالِ ابنِ الحسَين يتيمَةُ الـ ... ـعِقْدِ الذي يا صَاح نافَ على السُها

فـرْدٌ بـراه الله أوحَـدَ عـصْره ... في المكرُماتِ وفي العلُوم وفي النّهَى

علَـمٌ لـه شـخْصٌ يؤمّـل عطْفَه ... كلّ الورَى وهـو المطاعُ إذا نَهى

الـبرّ والكـرَمُ العريـضُ رداؤُه ... ولَه السياسَة والشّجاعةُ والدّهاء

المجـُد طـوعُ يمينِـه ولقَـد رقَى ... أوجَ العُلاءِ وفي الفَصاحة قُسّها

إن كنتَ ذا ريـبٍ فدونَك نظمَه ... درَرٌ يصَـاغُ من البديـعِ وقَدْرها

كطرازِ وشْيٍ في مفَارشِ سُندُسٍ ... وعقُـودِ تـبرٍ فـوقَ أجيَـاد المهَـا

تاقَـتْ لمعناَه النفـوسُ وقد حَلى ... تبـدو المعَاني مِـن غرائِب لفْظهَا

يا ابـنَ الجمالِ أتتْ تـزَفّ مديحَةٌ ... منكُم كسَتْ محبوبَكُم حللَ البهَاءْ

فطفقْـتُ أتلوها وأنظُر حُسنَها ... وأقـولُ أنْـتَ المبتَـدأ والمنتَهـى

قبّلتُهـا وقبلتُهـا وفهمْـتُ مـا ... فيهَا فهِمـتُ إذاً ببابلِ سِـحْرها

جُليَتْ بأشكالِ الحروفِ لنَا على ... صحُفٍ فمَـنْ لي أن يقابلَ مثلُها

قدِمَ الرسُـولُ بهـا وولى مُسْرعاً ... لـــو أنّ روحـــي في يـــدِي لوهَبتُها

وإليـكَ ملحُـونَ القريظِ مشبّهٌ ... بقصيـدَةٍ فامْنُن هُديتَ بسَـتْرها

تسْـعَى على خجَلٍ وتعثُر خَشيةً ... مـن أن يقَابلَ دُرَّكـم حجَرُ المهَا

ولمثلِكـم أشـكُو زمَانـاً طالمـا ... خدَشـتْ مخالبُه القريحَةَ والنهَى

جبلتْ على حرْبِ الكرام طباعُه ... وسِوَى الكرامِ إليه لا، لا يُشتهَى

أنتُـم لمـا ألقِـي غيَاثـي ملجَـأي ... وإذا الخطـوبُ تزاحمَـت أنتُم لها



وعليكَ صلّى الله دأباً سرْمداً ... بعدَ المقدَّم في البريّة كلّها
والآلِ الأصحابِ ما قَال امرؤٌ ... برزَتْ فأبدَت للمتيَّمِ دَلها

* * *

والقَصيدةُ الثانية [1]:

أشَمْسٌ أم بَدورٌ أم نجومٌ ... بدَتْ في الحيِّ مزقَت الظلامَا
أم الحسناءُ قد خطَرتْ فضَاءت ... بها الأرجَاءُ أم ذَا السعدُ حامَا
أم الأزهَارُ في روضٍ صَباحاً ... عليهَا الجوُّ قد عصَر الغمامَا
أم الكأساتُ قد ملِئتْ مُداماً ... أم ابتَدر النسيمُ شذاً فدامَا
أم الأحبابُ قد قدِمُوا فنفْحُ الـ ... ـنّدى بالنّدّ يعْتَورُ الخزامَى
فشاكلَ ريحُه ريحَ الغَوالي ... ومازَجَه عبيرُ شَذا النّدامى
أجلْ ثكلتْكَ أمُّك مَا التعَامي ... ألم تَدرِ بمَن فينَا أقامَا!
هو ابنُ الأطيَبين أباً وجَداً ... ومن سَاد الورَى وسُمُوا كرامَا
سلالةُ خَير بيتٍ من مَنافٍ ... بنو الحَبَشيّ من فَاقوا الأنامَا
عبادُ الله من يمْشُون هوناً ... ومن في النّاسِ قولهم سَلاما
يبيتُونَ على الأقْدامِ صَفًّا ... تَراهم سُجداً أبداً قيامَا
همُ الأمنَا نفَى الإسْرافَ عنهم ... إذا هُم أنفقُوا ابتَدَروا قوامَا

---

(١) «لوامع النور»: (١/ ٣٥٠): «صدرها في ديوانه الحكمي صفحة ٢٦ بقوله: هذه الأبيات فرحاً بقدوم الأخِ شيخِ ابن الحبيب العارف بالله محمد بن حسين الحبشي، إلى الغناء تريم».

إذا نَـــادى باسْـــمِهم منَـــادٍ ... أرَى في الحـالِ رحْبـاً وابتِسَـاما

كأنّ المـْزنَ طَـــوعٌ في يدَيهـم ... إلى مَـن وجّهُـوه بهـمْ تُسـامَى

ومـن يعْـلـو بهمّتـهـم تعَـالى ... بسَيئونَ العُـلا وبهــمْ تسَـامى

ألم تَـر موقِفـاً يُدْعَـى عظيـماً ... لمولِـدِ خَيـر مـن صَـلّى وصَاما

هنـاك ترَى عـلى الأشْـهادِ جمعاً ... حكَـى رمْـز المشَـاعِر ازْدِحامـا

وكعبتُـه تطـــوفُ بهـــا، عليٌّ ... هـو ابـنُ محمـد نـالَ المقامَـا

أحاطَـتْ بالعُـلاءِ نجُـوم هذْي ... وتلْـكَ أخـوّة حـوتِ التمامَـا

وفيهـم صفْـوةُ الأقـران شَـيخٌ ... إمـامٌ لـــوذعـيٌّ لا يُســـامى

لهــم هـمـّم أذالَ الـدّهر منـهَا ... فـكانَ لـه عـلى الدّهـرِ ذمَامـا

إذا أمّـــتْ عــزائمُـــه بأرْضٍ ... ثـوَى فيهـا الغِنَـى عامـاً فعامَـا

أيـا مَـنْ خـاضَ في لجـجِ المعَالي ... وفيهـا عَـــامَ مبتهجـــاً دوامَا

بمقدَمكُـم تَريـمُ يـكادُ منها الـ ... ـفـؤادُ يطِـير بـلْ مالَـتْ غرامَـا

تحييكـم بهَـــا عرَصَـــاتُ مجدٍ ... فكَـمْ أبـدتْ لطَلْعَتِكـم سَـلاما

عليكُـم بعـدَ خـيرِ الخلـق طُـراً ... سَـــلامُ الله بَـــدءاً واختِتامَـا

* * *

الآخذونَ عنه:

جُـلُّ الذين وردتْ أخبارُهم في كتُبِ الأثباتِ ممن روَوا عن صاحبِ الترجمة، يرْوونَ عنه بالإجَازةِ، والكثيرُ منهم جرَتْ بينهم وبينه مجالساتٌ ومطارحَاتٌ علميّة وأدبية، وقليل منهم قرأ على المترجم في شيء من الكتبِ. وهم على قسمين: من تدبّج الإجازةَ معَهم، ومن أخذَ عنه الإجازةَ فقَط.

أ) فممن تدبّجَ معه، أي تبادل معه الإجازة:

١) الشيخُ العلامة يوسف بن إسماعيل النبهاني (ت ١٣٥٠هـ).

٢) والشيخ العلامة محمد بن محمد المبارك الجزائري نزيل دمشق (ت ١٣٣٠هـ).

٣) والعلامة محمد المكي بن عزوز التونسي (ت ١٣٣٤هـ).

وهؤلاء الأجلاءُ الثلاثة لقيَهُم الحبيب شيخ في رحلته هذه، وسيجِدُ القارئ الكريمُ تراجمهم، ونصوصَ إجازاتهم المتبادلة، ضمْنَ هذه «الرحلة».

ب) وأما بقيةُ الآخذين عنه، حسبَ ترتيب وفياتهم:

١) الشيخُ أحمدُ بن أبي بكر باذيب (ت ١٣٤٢هـ)؛ من فقَهاءِ شبام، وقد عدّ الحبيبَ شيْخاً الخامسَ من شيوخه كما في «ثبته». قال رحمه الله: «بتاريخ ٢٦ جمادى الأولى ١٣٣٧: أجازني الحبيب العلامة شيخ بن محمد الحبشي فيما أجازه فيه مشايخه، وأجازني في «اللهم لك الحمدُ عددَ عفْوكَ عن خلقِك». وأجازني أيضا في «ربّ اكسُني من كمالِ جلال سرِّ اسْمِكَ العظيمِ الأعظَم، خلعةً أتظاهَر بها على من تظاهَر عليّ، وخلعةَ تغمُر بها باطني حتى لا أعْصيَك طرفة عين (ثلاث مرات صباحا ومساء). وأجازني أيضا في: «رب أصلح لي حالي وبالي، ومالي ومآلي، وأهلي وعيالي، (مرة واحدة صباحا ومساء)»[1]، انتهى.

٢) ومنهم: الحبيبُ علي بن عبد الرحمن بن سهل جمل الليل (ت ١٣٤٩هـ)؛ له منه إجازةٌ محرّرة بتاريخ، ٢٦ رجب ١٣٤٧هـ[2].

---

(١) المحاسن المجتمعة في مآثر الإخوة الأربعة، جمع وترتيب محمد أبوبكر باذيب، دار الفتح، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ: ص ٥٥٥-٥٥٦.

(٢) تنظر في «منحة الإله»: ص ٤٣٣-٤٣٦. و«المحلق» بهذه الرحلة، قسم المكاتبات والإجازات.

٣) ومنهـم: الشـيخ عبد الله بن عمر باجماح العمـودي (ت ١٣٥٤هـ)؛ ذكره في «ثبتـه» الذي حـرّره لإجازةِ الحبيب علوي بن محمد الحداد (ت ١٣٧٣هـ)، وعده (الشيخ الثلاثينَ) من شيوخه، وقالَ فيه: «أجازني وألبسني يقظة ومناماً، كما أجازوه وألبسـوه مشـايخه البدور الأعلام، وأجازني أيضا خصوصاً في كل ما ينسـب لأخيهِ وشـقيقه[1] السـيد الإمـام العـارف بالله الحبيـب علي بـن محمد بن حسـين الحبشي، وأجـازني في (رب اشرح لي صـدري ويسر لي أمري) مئة مرة كلَّ يوم، كان ذلك بيوم الأحد ١٩ ظفر سنة ١٣٢١هـ»، انتهى.

٤) ومنهـم: الحبيبُ أبوبكر بن علي ابن شـهاب الديـن (ت ١٣٦٤هـ)؛ ذكره في «رحلَته» المسماة «رحلة الأسفار»، وذكر أنه زاره في بيتِه بتاريخ الثلاثاء ٢٣ جمادى الأولى سـنة ١٣٤٧هــ، أي قبـلَ عامٍ من وفاتـه رحمه الله، وقالَ: «قـرأتُ عليه خطبة «الفصُـول العلميّة»، وبعد القـراءةِ طلبتُ منه الإجازة، فأجـازَني في جميع ما أجازوه مشايخه من الحضرميين والحجازيين والشاميين وغيرهم، وفي جميع ما تجوزُ له روايته، وأذن لي أن أجيزَ من طَلب مني الإجازة». انتهى[2].

٥) ومنهـم: الشـيخُ عمر حمـدان المحرسي محـدث الحرمـين (ت ١٣٦٧هـ)؛ ذكـره تلميذه الشـيخ الفاداني في كتابـه «إتحاف الإخوان»، وعدّه الشـيخ الرابع عشر من شُـيوخه، قائلاً: «العلامةُ الأكبر، المحدّث المعمَّر، السـيدُ شـيخ بن محمد الحبشي الباعلـوي، اجتمـعَ به شـيخُنا بمكةَ آخر ورودِه لها، واسـتجازَه الروايـة فأجازه عن مشايخه»[3]، انتهى.

---

(١) الصواب: أنهما غير شقيقين.

(٢) رحلة الأسفار: ص ١٥٥.

(٣) إتحاف الإخوان باختصار مطمح الوجدان في أسانيد الشيخ عمر حمدان، دار البصائر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ: ص ٣٣.

٦) ومنهم: الشيخ محمد بن عوض بافضل (ت ١٣٦٩هـ)؛ ذكره في بعض إجازاته، قائلاً: «الجليلُ الكامل، حائزُ الفضَائل والفواضِل، الحبيبُ شيخ بن محمد بن حسين، وقد أجازني خصوصاً بما تضمنته «رحلته الحجازية والمصرية والشامية» المشتملة على العجَائب والغرائبِ»[١]، انتهى.

٧) ومنهم: الحبيب علوي بن محمد بن طاهر الحداد (ت ١٣٧٣هـ)؛ جاء في مجموع كلامه بقلمِ السيد محمد بن سقاف الهادي، قصةٌ حكَاها عن الحبيب شيخ الحبشي، مما يدل على لقائه به وأخذه عنه، قال رحمه الله: «أخبرني العم شيخ بن محمد الحبشي قالَ: مررتُ يوما من الأيام في سوقٍ من أسواق سورابايا فرأيتُ كثيراً من الجاويين وعليهم من آثارِ تركِ الصلاةِ، وملابَسة بعض الأمور القذرة. فقلتُ في نفسي: كيفَ إسلامُ هؤلاءِ في هذه الحالة!. فدنا مني رجلٌ منهم رثُّ الحالةِ والهيئةِ، وأسرَّ إلي في أذني بقوله: لا تخفْ عليهم وأنا بين ظهرانيهم.

وكذلك كان يختلفُ إليَّ أحدُ الجيرانِ من الجاويين بعض الأحيان، فقلتُ له: اجعل لك ورداً من قراءة سورةِ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ كلَّ يوم مئة مرة. فقال: إن وردِيَ منها كل يوم ثلاثة آلاف مرة!. ثم بعد أيام جاء إليَّ كعادته، فقالَ: لو لم أخبرْكَ لكان أولَى، وفهمتُ منه أنه ندِمَ وعوتبَ في ذلكَ»[٢].

٨) ومنهم: السيد حسَنُ بن محمد بن أحمد بن عبد الله البار، نزيل مصر، لم أقف على ترجمته أو تاريخ وفاته، وقد أجازه المترجم بإجازة مكتوبة حافلة، فصل فيها أخذه عن شيوخه الكبار، وذكر بعض ترجمته الذاتية، وهي في آخر قسم الرحلة المصرية، من هذا الكتاب.

---

(١) الإجازات الخمس: ص ١٦٨.

(٢) «الفوائد الدرية من الأنفاس الحدادية»، مخطوط.

٩) ومنهم: السيدُ أبوبكر بن أحمد الحبشي (ت ١٣٧٤هـ)؛ وهو حفيدُ أخيه الحسين مفتي مكة المكرمة. ترجم له ترجمةً ضافية في ثبته «الدليل المشير»، قال فيه: «كان أولُ اجتماعي به بمكة سنة ١٣٢٨، لما جاء لأداء النسكين، وكنت حينئذ صغيرا، ثم اجتمعتُ به مع سيدي الوالد رحمه الله تعالى في سيون لما رحلنا إليها سنة ١٣٤٥، وحضرنا بعض مجالسه واغترفنا من مناهل فوائده، وأجازنا أولا في قراءة سورة الفاتحة، ثم لقننا الذكر، وألبسنا الخرقة، وأجازنا في كل ما تصح له درايته وروايته، وفي سائر العلوم كالفقه والنحو والتصوف ونشر الدعوة إجازة عامة، وأن نجيز من أردنا إجازته»[1]، الخ.

١٠) ومنهُم: العلامة السيد سالم بن حفيظ (ت ١٣٧٨هـ)؛ عده الشيخَ (الحادي والخمسين) من شيوخه، في ثبته «منحة الإله»، وقال في حقه[2]:

«اتصَلتْ به، وأخذتُ عنه، واستجزته، وقرأتُ عليه بمعيةِ طلبةِ العلْم شيئاً من القرآنِ العظيمِ حفظاً، بمسجد الرياض بسيؤون. وفي ٢٢ شوال سنة ١٣٢٧هـ أجازَني رضي الله عنه إجازةً عامةً، كما أجازَه أخواه الحبيبان علي والحسين ابنا محمد الحبشي، وذلك بعينات في بيتِ آل عقيلٍ.

وأجازني أيضاً في الإتيانِ بهذا الذكر آخر جمعَةٍ من شهر رجبَ، حال الخطبة وهو: «أحمدُ رسول الله، محمد رسول الله» (خمساً وثلاثين مرة)، كما أجازه أخوه وشيخُه الحبيب علي. وقال: إنه مجربٌ لبقاء الدّرَيهماتِ مع الإنسان في جميع السنة، وقد جرّبه الكثير وصح بحمد الله تعالى.

---

(١) «الدليل المشير»: ص ١١٢.

(٢) منحة الإله، ص ٢٨١.

وأجازَني في هذه الصيغة من غير عدد محصور، ولا وقتٍ معلوم، وهي: «اللهُمَّ صلِّ وسلم على سيدنا محمدٍ ﷺ عدد كل عارفٍ»، كما أجازه في ذلك الحبيب علي بن محمد الحبشي، إجازة عن شيخه العارف بالله الحبيب أبي بكر بن عبد الله العطاس.
وأجازني أيضاً: في الإتيان بعد كلّ صَلاة مفروضة بسورة الفاتحةِ بنسَمٍ واحد: كما أجازه في ذلك المصطفى ﷺ في رؤيا منامية.

وفي ١٣ ربيع الثاني سنة ١٣٣٣هـ أجازَني في هذه الثلاثِ الصيغ من الصلاة على النبي ﷺ، لأخيه الحبيب عليّ بن محمد الحبشي، كما أجازه أخوه المذكور، وهي هذه:

الأولى

«اللهم صلِّ وسلم على سيدِنا محمد باللسانِ الجامعة في الحضرة والواسعة، صلاةً تمد بها جسْمي من جسْمِه، وقلبي من قلبه، ورُوحي من رُوحِه، وسرّي من سرّه، وعلمي من علمِه، وعمَلي من عمَله، وخُلقي من خُلقه، ووُجْهتي من وُجهته، ونيتي من نيته، وقصدي من قصده، وتعود بركاتها عليَّ وعلى أولادي وعلى أصْحابي وعلى أهل عصْري، يا نورُ يا نور يا نُور اجْعَلني نوراً بحقِّ النور».

الثانية

«اللهُمَّ صلِّ وسلمْ على سيدنا محمد خلاصَة الجوهر الإنساني، ومستودَع سرِّ العلمِ الفرقاني، وفاتحِ بابِ الاتِّصال الروحَاني بالمقَام العِياني، حياةِ رُوحِ الوجود الخلقيّ، وسرِّ معنَى الشهود الحقّي، مجمعِ الكمالاتِ الإنسانية، وساقي كؤُوسِ الاتصَال[1] العرفانيّة، في مدارجِ القرب الذاتي. سرِّ الحضرة العلية، مظهرِ شؤون علمِ ما كانَ وما يكون،

(١) كذا في نسخ «منحة الإله» والمطبوع. والذي في مجمع «اللطائف العرشية» ص ٢٤: «الاتصالات».

وسرِّ ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾. سـميرِ المعاني الكلية، وبَشـيرِ الدواعي القلبيـة، بناطق الحكمَةِ الاختِصَاصيـة، في رفرف القدس الأقدَسِ، في مجـالِ القرْبِ الأنفَـس، صلاةً يقفُ على نتائجها من سَـهلتْ له العناية الأزليـةُ الصعـودَ في معارِجهـا، صـلاةً لا غايـةَ تنتهي إليهَـا، ولا حد يضبطهـا، ولا حصر يجمع عليها، تفتحُ للمصَـلي بابَ المواصلة بالمقام المحمّدي، في مجلَى الظهورِ الأحَدي، وتنحَصِرُ له بها المشاهد في مشهدٍ، وتجتمـع له بها المحامـد في محمّد، ويقوَى بها على التلقـي روحُه وقلبه، ويظهـر بهـا عليهِ مـن سرِّ الحبيب في توجّهاتـه ودُّه وحبُّه، يـا وهابُ يا وهّابُ، أدخِلني عليك من هذا البابِ، وشرّفني بكَشفِ الحجاب، عن سَمير حضرة قاب، في مقام الاقتراب».

الثالثة:

«اللهُمَّ صلِّ وسـلّم على سـيدنا محمد وعلى آلِ سيدنا محمد مفتَاحِ بابِ رَحمة الله، عددَ ما في علْمِ الله، صلاةً وسلاماً دائمَينِ بدَوامِ مُلْكِ الله».

١١) ومنهم: العلامة السـيد عمر بن أحمد بن سميط (ت ١٣٩٦هـ)؛ زاره في سيئون، وأخذَ عنه مرتين، أولاهُما في ذي الحجّة سنة ١٣٣٠هـ، قالَ فيها: «اجتمعتُ بـه في التاريـخ المتقدم، وأجَـازني في: «ربّ شرح لي صدري، ويسر لي أمري» كل يوم (مئة مرة)، تمام المئة: محمد رسول الله ﷺ، ورتب الفاتحة، وأمدّني بدعواته الصالحة»، انتهى[1].

---

(١) النفحة الشذية: ص ٧٤. والذي في «وصايا الحبيب علي الحبشي»: أنه كان يجيز في قول «رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري» (مائة مرة)، وفي قول «لا إله إلا الله الملك الحق المبين» (٩٩ مرة)،وتمام المائة: «محمد رسول الله الصادق الأمين» ينظر: مجمع الوصايا: ص ١٨، ٢٦، ٣٧، وغيرها.

والزيـارة الثانيـة: في ٢٦ ذي الحجـة سـنة ١٣٤٠هـ، جاء في رحلتـه «النفحة الشـذية إلى الديـار الحضرميـة»، قولـه نفـع الله بـه: «توَجّهـتُ إلى زيارة تَريـم بمعيةِ الأخ الفاضـل السـيد محمد بن عبد الله بن طاهر بن سـميط، ومرَرْنـا في طريقنا إليها بـ(القَرْن)، ... وبعدَما استرحنا قليلا خرجْنا إلى حديقة الحبيب البركة شيخ بن محمد الحبشي، لزيارته وطلبِ الدعاء، فرحّبَ بنا، وفرحَ بقدومنا، ومدة جلوسـنا عنده ما كان حديثُه إلا في ذكْر أهلِ الله وحكايَةِ أحوالهم، وفي حسـنِ الظنّ بالله، وسَعة رحمته ... وفي آخـر المجلسِ رتّبَ الفاتحة، وأمَدّنـا بدعواتِه الصالحة»، اهـ. وقال في موضـع آخـر: «ومررنا في طريقنا بالقرن، ودخلنا على الحبيب البركة شـيخ بن محمد الحبشي، واجتمعنـا عنـده بالحبيب البركة عمـر بن حامد السـقاف، وفي أثنـاء الحديث معهما أخبرتهما بعزمي على السفر فقال الحبيب شيخٌ: عملْتُ لك وصيةً مبسوطةً، فضاعت من يد الولد محمد بن شـيخ عندما تحوّلنا إلى القرْن، والآن سـأعملُ لك غيرها، لكن سـتكون مختـصرة». ونقل عنه في معـرض الحديثِ معه قوله عن حـول أخيه العلامة علي بن محمد، في ذكرى وفاته في ٢٠ ربيع الثاني من كل عام: «يذكّرُنا هذا الحول أيام المولدِ الكبير الذي كان الناس يأتون إليه وينصرفونَ كما قيل:

يمرّونَ بالدّهنا خفافاً جيوبُهم ... ويرجعْنَ من **دارِينَ** بجْرَ الحقائب

والحبيـب محمـد بن أحمد المحضـار كان يتمثّـل في تلـك الأيام، ويبـدلُ كلمةَ (الدهناء): بـ(البطحاء)؛ أي: بطْحَاء شِبام، وكلمة (دارين): بـ(سيئون):

يمرّون بالبطْحَاءْ خفافاً جيوبُهم ... ويرجعْنَ من **سيئُونَ** بُجْر الحقائبِ

❊ معنى: كلمة بُجْر؛ أي: مليانة.

قـال العلامة ابن سـميط: «وعند الاسـتيداع منهـما، ألبسَـني كلُّ واحدٍ منهما بكُوفيّته، وأمدّني بصالحِ دعواته، وانصرَفنا إلى شبام، وفي ثالثِ يومِ وصُولنا، تشرّفتُ بالوَصيّة المذكورة من الحبيب شيخٍ».

١٢) ومنهم: شيخ العصر، الحبيب العلامة، عبد القادر بن أحمد السقاف (ت ١٤٣١هـ) رحمه الله؛ جاءَ في سيرته «جني القطاف»: «أشار سيدي الحبيبُ عبد القادر في كلامه، إلى أخذه وتلقيه عن الحبيب شيخٍ خصوصاً وعموماً، وانتفاعه به». ومما حكاه عنه من أخباره، قوله:

«كان الحبيب شيخٌ في إحدَى جلساتِ الحبيبِ علي، والحبيُب علي يلاحِظ الحبيبَ شيخ، وكأنه يريد أن يحتبي، ولكنه مستحٍ من هيبةِ المجْلس، فأخذَ الحبيب عليٌّ الرادي وأعطاه إياه، وقال له: احتَبِ، فكان الحبيبُ شيخ يقول: عليٌّ أخذَ خاطري من قلبي، يقصِد: أنه كشَف على ما يضْمرُه في ذلك الوقْتِ». قالَ الحبيبُ عبد القادر: «مجالُس صفاءٍ؛ إذا حصلت السكينة ونزَلتْ، تجلّى الله على أهْلِها، وعمُّكم شَيخٌ، ملآنٌ ذَوقاً، بل كلُّه ذَوقٌ»، انتهى[١].

ذكْرُ وفاتِه:

«وقد كُفّ بصَرُه في أواخرِ حياتِه، سَنواتٍ معدودة، وانتقل إلىٰ جوار ربه بسيئُون في ظُهْر يومِ الاثنينِ، الرابع والعشرينَ من جمادى الآخرَة، سنةَ ١٣٤٨.

ودفِنَ في قبةِ أخيهِ الحبيبِ عليٍّ بن محمّد الحبشي، تغمدهم الله برحمته ورضوانه، وأسكنه فسيح جنانه»[٢]، «ويوم [دفنه] وصلَتْ أول طائرةٍ إلى سَيؤون، يومَ الثلاثَاءِ ٢٤/٦/١٣٤٨هـ»[٣].

---

(١) جني القطاف: ص ٩٩-١٠١.

(٢) كذا في الدليل المشير، وتاريخ الشعراء. بينما في «منحة الإله» (ص ٢٨٣): في ربيع الأوّل، وفي ديوان باكثير «أزهار الربا»: جمادى الأولى؛ والصوابُ الأول.

(٣) «فيوضات البحر الملي»، وفيه: «يوم وفاته»، والتصويب بين القوسين من عملنا.

وعلى ذكر وصُولِ الطائراتِ إلىٰ حضرموت؛ فقد وجدتُ تقييداً بقلم السيد الفاضل محمد بن عمر العطاس، ما يفيد: أنه في يوم ٢٩ جمادى الأولى، سنة ١٣٤٨ هـ، وصلَتْ طائرتانِ إلىٰ حريضة، ولم تكن تعْهَد قبل ذلك الوقت، وقد خاف الناسُ منها خوفاً شديداً. فلعل تحليق الطائرات تكرر في تلك السنة[١].

تأبينه بقلمِ الأديب الأستاذ علي أحمد باكثير:

وممن رثاهُ أديبُ حضرموتَ، بل أديبُ الشّرق في عصْره، الأستاذُ عليُّ بن أحمدَ باكَثير (ت ١٣٨٧ هـ) رحمه الله، فقالَ:

«عالم نحْريرٌ، وأديبٌ مطلع، وشَاعر بـارعٌ، وطوافٌ رحَّالةٌ، وعلَمٌ من أعلامِ البرِّ والتقْوى، ومثالٌ من أمثلَةِ الأخلاقِ العالية. فمَن أحبَّ أن يرَى العلمَ، والأدبَ، والشعْر، والخبرَة بأحْوالِ الأممِ، مع متانةِ التقْوَى، وشرَفِ الخلُقِ، مجتمعةً في شخْص رجلٍ؛ فلينظُرْ إلى السّيدِ شيَخِ بن محمّدٍ الحبَشيِّ.

تـوفّي اليـومَ عـلى العقْـدِ الثامنِ مـن عمُـره، وقد أخـذَت الأيامُ من جسْـمه، ولكنها لم تأخذ من عقلِه، ولا من قلبِه، وكُفَّ بصرُه، ولكنّ بصِيرتَه لم تزدَدْ إلا نفُوذاً وقـوةً. فهو اليومَ، كما هوَ بالأمسِ، ثَاقبُ الفكرِ، متقِدُ القريحَةِ، جم الشـعُورِ، فياضُ الإحسـاسِ، فهو شـيخُ الجسْمِ، ولكنه شَـابُّ القلبِ. وما أحْراهُ أن يتمثَّلَ بقَولِ أمير الشُّعراء أحمدَ شوقي:

شـــابَ وفي أضْـلعِه صَـاحِبٌ　　　خِلوٌ مـن الشّـيبِ ومـن خَطْبِه

كتبـت الأيـامُ في لَـوحِ مخيِّلته مجموعـَة ذكرياتٍ بديعةٍ، ممـا بَلاهُ في أيّامِ شـبابِه وكهولتـه وشـيخوختهِ، من حُلـوِ العَيشِ ومُـرِّه، ومما رأى وسَـمِعَ في أثنـاءِ رحْلاته

---

(١) أطلعني على هذا التقييد السيد سالم بن علي العطاس، جزاه الله خير الجزاء.

العديـدةِ، فـإذا تذكّرهـا خفقَ لها فـؤادُه خفقةَ الشّـعور، المزيـجُ بلذيـذِ الألم، وإن ألم الشـعورِ، يا صاحِ، لذيذُ. يطربُ لرَقيقِ الشّـعرِ تنشِـدهُ بين يدَيه، فتشْفقُ عليه، وأنتَ تنشِدُه بيتَ النّسيبِ، أن ينفَطِر قلبُه لرقّةِ شعُوره، وقوةِ وجْدانِه»[١].

وهذه المرثاة[٢]:

نُعَـاءُ فـتَى الحيِّ رِئْباً لَهُ ... فبَـالأمْسِ أزْمـَـعَ ترْحَالَهُ

قضَى نحبَه بعد أن قَدْ مضى ... من السّـؤدُدِ المحْـضِ آمالَهُ

ومافارقَ العيشَ حتّى استعَا ... ضَ حياةً من الذكْر أبقَى لَهُ

وما أسْلمَ الرُّوح حتّى تحقّـ ... ـقَ وعْـدَ الإلـه وإفْضَالـهُ

رَجونَا لـــه خَير ما يرتجَى ... لبَـرٍّ تـقبَّـــل أفعـالَـهُ

فقَدْ جــازَ سنَّ الثمانِينَ في ... تُقًـى لا تفَـارقُ أحوالَـهُ

فذاقَ الحيَـــاة وبأسَاءَها ... وعـانَـى الزمَـانَ وأهوالـهُ

فلم يـتـزَعْـزَعْ لأحداثِهِ ... وهـــنّ يـزَعْزعـنَ أحبالَـهُ

ولم يثنِه عن طِلابِ المكَا ... رمِ تحميلُـه الدهـرَ أثقالَـهُ

فسَـــار إلى قصْـده واثقاً ... بنُجْـــحٍ يكلّـــل أعـمالَهُ

سَما في سَمـاء العُلا حيثُ لا ... يُـــرامُ وأوغَـــلَ إيغـالـهُ

إلى أن تنـاهَى إلى مسْتوًى ... مـن المجْـدِ أعجَـز أبطالَـهُ

تمنّى السّـمالـو تـرَى بـدْرَها ... أخَـــاه وأنجُمَهـــا آلـهُ



(١) نقلت عن خط باكثير، من مسودة كتابه «شعراء حضرموت».

(٢) نقلا عن ديوان «أزهار الربى في شعر الصبا»: ص٢٥٩-٢٦١.

هنالِك عانتْه عينُ الزما ... ن ويقتُلُ ذو العينِ أنجالَهُ
رمَاه فلما رآهُ رَدياً ... أسَال منَ الدّمعِ هطالهُ
لحى الله هَذا الزمانَ التعِيسَ ... يخصُّ بنَعْماه أنذالَهُ
ويمنِي نحَاريرَه بالشّقاءِ ... ويحبُو السعادةَ جُهّالهُ
وأسمَجُ ما اقتحَمتْه العيو ... نُ وهاجَ من الحرِّ بلبالَهُ
كريمٌ يرقِّعُ أسْماله ... وفَدْمٌ يجرّرُ أذيالَهُ
أكادُ أجبِّنُ هذا الزمَا ... نَ لو لم يترجِمْ لنَا حالَهُ
وأرميهِ لو لم يبيِّنْ ... لنَا في الخلائِق أمثالَه
شَقاءُ الكريم بهذِي الحيَا ... ةِ كِفَاءُ نعيم يهيأ لَهُ
وإن السعادةَ وسْطَ الفُؤا ... دِ فَلا يحسِبنْها امرؤٌ مالَه
فقد ينقِمُ المرءُ إكثَارَه ... كما يحمَد المرءُ إقلالَهُ
أرى كلنَا يتمنّى البقَا ... ءَ وقَد نالَه منه مَا نالَهُ
سقوطُ الفراشِ على النّارِيعْـ ... ـشِقُها وتحرِقُ أوصَالهُ
أرانَا نَسير إلى عَالمٍ ... نخُبُّ لنقطَعَ أميالَهُ
نشاهد قُصَّاده كلّ حينٍ ... ولسْنا نُشَاهِدُ قفّالهُ
أعينيَّ جُودا على ذا الفقِيدِ ... وحُطَّا من الدّمعِ أثقَالهُ
أمامَ الضّريح بكاءَ المحِبِّ ... حمى الحبِّ ينُدبُ أطلالَهُ
فقَدْ كانَ قُرَّةَ عينِ العُلا ... ومعتمَدَ القُطْر مفْضَالهُ
وكان شِفاءَ كلُومِ الأسَى ... وبرْدَ السُّرورِ وسَلسَالهُ

وقد كانَ للعلْمِ ركناً فلَمّـ ـا قضَى زُلزِلَ العلمُ زِلزالَهُ
لطيفُ الشعُورِ تكادُ توهّم أنّ مِنَ الذوقِ أوصَالهُ
إذا ما تغنّى ببيتِ النّسيبِ هزّ الزمانَ فأصْغَى لهُ
وإما أتَاه أديبٌ سَقاه من الأدبِ المحْضِ جِرْيَالهُ
فلو برزَ الشّعرُ في هيكَلٍ لما كانَ إلا هُوَ تمثالَهُ
سلامٌ عليهِ على ظهْرِها وفي بطنِهَا طَيّبٌ بالُهُ
سلامٌ على صِنوِه المرتَضى علِيٍّ يبلّغُ آمالَهُ
نهنئُه بِأخٍ مُقْبِلٍ عَليهِ كَم اشتاقَ إقبالَهُ
ونندُبُ للصّبرِ أحْبابَه ونجْلَ أخيهِ وأنجَالَهُ
ونأمَلُ أن يقتفُوا رسْمَه ويضْحُوا أجلاءَ أمثالَهُ
ومن كانَ والدُه ضَيْغماً فلمْ لا يكونونَ أشْبالَهُ

❊ ❊ ❊

مرثاة السيد صالح بن علي الحامد في الحبيب شيخ الحبشي:

وهذه المرثاة وقفتُ عليها في كراسٍ[1] بقلم منشئها، العلامة السيد الأديب صالح بن علي الحامد (ت ١٣٨٧هـ)، وهي غير موجودة في دواوينه الثلاثة المطبوعة، وعنوانها: (فقم بنا نبكي على شَيخِنا)، وقد علق على غريب ألفاظها، وميزت تعليقاته بحرف ص بوضعه بين قوسين (ص). قال في ديباجتها:

«رثاءٌ فيمَنِ اتصَف بالظَّرْفِ والكمالِ، وعُرِفَ حديثُه بالسِّحْر الحلالِ، الأريبِ

---

(١) هذا الكراس اشتريته من أحد سماسرة المخطوطات والتراث في مصر القاهرة.

المفضَال، فَقيد الأدَبِ، المرحُوم شَيخ بن محمّدِ الحبشي، المتوفَّى ظُهْر يَوم الثُّلاثَاء، الموافق ٢٦ جمادى الأولى سنة ١٣٤٨، بسَيُون، رحمه الله رحمة الأبرار:

رحَلْتَ يا (شَيخُ) إلىٰ المضْجعِ ... مشَيَّعاً بالحزْنِ والأدمُعِ

رحلْتَ إذ نودِيتَ مستَعجلاً ... هلا اتأدْتَ السَّير في المرجعِ؟[1]

رحلْتَ من عالمنا شَاكياً ... مما بِه من عَامِه المُجْمعِ[2]

رحلْتَ مبكيًّا وإن البكَا ... يحلُو عليكَ اليومَ في الأرْبُعِ

ربْعَ العُلا. لا كنتَ فينَا ولاَ ... سُقيتَ من دَيْم الحيَا الأتْرَعِ

طَير الهنَا عهْدي به حينَما ... يُطرِبُ سلْوَى البائسِ الموجَعِ

ما بالُه قد باتَ خَافي الغِنَا ... ووُسِّدَ الترْبَ ولم يَسْجع؟

يا ليلُ هل شاهَدْتَ طَوداً هوَى ... له صدًى مثلَ صدَى المدْفَع؟

يا ليلُ قُدَّ اليوم ثوبَ الأسَى ... من جلدِكَ المسوَدِّ والأسْفَعِ[3]

فاليومَ قد حُقَّ الأسَى للورَى ... واليومَ طابَ الحزْنُ في المجْمَعِ

نعاكَ نَاعي الموتِ يَا ليته ... لم ينْعَ فانقضّت له أضْلُعي

وحلّقتْ تنعي لأهْل السَّما ... (طيارَةٌ) أعظِمْ بهذا النّعيّ[4]

وشيعَتْ نعْشَك حتى الثَّرَى ... باكيةً من هَول ذا المصْرعِ

بكَتْ وأبكَتْ ثم عادَتْ ضُحًى ... بصَوتها الموحِش والمفْجعِ

---

(١) الشطر الثاني مما جرى عليه قلم الشاعر بالتصحيح، وكان قد علق في الهامش شارحا كلمة (الشرجع)، وهي كلمة لم ترد في الشطر المثبت، مما يدل على حذفها. ونص ما كتبه: «الشرجع: النعش. وهو متعلق بذهبت»، انتهى.

(٢) المجمع: العام المجدب. (ص).

(٣) الأسفع: الشديد السواد. (ص).

(٤) أشار الناظم في هذه الأبيات إلىٰ هذه الحادثة التاريخية، وهي: قدوم أول طيارة إلى سماء حضرموت. (ص).

ما كان قبلَ اليَوم عهْدُ الورَى بمثلِهـا من قبْـلُ لم تَسْمَعِ
وكَم كبُودٍ قطِّعَت حسْرةً وكـمْ فتًى يهمِي على من نُعِي
خطبٌ لـه (سَيوُن) تبكي دماً يجتـاحُ صبْر الصَّابر الأرْوَعِ
وفي الحشَا ألهب نـارَ الأسَى وأجْهَش الدمْعَ من المدْمَع
لـو كُنتَ تفدَى لفدَتْك الورَى لمثلِك الفـديةُ لم تُرجَعِ
هـل بعدَ هذا اليوم من سَلْوةٍ كلاَّ. فقد غابَ الفتَى الألمعّي
يا ليتَ شِعْري عِيلَ صَبْري فهَلْ من راحم من بَاتَ لم يهجَعِ
فليبكِكَ اللطْفُ فأنْتَ الهوَى على سِوَى الرِّقَةِ لم تُطبَعِ
ولتبكِكَ الآدابُ مرَّ البكَا فأنْتَ حامي بيضِها الشّرَّعِ
(الضَّارِبُ الجزيَةَ منذُ انتَشَا على يَراعِ الشَّاعرِ المبْدعِ)
من معْشرٍ حبُّهم واجِبٌ (فتَى كريمُ الأصْلِ والمنزَعِ)
إن الثمانينَ وقَدْ جزْتَها كفّارَةٌ للخَائفِ المرْوعِ
إني رأيتُ العَيشَ من بعْدِ ما آووكَ جَوفَ القَبْر والمضْجَعِ
كالليلِ في ظُلمَتِه مُوحِشاً أما لبْدرِ اللَّيلِ من مَطلَعِ
هيهاتَ يا نَاعي (أبي حامِدٍ) أن تذْهبَ الأشجانُ من مرْبَعي
فقُمْ بنا نبكِي على (شَيخِنا) هلمَّ واقْضِ الدّهْر حُزناً معِي

* * *

ذرية الحبيب شيخ[١]:

أعقبَ الحبيبُ شيخٌ الحبشيُّ، من الذكور أحد عشر ولداً، وهُم: أبوبكر،

(١) أخذاً من الشجرة العلوية، ومما سمعته من الحبيب علوي بن شيخ، رحمه الله، بمنزل ابنه شيخ بمدينة جدة.

ومحمد، وأحمد، وحامد، وعبد الله، وعبد الرحمن، وعبد القادر، وعلي، وحسين، وعلوي. وحسن. وله من البنات: (سُعود)، تزوجها ابن عمّها الحبيبُ محمد بن علي بن محمد الحبشي، وهيَ أم ابنه عبد القادر، وفاطمة (شيخانة)، ونور، وعائشة، وعلوية.

فأما أحمد بن شيخ: فأخبرني السيد علوي بن شيخ: أنه ولد بسورابايا، وهو شقيق حامد وعبد الرحمن وعبد الله، أمهم من السادة آل حامد بن علوي السقاف. وللسيد أحمد بن شيخ وصية من عمه الحبيب علي الحبشي، محررة في ١٣ شوال ١٣٣٠ هـ[١]، عند عزمه على السفر لأداء النسكين، وفي صحبته أخوه أبوبكر. عاد السيد أحمد إلى حضرموت وتوفي بالمكلا.

وأما حامد بن شيخ: وهو شقيق أحمد المذكور قبله، فمولده أيضا بسورابايا، وعاش حياته في ماليزيا، وأسس مدرسة في مدينة (بينانغ) و(سنغفورا)، و(ميدان دلي) بجزيرة سومطرا، وكان يعاونه في التدريس أخُوه الشقيق عبد الرحمن. توفي السيد حامد بسيون، ودفن في قبة عمه الحبيب علي الحبشي.

وأما عبد الرحمن بن شيخ: فمولده بسورابايا، وعاش حياته مدرساً ومعاوناً لأخيه حامد، ثم زار سيون عام ١٣٥٥ هـ عقبَ وفاة أبيه، وأخذَ معه أخاه الأصغر علوي بن شيخ إلى ماليزيا. وكانت وفاته في مدينة (بينانغ) بماليزيا، وهو ناظمُ القَصِيدة العصماء التي مطلعها:

ألفٌ أرَى خير الثناءْ لمحمَّدِ   والقولُ لا يحلو بغَير محمَّدِ[٢]

وهي قصيدةٌ من أجمل القصائد، جعلها على نمَطٍ غريب، ووضع عجيب، استفتحها بحروف الهجَاءِ، وختمها بالاسم الشّريف، من بابِ لزوم ما لا يلزم. وكان أخوه السيد علوي بن شيخ (ت ١٤٢٥ هـ) يصدح بها في مجالس العلم والفضل حيثما حلَّ ونزل.

---

(١) مجموع وصايا وإجازات الحبيب علي: ص ٢٩٨.

(٢) مطلعها وبعض أولها للعمّ عبد الرحمن بن شيخ، وباقيها لأخيه العم حسين، (شيخ بن علوي).

ولـه من الولد سـبعة. مـن نجبائهم: عبد الله بن عبد الرحمـن: كان ذكيا فطنا، عاش في سنغافورا، وأصدر بها: «مجلة الذكرى»، وكانت وفاته بسيون.

وأمـا أبوبكـر بـن شـيخ: فمولده بسـيون، وعـاش ودرس بها، ثـم هاجر إلى إندونيسـيا وتـوفي بسـورابايا، وهو والد: السـيد حسـين بن أبي بكـر الحبشي، الذي اشتهر بمعهده الديني في مدينة (بانقيل).

وأما عبد القادر بن شيخ: فمولده بسيون، وعاش حياته في مدينة (جوهور)، وتولى إمامة أحد مساجدها، وبها كانت وفاته.

وأما حسن بن شيخ: فكان مدرسا بسيون، ولد وعاش ومات بها.

وأما حسـين بن شـيخ (كاتب الرحلة): فمولده بسـيون، وهو شـقيقُ السـيد علـوي أخيـه الأصغر، ودرّس في مدرسـة النهْضَـة بها، وتخرج على شـيوخ عصره، وكان ذكيًـا أديباً، له مشـاركات شـعرية وأدبية، وأسـس مدرسـة في مدينة (تريس) بحضرموت ودرس بها مدة، وتوفي بسيئون.



صورة السيد علوي بن شيخ الحبشي

وأما أصغر ابنائه فهو شيخي الفاضل علوي بن شيخ: مولده بسـيون سـنة ١٣٣٩هـ، وأمه وأم أخيه حسـين؛ بنت السـيد محسـن بن حسـن بن جعفر بن أحمد، مـن آل الحبيب علي بن عبد الله، أدرك من حياةِ أبيه تسـَع سنوات، وتربى في حجره، وأخذ عن شيوخ عصره.

ودرس عـلى الشـيخ محمد بن محمد باكثير: السـفينةَ وغيرها مـن المتون، ولزم دروسه نحو سنتين، كما قرأ على الشيخ محفوظ مشعبي، والشيخ عبد القادر باسلامة في ربـاط عمـه الحبيـب عـلي، وعلى السـيد أحمد بـن عبد الله بـن عمر السـقاف (ت ١٣٨٥هـ)، وغيرهم.

وفي سنة ١٣٥٥هـ = ١٩٣٥م، سار بمعية أخيه عبد الرحمن بن شيخ إلى ماليزيا قاصدين مدينة (بينانغ)، مروراً ببندر الشحر، فعدَن. ومكث في (بينانغ) اثني عشرة سنة كاملة، وفي أول أمره كان يتعلّم دروسَه في الصباح، وفي العشية يذهبُ إلى محلٍّ لبيع الملابس لكسب لقمة العيشِ الشريف، وظلّ على هذه الحال إلى قدُوم الاحتلال الياباني. حيثُ سِجنَ في سجون اليابان مدة، بسبب رفضه انحناء الطلاب في مدرسته أثناء الطابور الصباحي حسب التعاليم الدينية اليابانية، مما أدى إلى الوشاية به وسجنه. و عقب خروجه من سجنه، وفي أثناء فترة الاحتلالِ الياباني، عمل مع اليابانيين، وكان هو وصديقه مَرتضى عيديد مقرّبينِ منهم، خوفاً على روحيهما، وكان من أصدقائهما شيخنا السيد العالم عبد الله بن حامد البار (ت ١٤١٨هـ)، الذي كان يعمل في تجارة الجلود.

وفي فترة الحرب العالمية اختفى هو وابنُ أخيه حسين بن عبد الرحمن في قرية تدعى (نينوتبانغ)، وعقب الحرب، في عام ١٩٣٩م، عادا إلى (بينانغ)، وتزوج بها عند السادة آل العيدروس، وأنجب بنتاً، وفي عام ١٣٦٧هـ = ١٩٤٧م عاد إلى سيئون، وعمل بها مساعداً لمدير البريد، ولم يطل مكثه بها، فعاود سفره إلى ماليزيا بعد قضاء (١١ شهراً) في سيئون.

مع حزب أمنو (١٩٤٨-١٩٥٥م): كانت دولة ماليزيا حينها تعيش أجواء الاستقلال، وقد قامت بها حركات وطنية كثيرة، وبدأ حزب (أمنو) في التشكل والظهور، وكان تأسيسه على يد داتؤ عون بن جعفر، وهو أشهر حزب ملايوي أسس لتوحيد الماليزيين. قال لي السيد علوي: «كنت أقومُ بالدعاية لهذا الحزب، وكنتُ من أوائلِ أعْضَائه المؤسسين، وكان معَنا آنذاك: شابان من آل باقشير، وسيد من آل عيديد، وجعفر بن حسن البار، وسيد من آل الهادي، وبعض آل الحبشي، والجميع قرابة ٣٥ شخصا، منهم: ٢٠ من العلويين».

وفي شهر جمادى الأولى سنة ١٣٧٢هـ التقى السيدُ العلامة علوي القاضي بن عبد الله السقاف (ت ١٣٩٢هـ)، بالسيد علوي بن شيخ في مدينة (بينانغ)، قال في «رحلته» (ص ٣٧): «قابلنا الأخ اللطيف الأديب خفيف الظل علوي بن شيخ ... وقد جاءَ من سنغافورة على الطائرة عندما سمع بوصولي إلى بينانغ، وهو من سكان بينانغ، فانبسطت به جدا، وانبسط هو كذلك، لأنه كان قريب عهد بزيارة حضرموت، وأخذناه معنا في السيارة ..»، إلخ.

وبعد قرابة الثماني سنوات من العمل السياسي في حزب أمنو ، توجه عام ١٣٧٥هـ = ١٩٥٥م إلى مكة المكرمة لأداء مناسك الحج، ورافقه في ذلك العام من بني عمومته: شيخنا الحبيب أحمد بن علوي الحبشي، وكان المطوفُ: السيد حسين بن محسن بن حسين الحبشي المكي. وطاب للسيد علوي المقام في أرض الحرمين مدة من الزمن، وعمل مع السيد حسين بن محسن في الطوافة لبضعة أشهر، وكان مسئولا عن الحجاج الحضارمة، ولكن ذلك العمل لم يطب له، فانتقل إلى مدينة جدة وعمل مساعدا لمدير شركة تبريد (ثلاجة مواد غذائية) وكانت مدة وجيزة أيضاً، عادَ بعدها إلى ماليزيا، ومنها إلى سنغافورا، حيث أقام بعض الارتباطات مع السّادة آل الحداد بها، تمهيدا لعمل تجاري مشترك.

وفي عام ١٣٧٧هـ = ١٩٥٧م: قدمَ السيد علوي إلى عدن، وكيلا وشريكاً مضارباً مع السادة آل عيسى الحداد في تجارتهم، وكان يعملُ معهم بنسبة ثلاثة أرباع، فهو الوكيل الوحيد لهم في عدن، وكان رأس مال تجارتهم حينها (٢٠٠,٠٠٠ روبيةّ).

وفي عدن؛ لقي جماعة من أهل العلم، من أجلهم سماحة السيد الإمام، علوي بن طاهر الحداد (ت ١٣٨٢هـ) مفتي جوهور بماليزيا، ونالَ منه الإجازَة العامة في

مروياته. ثم لما تغيرتِ الأوضاعُ السياسية والاجتماعية في عدن والجنوب، غادرها إلى جدة، وعمل في بعض الأعمال والوظائف الخاصة، إلى أن أتت الوحدة اليمنية عام ١٩٩١م، فعاد إلى مسقط رأسه ووطنه الأول سيون، وبَنَى إلى جوارِ بيته مسجداً سماه «مسجد المهاجر»، يقيم فيه الصلوات الخمس، ويفطر الصّائمين، ويعمل ختماً ليلة الخامس من رمضان.

كان السيد علوي بن شيخٍ؛ رجلا أنيقا جماليًّا، كأبيه. حسَنَ الصَّوتِ، عذْبَ النغْمَة، كثيراً ما ينشد في مجالس كِبار الشيوخ بصوته العذْبِ، فيشجي الحاضرين. خصُوصاً إذا أنشد بقصائد عمّه الإمام علي بن محمد الحبشي، كما كان يكثر من إنشادِ قصيدة أخيه عبد الرحمن بن شيخ، المتقدم ذكرُها.

وآخر لقاء لي به، كان قبلَ وفاته بنحْو سنةٍ، لقيته في منزل الحبيب عبد القادر السقاف، قائلًا لي في ذهول: لقد بلغتُ من العمْر (٨٨ سنة)، فادعُ الله لي بحسْنَ الخاتمة. وجاءني نبأ وفاتِه من سيئون، ظهر يوم الاثنين ١٢ محرم الحرام سنة ١٤٢٦هـ، رحمه الله تعالى رحمة الأبرار، وأسكنه جنات تجري من تحتها الأنهار، وأخلفه في أهله بخلف صالح[1].

* * *

(١) كتبت هذه المعلومات عن حياته وعن إخوته الكبار في جلسة معه بداره بجدة، بحضور ابنه شيخ وحفيده محمد بن شيخ، وذلك قبل سنة من وفاته، وكتب لي إجازة عامة بخطه مؤرخة في ١٨ محرم ١٤٢٥هـ، وتفويضا بطباعة هذه الرحلة بتاريخ ١٦ صفر ١٤٢٥هـ بحضور وشهادة السيد العميد محمد بن أبي بكر الحبشي، والحمد لله رب العالمين.

مقدّمةُ الرِّحلةِ وتَرجمةُ مؤلفها[1]

بقلم السيد / حسين بن شيخ الحبشي

هكـذا شـاءَ الباري عزَّ وجـلَّ، أمةً تتلـو أمةٍ، وجيـلاً يتلو جيلاً وعـصراً يتلو عصراً، وما ترك السـابقُ للآحقِ غير ما اقتناه في سـبيلِ حياتِه من علُومٍ مجيدةٍ وأعمالٍ، سجّلها له التاريخُ بمدادِ الفخر في صفَحاتٍ ذهبية.

إن الفضـلَ الأكبر في ذلك كلّه للسـجلِّ قبل التاريـخ، لأنها مصدَرُه، فالتاريخ إنـما يؤخذ غالباً من السـجّلاتِ، وقـد يؤخذ من الآثار أو الأخبَـار المتناقلة من الآباءِ للأبنـاءِ، ولكن أخذ التاريخ من الآثـارِ الصامتة أقلُّ أخذاً من الأخبار المتناقلة، وأقل أخـذاً من السّـجلاتِ، لأن تحقيقَها متوقفٌ على جودَة الحفْـظ، والحفظُ قابلٌ للنقص والزيادة، فظهَر جليا أنَّ السجِلَّ أقوى المصادر .

والذي يجدُر بالمحققين أن يأخذوا سبيلَ الحيطة في المراجِع، ليتمكّن المطلعُ أن يعتمـد على ما قامُـوا بتحقيقِه من بحوثٍ، لمتانة مصدرها. فـإنّ القديمَ قد كابدَ أتعاباً وجهوداً ضخمةً في سبيلِ التاريخ، لأن التسهيلاتِ الموجودةَ اليوم تنقُصُه آنذاكَ، فقد

---

(١) هذه المقدمة والترجمة وصلتنا على يد السيد شيخ بن علوي في ٢٥ ربيع الأول ١٤٣٢هـ، بعد أن أتممنا كتابة ترجمة المؤلف وجمعها كما سبق، ولأن كل ترجمة تميزت عن الأخرى بأسلوبها وبيانها، فقد ارتأينا الإبقاءَ على الجميع.

كان يسجّلُ حقائقَه وبحوثَه في العِظام والجلود وأوراقِ الشجر، إلى غير ذلكَ، مما تدع الشخْصَ المطلعَ يقفُ على تلك الأعمال اليوم وقفَة متفرّج لا مطَّلعٍ.

وإن رجالَ العلمِ والأدب وكبار أسَاطينها لولا السجلُ لأصبحَتْ جهودُهم مكفورةً، وأعمالهم مطمورةً، لم يعرف لها خبرٌ، ولا يهتدي لها على أثرٍ، مع العلم أنهم قد كرّسوا جُلَّ وقتهم عَاكفين في المكاتبِ والمعاهِد، لاقتناص الفوائد والشواردِ، حتى ظفِروا وظهَروا لنا بما يدْهشُ السامعَ، ويخلب لبَّ الناظر.

وإن من أجلِّ أولئك الرجالِ قدراً ورفعةً، وأعرَفهم بالطارف والتليدِ خبرةً، وأوسَعِهم علماً، وأغزرِهم فهماً، العالم العلامةُ، والحبر الفهامةُ، الوالد شيخ بن محمد بن حسين بن عبد الله بن شيخ الحبشي، فهو رحمه الله كان مثالاً للنبوغِ والتفوقِ، ورمزاً للأخلاق العاليةِ، وهدفاً للفضائلِ السامية، وكان آيةً في النشاطِ والجدِّ، ومعجزةً في السعي والكدّ.

ميلاده: كان والدُه المغفور له الجدُّ محمد بن حسين، من الذين ضَحَّوا بحياتهم في سبيلِ بثِّ العلم ونشره في المدن والقرَى، وكرَّسوا شبابهم النّضيرَ في انتشالِ الغامِض من العُلوم، حتى الجأه الحالُ من أن تفتُرَ عزائمه عن ما هو بصدده، فتعاهدَ وجملةً من زملائِه الكرام، وهم العالم العلامة، السيدُ محسن بن علوي السقاف، والعالم العلامة السيدُ عبد الله بن عمر بن يحيى، وكتبوا في ذلك مكتوباً وقّع عليه كل منهم، خلاصته: أن يستمرُّوا في بثِّ العلم وْنشره في جميعِ وادي حضرموت، وأن يبذلوا غايةَ ما في وُسْعهم وطاقتهم في ذلك، وكان ذلك في شهر القعدة عام ١٢١٥هـ.

فكان الجدُّ رحمه الله لم يتخِذْ بوادي حضْرموت مكَاناً مَوطناً، بل كلُّ مكانٍ يطيبُ له استمرارُ أداءِ مهمته فيه فهو وطنُه، وكانت من ضِمْن المدن التي دخلها لبثِّ العلم ونَشْر الدعوة، مدينةُ تريم. فتزوج ببنتِ الشيخِ الفاضل العالم العلامة، قاضي

تريم، الجد سعيد بن أحمد الكبيِّر، وتسمَّى خديجةُ بنتُ سعيدٍ، وكان ذلك الزواج سبباً في وجُود صَاحب الترجمة عام ١٢٦٥هـ.

فترعرعَ بمهبَطِ أسْرار أجداده الرجالِ، وغَابِ أولئكَ الأشاوسِ الأبطال، حتى إذا شبَّ وكبُر، طلبه والده رحمه الله أن ينقَل إلى الحجازِ، حيث اتخَذه موطناً له، بالإشارة من شَيخه العالم العلامَة، والحبر الفهامة، البحر المليء، السيد عبد الله بن حسين بن طاهر العلوي، عام ١٢٦٩هـ، وقد شغل به مركَز الإفتاءِ من عام ١٢٧٠هـ، حتى عاجلته المنيةُ، يوم الأربعاء ٢٢ الحجة عام ١٢٨١هـ، ولقِّبَ إذ ذاك بمفتي الحرمينِ. فسافر الوالدُ رحمه الله إلى مهبطِ الوحيِ والتنزيل، مكة المكرمةَ، امتثالاً لأمر والدِه، فما وصلَ إليها حتى اتصلَ به اتصالاً تامًّا، ظاهراً وباطناً، وكرعَ من معين علومِه في خلال الإقامة.



وفي عام ١٢٨٢هـ طلبَه شيخُه وأخُوه من أبِيه، العالم العلامةُ، والحبر الفهامة، البحر المليء، الوالد علي بن محمد بن حسين بن عبد الله بن شيخ الحبشي، من إخوانِه الكرام عبدِالله وأحمد والحسين، في أن يخرُجَ به إلى حضرموت حيث يقطُن بها، فأسعفوه بما طلبَ، فخرج بصُحْبته إلى سيؤون ذلك العام.

* * *

اتصاله برجال العلم: إنما يعرف الفضلَ من الناسِ ذووه، وقد صدق ﷺ القائلُ: «**الأرواحُ جنودٌ مجندَةٌ، ما تعارفَ منها ائتلَف، وما تنَاكر منها اختلف**»، فهو رحمه الله كثيرُ المجالسَة لرجال العلم والأدبِ، شديد التلهف لهم، والمحبة والأخذ عنهم، وقلَّما يتصِلُ بأحدٍ منهم إلا ويأخذُ عنه، فقد أخذَ عن كثير من العلماءِ العاملينَ.

فمنهم؛ سيدُنا الإمام العلامة، مفتي الحرمين الشريفين، والده الجدُّ محمد بن حسين بن عبد الله بن شيخ الحبشي، فقد أخذَ عنه الأخْذَ التامَّ، وقرأ عليه في شتى

الأمُور، واتصل به الاتصال الكامل.

ومنهم، العالم العاملُ، الشريف الفاضلُ، السيدُ أحمد بن زيني دحلان.

ومنهم، العالم العلامةُ، السيد شيخ بن عمر بن سقاف السقاف.

والعالم العلامةُ، السيد عبد الرحمن بن علي بن عمر بن سقاف السقاف.

والعلامة السيد محمد بن علي بن علوي بن عبدِالله السقاف.

والعلامة السيدُ صافي بن شيخ بن طه السقاف.

والعلامة السيد إبراهيم بن عيدروس بلفقيه.

والعلامة السيدُ عبد الرحمن بن محمد بن حسين المشهور.

والعلامة السيد علي بن سالم بن علي ابن الشيخ أبو بكر بن سالم.

والعلامة السيدُ عمر بن هادون العطاس.

والعلامة السيد سالم بن أبو بكر بن عبد الله العطاس.

والعلامة السيد أحمد بن حسن بن عبد الله العطاس.

والعلامة السيد أحمد بن عبد الله بن عيدروس البار.

والعلامة السيد أحمد بن محمد بن علوي المحضار.

والعلامة السيد طاهر بن عمر بن أبي بكر الحداد.

والعلامتان السيدان محمد وعمر ابنا صالح بن عبد الله بن أحمد العطاس.

والعلامة الشيخ محمد سعيد بابصيل.

ومنهم العلامةُ، الشريف الفاضلُ، حسَنُ الشمائل، السيد عيدروس بن عمر الحبشي، مؤلفُ كتاب «عقد اليواقيت الجوهرية».

ومنهم العلامة الشيخُ محمد بن محمد العزَب.

ومنهم العلامة السيدُ الشريف، أحمد بيك الحسيني الشافعي الأزهري، مؤلف كتاب «شرح الأم».

ومنهم العلامتان السيدان عبد الله وأحمد أبناء الجد محمد بن حسين الحبشي.

ومنهم الشيخُ الفاضل، محمد بن محمد المبارك الحسني الجزائري.

ومنهم العالم العلامةُ، الشيخ الكاملُ، والسيد الفاضلُ، محمد مكي بن عزوز المغربي. ومنهم الشيخ الفاضل العالم العلامة المحقق يوسف بن اسماعيل النبهاني مؤلف كتاب جامع كرامات الأولياء.

ومنهم العالم العلامةُ، والحبر الفهامة، مفتي الحجاز، أخوه الوالد الحسين بن محمد بن حسين الحبشي. وغيرُهم كثيرٌ.

وأما الذي عليه بعدَ الله المعوَّلُ، في الآخر والأول، فهو شيخه الأكبر، ونجمُه الأزهر، وباب دخوله في وصُولِه، ومعراج روحِه في إقبالهِ وقبوله، جمال الدين، الإمام العارف بالله، قطبُ الوجود وبركة كلّ موجود، سيدنا وسندنا البحر الملي، الوالد علي ابن الجد محمد بن حسين بن عبد الله بن شيخ الحبشي.



فهو شيخه الأكبر، ونجمه الأزهر، وباب دخوله في وصوله، ومعراج روحه في قبوله الكبير، وسراجه المنير، الذي ليس له شبيهٌ ولا نظير، ولا ينبئك مثل خبير. وكان اتصالُه به في مكة المكرمة عام ١٢٨٢هـ، وهو في شرخ الشباب، فقرَّبه منه وأدناه، وأتحفه بنظراته الإكسيريةِ وربّاه، فأسرع إليه ملبّياً، وبما ألبسه من الصفات الحسنة متحلياً، وأقام معه مدّةً في مكة وهو ملازمه.

ثم إنه عند خروجه من مكّة المشرفة راجعاً إلى سيؤون، وطنه، صَحِبه بعد أن طلبَه من إخوانه الكرام، كما مرَّ آنفاً، فخرجَ به إلى سيؤون، وله منه كمالُ الملاحظة، حتى وصلَ سيؤون، فلازمه، ولازم دروسَه صباحاً ومساءً، وقرأ عليه جملةً من الكتبِ في كلِّ فنّ، وأجازَه إجازاتٍ خاصّة وعامـّة، وله منه الوصايا النافعةُ. فمنها: وصيتُه الخاصّة له، ومنها: وصيتُه مع أولاده وأولاد سيدي الوالد علي، ومن قرأ تلك

الوصَايـا يتجلَّى لـه العطف الأخَويُّ بجميـع أجزائه، وهناك يعطيه درسـاً عن كيفية حنوّ الأخِ على أخيه .

ومما يشـَهد له بملازمتِه له في جَلساته الخاصة والعامة، قيامُه بجمْع بعضٍ من مذكراتـه العلمية في مجالسـه ومدارسـه، حيثُ قامَ بجمع ما يزيـدُ عن (؟) كراريس. ومـا يؤكـد لنا قوّةَ الاتصـال به، مكاتباتُـه الخاصّة الصادرة منه والموجَّهة إلى سـيدي الوالدِ عندَما كان بالمهْجَر، والتي قام بجمعها أخُونا الفاضل عبدُالقادر بن شـيخ بن محمد الحبشي، في كتابتها كراريس.

وعندمـا أنشـدَ قصيدته الـدرة البهية التي امتـدحَ بها الحـضْرة المحمديةَ، على صاحبهـا أفضل الصلاة وأزْكَى التحية، وأنشـدَها بحضْرته، قالَ شـهادته المدونة في ديوانه الحكمي على منوالها بحراً ووزناً وقافيةً:

أنْتَ الصّـدوقُ بفعْلِـه ومقَـاله ... في مَدْحِ من كمُلَتْ جميعُ خِصَاله

ثقلَـتْ مَوازيـنُ الذيـنَ تشرَّفوا ... بمديحِـه وجـرَوا عـلى منوالِه

فحسبكَ بهذه الشهادة العَدليةِ فخراً، والمرتبة القسعاء رفعةً.

وأمـا ديوانه الحميني فطافحٌ بمثلِ هذا وأكثرَ، كما أنه يمتازُ صاحبُ الترجمة في كثيرٍ عندما تحضُر الصلاةُ بحضْرة سيدِنا الإمام الوالد عـلي، وفي الحاضرين من هو أكـبر من الوالدِ سـنًّا، يأمرُه أن يؤمَّ بالناسِ، وما ذاك إلا لمعرفتِـه به حقَّ المعرفة، وإنما يعرف الفضْلَ من الناس ذَووه.

* * *

موقفـه مع العموم: إن الرجالَ إنما تعـرف بجهُودِها في المصالحِ العامة، والتي تعـود عـلى الجمهور بالنفْع العـامّ، وقد كان الوالـدُ رحمه الله كثـير الاتّصال بالرجال

المسئولينَ، ومـا رائـده إلا يجني الراحةَ لشعْبه الكريـم، أدَبيًّـا ومَاديًّا، وقلما تسـَمعُ بمجلسٍ أو محفـلٍ إلا وتراه حاضِراً بذلك المجلسِ، وهو في رأسِ المشـّجعين لطلبِ العلمِ وطالبيهِ، بحالهِ ومالهِ.

ومن الغرابة بمكَانٍ أنه لا يكمُلَ سرورُه حتى يقضي يومَه مع جليسٍ أو نديمٍ، وما يمرّ عليه يومٌ بدونِ أن يزورَ أو يزارُ، لأنه شغوفٌ بالجليسِ أشدَّ الشغفِ، لاسيما في أخرياتِ عمره، لأنه أصبحَ مقعداً ببيته، بسـبب إصابته بالريحِ الأحمر، فمنعه عن الخـروج والاتصَـال بأصدقائهِ، فصار شـديدَ الحرْص على زيارتهم لـه، وما تمر عليه ساعةٌ من يومِه وهو ببيته بدُونِ أن تراهُ يطالعُ كتاباً أو يُسْمع في كتابٍ.

وإن تنسَ، لا تنَس يوم الجمعة، بتاريخ ٨ رجب ١٣٢٨هـ، اتصاله بصاحب العظمة سـلطان الإسـلام والمسلمين، السلطان المعظّم، محمد رشـاد، سلطان الدولة العلية، واتصاله بكبار موظفيها ورجالها المسـئولين في إسطنبول، وذلك عندما سمعَ السـلطانُ بوصولـه إلى الآسـتانة العليـة، أرسـل إليه بعـضَ مندوبيه يطلـبُ ملاقاته بعرَبيتِه السلطانية الخاصّة.

وقد اتصل أيضا بشـيخ الإسلام والمسـلمينَ، الشيخ موسى الكاظم بالآستانةِ أيضاً، وقد امتدحه بقَصيدته التي لم نعثُر على شيءٍ منها سـَوى المطلع، فقط، بمشيخة الإسلام في السَرايا، والمطلع هو:

مِـن كـرَم المـرءِ ومـنْ مجـدِه   إخلاصُـه والصّـدقُ في وعْـدِه

وزارَ أيضاً مجلسَ المبعوثانِ، في الدولة العلية العثمانية، الذي هو أشبه بما يسمى الآن بالبرلمـان الحكومـي. واتصل برئيس المجلسِ، وهو صاحـب العزةِ رفعَتْ أحمد رضَا باشا، وهو إذ ذاك رئيسُ الوزراء في الدولة العلية.

* * *

تنقلاتـه: إن الوالدَ رحمـه الله كان ميالاً للتنقلِ في الدولـة العلية العثمانية، كثيرَ المـرحِ، جمَّ الأسْـفارِ، وكان أكثَر تنقلاتِه إلى المهابطِ الأندونيسـيةِ في غالبِ أصقاعها وأكثَر بقاعها، وأمّا إلى الحجاز فأكثَرُ بكثيرٍ، وذلك لما تدعوه إلى ذلك علاقَةُ النسَـب مع أخوانه وأبنائهم.

وفي ٣ صفر من عام ١٣٢٨هـ؛ قامَ بجولةٍ في الشرقِ الأوسطِ، ابتدأ بها من مكة المكرمـَة، ومنهـا إلى المدينة المنورة، وبعدها إلى سُـوريا، ومكثَ بها أكثر من ١٨ يوماً، وقَدْ زارَ جميع مدارسِها ومكتباتها ومعاهدها، فأقيمَتْ له حفلاتُ التجلّةِ والترحيبِ، وأنشدت فيها تلكَ القصائدُ والكلماتُ، عند زيارته لمدرسة الملك الظاهر بدمَشْق:

بَنـي الحبَشـيِّ أهْـلاً ثـم أهْلاً   بكُـم نـلنَا سنَا الحـظِّ الجزيلِ

ومما قيل عند زيارته لمدرسة الريحانية بدمشق أيضا :

بقدومِـكَ يا سَـامي المجْـدِ   تـمَّ الإينـاسُ لـذي الـوجْدِ

وكثيراً من مثلِ هذا، أو أكثر.

وزار أيضـاً فيهـا الربْوةَ المشـهورةَ، التي تغنَّى بوصفها الشـعراءُ، ذاتِ الأنهار الجاريةِ، وتردد إلى الجامع الأموي المشهُور، وتوجه بعد ذلك إلى بلدة بعَلْبَكّ القديمة الأثَر، وزار القلعة الأثريةَ المشهورةَ، والتي يقال أن بها بيتاً بُنيَ قبل البعثة بثلاثة آلاف سنةٍ، وهو من عهد نبي الله سليمانَ، وزار ما فيه من عجائب وغرائبَ أثريةٍ.

ثم توجّه إلى حمصَ، وزار بها مدارسها، ثمّ إلى عاصِمة لبنان بيروت، ومنها إلى طرابلس الشام ثم دخل اللاذقيةَ. وبعدها توجه إلى فلسطينَ، وزارَ المسجدَ الأقصىَ، وكُلَّ الأماكن المقدسة هناكَ، ودخل يافَا.

وبعدها توجه إلى الآسـتانةِ العلية، وفيها زار دائرَة الانقشارية، التي بها غنائم

الدولةِ العلية العثمانيةِ، التي غنمتها الدولةُ في الحروب والغزواتِ، من الأسلحة والمجوهرات والألبسة الفاخرة، وما أهدى إليها الملوك من هدايا، وما وجدته من دفائنَ.

ومنها توجّه إلى الإسكندريةِ، ثم قصَد القاهرةَ، وبعدها عادَ إلى مكة في منتصف القعدةِ من ذلك العام، أي ١٣٢٨هـ. وقد دوّنَ في هذه التجوالات والتنقلات التي قامَ بها في الشرْقِ الأوسط كتاباً سماه «الشاهد المقبول بالرحلة إلى مصر والشام واسطنبول»، شرحَ فيه ما شاهدَه وما لاقاهُ،ومن اتصل بهم من الرجالِ، وهو محفوظٌ لدينا بقلمِه، رحمه الله.

* * *



أعماله: إن مما يخلدُ الذكْرَ لمن قضَى نحبه من هذه الحياةِ، ما قدّمَه من عمله أيام حياته، وليس أقصِدُ به العملَ الذي من أقسَامه الطاعةُ والعبادةُ وما إلى ذلك، من محاربة النفس وإرهاقها في الأعمال الصالحة، فهذا موكولٌ للحقيقَة، وما في استطاعتنا حصْرَه. وإنما الذي أقصِدُه بالذكرِ، هي الأعمالُ التي خلدَها له التاريخُ، وسجّلها في صحائفَ بيضٍ.

فمن ذاك وصَاياه الجامعةُ، وإجازاته النافعة، لبعض مريديه، غير أنني آسَفُ بكلِّ الأسِف، حيثُ لم أوفَّق في العثُور على شيءٍ منهَا، سوى وَصيته للعالم العلامة حسن بن محمد البار، ووصيته للعالم العلامة، عمر بن أحمد بن أبي بكر بن سميط قاضي زنجبار ومفتيها، ووَصيته للعالم العلامة السيد عبد القادر بن سالم بن طه الحبشي. وأما وصيته للعالم العلامةِ، الشيخ العاملِ، والسيد الفاضل، محمد مكي بن عزوز المغربي، وكذا وصيتُه وإجازته للعالم العلامة المحقق، الشيخِ الفاضل، يوسف بن إسماعيل النبهاني، فلَم نجِدْهما.

وله على كتابِ «عقد اليواقيت الجوهرية»، تأليف الإمام العالم العلامة، السيد عيدروس بن عمر الحبشي، بديعُ نظمٍ ونثرٍ، وقد مدح المؤلِّفَ والمؤلَّفَ بقاعدَة التشجير الأدبي، وذلك بأن يشْغلَ الحرفَ الأولَ من كل بيتٍ، الحروفَ التي يحويها اسمُ الممدوحِ.

* * *

وفي عام ١٣٢٨هـ، قام بطبعِ خمسةٍ من الكتُبِ على نفقته الخاصّة، طالباً بذلك وجه الله، عندما رأى أنها كبيرة الجدوى وأنها كثيرةُ النفْعِ والانتفاعِ للجمهور، وهي:

(١) سمط الدرر (مولد)، تأليفُ شيخِه العالم العلامة، الوالد علي بن محمد الحبشي.

(٢) فتح الإله فيما يجب على العبد لمولاه، تأليف والده الإمام محمد بن حسين الحبشي.

(٣) العقُود اللؤلؤية في بيان طريقة السادة العلوية، للوالد الإمام محمد بن حسين الحبشي.

(٤) دوائِرُ الإحسان للمسترشدين تأليف العلامة السيد عبد الرحمن بلفقيه.

(٥) رشفات أهل الكمال ونسمات أهل الوصال، تأليف العلامة السيد عبدالرحمن بلفقيه.

وقد ألحقَ بهذه المجموعة قصيدته «الدرة البهية في مدح خير البرية»، وقاوَلَ رئيسَ الطباعةِ الشيخ حُسَين افندي بشارع الخرنفش بالقاهرةِ، على أن يخرج من كلّ نسخةٍ ثلاثةُ آلاف ٣٠٠٠ نسخة، وقد وزّع تلك الكتُبَ في جميعِ جهات العالم، ورائده في ذلك المصلحَةُ العامةُ، والنفع العام.

* * *

قصيدتـه التي لم يكملها: عندما قمتُ بالبحث عَنْ نظمه، وجدْتُ من ضمنها أبياتٌ ستةٌ، وصدْر بيتٍ فقط، كان رحمه الله ابتدأ ينظِمُ تلك الأبياتِ، وربما حالَ بينه وبين استمرار النظم حائلٌ، فوقفت به عبقريتُه حتى عاجلته المنيّة، فأصبحت ناقصةً، وقـد تطفلْتُ على موضُوع تلك الأبيـات المجهولة وذيلتُ عليها، وجعلتُ الموضُوعَ في والـِده المغفـور له، مفتي الحرمـين الشريفينِ، الجد محمد بن حسـين بن عبد الله بن شيخ الحبشي، تحت عنوان (أبي وجدي).

* * *

صفاتـه: إن الوالدَ رحمه الله كانَ جماليَّ المنظرِ، يحب التجمُّلَ في كل حالٍ، وكان ظريفاً وأنيقاً، يختار من اللباسِ أحسَنه، ومن الطيب أضْوَعه، ولم يُرَ قط بلباسٍ خشنٍ، أو غير نظيفٍ، وكثيراً ما يحبّذُ لبسَ الثيابِ البيضِ، الناصعِ بياضُها، امتثالاً لأمرِ جدّه ﷺ، وتراه يبذل النفيسَ في جلبِ ذلكَ، ويقدّمُه على كل شيء.

ومـا مات حتى جَـاوزَ العقد الثامنَ من عمُره، ولقد أخـذَتْ الأيام من عمُره ومـن جسْـمه، ولكنهـا لم تأخذ مـن عَقْله ولا من قلبـه، وإن كفَّ بـَصُره في أخريات عمـره، ولكـن بصيرته لم تـزدَد إلا نفوذاً وقوةً، فهـو في تلك الحالِ كـما هو بالأمسِ، ثاقـبُ الفكـرِ متقِـدُ القريحـة، جمّ الشـعورِ، فياض الإحسـاسِ، ولقـد صدق بعض واصفيه عندَما زارَه في أخرياتِ عمره، حيث قالَ[1]: «هو شَيخُ الجسمِ، ولكن شابُّ القلبِ، وما أحراه إن تمثلَ بقولِ أمير الشعراء حيثُ يقول:

شـابٌ وفي أضْـلعِه صَـاحبٌ   خـلوٌ من الشيْبِ ومن خَطْـبِهِ

إلى أن قالَ:

---

(١) هو الأديب علي أحمد باكثير.

«فقد كتبتِ الأيامُ في مخيلتِه مجموعةَ ذكرياتٍ بديعَةٍ، مما أبلاه في أيّام شبابه وكهولتِه وشيخوختهِ، من حُلْوِ العيش ومره، ومما رأى وسمع في أثناء رحلاته العديدة، فإذا تذكرها حنق فؤاده وخنقه الشعور المزيج بلذيذ الألم.

وعندما تنشدُ الشعْرَ بين يديهِ، تراه يطرَبُ لرقيقه، فتشفق عليه وأنت تنشد بيت شعر من أن ينفطِر قلبُه لرقّة شعورِه وقوة وجدانه. وخلاصَةُ ما يقالُ فيه: إنه عالم وأديبٌ مطلعٌ، وشَاعر بارعٌ، وطوافٌ رحّالَةٌ، وعلَمٌ من أعْلام البرِّ والتقوَى، ومثالٌ من أمثلة الأخلاق العالية. فمن أحبَّ أن يرَى العلْمَ والأدبَ، والشعْرَ، والخبرة بأحوالِ الأمَمِ، مع متانَة التقوَى، وشرف الخُلُقِ مجتمعةً في شخصٍ واحدٍ، فلينظر إلى السيدِ شيخ»، الخ ما قالَ.

وهو نحيفُ الجسمِ، أبيضُ اللونِ، ذو لمةٍ مستطيلةٍ، وعارضين خفيفينِ، ووجهٍ مستطيلٍ، وقامَةٍ معتدلة.

* * *

وفاته: قد مرَّ بك آنفاً أنه رحمه الله تعالى أصيبَ في أخريَات عمُره بمرَض الريحِ الأحمر، وكان يتعوّده ألم الريحِ كثيراً، واشتدَّ عليه المرضُ في شهر جماد الأولى ١٣٤٨ هـ، وفي السّاعة السابعة ظهراً، من يوم الاثنين، ٢٤ منه، فاضَت روحه الشريفَةُ إلى باريها عزَّ وجلّ، فسرَى الأسَى كلَّ النواحي، وعمَّها الحزنُ والقلَق من فداحة هذا الخطب الجلَل، وهو هذا الحادثُ العظيم الذي اهتزّتْ له الأركانُ في كل مكان. ولما مشَى نبأ وَفاة الفقيدِ في المدُن والقرى المجاورة لسَيؤون، أتَتْ الوفود إلى سيؤون من كل مكانٍ زُرافاتٍ لحضور الصلاة عليه.

وفي صَباح ذلك اليوم والساعة الثانية شَيَّعتْ جنازتُه الجمُّ الغفير من الجماهير، ووقع جمعٌ لم يسبقْ له نظيرٌ، فخرجوا به من بيته على الأعناقِ، ويعمّهم الهدوء

والسكينةُ، وقد تبدَّى الحزنُ في وجوهِهم على الفقيدِ، حتى وصَلوا به ساحة مسْجد الرياضِ، وصُليَ عليه بها لكَثْرة المشيعينَ، حتّى لم يتمكّنْ من الصلاة عليه في المسجد، وقد أمَّ الناسَ بالصلاة عليه ابنُ شيخِه، العالم العلامة، سيدُنا الإمام الوالدُ محمد بن علي بن محمد الحبشيُّ، وقبل الصلاة عليه عرَّفَ الجمهورَ بالفقيدِ، وبما له من أعمالٍ مجيدَةٍ ومجهولةٍ، وأخلاق حميدة .

ثم دُفنَ بقبة شيخه سيدنا الإمامِ ومولانا الوالد عليٍّ، بإذنٍ من ابنِه، ومن ناظر مقامِه، الوالد محمد، بقرْب جِدار الجِهة الشرقية، شمالي المنفَذ الشرقيّ بها، كما يُرَى ضريحه هناك، وفي ساعة الدفن قرئَ المولد النبويُّ، رحمه الله برحمته، وأسكنه فسيحَ جناته، هذا؛ وصلى الله على سيدِنا محمدٍ، وآله وصحبه أجمعينَ، والحمدُ لله رب العالمين.

أعدَّ هذه المقدمة وكتبها، نجله الفقير إلى الله

حُسَينُ بن شيخ بن محمد الحبشي

سيؤون، حضرموت



وصف النسخة المعتمدة في التحقيق:

ليس لرحلتنا هذه سوَى نسخةٍ وحيدة، وهي التي كتبها بخطّه ابنه السيد حسينُ بن شيخ، وفرغ منها في ٣ صفر سنة ١٣٧٠هـ/ ١٣ نوفمبر ١٩٧٠م، وتقع في ١٤٨ صفحة، وخطها نسخي واضح.

كما جمع ما وقف عليه من شعر والده، وكتب في طُرَّته: «ديوانُ الوالد شيخ بن محمد بن حسين الحبشي، الجامع له نجله حسين بن شيخ بن محمد الحبشي»، وكتب تحته هذان البيتان:

جميعُ الشعْرِ يدرِكُ من قرَاهُ مِلالٌ أو فتُورٌ أو سآمَةْ

سوَى هذا النظامِ فإنّ فيه بدائعُ لا تُمَلُّ إلى القيامَةْ

يقع الديوان في (٢٦ صفحة).

وألحق السيد حسين مع الرحلة والديوانِ أيضاً ما وجده من منثور أدبي لوالده، كتقريظه لعقد اليواقيت الجوهرية، وبعض مكاتباته مع أخيه = الحبيب علي، وذلك في (١٠ صفحات) ملحقةً بالرّحْلة. وقد تم إدراج هذه الفوائد والملاحق مع هذه الرحلة كما فعل ابن المؤلف، من بابِ الفائدة وجمعاً لأعمال السيد شيخ الحبشي في موضِعْ واحدٍ، ليسهُلَ الاطلاعُ عليها.

طريقة العمل:

١- بعد صفّ وتنضيدِ الحروف، قمتُ بمقابلة المنسوخ على الأصل.

٢- ثم قمت بقراءة النص منفرداً، وضبطت كلماته، وفقرتُ النصوص، ووضع علامات الضبط والترقيم.

٣- علقتُ على المواضع التي تحتاج إلىٰ تعليق، والكلمات الغريبة، وأضفت بعض

الفوائد المناسبة، مع الحرصِ على أن يكون التعليق خفيفاً قدْر الإمكان.

٤- عرفت بكثير من المصطلحات والكلمات الدخيلة والمعربة.

٥- ترجمت لجلّ لأعلام الذين ورد ذكرُهم، مع ذكر مصادر الترجمة. وغالباً ما أحيلُ على كتاب «الأعلام»، لشهرته، وتوفر المصادر فيه.

٦- طعمت الكتابَ بصور بعض الأعلام، والمواضع.

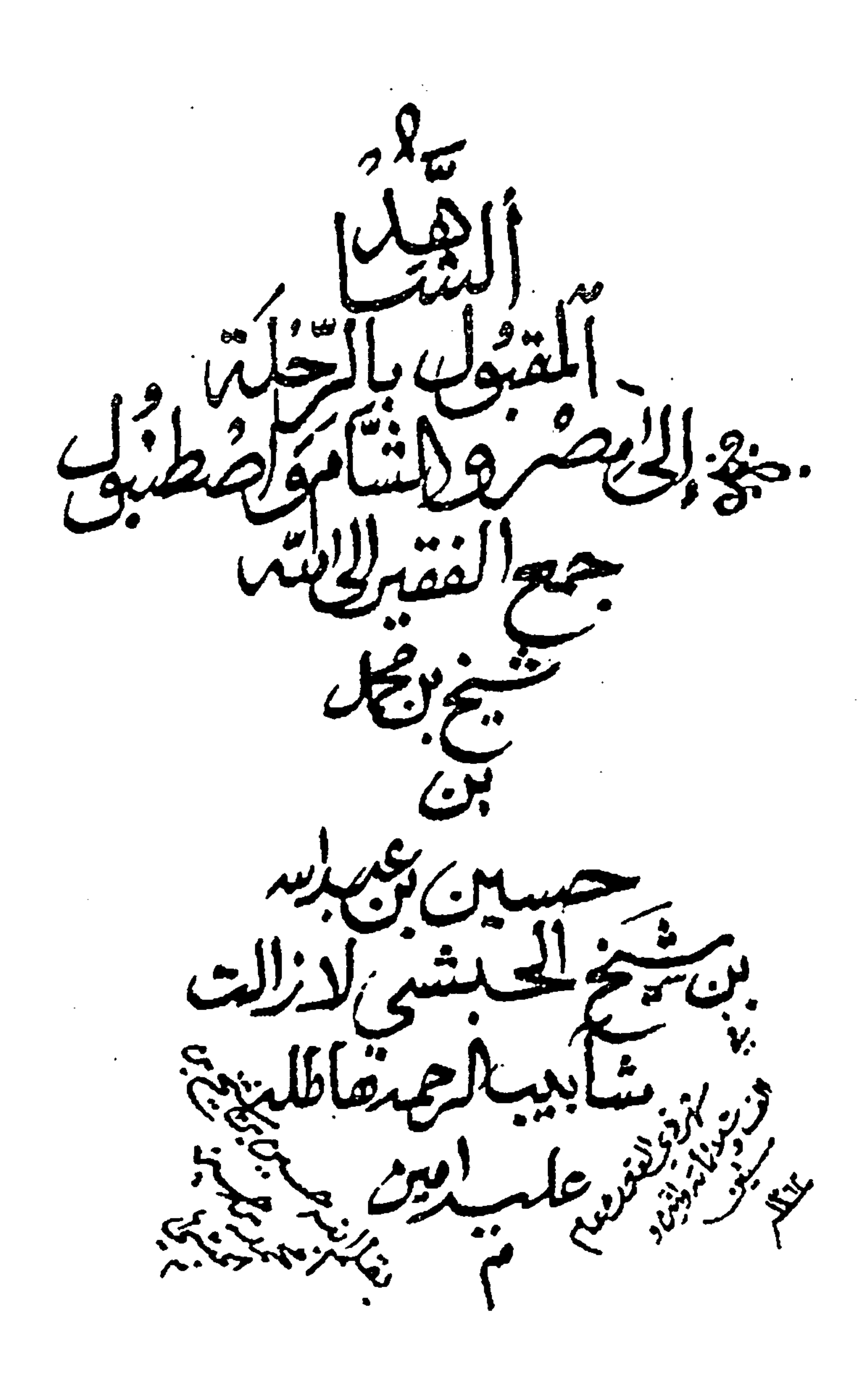
٧- تم وضع أرقام النسخة الأم بين معكوفين في وسط السطور، هكذا: [/ ٤]، والرقم يدل على نهاية الصفحة في المخطوط، وذلك ليسهل مراجعته لمن أراد.

٨- استفدت من ملاحظات السيدين: طه بن حسن السقاف، وعبد القادر بن سالم خرد، بعد قراءتهما للرحلة.



وأسأل الله التوفيق للهداية والصواب،
وهو المستعان وإليه المآب.

محمد أبوبكر باذيب
جدة؛ غرة ربيع الآخر ١٤٣٢هـ
موافق: ٦ مارس ٢٠١١م


الشاهد
المقبول بالرحلة
إلى مصر والشام واصطنبول
جمع الفقير إلى الله
شيخ بن محمد
بن
حسين بن عبد الله
بن شيخ الحبشي لازالت
شآبيب الرحمة هاطلة
عليه آمين

صورة صفحة العنوان من النسخة المعتمدة

ثم إني بعد مضي يوم من سفر البابور ونحن في البحر سألت عن الشيخ أحمد الغنيمي المغربي
الفلكي رأيته في بابور البر فدلوني عليه فأخذت معي الشيخ حسن الأسطواني وتوجهنا
إليه فوجدناه في موضع من البابور يسمى مخزن فسلمنا عليه فرد علينا السلام وقابلنا
كمال المقابلة ثم سألنا وسألناه مما طرأ بعضنا البعض فأخبرنا أنه مغربي
الأصل من تونس من بيت علم فباحثناه فوجدناه عالماً عاملاً وله من الأذكار
والأوراد شيء كثير وهو مالكي المذهب وله سند في الحديث فسألني عن علماء
جهتي وبلدي فأخبرته بهم وأخبرته بسيدي علي وأسمعته شيئاً من كلامه و
أدعيته فطرب طرباً شديداً ونقل لنا بعض أشياء ثم قال لي أدخل في أسباب
التمائم وأحب ذلك صوناً لشرف العلم وقلت له إن الذي أحب الدخول في الأسباب
فقال الغذا حسنت ثم إني أسمعته البيتين المتقدم ذكرهما التي أولها

إن رمت عيشاً فاتخذ حرفة ... تصون ماء الوجه لا يبتذل الأوجها

فاستحسنها وكتبها وكتبت اسمي عنده وكتبت اسمه عندي لأجل الذكر ثم إنا لم نزل نجتمع
بعد مدة السفر حتى وصلنا إلى جدة ففارقناه والكل منا حزين على فراق صاحبه فنزلنا
في جدة عند الشيخ المكرم سالم بن محفوظ بالخيور وأقمنا بجدة نحو يومين فتوجهنا
إلى مكة فقابلونا أولاد سيدي الأخ حسين وجملة من الأحباب من أهل مكة إلى قهوة
سالم وجلسنا نحو ساعتين ودخلنا إلى مكة وقصدنا بيت سيدي الأخ حسين
وأولاده الميامين محمد وأحمد وإخوانهم وفعل ضيافة سيدي الأخ حسين لنا
ودعا جملة من أهالي مكة منهم الشيخ الشطا وآل دحلان وجملة وفرح بي وفرحت به
وانعقد مجلس حال الوصول وأنشد المنشد بقصائد وكان المجلس في محل الولد
المبارك محمد بن حسين حفظه الله ثم بعد صلاة المغرب خرجت للطواف والسعي
وكان إحرامي في الدخول إلى مكة بعمرة ثم رجعت وبت على أنس
كامل وصفاء تام ومحادثة حسنة مع سيدي الأخ حسين وأولاده فالحمد لله
على ذلك ...

الحمد لله وبتاريخ ٣ صفر [illegible] فقد تم
نسخ هذه الرحلة المباركة بقلم الفقير
إلى ربه المنشي حسين بن
مؤلفها الشيخ بن
محمد الحبشي
[illegible]

الصفحة الأخيرة من الرحلة

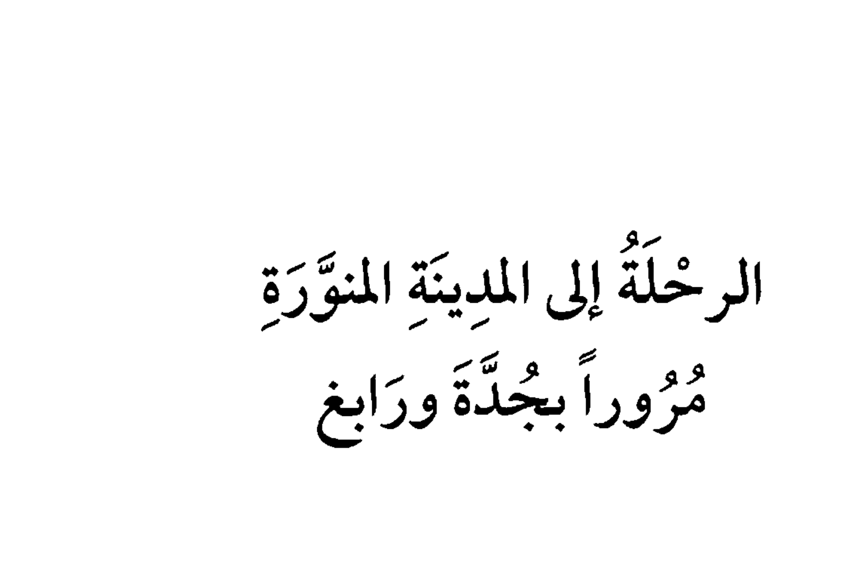
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه أستعينُ على السَّفرِ، في البحْر والبَرِّ، وأسأله أن يجعلَ التقْوَى لي زاداً، وأن ينفعَني بما انطَوَى عليهِ ضَميري، من النياتِ الصالحة، والمقاصِدِ الحسنة، في رِحْلتي هَذه، ويمدَّني بالعناية والرعاية منه في جَميعِ حَركَاتي وسكَناتي، ويردَّني إلى وطَني، بعْدَ انقضاءِ وَطَرِي، سَالماً غانماً معافًى، فائزاً بخيرَي الدُّنيا والآخرة، إنه على ما يشاءُ قدير، وبالإجَابة جديرٌ، وصَلَّى الله على سيدِنا محمدٍ النبيِّ الأمّيِّ وعلى آله وصَحْبِهِ وسلَّمَ.

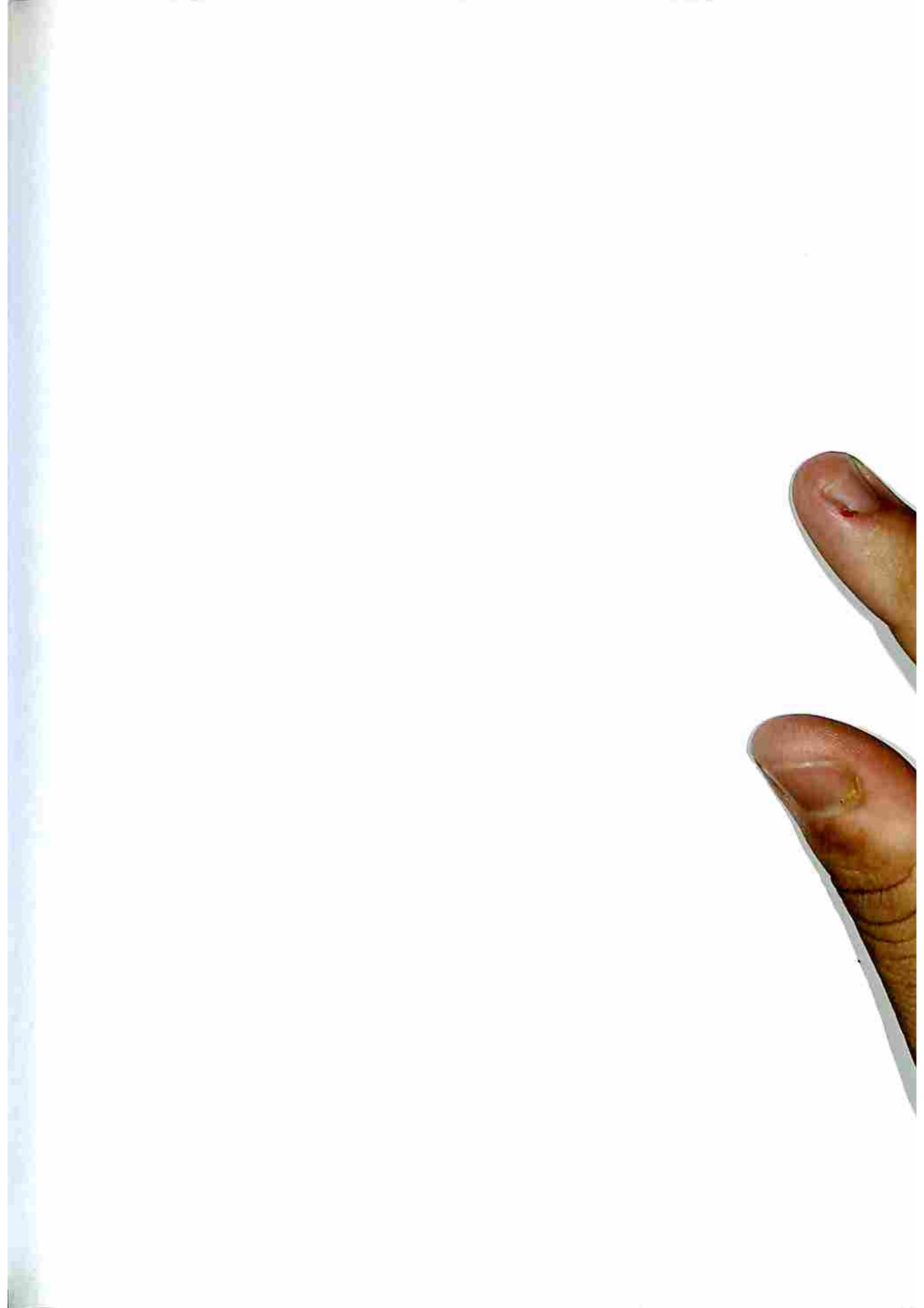
وبعد؛

فهذه كلماتٌ جمعتُها، وفوائدُ أثبتُّها، حين عزَمتُ وتوجّهْتُ من مكَّة المشرفَة، وقَصْدي زيارةُ المصْطَفى ﷺ. ثم إلى مَا شاءَ الله. فأقولُ:



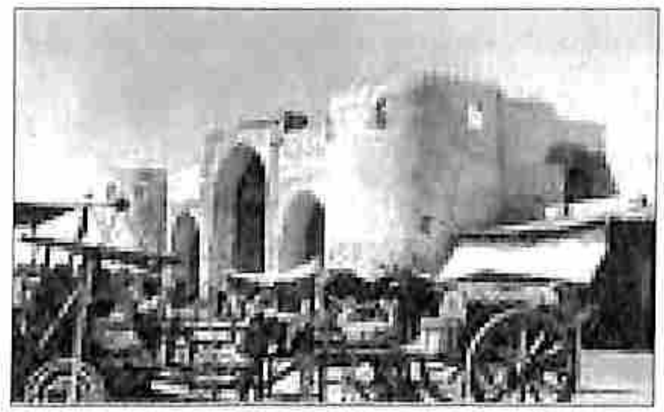


الرِحْلَةُ إلى المدِينَةِ المنوَّرَةِ
مُرُوراً بجُدَّةَ ورَابغ



[الانطلاقُ من مكّةَ المكرَّمةِ إلى جُدّة
٣/ ٢/ ١٣٢٨هـ = ١٤/ ٢/ ١٩١٠م]

توجّهتُ من مكّةَ المشرَّفة لثلاثٍ في شَهر ظَفر الخيرِ، سنة ١٣٢٨، إلى (بنْدر جدّة)، فوصلنا إليهَا بعَونِ الله يوم الاثنين.



أحد أبواب جدة القديمة عام ١٩٣٧م

وكان نزولُنا عندَ الصدْرِ المحترم، الشيخ أحمَد بن محفُوظٍ أبوالخيور، فقابلَنا كمالَ المقابلةِ، وأقمْنا عنده سبعةَ أيّامٍ.

وفي ليلةِ الأحَد، لعَله إحدَى عشَر في الشّهر الجارِي، توجّهْنا من (جُدّة)، في سنبوق محمُود عَاشُور، المسمَّى بـ(الحمْزاوي)، إلى (رابغ)، [/ ٢] وأخَذْنا في البحْرِ أربعةَ أيام، وذلك لعدَم هبُوبِ الرّياحِ.



صورة لسنبوق (زورق)

* * *

[رَابغ، وأميرُها ابن مِبَيريك]


الشيخ حسين بن مبيريك الغانمي الحربي

وفي اليوم الخامسِ وصَلنا إلى (رَابغ)، وكان نزولُنا عند المكرّمِ المحتَرم، حميدِ الأخْلاقِ والشيم، الشيخ حُسَينِ ابن مبيريك[1]، فأنزلَنا خيرَ منزلٍ، وأكرمَنا غايةَ الإكْرام، وفيه مِن الحماسَة والكرَمِ ما يتميز به عن أمثالِه. وهو رجلٌ من كبارِ قبائلِ حرب، من قبيلةٍ يقال لها زُبَيد، وفيه محبةٌ للإسلام، وغيرةٌ على الدين. ومصداقُ أوصَافِه ما يشْهَدُه القادمُ عليه، من غَيرتِه وحميته، حتّى أنه لا يوجَدُ في القرية التي هُو فيها، وهي (رَابغ)، من يبيعُ الأشْياءَ المنهوبة أو المسْروقةَ، من شدّة فحْصِه وتدقيقه، أدامَه الله بهذه الأوصَاف سَالماً معافى، وأقمْنا عندَه يومين.

[إلى المدينَة المنوَّرَة]

ثم توجّهْنا نحو المدينة المنورة، راكبين على الهوادِج، تحمِلُها العيسُ الرَّواسِمُ،

❋ تجِدُّ بُنا الأشْواقُ لا حَاديَ الركْبِ[2] ❋

---

(١) حسينُ ابن مبيريك، الغانمي الزبيدي المسْرُوحِي الحرْبي، أميرُ رابغ، ناهضَ ثورةَ الشريف حسين بن علي ضدَّ الدولةِ العثمانية، ولعِبَ دوراً هاماً في قطْع إمداداتِ الإنجليز لجيوش الثورة. اغتيل في مكة عام ١٣٣٦هـ. عن د. فايز البدراني الحربي. وقد ورد ذكره في رحلة السيد حسن الكاف التي قام بها سنة ١٣٣٠هـ، المسماة «الطرف الشهية»، وكان دخوله رابغ يوم الثلاثاء الثاني من ذي الحجة، وأثنى على ابن مبيريك بمثل ما ورد هنا: ص ١١٦.

(٢) في الأصل: تجذِبُنا، ولعل الصواب ما أثبت كما في «الدر المنظوم»: ص ٦٦.

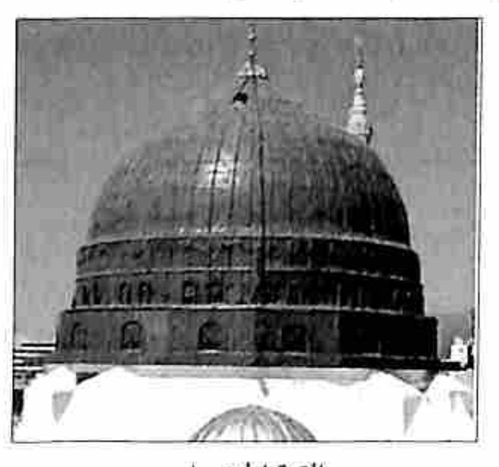
وذلك يوم الأحَد، لعلّه ١٧ ظفَر، وكانَ المسيرُ من طريقِ (سَطْح الغَاير)، وكانت مدّةُ السّفَرِ ستُّ مراحلَ من (رابغ).



صورة للمدينة المنورة أواخر العهد العثماني

ولما كان يومُ السبت، ٢٣ ظفر الخير، صباحاً، بدَتْ لنا أعلامُ طيبةَ الغَرَّاء، ولاحَتْ [/ ٣] للعُيون أنوار القبةُ الخضْراءُ.

فَرأينا أرْضَ الحبيبِ يَغُضُّ الـ ـطّرفَ منها الضياءُ واللألاءُ



القبة الخضراء

فأخذَنـا مـن الوجْـدِ مـا كادَتْ تطـير بـه الأرواحُ من أجْسَامها، وجَادَتِ العيونُ بدمُوعِها الغِـزارِ، فرَحاً بالدخُول إلى حَـضْرة النبيِّ المختار ﷺ، وغمَـر الـسرورُ جميعَ الفـؤاد، فقالَ شـاهدُ الحال:

هَجـمَ الـسُّرورُ عـليَّ حتّـى أنّه مـن عُظْمِ مـا قَـدْ سرَّني أبكَاني

* * *

[بير عُرْوَة]

فوصَلْنا إلى (بير عُرْوة)[١]، فتوضّأنا منْهَا، وكان البرْدُ في ذلك الوقْتِ شَديداً، ثم توجّهنا نمْشي الهوَيْنا، ودخَلْنا من (بابِ العنبرية).



بئر وقصر عروة بن الزبير

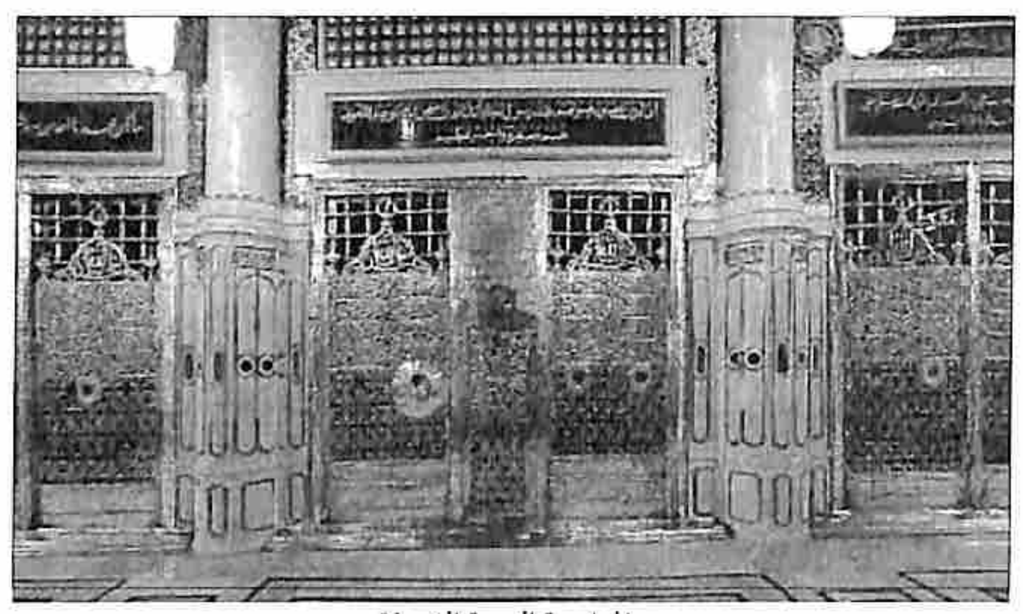
وكان نزولُنا في بيتِ السّيدِ الشّريفِ، العمِّ، صَافي بن عبد الرحمن الجفريّ العلَوي، والمذكورُ مسافرٌ في إسطنبولَ، فتلقانا ابنُه النجيبُ أحمد، وقابلَنا كمالَ المقابلةِ، فجزاه الله عنا أفضلَ الجزاء، فوضَعْنا الأمتعةَ عندَه في البيتِ في محلٍّ خاصٍّ بنَا.

* * *

(١) بئر شهيرة بالمدينة المنورة، كانت لعُرْوة بن الزبير، وبجوارها قصره، وماؤها موصوف بشدَّة العذوبة، كان أهل المدينة يستقون منها لشُرْبِ الولاةِ بالخصُوص.

[الرَّوضَةُ الشَّرِيفَة]

ثم تقدّمْنا للخرُوج إلى الحرَم النبوي، وصَحِبَنا المزوِّرُ بمقتضَى عادَة البلدة، فدخَلْنا منْ بابِ السَّلام بالأدبِ المستطاع، حتى قُمْنا أمامَ القَبرِ الشَّريف:



المواجهة النبوية الشريفة

فقرأْنَا السَّـلامَ أكْرَمَ خلْقِ الله ... مِـنْ حَيـثُ يُسْـمَعُ الإقْـراءُ [٤/]
وذهِلْنـا عنـدَ اللقَـاءِ وكَـم أذْ ... هلَ صَبًّـا من الحبِـيـب لقَاءُ

فلقَّنَنا المزَوِّرُ الزّيارةَ المتداولةَ بينهم، ثمّ إني في ذلكَ المقامِ استحْضَرتُ سيدي وحبيبي وشَيخي، وبابَ دخولي، العَارفَ بالله علي بن محمد بن حسين الحبشيّ، وجعلته أمَامي، ودخلتُ به في خطَابي وتَسْليمي على المصطفى ﷺ، وجعلتُه بابي في الدخُولِ، على حضْرَةِ الرسُولِ ﷺ. وزرتُ بزيَارةِ الشَّيخ (أبي البقاء) المشهورة، ثم صليتُ بالصلاة التي لسيدي علي وهي:

«اللهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ على سَيِّدِنا محمّدٍ أول متلَقٍّ لفيضِك الأوَّل، وأكرَمَ حَبيبٍ تفضّلتَ عليه فتفضّلَ، وعلى آلِه وصَحْبه، وتَابعِيهِ وحِزْبه، ما

دامَ تلقِّيه منكَ وتَرقّيه إليكَ، وإقبالُك علَيهِ وإقبالُه عليك، وشُهودُه لكَ وانطراحُه لدَيك، صَلاةً نشهدُكَ بها مِنْ مرآته، ونصِلُ بها إلى حَضْرتك من حضرة ذاته ، قائمين لك وله بالأدَبِ الوافر، مغمورينَ منكَ ومنه بالمدد الباطن والظاهر، آمين».

[زيارَةُ الصَّاحبَين، رضي الله عنهما]

ثمَّ أخَذْنا نحْوَ اليَمينِ، وسلمْنا على الصّاحبين الكريمَين أبي بكرٍ وعُمَر، رضيَ الله عنهما، ثم رجعنا تجاهَ الوجْه المباركِ، مقابلينَ (الكوكَبِ الدُّرّيّ) [/ ٥] الذي يقالُ: إنه عندَ رأسه ﷺ، فسَلّمْنا ، فدعوتُ بالدّعَاء المنسُوبِ لسيدي عليٍّ، وفتحَ الله بدعَواتٍ أُخرَ لم أعرِفْ سابقاً أني نطَقتُ بها، أرجُو الله القبولَ.

[زيارَةُ السيدَةِ فاطمةَ، رضي الله عنها]

ثم مشَينا قاصِدينَ ضريحَ السيدَةِ فاطمةَ الزهْراءِ[١]، رضي الله عنها، وقُمْنا تُجاهَ القَبرِ الشريف، فسلّمْنا علَيها، وحصلَ عندَها من الرِّقَّةِ والخشُوعِ ما يجدُه الأبناءُ عند مخاطبَةِ آبائهم، ودعونَا الله تعالى، ثم انصرَفْنا.

---

(١) أخرج ابنُ شبّةَ عن الإمام جعفر بن محمد، عن أبيهِ، قالَ: «دفنَ عليٌّ رضي الله عنه فاطمةَ رضي الله عنها ليلاً في منزلها الذي دَخَلَ في المسْجدِ، فقبرُها عند باب المسجدِ، المواجه دار أسْماء بنتِ حسين بن عبد الله بن عبيدالله بن عباس». ينظر: «تاريخ المدينة» لابن شبّة، ١/ ١٠٦.

[المهنّئونَ بالقُدومِ من أهْلِ المدِينَة]

فحضرَتْ صَلاةُ الظّهْر، فتقدّمْنا إلى الرَّوضَة الشّريفة، فصَلّينا الظُّهْر، ثم بعد الصلاةِ رجَعْنا إلى بيتِ السيدِ صافي، محلِّ النزول، فوصَلُوا إلينا أناسٌ جملةٌ من أهلِ المدينة للتهنئَةِ بالقدُوم، فمنهم: شيخُ السادةِ، السيدُ الصالحُ علَويّ بن أحمد بافقيه(١)، وأولاده(٢)، والسيدُ عليُّ بن عليِّ الحبشي(٣)، والسيدُ عبدُالله بن هَاشم الحبَشي، والسّادةُ آل البرزَنْجي، والشيخُ أحمدُ بنُ الشّيخ ظافِر، والسيدُ حسينُ بن محمّد السقاف، وابن الشيخ سُلَيمان العزَب، وجملةٌ، فاتّصلنا بهِمْ، وحصَل كمالُ الأنسِ بالاجتماعِ بهم.

[بابُ الرَّحمة]

ثم في اليوم الثاني خرَجْنا إلى الحرم الشريف، وكان الدُّخولُ من بابِ الرحمة، وكان [٦/] ذلك قبلَ الفجرِ، فزُرْنا قبلَ الصلاةِ، وجلسْنا ننتَظِر الصّلاةَ.

فصَلَّينا، وجلَسْنا في الرَّوضَةِ الشَّريفَة، على تِلاوة الأورادِ والصلاة على النبيِّ ﷺ.



باب الرحمة في الحرم النبوي

---

(١) شيخ السادة بالمدينة، توفي بالقدس الشريف سنة ١٣٣٣هـ.

(٢) كان له ولدان: حامد، وأبوبكر، توفي الأخير سنة ١٣٦٤هـ.

(٣) توفي بالمدينة المنورة سنة ١٣٥٤هـ. «الدليل المشير»: ص ٢٨٥.


صورة الشيخ يوسف النبهاني

[ملاقاةُ الشَّيخِ يوسُفَ النبْهَاني]

ثم بعْدَ طلُوعِ الشمْسِ قمْنا للخرُوج من المسْجد، فرأينَا الشيخَ يوسُفَ بن إسماعيل النبهانيَّ(١)، قائماً عند (بَاب الوفُود)، فقصَدْناهُ للسّلام عليه، فقابلَنا بأكمَلِ مقابلة، فتصَافَحْنا معه، فأبى إلا تقبيلَ الأيدِي وضَمَّها إليه، فأخذَ يسألُنا عن حالنا، وعن حَطِّنَا وتَرْحَالنا، وعن محلِّ نزُولنَا، فقالَ: إن شَاء الله أنَا أجيء إليكُم إلى البيتِ، ثم فَارقْناه وتوجّهنا إلى البيتِ.

فلمّا وصَلنا البيتَ، وصلَ إلينا الشيخُ يوسفُ المذكورُ، وفي صُحبته رَجلٌ جَبرتيّ، فقابلْناه وفرِحْنا به، وجلسَ معنَا جلسةً طويلة، فأخَذ يسألنا عن الأخَوين: سيدي حُسَين، وسيّدي عليّ.

ثمَّ قَال: وصولُكم هذا العامَ من حضرموت؟ فأجبناه: بنعم. فقَال: كيف حالُ سيدي الحبيب علي؟ فقلنَا له: بخيرٍ وعافية. فقالَ: أرجُو الله أنّ سيدي علي يذكُرني ويدعُو لي. فأخبرناه: أنّ الحبيبَ علِي لا يزالُ يذكرك [/ ٧] ويثني عليك.

فقالَ: الحمدُ لله على هذه النّعْمَة. ثمّ سَألني عنِ العمِّ أحمد بن حسَنِ العَطّاس(٢)؛ فأخبرتُه: بأنه كثيرُ الذكْرِ لكُم، ويثني عليكم بالثناء الحسَنِ، ففرِحَ كثيراً. ثُم قالَ لي: هل وصَل إلى سيدي الحبيبِ علي المؤلّفُ الأخير المسمّى «جواهر البحار»(٣)؟. فقلتُ

---

(١) توفي في بيروت سنة ١٣٥٠هـ. «الأعلام»: ٨/ ٢١٨.

(٢) توفي سنة ١٣٣٤هـ، وأفردت سيرته بالتأليف. «الأعلام»: ١/ ١١٣.

(٣) طبع في مجلدين كبيرين، من أربعة أجزاء، صدر في بيروت سنة ١٩١٦م.

له: وصَل إليهِ، ولكن بعد توجُّهي، لأني وجَدتُ كتاباً من بعْضِ الأحبابِ أخبَرَني بوصُوله ، وأن الحبيبَ علي فَرِحَ به كَثيراً، حتى أنه رأى في الكتابِ المذكُورِ نقْلاً عن «المواقف»[(١)] للسيدِ عبدِالقادر الجزائري[(٢)]، فأحبَّ أن تكونَ له منه نسخةٌ.

فأجَابني: بأنّ هذا الكتابَ لم يُطْبَع، ولكنه موجُودٌ في دمَشق الشّامِ عند أولادِ المؤلف[(٣)]. وحصلَ في المجلسِ كمالُ السرور، ثم رجَع إلى بيته.

[وصْفُ أيامِ المجاوَرة في المدِينة]

ثُمّ إنّا ولله الحمدُ كلَّ يوم نخرُج إلى المسجد النبوي، صباحاً ومساءً، ونطيلُ الجلوسَ في الروضَة الشريفة، علَى قراءة القرآنِ، وتكْرَار «الدَّلائِل»، وأدعيةِ سيدي عليّ حفظه الله، وقد نجتمِعُ في المسجدِ النبوي بأنَاسٍ من أهْلِ الله، العارفين به، ممن ينهضُكَ حالُه، ويرشِدُكَ مقاله، وسنبينُ ونذكرُ في هذه «الرحلة» من اجتمعنا [/ ٨] به منهُم، ونذكُر ما جرَى بينَنا وبينهم من المذاكَراتِ العلمية.

[حَديقة الصَّافيةِ]

وفي يوم من الأيام؛ خرَجْنا نحنُ والسيدُ أحمد الصَّافي، إلى بستانٍ لهم خارجَ المدينة، يقال لهُ (الصَّافية)[(٤)]. فجلَسْنا بها يَوماً كَاملاً على أنسٍ وبَسْطٍ، وكان بمعيتنا

---

(١) مطبوع في ثلاثة أجزاء، وهو في التصوّفِ والأذواق.

(٢) توفي سنة ١٣٠٠هـ، كان مجاهدا، ذا سيرة حافلة. ينظر: «الأعلام»: ٤/ ٤٥.

(٣) وهذا يثبت عدَم صحّة ادعاءِ البعْضِ أنه منتحلٌ للأمير عبد القادر.

(٤) هذه الحديقة كانت تقع جنوب المسجد النبوي، بقرب زقاق الجنائز، وكانت موصوفة بأنها من أعظم الحدائق التي داخل السورين، مطلع القرن الرابع عشر. ينظر: «وصف المدينة المنورة» لعلي بن موسى التركي: ص ٥٤. أما الصافية الموضع المشهور في كتب السيرة ومن المعالم القديمة للمدينة، فذلك في الحرة الشرقية، وكانت به أموال ليهود المدينة، ينظر: «وفاء الوفا» للسمهودي: ٤/ ٣٦١، وذهب المؤرخ إبراهيم العياشي إلى أنها أضحَت تسمى في العصر القَريب بالصّوافي. «المدينة بين الماضي والحاضر»: ص ٣٩٠.

رجلٌ أديبٌ، شَاعرٌ منشِدٌ، اسمُه: أسْعَد توفيق، وكان حسَنَ الصوت، فأنشد بقَصِيدتين. وفي تلك الحديقَةِ بركةٌ كبيرةٌ في صَدر المحلّ، وفيهَا من النخْلِ ما ينيفُ على خمسِمائة نخلَةٍ، وفيهَا من الأشْجارِ المثمِرَة بالفواكه، والأشجار المزْهِرة بالأزهَار الملونة. ثم في آخر النهار؛ توجّهنا إلى المسْجد النبويّ، وصَلَّينا به المغرِبَ والعشاءَ، وعُدْنا إلى البيت.

[قدوم السيد صافي الجفري من إسطنبول]

ثم بعْدَ عشَرة أيام من مجيئنَا، وصَل العمُّ المكرَّمُ صَافي من إسْطَنبول، فخرَجْنا إلى بابِ العنبريةِ لملاقاتهِ مع ابنِه أحمد، فوصلَ في سِكّةِ الحديدِ من طريق بيروت، مع السلامة، فتوجّهْنا إلى البيت، وورَد عليه أهلُ المدينة أفْوَاجاً أفواجاً يهنئونه بالوصُولِ.

ثم في اليومِ الثاني؛ صَباحاً، جلسْتُ معه مجلِساً خاصاً، وأخذَ يسْألني [/ ٩] عن سَيدي حُسَين، وسَيدي علي، وأولادِ الجميع. ثم تذكّرْنا معه ما مضَى من المجالسِ الحسنة، في حياة الحبيبِ عمر بن عبد الله الجفري[١]، وحياة سيدي الوالد، حينَ زارَ عام ألفٍ ومائتين وثمانين (١٢٨٠هـ)، وما كان في تلك المجالسِ من المذاكَراتِ والاجتماعاتِ، في تلك الزيارة التي زارها الوالدُ، وكذلك في حياة العمّ هاشِم بن شيخ[٢]، وفي حياةِ الشيخ محمّد العزَب[٣]، فذكرَها وهو يبكي. ثم سألته عن سنِّه؟، فقال: إني في المائة، أو جاوزْتُ المائةَ، وحواسُّه الخمسُ كاملةٌ، فسبحانَ المعمِّر.

والمذكُور عندَه كتبٌ كثيرةٌ[٤]، في كل فنٍّ من فنُونِ العِلم، وأطْلَعنا على بعضها،

---

(١) توفي بالمدينة سنة ١٢٨٩هـ.

(٢) من آل أحمد بن زين الحبشي، توفي بالمدينة سنة ١٢٩٥هـ.

(٣) توفي بالمدينة سنة ١٢٩٣هـ.

(٤) أوقف السيد صافي مكتبته على الحرم النبوي سنة ١٣٣٧هـ، وهذا دليل على تأخر وفاته إلىٰ هذه السنة. ينظر عن المكتبة: «أثر الوقف الإسلامي»: ص ٢١٨.

وانجرَّ إليها كتبُ الحبيبِ عمَر الجفري بعْدَ وفاته، وكان يخدِمُ الحبيبَ عمر الجفريَّ خدمةً تامة، حتى أنّه كانَ يحمله إلى المسْجد النبوي عند كِبَر سنِّه.

والمذكور أيضاً له عقَارٌ كثير في المدينة، وهو رجلُ حسَنُ الأخلاق، متواضِعٌ، لا يترك صَلاة الجماعة في الحرَم مع كِبَر سنه.

[مدْرَسةُ الشيخ مظْهَر النقْشبَندِيّ]

وفي يوم من الأيام توجَّهتُ إلى مدْرَسةِ الشّيخ محمد مظْهرٍ النقْشبَنديِّ[١]، للسؤالِ عن مصنفاتِ العَارفِ [/ ١٠] بالله، الشيخِ أحمد بن محمّدٍ القشاشيّ[٢]. فدخلتُ، فوجدْتُ فيها الشيخَ يوسفَ النبهانيَّ، ومعه رجلٌ من أهل الشام. فسلمتُ عليهِم وجلسْتُ، فسألني عن حالي الشيخُ يوسف. ثم أشارَ إلى ذلك الرَجُلِ الذي إلى جانبه، فقال له: هذا السيدُ من أهالي حضرموتَ، من السادة العلويين. فالتفت إليَّ وسألني عن حالي. ثم قال الشيخُ يوسفُ: هذا الرجل من علماء الشام، واسمه الشيخ حسَنٌ الأسْطُواني[٣]، فالتفتُّ إليهِ، وطلبت منه الدعاءَ، ثم جرَتِ المذاكرَةُ معَهم على أحسَنِ أسلوبٍ.

ثم إني ناديتُ مديرَ المدرسة، وسألته عن مصنَّفاتِ الشيخ أحمد القِشَاشيّ، فقال: لا يوجد عندنَا منهَا إلا كتابٌ واحِد، وهو «شَرح الإنسَانِ الكامل»[٤] فطلبته،

---

(١) أسسها الشيخ محمد مظهر النقشبندي، سنة ١٢٩٢هـ، في حارة الأغوات، بزقاق المواليد، الذي كان يطل على شارع الملك عبد العزيز المؤدي إلىٰ باب النساء. ينظر للمزيد: «أثر الوقف الإسلامي»: ص ١٣٠-١٣٣.

(٢) توفي بالمدينة سنة ١٠٧١هـ. ينظر «الأعلام»: ١/ ٢٣٩.

(٣) حسَنُ بن راغِب بن صالح، من خطباء الجامع الأموي بدمَشْق، وبها وفاته سنة ١٣٤٩هـ، روى عن الأخوين محمد الطيبِ ومحمد المبارك الجزائريين، روَى عنه العزُّوزي مفتي بيروت. عن: «تاريخ علماء دمشق»: ١/ ٤٤٧، و«معجم الأسر والبيوت الدمشقية»: ص ٥٣.

(٤) كتاب الإنسان الكامل، لعبد الكريم الجيلي، المتوفى سنة ٨٣٢هـ. وعليه عدة شروح، منها «حاشية»=

فأتَى به إليَّ في مجلدٍ ضَخْمٍ، فتأملتُه، فإذا هو كتابٌ نفيسٌ في بابِه، فسُبحانَ المعطي.

ثم إنها صَارت المذاكرَةُ بيني وبينَ الحاضرين، فسألني الشيخُ حسَن: عن الساداتِ العلويين وعن طريقتهم؟. فأخبرتُهم بما عندي. وكَان أيضاً في يدي مجموعٌ، وفيه رسالةٌ للوالدِ في «تَعْريف طريقَة السادة العلوية»(١)، فقرأتُ لهم منها [/ ١١] ما فيه الإفادَة.

ثم قلتُ لهم: إن سيدِي عليًا قال أبياتاً، وفيهَا التوصِيةُ لأولاده ومريديه، فلما وصلَ إلى تعريفِ طريق السادة العلوية، قال ذلكَ في بيتٍ واحدٍ، وهو:

وهَاهِيَ أعمالٌ خلَتْ عن شَوائبٍ   وَعلْمٌ وأخلاقٌ وكثْرَةُ أورَادِ(٤)

فاستحسَنُوا ذلك. ثم قال لي الشيخُ حسَن: أتحفْنَا من هذا المجْمُوع بشيءٍ.

فقرأتُ لهم في «الرشَفاتِ» نحواً من ثَلاثِ رشَفاتٍ. فطَربوا غايةَ الطربِ، ثم طابَ المجلسُ بالمذاكَرة في فنِّ الرشفاتِ، فكانَ الشيخُ له الذوقُ الكامِل، والمشربُ الصافي، والقِدْحُ المعلَّى، فأقبل غايةَ الإقبالِ بقلْبِه وقالَبه. ثم قال: عسى أن تجتهدوا في طبعِها. ثمَّ سألني: في أيِّ محل نازلين؟. فقُلت له: في بيتِ السيد صَافي. فقال: إن شاء الله أنا آتي إليكُم بكرةً.

فانتهى المجلسُ، فطلبَ مني الشيخُ يوسفُ أن أرتّبَ الفاتحةَ على قاعِدَة السلَف، فرتبتُ لهم الفاتحةَ، فجرَى اللسان بواردٍ عَجيبٍ، فبكيتُ وبكَى الحاضرُونَ، ودعَونَا الله، وقمْنَا جميعاً، فعُدنا إلى البيت.

=للقشاشي، ذكرها البغدادي في «هدية العارفين»: ١/ ١٦١. ومنها نسخة في مركز الملك فيصل بالرياض، بعنوان «شرح الأبوابِ الأربعةِ من الإنسانِ الكامل»، (رقم الحفظ: ب ١٧٦٤٨-١٧٦٤٩).

(١) واسمه: «العقود اللؤلؤية»، وسيأتي أن المؤلف طبعه في مصر في شوال من تلك السنة.

(٢) «الجوهر المكنون»: ص٦٨.

[زيارةُ الشّيخِ الأسْطُوانيّ للمؤلفِ]

ثم في اليوم الثاني وصَل إليَّ الشيخُ حسنٌ الأسطوانيُّ إلى البيت، ففرِحتُ به، ومعَه بعضُ [/ ١٢] إخْوانه، فتذاكَرْنا معه، فوجَدْناه بَحراً في العلمِ وله حافظة قوية، ثم سألَني عما كانَ معي من كلامِ سيدي عليٍّ، فأطلعته على المنْثُور منه والمنظُوم، فطرِبَ غايةَ الطرَبِ. ثم قالَ لي: كم بين جُدّةَ وبلادِ سيدي علي؟ فقلتُ له بقَدْرِ ذلكَ. فقال: أسألُ الله أن يجمعَني بهذا الحبيبِ، ويقدِّرَ لي الحضُورَ بين يديه. فقلتُ له: وما ذلك على الله بعزيز.

ثم انتهَى المجلسُ، ورجعَ الشيخُ حسَنٌ إلى منزلِه هو ومَن معه.

* * *

ولم أزلْ أجتَمعُ معَه ومع الشيخ يوسفَ النبهانيِّ في الحرَم الشريفِ، وبينَ الشيخ يوسُفَ والشيخِ حسنِ المحبةُ التَامة، والألفَة الكاملةُ، فكنْت أجتمِعُ معهما معاً، وغالبُ الاجتماعِ يكون عند (بابِ الوفُود)، لأنّا جميعاً نُصلي هناكَ، فتكونُ بينَنا وبينَهم المذاكراتُ النافِعة.

والشيخ يوسفُ له كمالُ المحبّةِ وحسْنِ الظن بأهل البيت النبوي، ويقولُ: «أنتم وَسيلتنا إلى الله»، وهو من المغرمين في محبّة النَّبيِّ ﷺ، ويقولُ: «ما أتمنّى إلا رؤيةَ الحبيبِ عليٍّ، والحبيبِ أحمدَ بنِ حسَنٍ». ولم نزل نجتمع مع المذكورين في الحرَم [/ ١٣] الشريفِ، وتارةً تجمَعُنا معَهم ضيافةٌ، وتارةً في مدارسِ الكتُب.

[تبادلُ الإجازةِ مع الشيخ النبهاني]

ثم إني قصَدْتُ الشيخَ إلى منزله، وزرتُه، فطلبَ منِّي إجازةً في أدعيةِ سيدي عليٍّ، وطلبَ مني أن أكتُبَها فكتبتُها له، وكتبتُ له إجازةً مختصَرة، وطلبتُ منه أن يجيزني فأبَى!. وقالَ: «الإجازة منكُم». ثم أنه أسعَفني بذلكَ بعْد الطلبِ الشديد، فكتبَها بخَطِّه، وهَاهي مثبتةٌ برمّتِها تبركاً بها.

إِجَازةُ الشيخ يوسفَ النبهَانيّ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

«الحمدُ لله بجَميع محامدِه، ما علمْنَا منهَا وما لم نعلَمْ، وصلّى الله وسلَّمَ وباركَ، بجَميعِ صلواته، وجميع تسليماته، وجميع بركاته، على سيد مخلوقاته، سيدنا محمد حبيبِه الأكرَم، وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد؛ فإنَّ أشرَفَ الخلقِ على الإطلاق بعد النبيين والمرسلينَ، هم ساداتُنا أهلُ البيت، رضي الله عنهم أجمعين، وكلُّ أفرادِهم وبيوتَاتِهم قد جمعوا مع مكَارم الأخلاق الكثيرة، من المناقبِ العلميّة والعمَلية، ما انفردوا به بين الأنَام، وحققوا به صحّةَ نسبتهم لسيدِ الأنام، عليه الصلاة والسلام، وأخصُّ منهم بالذكْر [/ ١٤] سَاداتنا آل أبي علَوي، أهل بلَاد حضْرَموت، ومنها تفرّعُوا وانتشروا إلى كثيرٍ من البلادِ القاصِية والدانية، لتشْملَ الجميعَ بركاتُهم في جميع الأنحاء، وليكُونوا أماناً لأهْلِها، كما قال ﷺ: «**أهْلُ بيتي أمَانٌ لأهلِ الأرْضِ، كما أن النجُومَ أمانٌ لأهل السماء**». وهذا البيتُ هو من أفضَلِ بيوتِ الأشْراف، في جميع الأطرافِ، ومن أفْضَلهم آلُ الحبشيِّ، رضي الله عنهم.

ومنهم سيّدي العالم العامِلُ، الكاملُ الواصِلُ، ذو الصّفات الجميلة، والمناقبِ الجليلة، الحبيبُ شيخٌ، ابنُ الإمام العلامةِ الشهيرِ، العَارفِ الخبيرِ النِّحْرير، المرحُومِ الحبيبِ محمد بن حسين الحبشي، والدِ هَذه الثلاثةِ الأقْمار الذين تُشْرق الدّنيا ببَهْجتهم، وهم سَادتُنا: الحبيبُ حسينٌ المقيمُ في مكّة المشرّفة، والحبيبُ عليٌّ المقيمُ بحضرموت، والحبيبُ شيخٌ هَذا، وكلّهمْ من الأعلامِ الذين عَمَّتْ بركَتُهم المسْلمين والإسلام.

وقد جمعَني الله منهُم بالحبيب حسينٍ منذُ سنواتٍ في بيروت، وحصَلتْ بيني وبين الحبيبِ عليٍّ المكاتبةُ، واطّلعتُ من آثارِه، وفَصيح [/ ١٥] أشْعارِه، وطيبِ أخبَاره،

ومعارفِه الإلهية، ونفَحاته النبوية، ما تحققْتُ من بعْضِه، فضلاً عن كلِّه، أنه بركةُ الزمانِ، وفرْدُ أهلِ العِرْفان، فوقَع في قلبِي له من المحبّة مَا لا يمكِنُ شرْحُه بقلَمٍ ولا لسَانٍ.

وأما ثالثهُم؛ سيدي الحبيبُ شيخٌ، فقَدْ منَّ الله عليَّ، ولَه الحمدُ والمنّة، بالاجتماع به في هذا العَام ١٣٢٨، في شهر ربيعِ الأول، في المدينة المنورة، وحصلَ لي به الأنسُ التامّ، واستفدتُ من حَاله وقاله، وعلمِه وعمله، فوائدَ جمةٍ، وهو في سِنِّي، ولادتُه سنة ١٢٦٥ هجرية، كما أخبَرني بذلك.

ومن تواضُعِه، طلبَ منّي أن أجيزَه بمؤلَفاتي ومرويّاتي، وامتنعْتُ لأنه أفضَلُ وأكملُ منّي، من كلِّ الوجُوهِ بلا شَكٍّ، وكرّر ذلك، فكرّرتُ الامتناع، إلى أن ألزمني بذلكَ أمسِ، ليلةَ الجمُعة عند صلاة المغربِ، في الروضَة الشريفة في المسْجِد النبويِّ، من الجهَة المتصلة بحُجْرَة جدِّه الأعْظَم ﷺ، فلَمْ يسَعْني إلا طاعتُه، وإن كانتِ الإجازَةُ من مثلي لمثلهِ لا تخلُو عن سُوءِ أدبٍ [/ ١٦]، وسَهّل عليَّ ذلك أن الكبارَ قد يرْوُون عنِ الصّغار، كما روى ﷺ عن تميمٍ الداريِّ بعْضَ الأخبار. **فأقولُ**، امتثالاً لأمره:

قد أجَزتُه بجميعِ ما اشْتَمل عليه ثبتي «هادي المريدِ إلى طرُقِ الأسانيد»، من مؤلفاتي ومرويّاتي، وما رزقَني الله بعدَ طبعِه من المؤلفات والمرويّاتِ، وآخر ما طُبعَ منها الآنَ: كتابي «جواهرُ البحَار في فضَائل النبيِّ المختار ﷺ» ، وهو مجموعٌ لا نظيرَ له في بابِه، كما أن «المجمُوعةَ النبهانية في المدائحِ النبوية» لا نظير لها في بابها، ولا ينبَغي أن يخلُوَ منها بيتُ مسلمٍ محبٍّ لسيدِ الوجود ﷺ، ووصِيَّتي له: أن لا ينسَاني من صالحِ دعائه، رضي الله عنه وعن جميع أقربائه، آمين.

حرر في المدينة المنورة

صباحَ يوم الجمُعةِ، في ٣٠ من ربيع الأول سنة ١٣٢٨

«كتبها بخطّه الفقيرُ يوسُف النبهاني».

[في مَسْجدِ قُبَاء]

ثم في يوم من الأيام، توجهنا إلى قُباء، لزيَارة مسْجد النبي ﷺ، فرَكبْنا على عربيةٍ يجرُّها بَغلٌ، حتى وصَلْنا إلى المسْجدِ المشهور، فصلّينا فيه [/١٧] ركعتَين، ودعونَا الله تعالى.



صورة قديمة لمسجد قباء

❊ ❊ ❊

[نزهةٌ في حدِيقَة الصُّفَيّة]

ثم توجّهْنا من المسجدِ المذكُور إلى محلٍّ قريبٍ منه، فيه بيت السيد عبد الله بن هاشم الحبشي[(١)]، بدَعْوةٍ منه لنَا، فدَخلنا إلى حَديقته المشْهُورة، المعرُوفة بالصُّفيَّة، والبيتُ في وسَطِها، وجلسْنا عندَه ذلك اليومَ مع الأنسِ الكامل، والضيافة الحسنَة، وهو سليمُ الصّدْر، خفيفُ الرّوح. ثم بعد صلاةِ العَصْر توجّهنا من عنده، فوصَلْنا قريب المغربِ إلى البلَدِ، فقصَدْنا المسْجِدَ النبويَّ وصَلّينا فيه المغْرِبَ والعِشاءَ.

---

(١) لم أقف على ترجمته. أما أخوه علي زين العابدين فتوفي بالمدينة سنة ١٣٢٢هـ.

[زائِرٌ من السُّودانِ]

وفي أثْنَاءِ تلكَ المدَّة في المسْجدِ، كانَ إلى جانبي رجلٌ من السّودانِ مستغرقاً في الصَّلاة على النّبيِّ ﷺ، فالتفتَ إليَّ وتبسّمَ، وقال: أنتَ تحبُّ الصالحينَ. فقلتُ له: نعَم. فقال: إنّ هُنا رجلٌ منَّا، من بلادِ السودان، هُو مِن أولياءِ الله، إن شَاء الله تَراه. ثُمَّ قالَ: وأنا أعطيكَ، إذا كانَتْ لكَ حاجةٌ قُلها، فإني أخَذْتُها عن الخضِر، وهي: «يا سيّدي، يا نِعْمَ المجِيب»، اثنَي عشَر ألفاً.

فقلتُ: ما اسْمُك؟ **فقالَ**: اسْمي أحمدُ الأمين التيجاني [١٨/].

[في كتُبخَانة شَيخِ الإسْلامِ عَارِفْ حِكْمَتْ]

ثم إني في يوم من الأيّامِ، وصَلتُ إلى مَدْرسة كتُبخانة شيخِ الإسْلام، فدخلتُ، فقابلَني المديرُ، وأَجْلَسَني، وناولني الفِهْرِسْت[1]، فتأملتُها فإذا فيها من الكتُبِ الغَريبة العَجيبة، فطلبتُ منها البَعض.

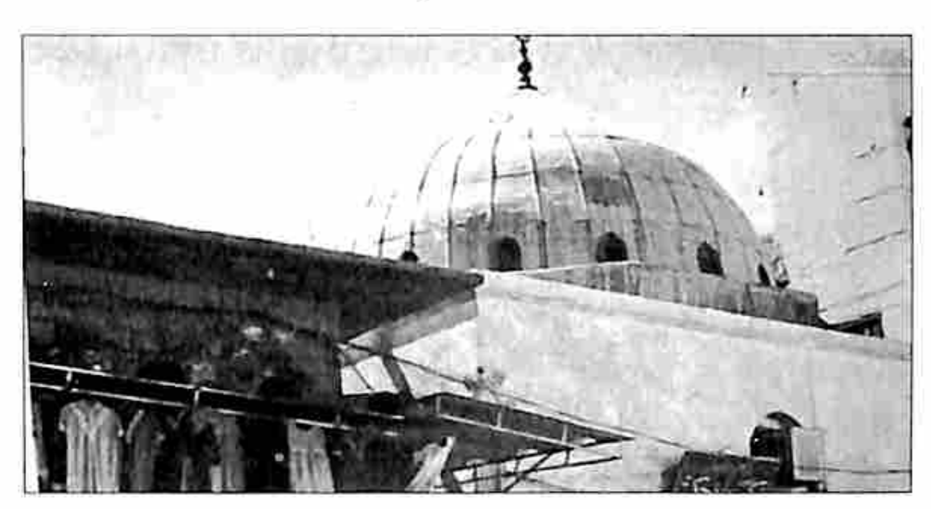


مكتبة عارف حكمت من الداخل

---

(١) فارسية معربة، تعني الكتاب تجمع فيه أسماء الكتب مرتبة بنظام معين ولحق يوضع في أول الكتاب أو في آخره يذكر فيه ما اشتمل عليه الكتاب من الموضوعات والأعلام أو الفصول والأبواب مرتبة بنظام معين. عن: «المعجم الوسيط»، مادة (فهرس).

ثم رأيتُ في أثناءِ الفهرِسْت كتَابَ «الإسْفارُ عن نتَائج الأسْفَار»(١)، للشيخ محيي الدين ابنِ عربي، فطلبْتُه من المدِير، فجاءَني به، ففتحْتُه وتأملته، فإذا هو كتابٌ نفيسٌ جِدًّا في بابِه، ذكَر فيه: أنّ الأسْفارَ ثلاثةٌ لا رابعَ لها، أثبتها الحقُّ تعالَى، وهي: سَفَرٌ من عندِه، وسَفرٌ إليه، وسَفرٌ فيه. إلى آخرِ مَا قالَ، رضي الله عنه، ونفعَنا به آمين.



قبة مكتبة عارف حكمت من الخارج

ثمّ طلبتُ كِتَابَ «العَرْف العَاطر في الكَلام على الخَاطر»(٢)، للحبيب عبدِالرحمن بن مصْطَفى العيدَرُوس، وهو على نمَطٍ حسَنٍ في ترتيبه، وفيهِ استطراداتٌ، أوردَ فيه حَديثاً عن أبي هلالٍ الصحابي رضي الله عنه: أن رسُول الله ﷺ: كان إذا قرأَ هذه الآية ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ وقفَ، ثم قال: **«آتِ نفْسي تقْواهَا، أنت وليُّها ومَولاها، وزكِّها أنتَ خيرُ من زكَّاها»**(٣) [/١٩]. ثم قال الحبيبُ عبدُالرّحمن:

---

(١) وقد يطلق عليه «كتاب الأسفار»، منه نسخ عديدة، ورقمه في مكتبة عارف حكمت (٦ تصوف)، كتبت هذه النسخة سنة ١٢٤٤هـ. ينظر: «الشيخ الأكبر»: ص ١٤٣-١٤٤.

(٢) وقد اطلع عليه سنة ١٣٣٠هـ، السيد حسن بن عبد الله الكاف، كما في رحلته: ص ١١١؛ وطبع حديثاً سنة ١٤٢٤هـ، وصدَر عن مركز النور للدراسات بتريم.

(٣) العرف العاطر: ص ٧٣. والحديثُ فيه من رواية أبي هريرة لا أبي هلال أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة»: ١/ ١٤٠ (حديث ٣٢٠).

«فهو ﷺ معَ كمالِه كانَ يهتمُّ بأمْر النفْسِ، لما رأى وقوفَ الفلاحِ على تزكيَتِها»، ثم قالَ: «ولم يكُن تزكِيتُها له بنفْسِه، بلْ بربِّه، بإفاضَة التقْوَى عليه»[١]، انتهى.

[زيارة المؤلفِ للشَّيخ محمّدٍ العزيز التّونُسي]

وفي يوم السبْتِ لعله ثمان الجاري؛ وصلتُ إلى المكرَّم العَالم المثري، عبد العزيز الوَزيري المغْرَبي[٢]، وحضَر ذلك المجلِسَ الشيخُ عبدُالقادر الطرابلسيّ[٣]، والشيخُ يوسُف النبهاني، والشيخُ حسنٌ الإسطوانيُّ، وغيرهم.

وهو مالكيُّ المذهبِ، وهو من المشْهُورينَ في المدينةِ باقتناءِ الكتُبِ النفيسَة وحفْظها وإعَارتها، فطلبْنَا منه «الفِهْرِسْت» حقّ الكتبِ الموجُودة[٤]، فرأينَا في الفهرِسْت من أسماءِ الكتُب الغريبةِ شيئاً كثيراً، من جملتِها: «شرْح صَحيحِ الإمَام مسلم» للعَلامة الأُبِّي المغْرِبي[٥]، فطلبناهُ، فأتيَ إلينا بجُزءٍ منه، فإذا هو كتابٌ حَافل،

---

(١) المرجع السابق: ص ٧٣.

(٢) هو محمد العزيز بن محمد الحبيب بن محمد الطيب ابن الوزير محمد بن محمد بو عتور الصفاقسي التونسي، وزير، من العلماء الكتّاب. أصله من صفاقس، مولده ووفاته بتونس. ولي الكتابة في حكومتها سنة ١٢٦٢هـ، فكان كاتبا خاصا لأسرار الملك. وكان عضدا لخير الدين التونسي حين وُلّي رياسة الوزارة، توفي سنة ١٣٢٥هـ. «الأعلام»: ٦/ ٢٦٨.

(٣) هو الشيخُ عبد القادر الشّلبي الطرابلسي، ثم المدني، كان ناظراً للمعَارف، تُوفي بها سنة ١٣٦٩هـ. «الأعلام»: ٤/ ٣٨.

(٤) وحديثا هناك فهرس لمحتويات هذه المكتبة، قام بإعداده مدير مكتبة الملك عبد العزيز بالمدينة المنورة، عبد الرحمن المزيني، منشور في مجلة عالم المخطوطات والنوادر، المجلد الأول، العدد الثاني، رجب-ذو الحجة ١٤١٧هـ/ يناير - يونيو ١٩٩٧م: ص ٢٦١-٢٩٧.

(٥) محمد بن خليفة بن عمر الأبي الوشناني المالكي، عالم بالحديث، من أهل تونس. نسبته إلى (أبة) من قراها. ولي قضاء الجزيرة، سنة ٨٠٨هـ، توفي سنة ٨٢٧هـ. «الأعلام»: ٦/ ١١٥.

قالَ في أوّلِه: «جمعتُ فيه الشروحَ الأربعة، شرْحَ الإمام النووي، وشرحَ القاضي عياض، والمعْلِم للمازري، والمفْهِم للإمام القرطبي»[١].

ورأينَا عندَه «شَرْح مواقعِ النجُومِ» للإمام الدّامُوني[٢]. ورأينا عنده «الحلَل [/ ٢٠] السندسية في المقامَاتِ الأحمديّة» لأحَدِ عُلَماء المغرِب[٣]، جعلَها على نمَط «مقَامَاتِ الحريريِّ»، ولكنه جعلَها في الحضْرة المحمدية على تَرتيبٍ حسَنٍ، وَودِدْتُ أن أنقلَ مَقامةً منها، ولكن ما وَجدتُ فرْصَةً.

وبقينَا معَ الحاضِرين في مذاكرةٍ حسَنةٍ، ثم خَرجْنا من عندِه.

[من كتُبِ التصَوُّفِ]

ثم إني كنتُ في بعْضِ الأيام؛ جالساً في المسْجد النبويّ في الرَّوضَةِ الشَّريفة، فإذا برجُلٍ إلى جَانبي، وبيده كتابٌ، فقلتُ له: ما هذا الكِتَابُ؟ فقَالَ: هذا «كتابٌ مِنَ الله سَبق»، فأخذتُه منه وفتحته، فإذا فيه:

---

(١) كما فيه زيادات من كلام شيخه ابن عرفة. ينظر: «الأعلام»: ٦/ ١١٥.

(٢) كتاب مواقع النجوم للشيخ ابن عربي، ألفه سنة ٥٩٥هـ، وطبع سنة ١٣٢٥هـ بمطبعة السعادة، ثم تكررت طبعاته، ومن شروحه: شرح للشيخ حسين الكردي (ت ١١٤٨هـ)، وشرح لعبد الله الصلاحي الرومي (حي سنة ١١٨٢هـ) منه نسخة في إستانبول (٣٣٤٤آق١-٦٩٥) كتبت سنة ١١٨٥هـ. وينظر: «الشيخ الأكبر»: ص ٥٤١-٥٤٣.

(٣) مؤلفها الشيخ أحمد بن عبد الحي، حلبي الأصل، اقام في فاس وتوطنها إلىٰ وفاته سنة ١١٢٠هـ، «الأعلام»: ١/ ١٤٤. فرغ من هذه المقامات سنة ١٠٩٤هـ، كما في «إيضاح المكنون»: ١/ ٤١٨. منه نسخة الرباط بالمغرب (٢٦٥ د)، ونسخة ثانية في الخزانة العلمية الصبيحية، بسلا، المغرب، رقم الحفظ (٨١)، ونسخة ثالثة في دار الكتب الوطنيه، تونس، رقم الحفظ: (رقم التسلسل ٣٣٩).

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

«هذا كتابٌ من الله سبقَ، من قبلِ أن فتقَ ورتَق، ضَمّنتُه عَهْداً عَلى من صدَقَ وصَدَّق، ومِيثاقاً غليظاً على من حقّقَ وتحقّق، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ﴾، ﴿وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا وَقَدۡ جَعَلۡتُمُ ٱللَّهَ عَلَيۡكُمۡ كَفِيلًا﴾، ﴿وَبِعَهۡدِ ٱللَّهِ أَوۡفُواْ﴾. واعلمُوا يا أولي الألبابِ، أن لكلِّ أجلٍ كتابٌ، ولكلِّ عملٍ حسابٌ، ولكل سؤالٍ جوابٌ».

انتهت العبارَة. وفيه عباراتٌ جليلةٌ جداً، يعرفُها أربَابها، وهو [/ ٢١] من مصَنّفاتِ سيدي محمّد وفَا[١].

[إشَارةٌ وبِشَارةٌ]

وكنتُ ذات يوم جالساً أفكِّر، الله أعلَمُ، هلْ زيارتُنا هذِه مقبولةٌ أم لا؟ فإذا برجُلٍ يقولُ: مالي أراكَ في فكرَةٍ؟ أما سَمعْتَ قولَ الشاعر:

إذا لم نَطِبْ في طَيبةٍ عندَ طيِّبٍ ... به طيبةٌ طابَتْ فأينَ نَطيبُ

إذا لم يجبْ في حيِّه ربُّنَا الدُّعَاء ... ففي أيِّ حيٍّ للدُّعاءِ يجيبُ

فاسْتَبَشرتُ بذلكَ.

* * *

(١) يوجد في مصنفات الشيخ محيي الدين ابن عربي كتابٌ بنفس العنوان «كَونُ الله سبقَ قبلَ أن فتقَ ورتَق»، منه نسخ مخطوطة في كل من: مكتبة ولي الدين بتركيا (١٨٢٠)، ليدن (٢٠٣٩)، أوكسفورد (١/ ١٥٨)، عن: «الشيخ الأكبر»، للمالح: ص ٤٨٨، برقم (١١٠١).


صورة الشيخ محمد السمان

[زيارةُ الشيخِ محمّدٍ السّمان المدني]

ودخلتُ ذاتَ يوم على الشيخ المكرَّم، محمد السّمان(١)، أعرِف أباه أبَا الحسَن(٢) سابقاً عامَ ١٢٨٠. ففرحَ غايةً.

وطابَ المجلسُ بذكْر الحبيبِ المحبُوب ﷺ، ثم إنه أهدَى لي نسخةً من «وفاء الوفا» للسيد السمهودي(٣).

* * *


صورة السيد محمد بن حسين الحبشي

[قراءةُ المؤلفِ «سمط الدرر»]

وفي يَوم الاثنين المبارك، عشْرٍ في شَهر ربيع الأول، دعَانا السيدُ الفاضلُ عليُّ بن عليٍّ الحبَشي، أنا وابنَ أخِي محمّد بن حسين الحبشي(٤)، وعبد الله ابن فرَحَات، ودعَا جملةً من العلماء والفضلاء، وشيخَ السادة وأولادَه.

---

(١) قال عنه الشيخ عبد الستار الدهلوي: «حلو العبارة، وهو ملحوظ بين أهل المدينة، في غاية من اللطف والنباهة، ولد بمكة، ولزم طريق آبائه، اجتمعت به مرارا في داره، وهو قائم بوظائف الأوراد والأذكار والإرشاد»، عن: «فيض الملك المتعالي»: ٣/ ٢٠٢٢. [تظهر صورته، نقلا عن أحمد مرشد، ذكريات الأحبة: ١/ ٨٤]

(٢) أبو الحسن بن محمد بن أبي الحسن السمان ابن الشيخ عبد الكريم بن محمد السمان، القادري المدني. ذكره الشيخ عبد الستار الدهلوي، وقال عنه: «قام بالوظيفة وتربية الإخوان، ثم سافر إلىٰ الآستانة، ورجع إلىٰ مكة ثم إلىٰ المدينة، ومات بها وعمره لم يجاوز الثلاثين»، ولم يؤرخ وفاته، ومن عبارة المؤلف يتبين أنه توفي بعد سنة ١٢٨٠هـ. ينظر: «فيض الملك»: ٣/ ٢٠٢١.

(٣) السيد العلامة علي بن عبد الله، توفي سنة ٩١١هـ. وكتابه المذكور طبع أول مرة في مصر بمطبعة الآداب والمؤيد، سنة ١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م، في جزأين، عن نسخة مجهولة. ينظر: د. قاسم السامرائي، مقدمة تحقيق «وفاء الوفا»: ١/ ٧.

(٤) توفي سنة ١٣٤٦هـ. ترجمته في «الدليل المشير»: ص ٣٣٨، وصورته مأخوذة من ملحقات «فتح القوي»، الطبعة الثانية.

ثم إنّه طلبَ مني أن أقرأ صيغَة المولِد الذي للوالدِ عليّ، فقرأتّه في ذلك الجمع، فكان له موقعاً في القلوب، وحصلَ من السَّكينةِ والتؤَدةِ والخضوع، ما يُشْعِر بحضُور رُوحِه الشريفة ﷺ [/ ٢٢]، فاستحسَنه من حضَر، وكلٌ أحبَّ أن ينقُلَ منه نسخةً، وطلبوا منّي أن أجتهِدَ في طبعه، ثم أشرْتُ إلى الحادِي عبد الله فرحات، فأنشد بقصيدةِ سيدي الوالد علي التي مطلعها:

سَاجِعاتُ الـوُرْقِ أبكَـتْ مقْلَتَـيّ   أذكَـرتْـنـي زمَـنـاً في ربْـع مَـي[١]

فأعجِبَ بها الحاضرون، فقالَ الشيخ يوسف النبهاني: لا شكَّ أن هذا الكلامَ صادر عن ذَوقٍ ووجْدٍ.

[زيارَةُ شيخِ السّادة بالمدينة]

وفي يـوم الثلـوث المبـارك، ١١ ربيـع الأول؛ تشرفْـتُ بالوصُـول إلى حديقة السـيدِ الشريـف، نقيـبِ السّـادة الأشراف، علَويّ بن أحمـدَ بافقيه، وهـي تبعد عَنِ المدينة مسـافةَ عشر دقائق بالمشْي المعتدلِ، واجتمَعْنا بالسيدِ المذكور، وأولاده أبوبكر وحامد، وحضَر السـيدُ عليُّ بن علي الحبشي، والسـيد حسـينُ بن محمد السقاف، من أهل زاوية الحداد بمكة المشرفة.

فكان ذلك اليوم مغْمُوراً بالأنس والسرور، فلما طابَ المجلسُ بالمذاكَرةِ في الحضْرة النبوية، وفي أوليَاء الله العارفين، وجدْتُ [/ ٢٣] سروراً مع الحبيبِ المذكور وابتهاجاً، فطلبتُ منه الإجازةَ في شيءٍ من الأذكار تبركاً، فأجازَني في صِيغَةِ صلاةٍ على النبي ﷺ، وهو يرويها عن الحبيب عمر بن عبد الله الجفري، وهو يرويها عن رجُلٍ من علماء المغاربة العَارفين بالله. وهي هذه:

---

(١) «الجوهر المكنون»: ص٢٤٢، وهي قصائد الديوان.

«اللهُمَّ صَلِّ على سيدِنا محمّدٍ وعلى آل سيدِنا محمّدٍ، صَلاةً يعطِفُ بها قلبُه على قَلبي، ويمِدُّ بها سرُّه سرِّي، فيزولُ عيبي، وتنظُر بها رُوحي روحَه، حتى أشاهدَه بجميعِ أَجزاء ذاته، اللهُمّ حببْهُ لي وحببنِي له، وارفع الحجَابَ بيني وبينه، حتى أشاهدَه».

ثم يدعُو بما شاء. وقال السيدُ علَويّ المذكور: إنها مجربة لكل مُهِمٍّ، وأعظمها فائدةً لرؤية النبي ﷺ، يقرأها الإنسان عدد (٧٥) بعد صلاة ركعتين.

وأجازَني أيضاً في زيارةٍ لسيدنا الإمام علي زين العابدين رضي الله عنه وهي هذه:

«السلامُ عليكَ يا نُورَ النُورِ، السلامُ عليكَ يا مظْهَر الله، السلامُ عليك يا سرَّ هُوية الذاتِ، السلام عليكَ يا وُجْهَتي حينَ وجّهتُ، السلام عليكَ يا نورَ الله الأكبر [/ ٢٤]، وعلى خليفتكَ سيدنا أبي بكر، وسيدنا عمَر، وسيدِنا عثمان، وسيّدنا حيدَر، وعلى بضعتك سيدَتِنا فاطمةَ الزهراء ذاتِ الجمالِ الأبهَر، وعلى سيدنا الحسَنِ، وسيدنا الحسينِ، وأهل بيتكَ المطهَّر، وعلينَا معَهُم يا ذا الثناء الذي لا يحصَر».

ثم حضَّر كتابَ «شجَرة السادة العلوية»، فوضعْتُ أسماءَ أولادي، وأولادِ سيدي عليٍّ.

[قراءة المولد في المسجد النبوي؛ ١٢ ربيع الأول]

ولما كانَ يومُ الأربعاء، ١٢ ربيع الأول؛ صلّينا الصبحَ في المسْجدِ النبويّ، ثمّ لما كَان عندَ طلوع الشّمس اجتمعَ الناسُ في المسْجد النبويِّ لحضُور قراءةِ المولِد النبويِّ، فاجتَمعُوا في الحصْوة. وفيهم الأعيانُ من العلَماءِ ورؤساء البلدَة، وبينهم منصَّةٌ عظيمةٌ كالمنبر، فرقَى فوقها الموكَّلُ بقِراءَة «المولِد الشريفِ، والمسجدُ مغتصٌّ بالخلقِ، وعليهم من السَّكينة والخضُوعِ ما لا يعبَّر عنه.


أحد أبواب الحرم النبوي قديما

والمولد المذكُورُ، هو المشْهُور للبَرْزَنجِيِّ[١]، ويتناوبُ قراءتَه أربعَةُ أشخاص، ثم دعَوا الله بلسَانِ الجمع، والتأمينُ حاصلٌ من جميعِ الحاضرين، ثم انفضَّ الجمعُ، وتوجهوا لزيارة الحبيب الأعظم ﷺ، ووقعَتْ [/ ٢٥] زيارةٌ عظيمةٌ، ثم رجَعُوا إلى منازلهم ورجَعنا.

[ضيافة المولد، ورؤيا الزّائرِ المكّي]

ثم لما كان بعد الظهْر كنّا مدعُوِّينَ عند شخصٍ من المجَاورينَ بالمدينَة، لنا معه صحبةٌ قديمةٌ، اسمُه الشيخُ علي الشُّرَّتي. فتوجّهنا إليه، فوجدنا المحلَّ مزحُوم بالخلق، فطلبْنا منه أن يُرسِلَ ضيافتنا إلى بيتٍ من بيوتِ جيرانه، وهو السيد هاشِم مجاهِد[٢]، من أهالي مكة المشرَّفة الزائرينَ، فأرسلَ ذلك إلينا، وتقدّمنا إلى بيت السيد هاشِم المذكور ففرحَ بنا غايةَ الفرح، وأدخلَ علينا السرُور، ثمّ حضر العشَاءُ فأكلنا، ثم بعدَ الأكلِ أحضَر آلةَ الشاهي.

---

(١) هو السيد جعفر بن حسن، توفي بالمدينة سنة ١١٧٧هـ، «الأعلام»: ٢/ ١٢٣. طبع مرات، منها طبع حجر في مصر، سنة ١٢٩٨هـ، ثم في مطبعة شرف، سنة ١٣٠٧هـ، في (١٦ صفحة). «معجم المطبوعات»: ١/ ٥٤٩.

(٢) ولد بمكة سنة ١٣٠٣هـ، وطلب العلم بها على أعلام عصره، كالحبيب حسين الحبشي، والشيخ عمر باجنيد، ودرس في المدارس الأميرية بمكة، وكان مع أخيه السيد عبد الله من معاوني الشيخ عبد الله حمدوه في كتابه الشهير بمكة لتحفيظ القرآن الكريم، الذي كان قريبا من باب الزيادة في وقف السمان. توفي السيد هاشم في وقعة تربة في شعبان سنة ١٣٣٧هـ، وابن أخيه أحمد عبدالله مجاهد كان أول وكيل في وزارة الحج بالمملكة العربية السعودية، عن: «الدليل المشير»: ص ، و«الجواهر الحسان» لبيلا: ١/ ٣٣٤.

ثم قال: يا سادتي، الحمدُ لله هذا اليومُ ميمونٌ، إني في صباحِ هذا اليومِ حضرتُ المولد النبوي في المسجِد مع الجمْع العظيم، ثم إني رجَعتُ إلى البيتِ ونمتَ، فرأيتُ في المنام كأنّي وحبيبي شيخ، وحَبيبي محمد بن حسين، والشيخ عبد الله فرَحات[1]، في الطائف، وكأنّ الحبيبَ شيخ على رأسِه شالٌ أخضر، وكأنا عزمنا على المقيلِ في محلٍّ يقالُ له (هَضَبة عامر)، فأدركَ حبيبي شيخ تعبٌ قليل في الطريق، فصادفَنا رجلٌ [/ ٢٦] بدوي، فقالَ: لو استرحْتُم في الغَارِ الفلاني إلى أن ينقضي النهار، ثم تذهبون إلى المحلِّ المقصُود. ثم قلتُ: هنَا بستانٌ يسمَّى بالجال، هل لكم أن تدخلوا إليه؟. فقالَ حبيبي محمد: ومَن لنا به، فقلتُ: أنا.

ثم دفعتُ البابَ ودخلْنا البستان، فإذا هو نَضرٌ، لا أكاد أصفُه من حُسْنه، فلما توسطْنا دعَوتُ خُدَّامه، وقلتُ لهم: أعلِمُوا الشريفَ منصُور، صاحب البستان، بقدُوم الحبايب. فقالُوا: إنه في المسجد، وعندَه الحبيبُ عليُّ بن محمد الحبشي. فالتفتُّ فإذا في آخِر البستانِ مسجدٌ كبير، فدخلْنا جميعاً لملاقاةِ الحبيب علي، فلما دخَلناهُ وجدْنا الحبيبَ عليَّ قائم، فقال: هذا النبي ﷺجالسٌ في المحرابِ. وصفَةُ المحرابِ: كالمحرابِ العثماني الذي في المسْجدِ النبويّ.

فابتدرتُ إلى تقبيلِ يده ﷺ، وأخذتُ في البكاءِ لما وقعَ نظري عليه، حتى علا صَوتي، فقالَ كلماتٍ، فهمتُ منهَا ثلاثاً: قال: «هذا عليّ»، وأشارَ إلى حبيبي علي، وقال: «لا تخف»، وقال: «أخُوكَ بخير». وأما أنا ما تكلمتُ بكلمةٍ [/ ٢٧]، بل إني أبكي حتى سمعَ أهلي بكائي، فأيقظوني ويدي في يده ﷺ.

فقلنا له: الحمدُ لله؛ هذه رؤيا عظيمةٌ مبشِّرةٌ بكلّ خير، ثم خرجْنَا من عنده إلى المسجِد النبويِّ لأداءِ صلاةِ المغرب.

---

(١) توفي بمكة المكرمة في رمضان سنة ١٣٦٣هـ، كما في «كناشة السيد أبي بكر الحبشي».

[ضيافةُ الشّيخِ محمّدٍ الجبَرْتيّ]

وفي يوم السبْتِ؛ ١٥ ربيع الأول سنة ١٣٢٨؛ دعَانا للضيافة الشيخُ محمد الجبرتي[١]، وهو رجلٌ من الصالحينَ، من أهل الظن الحسَن، ودعا جملةً من العلماء، منهُم الشيخُ يوسُف النبهاني، وجملةً من أهل الشّام، وأناسٌ من أهل مصر من حفظَة القرآن، فطابَ المجلسُ، وأخذ كلٌّ واحدٍ من الحاضرين يبدِي ما عندَه من الأحاديثِ الحسنة، فذكرْتُ للحاضرينَ بعضَ أخلاقِ سلَفنا من السادة العلوية، وأنّ منهم بقايَا في العَصْر في جِهَة حَضْرموت، مثلَ، سيدي الوالدِ علي، وسيدي العمّ أحمدَ بن حسَنٍ العطّاس، والعم علوي بن عبد الرحمن السقاف[٢]، وغيرهم.

وتكلم الشيخُ يوسفٌ النبهاني، وذكَر من اجتمعَ به من العلماءِ والأولياء، ثم قالَ: اجتمعتُ منهم بالولي الصالحِ، الشيخ العُمَري، وهو من أهلِ (طرابلُس الشام)، له وقائعُ أحوالٍ غريبة [/ ٢٨]، وقد ترجمتُ له في كتابي «كرامات الأولياء»، وأثبتُّ له نحواً من أربعين كرامةً، منها ما كانَ لي، ومنها ما كانَ لغيري. فمنها: أني كنتُ أسمَعُ به، ولم ينشرح خاطري بالوصُول إليه، لأنه ليس من أهل العلْم حتى يؤخَذ عنهُ، ثم في بعْضِ الأيام سمعتُ أنه بدارِ أحَدٍ ممن أعرفُ، فعزمْتُ علىَ التوجّه إليه، فلما دخلتُ عليه صافحْته وجلسْتُ، فأخذ يتكلمُ على ما في خَاطِري من الأشياءِ التي لم يطّلِع عليهَا أحدٌ غير الله، فمِنْ ذلك اليوم اعتقدتُ فيه، وصرتُ أتردّد إليه. وهو جماليُّ الحالِ والمقام، وقد تُروَى كرامتُه بحضْرته فلا ينكر ذلك، رضي الله عنه ونفعنا به.

---

(١) ذكر السيد حسن الكاف في رحلته «الطرف الشهية»: أنه لقي بالمدينة الشيخ محمد كمل بن عبدالرحمن الجبرتي، وذلك في ذي الحجة ١٣٣٠هـ، فلعله هذا، ينظر: ص ١١٤.

(٢) من كبار الفقهاء، تولى القضاء في سيون، توفي أثناء رحلة المؤلف، في ٤ جمادى الأولى سنة ١٣٢٨هـ. «التلخيص الشافي»: ص ١٦٢-١٦٦.

ثم قدّم لنا الطعامَ صاحبُ المنزل، فطعِمْنا وانتشَرْنا، وخرجنا لصلاة العصر في المسجد النبوي.

[معَ زَائرٍ سُودانيٍّ آخَر]

واجتمعتُ برجلٍ من السُّودان، من بلدةٍ من نواحي الخرطوم، اسمه محمد عمر، وهو رجلٌ عظيمُ الحالِ، صاحبُ علمٍ وعملٍ، وعليه سكينةٌ، جرت بيني وبينه المذاكرةُ في الصَّالحين والعارفينَ بالله.

فقالَ: لي أخٌ من العارفين بالله، وقد حجَّ وزارَ نحو ثلاث مراتٍ [/ ٢٩]، ثم أخذ يصِفُه بأوصَافٍ عظيمةٍ، بلسان عذبٍ، فقال: إنّه كان كثير المحبة لرَسُول الله ﷺ، وله أربعةُ دواوينَ في مدْح المصْطفى ﷺ، وله كلامٌ في الحقائقِ، وله اجتهادٌ كبيرٌ في العمَل، وله كراماتٌ خارقة. ولمّا دخل المصريونَ بلدَهم بالحرْبِ، حصَل الحربُ والبطش من العساكر ، فأخذوا دواوينَ الشيخ الأربعَة، ورموها في النيل، ثم بعدَ ثمانيةِ أيام، وقد انتقلَ العسَاكرُ إلى جهةٍ أخرى، أمر الشيخُ بعضَ مريديه بالتفتيشِ على دواوينه في النيل، فوجدَها كأن لم يكُنْ بها شيءٌ، سالمةً، فسلمَها للشيخ رضي الله عنه.

ثم قالَ: وله غيباتٌ عظيمةٌ، يؤخذ فيها مدةً، فإذا أفاقَ يملي قصيدةً ارتجالاً، تارةً في الحضرة الأحدية، وتارةً في الحضرة المحمدية، وكان يقرأ «الدلائلَ» في عشر دقائق. وله أيضاً عمٌّ اسمُه ابن إدريس، وأبوهُ محمّد نصيح، وهو كثير الاجتماعِ بالنبي ﷺ يقظةً، وله حالاتٌ يتكلمُ فيها بلسَان الشطْح [/ ٣٠].

قالَ في بعْض الأحيانِ، شعراً:

أنا الجليسُ على العرْشِ المحيطِ كَما ... أحطْـتُ بالغيـبِ تفْصِيـلاً وإجمالاً

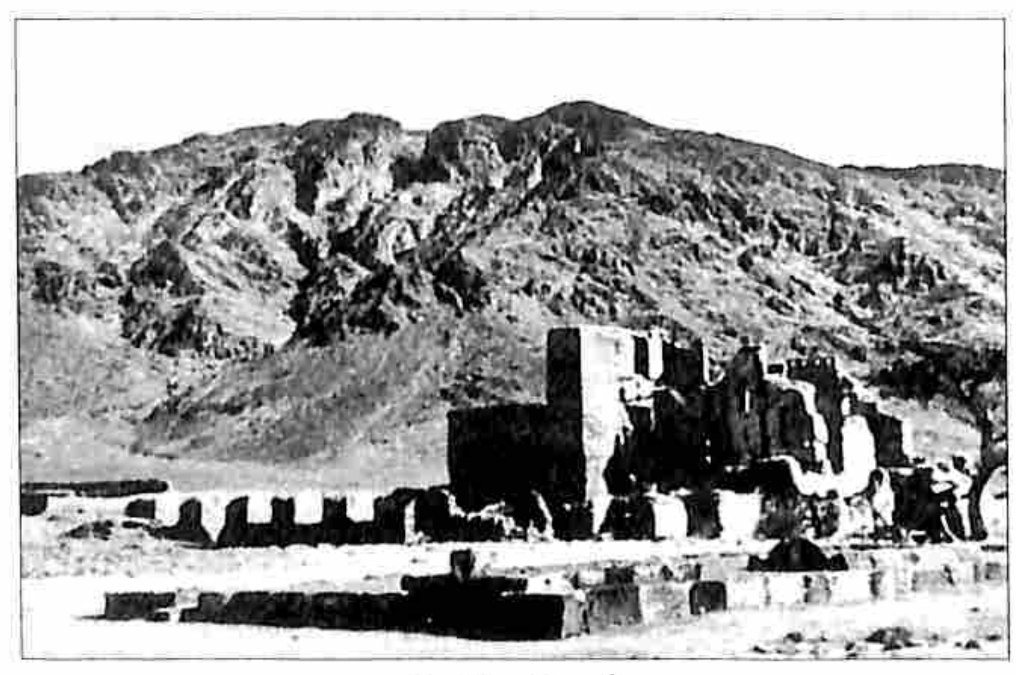
وقال في بعضِ الأوقَاتِ:

وإني المَثَـلُ الأعْـلى المقـَّدسُ عن ... شَـكلٍ وشِـبْهٍ وأنظَـارٍ وأمثَـالِ
ولي وراءَ الـوراءْ قَـدراً ومرتبـةً ... عَلْياءَ مـا خطرَتْ يوماً على البَالِ
العلـمُ في جنبِهـا جهْـلٌ ومغلَطةٌ ... وكلُّ شيءٍ لدَيهـا هالُـك الحـالِ

انتهى المجلسُ مع ذلك الرجل، ثم فارقَني، فلمْ أره بعد ذلك، حفظه الله وتولَّاه.

[زيارَةُ سيدِ الشّهداءِ؛ حمزة رضي الله عنه]

وفي يوم الربوع، لعله ١٩ شَهر المولد الكريم؛ أرَدْنا الخروجَ إلى زيارَةِ سيد الشهَداء سيدنا حمزةَ عمِّ المصطفى ﷺ، فأرسلَ إلينا العربيةَ السيدُ عبدُالله المدَني، وهو رجلٌ ثريٌّ، مع السَّخاءِ والأخلاقِ الحسنة. فركبْنا فيها، وهي تمشي على زَوجٍ من الخيل، فوصلنا إلى قُبّةِ سيدنا حَمزة، فَزرْنا، ووقعَتْ زيارةٌ عظِيمةٌ.



أحد وقبور الشهداء

[تلبيةُ دعْوَةِ مجَاورٍ من آلِ الشَّيخِ أبي بكْرٍ]

وكان خروجُنا للزيارةِ، ولدعوةٍ من السيد الفاضِل، عَليّ بن محضَار ابن الشَّيخ أبي بكر بن سالم، فبعْدَ انتهاءِ الزيارةِ تلقانا السيدُ المذكور، وأخذَنا إلى محلٍّ استعدَّهُ [/ ٣١] لنَا ولمن كان معَنا، مفرُوش بالفُرش الحسَنة، وقد دعَا جملة من الأعيان، والعلماء المجاورين، وأهلِ المدينة. فطلبَ مني أن أقرأ «مولدَ» سيّدي علي. فقلتُ له: لا بأسَ، فناولتُه أحدَ السادة المهَادلة المجاورينَ، فقرأه وحبَّره بقاعدةٍ حسنة، فانتهَت القراءة، وقرأنا الفاتحة، ثُمّ أضافَنا الضِّيافةَ الحسنة، ثم بعْدَ صَلاةِ العصْر رجَعنا إلى المدينة، وقصَدْنا المسجدَ النبويَّ لصَلاة المغرب.



[زيارَةُ شَيخِ «الدَّلائلِ»]

وفي اليوم الثاني، وهو ٢٠ ربيع الأول سنة ١٣٢٨هـ؛ توجّهْنا لزيارة السيد العالم المتواضع، السيد رضْوان البرزنجي، شيخ «الدَّلائلِ»[١]، فوجَدْناه في بيته، فقابلَنا كمالَ المقابلة، وحضَر المجلسَ جملةٌ من أهلِ العلم، وعندَه كتبٌ كثيرةٌ، رأينا منهَا كتاب «شَرْح جمع الجوامع» للإمام الزّرْكَشيِّ[٢]، وهو كتابٌ عظيمٌ في مجلدٍ ضخمٍ، فطلبنا منه الإجَازةَ في «الدلائل» فأجازَنا.



[كتُبٌ أخْرَى للشَّيخِ ابنِ عرَبي]

ثم إنا خرَجْنا من عندِه، فمررْتُ على شَخْصٍ آخر، على الانفِرَاد، فوجَدتُ

---

(١) شيخُ «الدَّلائل» في ذلك الوقتِ، هو الشيخُ محمد أمين رضوان، توفي سنة ١٣٢٩هـ. ينظر: «منحة الإله»: ص ٥٠٧ و«الدليل المشير»: ص ٤٢٠.

(٢) توفي الإمام محمد بن بهادر الزركشي الشافعي، سنة ٧٩٤هـ، «الأعلام»: ٦/ ٦٠. وهذه النسخة المدنية، موجودة الآن في مكتبة المسجد النبوي الشريف، (رقم الحفظ: ٣/ ٢١٦، رقم الحاسب: ١٢٠١)، وهي نسخة نفيسة، مكتوبة سنة ٨٨٥هـ، تقع في (١٩٦ ورقة).

عندَه كتباً كثيرةً، رأيتُ في بعضِها بيتينِ منسُوبينِ للشيخ محيي الدين ابن عرَبي.

وهي [/ ٣٢]:

سائلاً عَنْ عَقيدَتي ... أحسَنَ الله ظَنَّهُ

عَلِمَ الله أنها ... ﴿شَهِدَ الله أَنَّهُ﴾

وللعباس ابن الأحنَف[١]:

وحدثْتَني يا سَعدُ عنهم فزدْتَني ... شجُوناً فزدْني من حَديثكَ يا سَعْدُ

هواها هوًى لا يعرف القلب غيرَه ... وليسَ له قبلٌ وليسَ له بَعْدُ

ولمالكِ بن زَيدِ مَناة[٢]:

أوردَها سَعدٌ وسَعدٌ مشتَملْ ... ما هكَذا تُوردُ يا سَعدُ الإبِلْ[٣]

[مجلسُ إجازاتٍ مع السيدِ صافي الجفري]

وفي صبح يوم الجمعة، ٢١ ربيع الأول سنة ١٣٢٨هـ؛ بينما أنَا جالسٌ في المنزلِ، إذ دخل عَليَّ العمُّ صَافي، الذي أنا نازلٌ عندَه، وبيده مجموعُ رسائل وأورادٍ، من مجاميع الحبيب عُمَر بن عبدِالله الجفريّ، فناولني إيّاهُ، فتأملته فرأيتُ فيه إجازاتٍ متعددةً من ساداتِنا العلوية العارفين للحبيبِ عمر المذكور.

من جملتهم الحبيب عبد الله بن عمر بن يحيى[٤]، والحبيب عبد الله بن حسين

---

(١) من بني حنيفة، مات سنة ١٩٢هـ، كان رقيقَ الشعر. «الأعلام»: ٣/ ٢٥٩.

(٢) مالك بن زيد مناة بن تميم، من عدنان: جد جاهلي. كان سيدَ تميم في عصْره بديار مضر. ينظر «الأعلام»: ٥/ ٢٦١.

(٣) هذا البيت سائر، وهو مثلٌ شَهير. ينظر: «المستقصى» للزمخشري: ١/ ٢.

(٤) توفي سنة ١٢٦٥هـ.

بن طاهر(١)، والحبيبِ عمر بن طه البار(٢)، وغيرهم.

والعم صافي المذكور معه إجازةٌ من الحبيبِ عمر في جميع ما في «المجموع»، فطلبنا الإجازةَ من العمِّ صافي، فأجازنا بها فيه، وهو مشتملٌ على غالبِ أورادِ الحبيبِ عبد الله الحداد، وأوراد [/ ٣٣] الشاذلي، وأوراد الحبيب عمر البار.

وأجازنا العمُّ صافي المذكُور، في «مفتاح الإجابة» للحبيب عمر بن طه البار، وفي «يَا حفيظ» مكررّةً في السفر.



[أدعيةٌ للسَّفرِ عن بعْض المشَايخ]

وفي الدعاء الذي رواه الحبيب عمر الجفري عن أحدِ المشَايخ؛ يقرأ في السفر وهو هذا:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ



«الحمدُلله ربِّ العالمين؛ اللهُمَّ صلِّ على سيدنا محمّدٍ وعلى آله وصحبه وأزواجه، وعلى ذريتِه وعلَى أهلِ بيتِه. اللهُمَّ إني أسألكَ بحبك لسيدنا محمد ﷺ، وحُبِّ سيدنا محمد ﷺ لكَ، وبالسرِّ الذي بينكَ وبينه، أن تحفظني بحِفْظكَ، من كل عدُوٍّ وحاسِد، وأن تيسِّر لي يا جَوادُ، يا الله، وصلى الله على سيدِنا محمّدٍ ﷺ وعلى آله وصحبه وسلّم».

هذا الدعاءُ يقرأ بعدَ كلِّ صلاةٍ ثلاثَ مرات.

ولسَيدنا [أحمد بن] موسَى بن عُجَيل(٣)، في السَّفَر، يقرأ صباحاً ومساءً، وهو هذا:

---

(١) توفي سنة ١٢٧٢هـ.

(٢) توفي بعد سنة ١٢٥٠هـ، تنظر مشيخته وأسانيده في «عقد اليواقيت»: ١/ ٥١٩.

(٣) الإمام الكبير، توفي سنة ٦٩٠هـ.

«ربَّنا آتنا في الدنيا حسنةً، وفي الآخرَةِ حسنة، وقنا عذابَ النار، ربنا آتنا من لدنك رحمةً، وهيئ لنا من أمرِنَا رشداً. اللهُمَّ أسْعِدْني في هَذه الحركة، وأمدَّني باليُمْن والبرَكة، وقني سوء القدر، واكْفني وَعَثاء السفر، وأعنّي على طيِّ المراحِل، وقرب البعد والنوى، وسَهّل المبيتَ والسُّرَى [/ ٣٤]، واجعَلْ سَفري إلى صُنع حميد، وسيري إلى جَدٍّ سَعيد، واحفظْني واحفَظْ مخلَّفِيَّ، واجمع بيني وبينَهُم على أسرِّ حالٍ، وأنعَم بالٍ، يا أرحم الراحمين، وصلى الله على سيدنا محمَّدٍ وآله وصحبه وسلم».

[فائدة]

وفي المدينة المنورة؛ أخبرَني الشيخُ يوسف النبهاني: أنه يوجَدُ في الغرب كتاب اسمُه «الذَّخِيرَة» للشَّيخِ عَبدالمعطي[1]، وهو ستينَ مجلداً، منه يوجَدُ في المدينة بعضُ مجلداتٍ، وهو في مَدْحِ النبي ﷺ وفي الصَّلاةِ عليه.

---

(١) ذكر الكتاني أن اسمه: المعْطَى بن صَالح الشرْقي المغربي، المتوفى سنة ١١٨٠هـ. واسم الكتاب تامًّا: «ذخيرة المحتاج في الصلاة على صاحب المعراج». عن «إيضاح المكنون»: ١ / ٥٤٢.
منه نسخة في «خزانه القرويين»، بالمغرب، فاس، برقم (١٦٩٩). قال عنه السيد عبد الحي الكتاني«من أعظم الكتب التي فاقَ بها المغاربةُ على غيرهم، لأنها في نيفٍ وسَبعين مجلداً من القالب الكبير...، بإنشاء بديع وبلاغة فائقة، يفرغ السِّيرةَ النَبويّةَ في قالبِ صيغَة صَلاةٍ، وكل مجلدٍ أَو أكثَر من هذه المجلداتِ في موضُوع من مواضيع السيرة، فلَه في المعَراجِ سبع مجلدَات، وفي الحج والزيارة وأماكنها مجلدَات سبعة، وفي الشمائل النبوية سبعة أسفار أيضاً وسفر في المولد، وسفر في الوفاة النبوية، وسفر في النعال النبوية، وسفر في الأسماء النبوية، وسفر في الأعضاء النبوية، وهكذا. وقد اشتهر هذا الكتاب وانتشر فقلَّ أن تخلو خزانة بالمشرق والمغرب من جزء منه أو أجزاء، ويوجَد كاملاً في المكتبة المخْزَنية بفاس الجديد، أدخله لها السلطان المقدس أبو علي مولاي الحسن رحمه الله. وقد قرضه ومدحه أعلام عصر مؤلفه بالحجاز ومصر وتونس وغيرها من بلاد افريقية ...، وهذه التقاريض مجموعة في مجلد يعرف عند آل المترجَم بسِفْر الإجازاتِ، وهو سفر التقَاريض. وبالجملة؛ فكتاب «الذّخيرةِ» هذا كتاب عظيمٌ، من تأمله علم أن مؤلفَه كما قال فيه الشهابُ الجوهريُّ في تقريظِه: «امتزجت محبة النبي ﷺ بلَحْمه وعظمه وشعره وعروقه ودمِه»، انتهى، عن: «فهرس الفهارس»: ٢/ ٧٨٠.

[زيارةٌ وداعيةٌ للسيدِ علَويّ بافقيه]

ثم إنا خرَجْنا لصَلاة الجمعةِ في المسْجد النبويّ، فصَلّينا، وبعدَ الصلاة ذهبنا إلى بيتِ السيد الفاضِل، علوي بن أحمد بافقيه، شَيخ السادة، للاجتماع به، وللاستيداع منه، فوجدناهُ، فقابلَنا كمالَ المقابلة، ثم إنّا أخبَرناهُ بأن العزْمَ الجازمَ على السّفر غداً، يومَ السبتِ إلى (دِمَشْق الشام)، فتأسف على فراقنا وذلك لما صار بيننا وبينه من الألفة والمحبة.

ثم إنه في جلسَتنا معَه يذكر لنا من لقيه من العارفين بالله، وأهدَى لنا في ذلك المجلسِ شيئاً من تراب الحجرة الشريفة، وقالَ: إنه عندي من وقْتِ [/ ٣٥] عمارة الحجرة، عام ١٢٧٤، ثم قالَ: خذُوا هذا للتّداوي، ولا بأس به.

وأهدى لنا شيئاً من الطيب الصَّنْدلي، وقالَ: إنه مما يوضَعُ في كلِّ عام عند رأسِ المصطفى ﷺ، ومن السِّفنْجِ الذي تغسَلُ به الحجرة الشريفة، فجزاه الله عنا أفضل الجزاء.

[مجمُوعٌ فيه مِن نفَائسِ الكتُبِ في التصَوُّفِ]

ثم إني سألتُه: هل عندكُم شيءٌ من مصنفاتِ الإمام الشيخ أحمد القِشَاشي؟ فقالَ: عندي مجمُوعٌ أطلعُكم عليه. فأتى به فوجدتُه مجموعاً مشتملاً على خمسة مؤلفاتٍ؛ **أولها**: «النصوصُ» للإمام القِشَاشي[١].

والثاني: «زمام المهالك بتمام المناسك»، للشَّيخ أحمدَ الشِّنَّاوي[٢]، ألفه في يوم عرفاتٍ بعرفات، سنة ١٠١٨، وهو من مشَايخِ الشيخِ أحمد القِشَاشي.

---

(١) اسمه تاما: «النصُوص على مراتب أهل الخصوص». «إيضاح المكنون»: ٢/ ٦٥٢.

(٢) توفي الشيخ أحمد الشناوي بالمدينة سنة ١٠٢٨هـ، وله مصنفات كثيرة متفرقة في المكتبات، ترجمته في «خلاصة الأثر»: ١/ ٢٤٣، و«الأعلام»: ١/ ١٨١.

والثالثُ: «شَرحُ المشْكِلاتِ الإلهيّة» للشيخِ عبدِالقادر باعشِنْ[١].

والرابع: «عقلَةُ المسْتَوفز» للشيخِ الأكْبر[٢].

والخامسُ: كتابٌ في التصوفِ، مبسوطٌ.

فأعْجَبني هذا «المجموعُ»، فطلبتُه من السيد علَوي فأعطاني إيّاهُ، وهو وَقْفٌ. فجزاه الله عنّي أفضلَ الجزاءِ، ثم طلبْنا منه الفاتحةَ، واستأذنّا في الخروجِ، فقال: إن شاءَ الله أنا أحضُر غداً عندَ [/ ٣٦] البابور[٣]، أشيّعكم.

فخرَجْنا من عندِه، وتوجّهنا لزيارَة السيدِ الفاضلِ، علوي بن عبْدِالرَّحيم السقّاف[٤]، فاجتمَعْنا بهِ في بيتِه، وجلَسْنا عندَه، ووقعَتْ مذاكرةٌ حسنةٌ، وخرَجْنا من عندِه.

[لقَاءٌ مع الشّيخِ ألفَا هاشِم الفلّاتي]

ثم توجّهْنا للمسْجدِ النبويّ لأداءِ صَلاة المغربِ، فصلّينا المغربَ، ثم بعد صَلاة المغرِب بقيتُ في المسجد النبوي، فاجتمعتُ برجُلٍ من الصّالحين من أناسٍ

---

(١) صوابه: أحمد بن عبد القادر، توفي سنة ١٠٥٢هـ. طبع له «البيان والمزيد»، شرح متن للشيخ أبي مدين شعيب التلمساني، ينظر: «إيضاح المكنون»: ١/ ١٣٣.

(٢) ويسمَّى أيضاً «الإنسان الكامل»، أو «كتاب العقلة»، وغير ذلك. طبع بليدن هولندا بنعرفة المستشرق نيبرغ، وأعادت تصويره مكتبة المثنى ببغداد. ينظر للمزيد ولمعرفة نسخه الخطية: «الشيخ الأكبر»: ص ٣٣٠-٣٣٢.

(٣) البَابور، محرفةٌ عن وابور، تركية معرّبة، دخيلةٌ من الإيطالية (Vapore)، أصل إطلاقها على الباخرة، ثم توسَّعُوا وأطلقُوها على كل آلة بخارية. «الدخيل»: ص ١٤٧.

(٤) من آل عقيل بن سالم، أخي الشيخ أبي بكر بن سالم. توفي سنة ١٣٤١هـ. ينظر: «منحة الإله»: ص ٤٢١، و«إدام القوت»: ص ٩٧٤.

[زيارَةٌ وداعيةٌ للسيدِ علَويّ بافقيه]

ثم إنا خرَجْنا لصَلاة الجمعةِ في المسْجِد النبويّ، فصَلّينا، وبعدَ الصلاة ذهبنا إلى بيتِ السيد الفاضِل، علوي بن أحمد بافقيه، شَيخ السادة، للاجتماع به، وللاستيداع منه، فوجدناهُ، فقابلَنا كمالَ المقابلة، ثم إنّا أخبَرناهُ بأن العزْمَ الجازمَ على السّفر غداً، يومَ السبتِ إلى (دِمَشْق الشام)، فتأسف على فراقنا وذلك لما صار بيننا وبينه من الألفة والمحبة.

ثم إنه في جلسَتنا معَه يذكر لنا من لقيه من العارفين بالله، وأهدَى لنا في ذلك المجلسِ شيئاً من تراب الحجرة الشريفة، وقالَ: إنه عندي من وقْتِ [/ ٣٥] عمارة الحجرة، عام ١٢٧٤، ثم قالَ: خذُوا هذا للتّداوي، ولا بأس به.

وأهدى لنا شيئاً من الطيب الصَّنْدلي، وقالَ: إنه مما يوضَعُ في كلِّ عام عند رأسِ المصطفى ﷺ، ومن السِّفنْجِ الذي تغسَلُ به الحجرة الشريفة، فجزاه الله عنا أفضلَ الجزاء.



[مجمُوعٌ فيه مِن نفَائسِ الكتُبِ في التصَوُّفِ]

ثم إني سألتُه: هل عندكُم شيءٌ من مصنفاتِ الإمام الشيخ أحمد القِشَاشي؟ فقالَ: عندي مجمُوعٌ أطلعُكم عليه. فأتى به فوجدتُه مجموعاً مشتملاً على خمسة مؤلفاتٍ؛ أولها: «النصوصُ» للإمام القِشَاشي[١].

والثاني: «زمام المهالك بتمام المناسك»، للشَّيخِ أحمدَ الشِّنَّاوي[٢]، ألفه في يوم عرفاتٍ بعرفات، سنة ١٠١٨، وهو من مشَايخِ الشيخِ أحمد القِشَاشي.

---

(١) اسمه تاما: «النصُوص على مراتب أهل الخصوص». «إيضاح المكنون»: ٢/ ٦٥٢.

(٢) توفي الشيخ أحمد الشناوي بالمدينة سنة ١٠٢٨هـ، وله مصنفات كثيرة متفرقة في المكتبات، ترجمته في «خلاصة الأثر»: ١/ ٢٤٣، و«الأعلام»: ١/ ١٨١.

والثالثُ: «شَرحُ المشْكِلاتِ الإلهيّة» للشيخِ عبدِالقادر باعشِنْ[١].

والرابع: «عقلَةُ المسْتَوفز» للشيخِ الأكْبر[٢].

والخامسُ: كتابٌ في التصوفِ، مبسوطٌ.

فأعْجَبني هذا «المجموعُ»، فطلبتُه من السيد علَوي فأعطاني إيّاهُ، وهو وَقْفٌ. فجزاه الله عنّي أفضلَ الجزاءِ، ثم طلبْنا منه الفاتحةَ، واستأذنّا في الخروجِ، فقال: إن شاءَ الله أنا أحضُر غداً عندَ [/ ٣٦] البابور[٣]، أشيّعكم.

فخرَجْنا من عندِه، وتوجّهنا لزيارَة السيدِ الفاضلِ، علوي بن عبْدِالرَّحيم السقّاف[٤]، فاجتمَعْنا بهِ في بيتِه، وجلَسْنا عندَه، ووقعَتْ مذاكرةٌ حسنةٌ، وخرَجْنا من عندِه.

[لقَاءٌ مع الشّيخِ ألفَا هاشِم الفلّاتي]

ثم توجّهْنا للمسْجدِ النبويّ لأداءِ صَلاة المغربِ، فصلّينا المغربَ، ثم بعد صَلاة المغرِب بقيتُ في المسجد النبوي، فاجتمعتُ برجُلٍ من الصّالحين من أناسٍ

---

(١) صوابه: أحمد بن عبد القادر، توفي سنة ١٠٥٢هـ. طبع له «البيان والمزيد»، شرح متن للشيخ أبي مدين شعيب التلمساني، ينظر: «إيضاح المكنون»: ١/ ١٣٣.

(٢) ويسمّى أيضاً «الإنسان الكامل»، أو «كتاب العقلة»، وغير ذلك. طبع بليدن هولندا بنعرفة المستشرق نيبرغ، وأعادت تصويره مكتبة المثنى ببغداد. ينظر للمزيد ولمعرفة نسخه الخطية: «الشيخ الأكبر»: ص ٣٣٠-٣٣٢.

(٣) البَابور، محرفةٌ عن وابور، تركية معرّبة، دخيلةٌ من الإيطالية (Vapore)، أصل إطلاقها على الباخرة، ثم توسَّعُوا وأطلقُوها على كل آلة بخارية. «الدخيل»: ص ١٤٧.

(٤) من آل عقيل بن سالم، أخي الشيخ أبي بكر بن سالم. توفي سنة ١٣٤١هـ. ينظر: «منحة الإله»: ص ٤٢١، و«إدام القوت»: ص ٩٧٤.

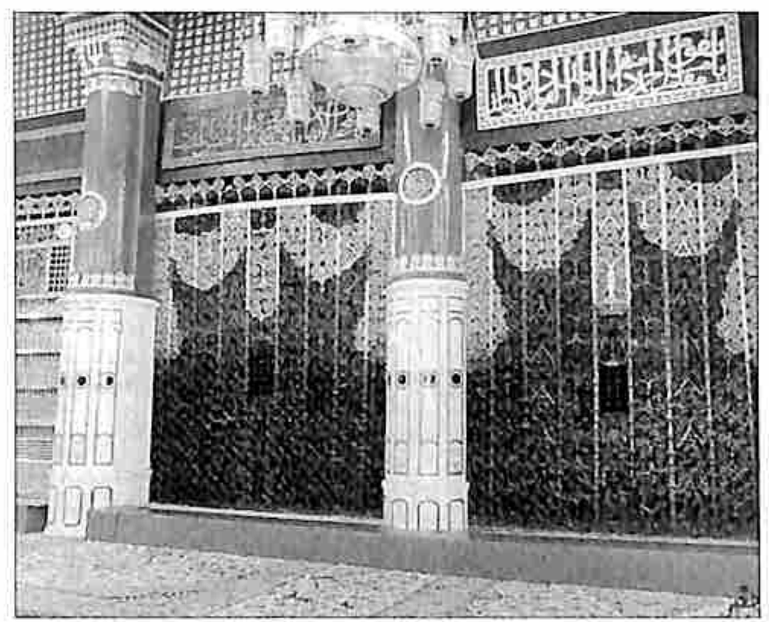
يقال لهم الفَلاتيَة، اسمه محمّدٌ الهاشمي(١)، فتكلمتُ معَه، فوجدتُه عالماً عاملاً، ثم قال لي: إن طريقتي تيجانية سَمانية، ثم قلتُ له: ارْوِ لي شيئاً أرْويهِ عنكَ، فكتب لي صيغةَ صلاةٍ على النبي ﷺ، ثم ودَّعتُه.

[زيارةٌ وداعيةٌ للحَرم الشّريفِ]

وقمتُ تُجاهَ القبر الشَّريفِ من جِهةِ (سَارية الحرَس)، وهي المشْهُورة (بسَارية سيدِنا عليٍّ ابن أبي طالبٍ كرم الله وجهه ورَضيَ عنه)، وزرتُه ﷺ وأنَا حزينُ الفؤادِ، باكي العين على فِراقه ﷺ، ورَجعتُ إلى المنزل. وبتُّ تلكَ الليلةَ لم أتهنّأ مَناماً، لأني عازمٌ على التوجه غداً، ومضى عليَّ الليلُ وأنا أتقلبُ على الفراشِ كأني على جَمرِ الغَضَا حُزناً على [/ ٣٧] فراقِ سيّدي وحبيبِي محمّدٍ ﷺ ورَوضَتِه الشريفة، ومَآثرِه المنيفَة.

ثم إني في آخر الليلِ من تلكَ الليلة، خرجتُ إلى المسْجد النبويِّ وأنا بَاكي العين، فدخلتُ من (باب الرحمة)، وقصدتُ مصلَّى رسُولِ الله ﷺ في الروضة الشريفةِ، فصليتُ ركعتين، ودعوتُ الله بعْدَ ذلك.





جانب من الحجرة الشريفة

---

(١) لعله يقصد: العلامة محمد هاشم بن محمد الفوتي المالكي المدني، الشهير بألفا هاشم الفلاتي، قدم إلىٰ الحجاز عام ١٣٢٢هـ، ودَرَّس في الحرمين. أخذ عنه، حسن المشاط، وحسين باسلامة، وغيرهما. وكانت عنده مكتبة نفيسة ضاعَت. ينظر: «أعلام من أرض النبوة»: ١/ ٢٠٥؛ و«طيبة وذكريات الأحبة»: ١/ ٥٥.

ثم توجهْتُ نحْوَ المواجهة، ووقفتُ أمامَ الحضرةِ النبوية من جهة القبلة. أنا وابنُ أخي محمّدُ بنُ حسينٍ الحَبَشي، وزُرْنا بزيارَةِ الشيخِ أبي البقاء، ثم قدّمتُ ذاتَ سيدي وشيخي عليِّ بن محمدٍ الحبشيِّ أمامي، كما هو عادَتي في زيارتي.

ثمَّ زرتُ وسلمتُ على الحبيبِ ﷺ والقلبُ يرجُفُ، والعينُ بالدموع تذرفُ، ثم إني دعوتُ بالدعاء المنسُوبِ لسيدي عليٍّ، فانتحَبنا انتحاباً تكادُ تتقطّعُ منه نياطُ القلوبِ، ثم تمثلتُ بقولِ القائل:

إن قيلَ زُرتـــمْ بِـمَ رجَعتُمْ　　　يـا سيد الـرُّسْـلِ مـا نقولُ

فأمَّلتُ من سيدي رسُولِ الله ﷺ ردَّ الجوابَ، وتخيلتُه [/ ٣٨] سماعاً:

قـولُـوا رجَـعْـنـا بـكُـلِّ خَـيرٍ　　　وانـتـفَـعَ الـفَـرْعُ والأصــولُ

ثم قُمنَا تجاهَ سيدنا أبي بكرٍ الصدِّيق، وسيدنا عُمَر الفاروق، وسَلّمنا عليهما رضي الله عنهما، ثمّ توجهْنا إلى السيدَةِ الأمينَة، والأمِّ الشّقيقة سيدتِنا فاطِمَة الزهراء، وسلَّمْنا عليهَا، فوجَدْنا عندَها من الرِّقَّة والخشُوعِ ما لا تحتَملُه القلوبُ، تم طالَ المقامُ أمام ضَريحها ودعَونا، وتدلَّلنا عليها تدلُّلَ الأبناءِ على الآباءِ، فوجَدْنا من السُّرورِ والفَرحِ عندَ انتهَاءِ الزيارةِ، ما يبَشِّرُنا بقَبُول الزيارة، وحصُولِ البشارة.


المحراب النبوي

فانصَرفْنا من عندِ ضَريحها ونحْنُ لا نريدُ الانصرافَ. فمرَرْنا على (باب الوفُود)، وجلسْنا عندَه لأداء فريضَةِ الصُّبح، فصلَّينا، ثم توجّهنا إلى جهة (باب السلام) لأجلِ الخروجِ منه، فدعَونا الله عندَه.

ونسألُ الله الكريمَ أن لا يجعلَه آخِرَ العهْدِ من هذه الحضْرَةِ النبويّة، والمآثر الشريفة، حساً ومعنىً، غيباً وشهادةً، ظاهراً وباطناً، في خَيرٍ ولُطْفٍ وعافيةٍ، فإنه على ما [/ ٣٩] يشَاءُ قدير، وبالإجابة جدير.

[شحْنُ الأمتِعة والاسْتعدَاد للمُغَادرة]

فرَجَعْنا إلى منزلِ العمِّ صافي، وأخَذْنا الأمتعةَ، وخرجَنا، واستودَعْنا من الأحباب، وشيَّعَنا جملةٌ، منهم العمُّ صافي، وابنُه أحمد، وشَيخُ السادة الأخُ علوي بافقيه وأولادُه، والأخُ عليٌّ بن عليّ الحبشي، والأخ حسين بن محمد السقاف، وجملةٌ من بيتِ الريِّسِ المؤذنينَ بالحرم النبويّ، وأولادُ الشيخ عبدِالجليل برّادة، والشيخُ يوسف النبهانيُّ، والشيخُ حسَن، والشيخُ محمودٌ الشاميانِ، وجملةٌ من الأهالي.

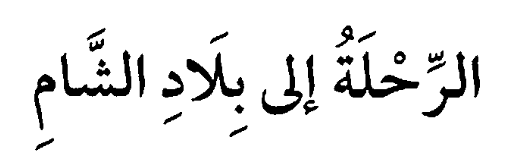
ووصَلُوا معَنا إلى محطَّةِ البابور البَرِّي، فجزاهم الله عنا أفضَلَ الجزاء. ثمّ إنهم وضَعُوا ما معَنا من أمتعةٍ في واحِدٍ من الفَراقين المعَدَّة للرّكّاب. ثمّ ودّعْنا الجميعَ، وركبْنَا في بَابورِ البرِّ المسمَّى عنْدَهم في اصْطلاحهم (بالشَّمَنْدُوفير)[1]، ثم توجَّه البابُورُ على بركَةِ الله، قاصدِينَ إلى دِمَشْق الشّام، ونَولُ الشخص أربع (٤) جنيه إسطَنبولي.



محطة السكة الحديد بالمدينة (العنبرية) قديماً

* * *

(١) الشمَنْدُوفير: لفظة يقصد بها القطار، استخدمت أول ظهوره في المشرق العربي، وهي من الكلمات الدخيلة، وردَت في كتاب «قاموس الصناعات الشامية» لمحمد سعيد القاسمي، الذي أتمه ابنه العلامة جمال الدين (ت ١٣٢٧هـ)، كما ورد ذكره في عدد من كتب الرحالة والمؤرخين من مشارقة ومغاربة.


الرِّحْلَةُ إلى بِلَادِ الشَّامِ



[المرافقون في السفر]

وكان التوجُّه السَاعةَ خمسة من النهار، قبلَ صلاة الظهر، وفي صُحْبتنا جملةٌ من أهالي المدينة، منهم الشيخُ سليمان مراد، والشيخُ أحمد حِنَيني [/ ٤٠]، وأخُوه حسَن، ونعْمَ الرفَقاء الموافقين.

[محطة تبوك]

ولم نزلْ نمْشي في البابُور البرّي ليلاً ونهاراً، حتّى وصَلْنا إلى (تبوك) المشهورة، وهي موضِعٌ مـن مواضعِ غزَواتـه ﷺ، ووصَلْنا إليهَا على ليلتين من المدينَة المنورة.

وفيهَا الاستحكاماتُ المعدَّةُ للكرنتينة(١)، فنزلْنَا فيها، ومعَ عنايةِ الله ولطْفه، قابلَنا أهلُ الكرَنْتينة كمالَ المقابلة.

ومن حُسْن تَدبير الله، أنْ صَحِبَنا صاحبُ البَوسْطة(٢) الكبيرة، وكانتْ له كلمةٌ نافذَة، فصَار يراعينا ويَأمر بمُراعاتنا، وصَارت لنا معه صحبةٌ ومحبّةٌ، ودعَوناه إلى الله، وعلَّمْناه ما يلزَم، فقبلَ ذلك.



محطة تبوك على خط سكة حديد الحجاز

---

(١) مصطلح دخيل، مأخوذ من الكلمة الإنجليزية (QUARANTINE)، ومعناها: الحجر الصحي. وهذا الحجر الصحي كانت السلطات العثمانية تفرضه على كل المسافرين القادمين إلىٰ الموانئ الرئيسية في طول البلاد وعرضها، وتكاد لا تخلو موانئ البلدان العربية من وجود أماكن لا تزال تحمل هذه التسمية إلىٰ اليوم، كما هو الحال في مدينة جدة، وبيروت، وللسيد محمد بن جعفر الكتاني، وجمال الدين القاسمي، كلام حول شرعية عمل هذه الكرنتينات.

(٢) **البوسطة**: هي البريد، من المعرب الدخيل، مأخوذة من كلمة (Post) الإنجليزية.

[النزولُ في الكرنتينة]

ثم إنهم أخذُونا ووضَعونا في خيمَةٍ واسعةٍ، مع كمالِ الاحْتشَام، والرئيسُ الكبيرُ صاحبُ الكرنتينَة، هو إسماعيل أفندي[1]، أحبّنا حُباً شَديداً، وصَار يتردّد علينَا، ويقْضي أغْراضَنا، ويُصلّي معنا الجماعَة، ويحضُر راتِبَ سيدنا عبد الله الحداد، وطلبَ منّا الإجازةَ فيه.

ثم إنه في ليلةِ الجمعة طلبَ منَّا أن نقرأَ المولدَ الشريفَ، فاجتمعَ في الخيمةِ خلقٌ كثير، ثم إنا شرَعْنا في قراءة «المولدِ»، وهو الذي ألفَه سيدي الوالدُ عليٌّ بن محمد الحبشي [/ ٤١]، ثم بعدَ انتهاءِ المولد الشريفِ، قرأنا القَصيدة التي لسيدي عليٍّ، علَى:

لا إلـــــهَ إلاَّ الله بهَا ينشَرِحْ صَدْرِي

فأعجِبَ بها الحاضرون، ووقعَ حضورٌ تامٌّ.

ثمّ إنا بعدَ ذلك دعَوناهم إلى الله، ووعظناهم، ورتّبنا الفاتحةَ على قاعدةِ سادتنا العلويّة، وانتهَى المجلسُ، فربُّنا يتقبّلْ مِنّا ما عمِلنا.

[مرائي]

ثم إنّ السيدَ هاشم مجاهد، أخبرَنا بأنّه رأى في المَنام كأنَّه في جماعةٍ، وجرَى ذكرُ الكرنتينة، فكأنَّ واحداً من الجماعةِ قالَ له: إنّ الخضر معَكُم. ثم إنه قص الرؤيا على سيدي الأخ حُسَين مناماً، فقال له: نعَم؛ إن الخضرَ معكم. وقالَ الرائي المذكور: وكأني أقرأ سُورَة ﴿يسٓ﴾، فاستيقظتُ وأنا في وسَطها، ثم إني نِمتُ ثانياً وكمّلتُها مناماً من حيث وقفتُ أولاً، انتهى كلامه.

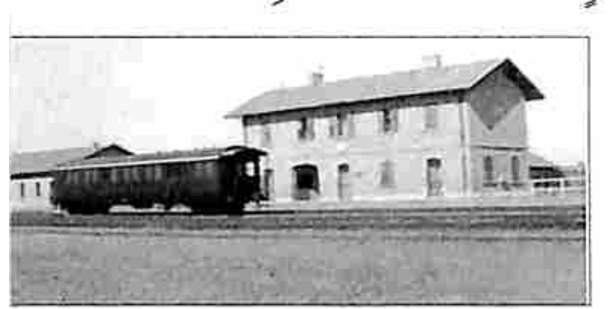
---

(١) الأفندي: كلمة عامية دخيلة، يونانية الأصل، دخلت في اللغة التركية في وقت مبكر، ومنها تسللت إلىٰ العربية، وكانت تستخدم للتعظيم، وتطلق على علية القوم ورجال الدين. «تأصيل ما ورد في تاريخ الجبرتي من الدخيل»: ص ٢٠.

ثم إني في لَيلةٍ من الليالي؛ رأيتُ سيدي الوالدَ محمّدَ بن حسين، كأنه معنَا، وهو في صُورة سيدي الأخِ حسين، وكأني ألقِمُه أكْلاً ناعماً جميلاً، لمْ أدْرِ ما هُو، فاستبشَرتُ بذلك.

[محطّة مَعَان]

وجلَسْنا في (تبوكَ) مدةَ أيام الكرنتينة، خمسةَ أيامٍ، ثم توجّهْنا على اسْمِ الله تعالى، يمْشي بنا البابُور يفْرِي أديمَ البَر، ويطْوِي بِيْدَهُ [٤٢/] وقِفَارَه، حتى وصَلنا إلى محطّة يقالُ لها (مَعَان)[1]، وهي محطةٌ كبيرَة فيها استعدادٌ كَبير للواردِ والصادرِ، من جميعِ ما يلزَم له.



محطة معان على خط سكة حديد الحجاز

[محطّةُ بطْن الغُول]

وقبلها محطةٌ يقالُ لها (بَطنُ الغُول)[2]، وهو محلٌ مرتَفعٌ، لا تمشي فيه العربياتُ إلا بآلتين، آلةٍ من أمامَ، وآلةٍ من خلف، لأنه محلٌ مرتفعٌ جداً. و(بطْن الغُول) هذا محطةٌ متوسِّطة.

وفيهَا وفي نواحيهَا من أنْواع (البطْحَاء)[3] المشكّلة ألوانٌ وأشكالٌ، منها الأحمرُ، ومنهَا الأَخْضَر، ومنها الأصْفَر والأزْرقُ، حتّى أنّ بعضَ العساكر أهل الفطنةِ والذكاء، النازلين في ذلك المحَلِّ، يأخذون أنواعَ البطحاء الملونة ويضعونها في قواريرَ بيضٍ، بوَضْعٍ لطيفٍ، وتركيبٍ حسَنٍ، ونقْشَةٍ عجيبة.



الرسم بالرمل في القوارير

---

(١) وهي اليوم من بلدان المملكة الأردنية الهاشمية. تبعد عن المدينة المنورة حوالي ٨٦٠ كلم، وعن دمشق (المحطة الأم) للسكة الحديد حوالي ٤٥٨ كلم.

(٢) تبعد بطن الغول عن المدينة المنورة حوالي ٨٠٠ كلم. وارتفاعها عن سطح البحر بمقدار ١١٢٥م.

(٣) يقصد: الرمل الملون.

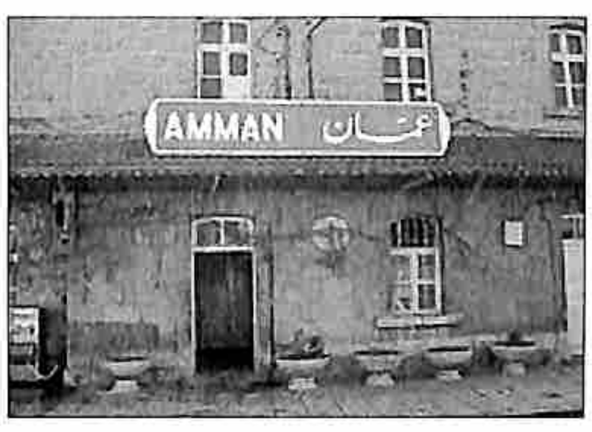
وبعضُهم يمثّلونَ فيها صُورة أوادِم. حتى أن أحدَ العسَاكر كان فطيناً جداً، فمثّلَ صُورَة نيازي المشْهور، وأنوَر[١]، وباعَ القارُورةَ بجنيهَين.

وبعضُهم يكتُب آيةً قرآنية، فإذا نظرَها الإنسانُ يتعجّبُ غايةَ العجَب، لأن هذه البطحَاءُ رملٌ ناعمٌ في غاية النعُومة، والحكْمَةُ الغريبة، هي في وضْعِ كلِّ لونٍ على حِدَته من غير اختلاطٍ بالآخر، فسُبحانَ الملهِم.

أنور باشا، قائد عثماني

[محطة عمّـان]

ثم وصَلنا [٤٣/] إلى محطةٍ أخرَى، يقال لها (عمّان)[٢]، بعدَ أن مرَرْنا على محطاتٍ متعدِّدة، و(عمّانُ) هذه هي محطةٌ كبيرَةٌ، ومن هنا يبتدئُ ظهُور الأشْجَار والزرُوع المختلفة.



محطة عمان على خط سكة حديد الحجاز

وفيها جملةٌ من الشراكِسَة المهَاجِرين من أرضِ الرُّوسِ، يزيدون على ألفي نفر، يزرعون أنواعَ الحبوبِ وغيرها من الخضْراوات، لأن هذه الأرضَ ذاتُ مياهٍ وتربةٍ طيبة، وهم أهلُ فلاحَةٍ، فاستحسَنوا الجلوسَ في تلك الأرضِ.

---

(١) إسماعيل أنور (١٨٨١-١٩٢٢م)، عُرف باسم أنور باشا، قائد عثماني، من قادة حركة تركيا الفتاة، شارك في ثورة ١٩٠٨ ضد السلطان العثماني عبد الحميد الثاني، كان وزيراً للحربية (ناظر الحربية). تصدى للحملة البريطانية في العراق، ونجح في صد هجوم الجيش البريطاني ومنعه من دخول بغداد عام١٩١٦ م، قتل في بخارى خلال حرب ضد الحكومة البلشفية عام ١٩٢٢م. [وتظهر صورته في هذه الصفحة].

(٢) تبعد عن المدينة المنورة حوالي ١١٠٠ كلم، وعن دمشق ٢٢٢ كلم.

وهم أناسٌ مشهورُون بالشّجاعةِ والحماسَة، ولا يمْشُون إلا متسلّحينَ، حتى أن الباديةَ لا تحومُ حولهم لما يعلمونَ [من] بأسِهم. وأكثَرُ حَرثِهم وشقّهم الأرضَ بالآلةِ المعروفَة، على الخَيلِ بدلَ البقَر، مع أن البقَر موجودةٌ.

[محطة درْعَا]

ثــم توجّهنا، فمرَرْنا على محطّـاتٍ صِغارٍ كثيرةٍ، حتى وصَلْنا إلى محطّةٍ كبيرةٍ، تسمى (دِرْعَة)، وفيها من البيوتِ المعمُورة والعسَاكرِ عددٌ كثير.

وفيها فرْعَانِ من سكّةِ الحديد:

- فرعٌ يبلّغُ إلى دِمَشقَ، وهو **محلُّ قصْدِنا.**
- وفرعٌ يبلّغُ إلى حَيفَا، وهي أسْكِلةٌ[1]على البَحْرِ مشْهورةٌ.



محطة درعا على خط سكة حديد الحجاز



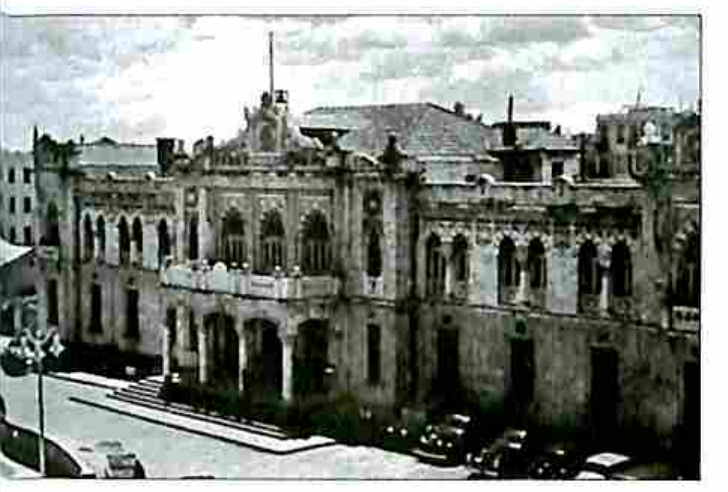
موقع درعا

* * *

(١) كلمة (إسكلة) بمعنى مرفأ السفن وبمعنى السلم المتنقل، مأخوذة من الأصل اللاتيني (Scala)، ودخلت العربية والتركية منذ قرون، كما في «مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة»، وذهب دوزي في «تكملة المعاجم» إلىٰ أن أصلها إسباني، والبستاني في «محيط المحيط» إلىٰ أن أصلها إيطالي.

[الوصُول إلى دمَشْق

الأربعاء: ٣/ ٤/ ١٣٢٨هـ = ١٤/ ٤/ ١٩١٠م]



محطة دمشق نهاية خط سكة حديد الحجاز

ثم توجّهْنا مـن (درْعة) وقَد دخلَ أولُ وقـتِ العَصْر، السَّـاعة تِسْـعة، حتى وصَلنـا إلى محطّـة دمَشْـق وقـتَ المغـرب [/ ٤٤]، وهـو يـومُ الربـوع لثلاث خلت من شهر ربيع الثاني سنة ١٣٢٨.

فنزلنـا مـن بابـور الـبرِّ، وجمعنا ما مَعَنا مـن أثاثٍ ووضَعنـاه في عَربية يجرُّها بغلٌ، وكراهَا ريالٌ مجيديٌّ ونصفٌ.

[النزول في لَوكندة مكّة بدِمَشق]



عربة حنطور

ووجَدْنا أهْل اللّوكَندات[1]؛ وهي مواضعُ نُزولِ الغرباءِ، معَارضين[2] المسافرين، فاجتمَعْنا مع واحدٍ منهُم، فقالَ: أنا مرسولٌ من (لَوكَندة مكّة المكرمة)، رئيسُها الحاجّي توفيق، فقلنَا له: النزولُ يكُون عندَكُم.

---

(١) إيطالية دَخيلة، (locanda) تعني: النزُل.

(٢) دارجةٌ حَضرمية، أي: يتلقَّونَ المسَافرين. يقالُ: فلانٌ في عِرَاضِ فُلان، أي: يستقبله ويتلقاه.

ثـم إنّ العربيـةَ التي فيهـا الأمتعَةُ أرسَـلناها مع أحَـد الخدَّامين، ونحنُ مشَـينا خطوات مع ذلكَ، حتى وصَلنا إلى محلِّ (التِّرامْوَي)[١]، وهي عربياتٌ تمشي على سِلك الكهرباءِ، في غايةِ من الحسْنِ والتنظيم. فَركِبنا فيهَا وقَد جَنّ الليلُ، وكأنه لا ليلَ فيها! لما فيهَا من الأنوار الكَهْربائية. ونَولُ الشّخصِ: يشلَكُ، (عن ربع ريالٍ فرانصَة)[٢].

حتى وصَلنا إلى اللَّوكَندَة المذكورة أعلاه، فنزلْنَا، وقابلَنا الحاجّي توفيق كمالَ المقابلة، وأنزلَنا أحسَن منزلٍ، ووصَلت العربيةُ التي فيهَا الأثاثُ، وأعدَّ له موضعٌ مميز لنفسِه. واللَّوكندة المذكُورةُ، هي في غايةِ التنظيم والحسْن، فالمنزلُ الذي جلَسْنا فيه في غايةٍ من النظافة [/ ٤٥]، مفروشٌ بالقطُفِ الجميلة، وفيه ثلاثُ نامُوسياتٍ في غاية من الحسْن، وفيه مُشْرق نور الكَهْرباء. وطاقاتُ ذلك المنزلِ كلّها مصفَّحةٌ بالقُزَاز[٣] تحصّناً من البرْد. وكان موضعُ جلوسِنا في ثاني قصْرٍ يطلُّ على الجادَّة المسلوكَة، ويمرّون فيها العدَدُ الكثير من الناسِ، ما بين راكبٍ ومَاشٍ.



الترامواي

واللَّوكَندة المذكُورة كبيرةٌ، في غايةٍ من البناءِ المحكَم، وأرضُها مفروشَةٌ بالرخَام الملوَّن، وفيها فُسْحةٌ واسِعة جداً في وسَطها. وفي تلكَ الفسْحة بُحَيرةُ ماءٍ صافي، فيها شَاذَروانٌ[٤] ينَفِّرُ الماءَ في قصَبةٍ، وعلى حافاتِ البحَيرة أنواعُ الأزهار. وهي معدّةٌ لوضُوءِ من كانَ شافعيَّ المذْهَبِ.

---

(١) إنكليزية دخيلة، تعني: القطار المحلي داخل المدينة، من الكلمة الإنجليزية: (Tramway).

(٢) الريال الفرانصة، هو الريال النمساوي الشهير، الذي عليه صورة ملكة النمسا (ماريا تريزا؛ ت ١١٩٣هـ/ ١٧٨٠م)، وكان متداولا شائع التداول منذ أن ضربت سكته في عام ١٧٧٢م/ ١١٨٥هـ، واستمر تداوله في البلاد العربية نحو قرنين من الزمان.

(٣) عامية، تعني: الزجاج، «القول الفصل في رد العامي إلىٰ الأصل» ص ١٧٩.

(٤) فارسي معرب، ورد في أحاديث صفة بناء الكعبة المشرفة، وصفة شاذروان الكعبة تختلف عن المقصود هنا، وهو الشكل الرخامي المجوف الذي ينفر الماء من وسطه، ويسمى اليومَ (نافورة).


منزل دمشقي من الداخل (فسقية)

وفيها محلٌ عجيبٌ جِداً؛ معَدٌّ للمسافرين يجلسُونَ فيه ويجتمعونَ بمَن يسألُ عنهم، وهو مفروشٌ بالفراشِ الجميل، وَعلى طاقاتِه السّتائرُ الجميلةُ، وفيه بحيرةٌ صَغيرة بشَاذَرْوان، وعلى حافَاتها أواني صِين(١)، مزْروعٌ فيها أنواعُ الأزْهَار.

[علماءُ الشَّام يستَقْبلون المؤلّفَ]

ثم بعْدَ مضيِّ يومين؛ وصلَ إلينَا من أهلِ الشّام جملةٌ من العُلَماء والفضلاء [٤٦/]، كمثْلِ الشَّيخ عبد الله الكُزْبَري(٢)، والشيخ عبد الله السفَرْجَلاني، والشيخ أبوالسعود(٣)، والشيخ عبد الجليل الدُّرَّا(٤)، وقابلنَاهم وجلسْنا معهم في ذلك الموضِع ، فأخذُوا يسْألونَا عن وصُولِنا من أيِّ جهةٍ، ثم دار الحديثُ الحسَنُ بينَنا وبينَهُم، ثم طلبُوا منّي سَماعَ الحديثِ المسلسل بالأوليةِ، فامتنعتُ، فاستعطفوني، فأسمعتُهم إياهُ امتِثالاً، فانصرفوا.

---

(١) أي: أواني صينية، مصنوعة من الفخار الصيني أو نحوه، والجمع: صواني، وردت في «المحاسن والمساوئ» للبيهقي، عن: «المعجم الوسيط» (الصيني)، و«القول الفصل»: ص ١٤٨.

(٢) هو الشيخ عبد الله بن كمال الدين الكزبري (ت ١٣٤٧هـ)، عالم فضيل ذو وجاهة، كان نقيب أشراف الزبداني، له إجازة من الشيخ عبد الله درويش السكري، ينظر: عمر النشوقاتي، «مجموع الأثبات الحديثية لآل الكزبري»: ص ١٩-٢٠.

(٣) أبهم المؤلف اسمه، وكان في دمشق حينذاك اثنان من الأعيان كلاهما أبوالسعود، الأول: أبوالسعود بن أحمد الحسيبي (ت ١٣٣٢هـ) من الأعيان السراة، ذا وجاهة، يحب اقتناء الكتب والآثار. عن: «تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر» ١/ ٢٩٦. والثاني: أبوالسعود اليافي (ت ١٣٣٦هـ) من القضاة، وكان مديرا لأوقاف، عن: المصدر السابق، ١/ ٣٤٧.

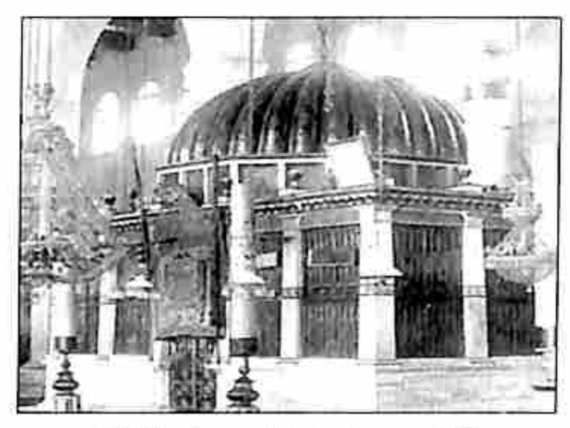
(٤) كان خطيب جامع تَنكِزْ، فقيه حنفي، توفي بدمشق سنة ١٣٦٦هـ، عن: «تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر» ٢/ ٦٠٩.

[زيارَةُ الجامعِ الأمَوي]

ثم في صباحِ يوم الخميسِ؛ خرَجْنا قاصِدين زيارةَ نبيِّ الله يحيى عليه السلام بالجامعِ الأمويِّ، فوصَلْنا المسْجِدَ، وزرنا نبيَّ الله يحيى عليه السلام.



المسجد الأموي بدمشق



قبة ضريح نبي الله يحيى عليه السلام

وصَلّينا الظُّهْر في الجامعِ المذكور، وهو جامعٌ عظيمٌ متسِعٌ، نصْفُه مسقوفٌ على أعمِدَة حجَر، كل عمُود حجرةٌ واحِدةٌ، وفوقَ كلِّ عمُودَين عَقْدٌ من الحجارة، وفوقَ تلكَ الأعمِدَة والعقُودِ عقودٌ أخْرَى وأعمدَةٌ، ولكنها أقل من الأعمدَةِ السفْلَى في الطول، ثم فوقَ ما ذُكِر من الأعمِدَة والعقودِ السقوفُ من الخشَبِ الأبيض، وهي مضْروبة بالرَّنْق[1] الملوَّنِ، فزادها حُسناً. وقبةُ نبيِّ الله يحيى عليه السلام في وسَط المسْجدِ المذكُور.

---

(١) الرنق: الطلاء، وهو فارسي معرب، أصله: رنگ، عن: «تأصيل ما ورد في تاريخ الجبرتي من الدخيل»: ص ١١٥-١١٦، و«التذكرة التيمورية»: ص ١٩١.

وفي جانبِ المسْجدِ الشماليّ قبةٌ وعليهَا [/ ٤٧] بابٌ عظيمٌ، يقال إنَّ فيهَا رأسَ سَيدِنا الحسِين عليه السلام، أو محلُّ وضْعِه حين قَدِمُوا به العصَاةُ الماردون من كَرْبلاء، والله أعلم بالواقع(١).

[شرح البخاري؛ للعجلوني]

ثم خرجْنا من الجامع المذكُور، فمَررنا على رَجُل يبيعُ الكتُبَ، منهَا القلَمُ ومنها الطابعُ، فأولُ ما نظَرْناهُ «شرْحُ البخاريّ» للشّيخ العَجْلوني(٢).

[درسُ الشيخِ بدْر الدين الحسَني]


صورة الشيخ بدر الدين الحسني

ثم في اليوم الثاني؛ وهو يوم الجمُعَة، حضَرْنا في الجامعِ المذكُورِ لأداء صَلاة الجمُعة، فصَلينَا، ثمّ بعدَ الصلاة جلَسْنا لحضُور درسِ الشيخِ بدْر الدين(٣).

وهو درسٌ عَظيمٌ حَافل، فيه ما يزيدُ على ٣٠٠ نفَرٍ، وهُو في الحديثِ إمْلاءً، يأتي بالحديثِ سنَداً أو

---

(١) جاء ذكر رأس الحسين عليه السلام في «رحلة ابن جبير»، فذكر أن أعظم الدهاليز التي تفضي من داخل المسجد الأموي إلىٰ خارجه، هو الدهليز المتصل بباب جيرون، المعروف بباب شرقي، وهو أعظم أبواب الأموي، قال ابن جبير: «يخرج من هذا الباب إلىٰ بلاط طويل عريض، قد قامت أمامه خمسة أبواب مقوسة، لها ستة أعمدة طوال. وفي وجه اليسار منه مشهد كبير حفيل، كان فيه رأس الحسين بن علي رضي الله عنهما، ثم نقل إلىٰ القاهرة»، انتهى. ينظر: «رحلة ابن جبير»: ص ٢٠٨، و«مع ابن جبير في رحلته»: ص ٢٤١.

(٢) الشيخ إسماعيل بن محمد العجلوني (ت ١١٦٢هـ)، ترجمته في: «الأعلام» للزركلي: ١/ ٣٢٥. واسم شرحه: «الفيض الجاري بشرح صحيح البخاري»، لم يتمّه، نسخته الأصلية في ثماني مجلدات في مكتبة الشيخ زهير الشاويش ببيروت، كتبَتْ سنة ١١٥٣هـ. عن: «الفهرس الشامل»: ٢/ ١٢٢٥. وينظر «النفحة المسكية»، للسويدي البغدادي: ص ٢٠٠.

(٣) الشيخ بدر الدين الحسني (ت ١٣٥٤هـ)، محدّث الشام. أفردت سيرته بعدة مؤلفات.

متناً ، ثم يتكلّمُ على رجَالِ السّنَدِ، ثم يتكَلّم على مَتْنِ الحديثِ، وقد يأتي بمَنزَعٍ صُوفيٍّ، رضي الله عنه ونفعنا به.

ثمّ قُمْنا من الدّرْس لزيَارَة الحصُور، نبي الله يحيى عليه السلام فزُرْنا ، ووقعَتْ زيارةٌ عَظيمةٌ، ومعَنا جملةٌ من الأحبابِ والأصْحاب.

[زيارة الشيخ محمد المبارك]

ثم بعْدَ الزيارة توجّهْنا معاً لزيَارةِ العَالم العلامة، الشيخ محمد المبارك الحسَني المغْربي[1]، في قَيدِ الحياة، وهو أخو الشيخ الطيِّب، المتوفَّى بدمشق[2][/ ٤٨]، المشهُور عندَ أهْلها بالمقاماتِ والأحوالِ. فوَصلنا إلى بيته، فوَجَدْناهُ مغتصًّا بالعُلَماءِ، فقابلَنا الشيخُ المباركُ المذكُور كمالَ المقابلَة.

ثمّ صَافحْتُ من كانَ في ذلكَ المجْلِسِ من العُلماء، فأخذَ الشيخُ يسألني: عن وصُولي؛ مِنْ أيِّ محلّ؟ ثُمَّ عن أهلي وأجدادي وسِيرتهم وطَرِيقَتهم، فأسمعتُه ما كانَ في ذهْني من ذلكَ.

والعلماءُ الحاضرونَ؛ منهُم الشيخ عبد الباقي، وهو ابنُ الأخ الأمير عبد القادر صَاحبِ «المواقف»[3]، والشيخُ العلامةُ عبدُالرحمن مفتي حَوران[4]، وهو كثير

(١) أصله من الجزائر، مولده ببيروت سنة ١٢٦٣هـ، توطن دمشق ومات بها سنة ١٣٣٠هـ، عن: «تاريخ علماء دمشق»: ١/ ٢٧٤.

(٢) توفي يوم الاثنين ٢٦ شعبان سنة ١٣١٣هـ، ودفن بالمزة قربَ مقامِ الصحابي دِحْية الكلبي. عن: «تاريخ علماء دمشق»: ١/ ١٢٢-١٢٥.

(٣) هو عبد الباقي بن محمد السعيد بن محيي الدين الجزائري، ولد سنة ١٢٦٧هـ، وتوفي بدمشق سنة ١٣٣٥هـ، كان شيخاً للطريقة القادرية، والفاسية الشاذلية، مفتياً للمالكية، قرأ على عمّه وغيره. عن: «تاريخ علماء دمشق» ١/ ٣٤٦.

(٤) هو الشيخ عبد الرحمن بن محمد الطيبي العجلوني الحوراني، كان مفتي حوران، تقيا صالحا، وصفه بمثل ما وصفه به المؤلف هنا، السيد محمد بن جعفر الكتاني في «الرحلة السامية»: ص ٢٧٦.

الرُّؤيَا للنبي ﷺ والمصافَحة، فقالَ الشيخُ المباركُ: صافحوه؛ فصافحناه، وطَلبْنا منه الدُّعَاء. واستمرّتِ المذاكرةُ مع الشَّيخِ المبَارك، وهو شريفٌ حسني متواضعٌ مستَمِد، يرى الفَضْل لأهل البيتِ النبويِّ، وهو منهم.

وأخوه الشيخُ الطيّبُ هو شيخه في الطريقِ، وشَيخُ فتْحِه، فتكلّمَ في سِيرةِ أخيه وأحواله وكراماته ما يَقْضي بالعجَب.

وأراني مجموعاً بخطِّ الشيخِ الطيّبِ يكتُبُ فيه الوارداتِ التي تردُ عليه، فرأيتهَا، وهي لسان عذبة، تتكلمُ عن ذَوق [/ ٤٩]، فسبحانَ المعطي. ثُمّ إنه أسمعَنا حديثَ الأوليةِ، ثم خرَجْنا من عندِه، وقالَ: لا بُدَّ من العَودِ ثانياً.

[زيارةُ الشيخِ عبدِالجليل الدُّرّا]

فتوجّهْنا إلى بيتِ الشيخ عبدِالجليل الدّرا[1]، وقْتَ صَلاة العصْر، وهو معنَا، فطلعْنا إلى بيته، فأنزلنَا في غُرفةٍ في أعْلا البيتِ، تُشْرِف على مواضعَ بعيدةٍ، وحدائقَ نضرةٍ، وقابلَنا كمالَ المقابلة، وأكرَم نزُلَنا، وبمعيّتِنا الشيخُ عبدُالله الكُزْبَري، والشيخُ أبو السعود، والسيدُ أحمد عبد العظيم، وهو حَادٍ حسَنُ الصوتِ، أنشدَ بقصَائد متعددةٍ.

ثم استأذنَ الشيخُ عبدُالجليل، صاحبُ المنزِل، في إدخَالِ ابنه وابنتِه عليَّ، كي يقرآ الفاتحةَ. فدخَلا، والابنُ اسمُه أحمدُ شَفيق[2]، وعمره نحْو تسعِ سنينَ، والبنتُ

---

(١) له ذكر في رحلة حسن نظامي الدهلوي: ص ٢٨٠ وما بعدها.

(٢) جاء في «الترجمة الكبرى» للسيد محمد بن جعفر الكتاني (١/ ٢٨١) في أحداث سنة ١٣٤٧هـ، في سياق الكلام عن نقل رُفاته من دمشقَ إلىٰ فاس: أنه قرئَتْ قصيدةٌ للشيخ عبد الجليل الدُّرّا يمتدح بها شيخه الكتاني، أعقبها ترحُّمُ الحاضرينَ على ابنه أحمد شفيق، فيعلم من هذا: أنه مات في هذه السنة أو قبلَها، عن نحو (٢٦ عاماً) رحمه الله.

كُنيَتُها (أمُّ البنين)، وعمرها نحو سبع سنين، وهما في غايةٍ من الذكَاء والفطنةِ، فقرآ الفاتحةَ، ثم قالَ الأبُ: فَضْلاً منكم أَسمِعُوها حديثَ الأوليّةِ، فأسمعتُها. ثم قالَ: أتأذن لها أن تُسْمِعَكَ الحديثَ المذكورَ بسندِه عن شيخِها؟ فقلْتُ: لا بأس!. فقال لها أبوها: بِسْم الله. فنطقَتِ البنتُ بأعذَبِ منطقٍ، وأفْصَحِ لفظٍ، وقالتْ: حدثني شَيخي فلانٌ، عن شَيخه فلانٍ، إلى تمامِ الحديثِ. فتعجّبتُ [/ ٥٠] غايةَ العجَبِ من ذكَائها.

ثم قال الأبُ: أتأذن لهما أن يُسْمِعَاكَ المحَاورة الأصْمَعية؟. فقاما في وسط المجلس، وتحاوَرا، وتجادلا، على أنها أعرابيةٌ وأخُوها أعرابيٌ، وسَمِعْنا منهما ما يُبهِر العَقُولَ، من منظومٍ ومنثُورٍ، فباركَ الله فيهما، وأنبتهما نباتاً حسناً، ومع ذلك يحفظون القرآن!.

[زيارةُ الشيخِ أحمدٍ الأُسْطوانيِّ]

ثم في اليوم الثاني؛ دعانا إلى محلّه الشيخُ أحمدُ الأسطوانيُّ، وتناولنا الطعام، ثم أخذ يُطلِعُني على مصنفاتِ الشيخِ محيي الدِّينِ ابن عربي، كتبها بيدِه، نحْوَ ثلاثة عشر مجلداً، وهو صَغير السنِّ، لكن فيه نباهةٌ كاملة، وهو ابنُ الشيخِ حسَنٍ الأسطواني، الذي اجتمَعْنا معَه في المدينة المنورة.

[مدرسة الملك الظاهر]

وفي يوم من الأيام؛ توجّهْنا إلى مدرسَة الملكِ الظاهر[1]، وهي مدرسةُ عَظيمةٌ، فيها من طلبة العلْمِ ما ينَيفُ على مائتينِ نفرٍ، وكلهُم شُبّانٌ.

والمعلمُ والمدرِّسُ فيهَا هو الشَّيخُ العلامة أبوالسُّعود، وهو في أعلَى المدرَسَة

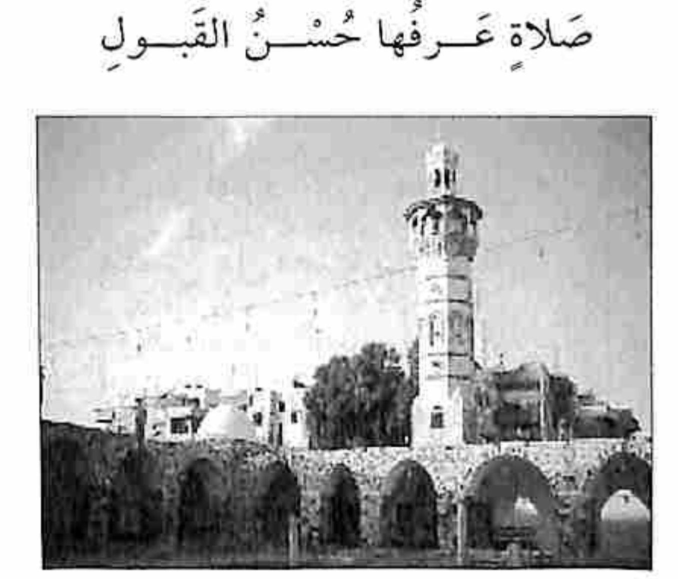
---

(١) هو الظاهر بيبرس، من سلاطين المماليك، مات بدمشق سنة ٦٧٦هـ، ينظر: «الأعلام» ٢/ ٧٩. وعن هذه المدرسة وتاريخها ينظر: «الدارس في تاريخ المدارس» للنعيمي: ١/ ٢٦٣.

في محالَّ منظمةٍ، ومحله لنفسه ، فقابلنا كمال المقابلة وأجلسنا على الكراسي ، وسقانا القهوة.

ثم إنه نادَى على بعْضِ التلامِذَة الأذكياءِ، فقال: اخْطُب ورحِّب بالسادة [/ ٥١]، فخطبَ بخطبةٍ بليغَةٍ، ثم قالَ له: قُلِ الأبيات، فانتدَبَ الصبيُّ المذكورُ، واستدارَ في محلٍّ آخر، وقالَ:

بَنِي الحبَشيِّ أهْلاً ثُمَّ أهْلاً ... بكُم نلنَا سَنا الحظِّ الجزيلِ
وقَدْ طبْتُمْ لَعَمْري في كَمالٍ ... وطيبُ الفَرْعِ من طيبِ الأصُولِ
وكيفَ وأنتُمُ غُررُ البرَايا ... وكيفَ وأنتُمْ آلُ الرسُولِ
عليكُمْ مِّن إلهِ الخلْقِ أزْكَى ... صَلاةٍ عَرفُها حُسْنُ القَبولِ


مدرسة الملك الظاهر

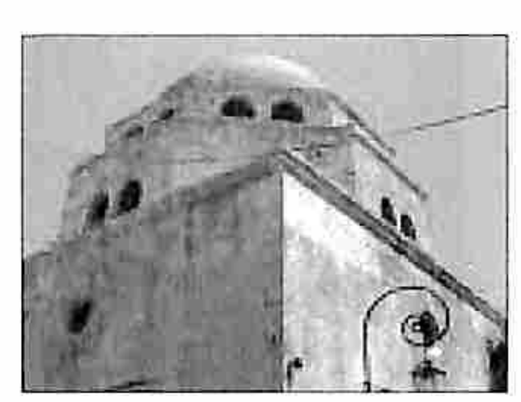
ثمّ أخذْنا نتناوبُ الحديثَ، ونسْألُه عن أصلِ هذه المدْرَسَة، فأخبرَنا بالواقعِ، ثم استدعَى جملةً من الطلبةِ، نحوَ عشرين نفر، فأخذَ يملي أبياتٍ بصَوتٍ معلومٍ عندهم، فقالُوها جميعاً بصَوتٍ واحدٍ، وهو في غَاية من الحسْنِ.

وأول الأبياتِ هذا البيتُ:

فزنَا وطبْنَا والأنْسُ بَدا ... بمَولدِ خيرِ الخلْقِ والغَمُّ انْزَوَى

وهو من قصيدةٍ طويلَةٍ في مدْح النبيِّ ﷺ. وهَذه القصيدةُ نظمَها الشيخُ المذكورُ، في مقابلِ قصيدةٍ تقولها العامّةُ بهذا الصّوتِ، فلما رأى الأولادَ أحبّوا ذلك الصّوتَ، نظمَ لهم قصيدةً على الصوتِ المذكور، فلما قالُوهَا طرِبْنَا غايةَ الطرَبِ.

[المكتبة الظاهرية]



المكتبة الظاهرية من الخارج

وفي أسْفلِ المدرسَةِ المذكُورة مواضعُ كبيرةٌ [/ ٥٢]، وهي محتَويةٌ على دواليبَ ملآنَةٍ بالكتُب النفيسةِ العظيمة، وغالبها خَطٌّ، فلما دخَلْنا ابتهجَ الخاطِر وانشَرحَ. فقابلَنا القائمُ بها والمديرُ لها كمالَ المقابلة، ثم تناولْنا الفهرِسْتَ فإذا فيها شيء كثيرٌ من الكتُب الغريبةِ العزيزَةِ الوجود، وغالبها قلَمٌ[1].

فأولُ ما رأينَاهُ من الكتُبِ وطلبناه وتصفّحناه: «شَرحُ التنبيه» للإمام الزنكَلُوني[2]، و«النهاية» لإمام الحرمين[3]، وكتابُ «الخادم» للزّركَشيّ، و«شَرح المنهاج» لابنِ الملقّن[4]، و«قُوت المحتاج» للإمام الأذْرَعيّ[5].

---

(١) محتويات المكتبة الظاهرية هذه في الوقت الحاضر من محتويات مكتبة الأسد، بدمشق.

(٢) العلامة أبوبكر بن إسماعيل، مصري، ضمن من الفقهاء، توفي سنة ٧٤٠هـ، ترجمته في «الدرر الكامنة» ١/ ٤٤١، وغيرها. واسم كتابه «تحفة النبيه شرح التنبيه»، في خمسة مجلدات، وأرقام نسخ الظاهرية: (٤٦)، و(٥١٢٥/ ١٨٨ شافعي)، و(٢١٢٢/ ١٨٦ شافعي)، و(٧٠٢٢)، وتوجد نسخ أخرى في مكتبات أخرى. عن: «جامع الشروح والحواشي»: ١/ ٦٥٨..

(٣) عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني، توفي سنة ٤٧٨هـ. وكتابه هذا «نهاية المطلب» صدرت طبعته الأولى عام ١٤٢٨هـ، بتحقيق د. عبد العظيم الديب رحمه الله، مكث في تحقيقه عقوداً، واجتمع له من نسخ الكتاب (٢٣ نسخة) ليس منها واحدة تامة، منها أربع نسخ من الظاهرية، ينظر: «مقدمات نهاية المطلب»: ص ٣٩١ وما بعدها.

(٤) عمر بن علي، توفي سنة ٨٠٤هـ. له شرحان على المنهاج: الأول «عجالة المحتاج إلىٰ توجيه المنهاج»، له عدة نسخ في الظاهرية تحت الأرقام: (٤١، ٤٦، ٦٥، ٦٦، ٦٧، فقه شافعي). والثاني: «عمدة المحتاج إلىٰ شرح المنهاج»، منه نسخة بالظاهرية رقمها (٩٣ فقه شافعي). ينظر: «جامع الشروح والحواشي»: ٣/ ١٩١٣.

(٥) أحمد بن حمدان، توفي سنة ٧٨٣هـ. له شرحان على المنهاج، هذا أحدهما وهو الكبير، والآخر بعنوان «غنية المحتاج» وهو الصغير. وتوجد من «القوت» أجزاء في الظاهرية تحت الأرقام (٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٥/ فقه شافعي). ينظر: «جامع الشروح والحواشي»: ٣/ ١٩١٢.


المدرسة الظاهرية من الداخل

و«تَاريخ الإمام ابن عساكر» وهو تسعةَ عشر مجلداً في قِطْعِ الكَامل(١)، و«تفسيراً» عظيماً مُوْفٍ بالمرادِ للإمام أبي القاسم القُشَيري، اسمُه «لطائف الإشارات»(٢)، وغير ذلك من الكتب العزيزة الوجود وجميعها خط قلمٌ، بعضُها في غَايةِ الحسْنِ.

ثم خرَجْنا من المدرَسةِ المذكورةِ ونحنُ في غايَة السُّرور برؤيَة الكتُبِ المذكورة.

[سَمرٌ مع الأحبابِ]

ثم توجّهنا راجعينَ إلى المحلِّ الذي نحنُ نازلين فيه فبتْنا تلكَ الليلة. فوصلَ إلينا جملةٌ من الأحبابِ للسَّمَر معنَا، منهُم الشيخُ عبد الله الكُزْبَري [/ ٥٣]، والشيخُ أحمد نجيب كيوان(٣)، والسيد أحمد عبد العظيم، وله صوتٌ حسَنٌ فأنشدَ جملة قَصائد.

---

(١) حققت بعضَ أجزائه أعضَاءُ في مجمع اللغة العربية بدمشق، ولم يكمل، وصدر في طبعات تجارية عن دور نشر متعددة، بعضها في ٨٠ مجلداً.

(٢) الإمام عبد الكريم بن هوازن، أبوالقاسم القشيري، توفي سنة ٤٦٥هـ. وطُبع تفسيره الإشاريّ في مصر سنة ١٩٦٩ بتحقيق الدكتور إبراهيم بسيوني، وطبع بعد ذلك طبعات تجارية. ونوقشت رسالةٌ عن هذا التفسيرِ في جامعة السُّوربون يوم٧/ ٠٥/ ١٤٢٦ الموافق لـ ١٤/ ٠٦/ ٢٠٠٥ ونال صاحبها درجة الشرف الأولى.

(٣) لعل المؤلف يقصد: محمد نجيب (مركبا) بن حسن كيوان، فقيه حنفي، ولد بدمشق ١٢٨٧، وتوفي بها سنة ١٣٥٢هـ، من تلاميذه الشيخ أبوالخير الميداني والشيخ عبد الوهاب دبس وزيت، عن: «المستدرك على تاريخ علماء دمشق»: ص ١٢٣.

[زيارةُ المدْرَسة الرَّيحانية]

ثم في يوم من الأيام حضَرْنا إلى المدْرَسةِ الرَّيحانية[١]، ومديرُها الشيخ عبدُالجليل الدّرّا، الذي تقدَّم له ذكرٌ قريباً، فقابلنا كمالَ المقابلة، فدَخلْنا إلى محلٍّ واسعٍ، وفيه التلامذةُ مسْتَديرينَ على كراسي، وإلى جانبِ هذا الموضع بحيرةُ ماءٍ يتوضّئونَ منها للصلاة، فاستقبلونا التلامذةُ، وقبّلوا أيدينا بأمره، وهم نحْوَ المائةِ تلميذٍ، فجلسنا على كراسي مرتفعَةٍ.

ثم نادَى على ابنه الميمُونِ المسمَّى أحمد شفيق، وسنّه نحْو تسعِ سنينَ، وهو في غايةٍ من الذكاء والنباهَة، كما تقدم له الذكْر حينَ حضَرْنا عند أبيه في البيت، فحضَر وقامَ بين أيدينا، وسلّمَ علينا، واستأذنَ، وقالَ منشداً:

بقُدومِـــكَ يـا سَـــامي المجْدِ	تَمَّ الإينَاسُ لـــذي الـــوجْدِ
وبِــه مُــذْ أعلنَتِ الـبُشْرَى	فاهَـتْ بالبِشْر أولُـو الرشْـدِ
فلتَهْنَ دمَشْـــقُ الشَّـــامِ بكُمْ	فلقَــدْ حَـازتْ أسْنَى القَصْـدِ
ولتَــدْر بِـــــأنّ معَـــالمـها	فاقَتْ شـــرَفاً عـــلَم السَّـعدِ
وغَـــــدتْ تـــترنّــمُ قـائـلَـةً	اليــــومَ أتيــــــهُ عَلى نجْدِ
يحـيَى الحبَـشيُّ وابــنُ أخيـ	ـــهِ ومَـــن وافَـانَـا بالمجْـــدِ
كنزُ العرفَـانِ رفيـعُ الشّأ	نِ عـلى الأقْـران ذَوي الأيْـدي
صُبحُ الإرشَـــادِ منَـــارُ هُدًى	للحَــقِّ دلــيــــلُ المسْتَهدي

---

(١) تنسب إلى الخواجا ريحان الطواشي، خادم السلطان نور الدين محمود بن زنكي، أنشأها بدمشق سنة ٥٦٥هـ، وأوقف عليها أوقافا. عن: «الدارس»: ١/ ٤٠١.

حَـبرٌ جَـاز الأقْـوامَ عُـلاً ... بحْـرٌ لـكِنْ عَـذْبُ الورْدِ
لا بِـدْعَ إذا مَـا زارَتَـنـا ... أهـلُ التِّبيـانِ مـعَ الزهْـدِ
فدِمَشقُ الشَّامِ قَد ابتهجَتْ ... بِمُشـرِّفها هَـذا الفَـرْدِ
مَـولاي فـلا زالتْ تشْدُو ... بعـلاكَ صُوَيدِحـةُ الزَّنْـدِ
عُـذْراً بقُصـور العَبـدِ فَـما ... حَصْري أوصَافَكَ من جَهْدِي
واشْـمَـلهُ بِـدعـوَةِ مبتَهلٍ ... ليفُـوزَ بهايَـومَ العـَودِ[١]

فلما فرغَ من الإنشَادِ، ناولَني الورقَة التي فيها الأبياتُ، فإذا في أسْفَلها مكتوبٌ:

«خادمُكم، مستمدُّ الدعواتِ الخيرية، أحمدُ شفيق ابن عبدِالجليل الدرَّا، الملقبُ بأبي المجْد».

ثم تكلمْتُ معهم، وأثنيتُ عليهم بالثَناء الحسَن، وشكَرتُ لهم فعْلَهم، وقلتُ للأب: هذا من حُسنِ ظنكم، فجَزاكم الله عنّا خيراً. فدَعوتُ لهم أجمعين.


مدخل مسجد ابن عربي الشيخ الأكبر

[زيارة الشيخ الأكبر]

وفي يوم الربُوع، لتسع خلَتْ من شَهر ربيع الثاني سَنة ١٣٢٨ [/ ٥٥]؛ خرَجْنا إلى الصالحية لزيارةِ الشَّيخ الأكبر محيي الدين ابن عَربي[٢] وابنيه، والأمير عبدِالقادر الجزائريّ

---

(١) هذه الأبيات شبيهة إلى حد كبير بالأبيات التي أنشدت سنة ١٣٢١هـ ترحيبا بالعلامة محمد بن جعفر الكتاني، ينظر: «الرحلة السامية» ص ٢٧٣.

(٢) الشيخ محيي الدين، محمد بن علي الطائي، توفي بدمشق سنة ٦٣٨هـ. «الأعلام» ٦/ ٢٨١.


صورة الأمير الجزائري

صاحبِ «المواقف»[1]، وهو من العارفين بالحقيقَةِ، ومشْربه مشرَبُ الشيخ محيي الدينِ، كما يعلم من مصنفاته. وبمعيتنا حسَنٌ الأسطوانيّ، وقد وصَل من المدينة، وفي صُحْبته الشيخُ يوسفُ النبهاني ، ومعَنَا الشيخُ عبدُالجليل الدُّرّا.

فركبنَا في عربيّة التَّرامْوَاي، حتى وصَلْنا إلى الصّالحية، وهي مسَافةُ نصْفِ ساعةٍ، فدخَلنا القُبةَ العظيمةَ، وفي وسَطها قبرُ الشيخِ محيي الدين وولديه، وعند رجْل الشيخِ محيي الدينِ ضريحُ الإمام الأميرِ عبدِ القادرِ، فزُرْناهم جميعاً، ووقعَتْ زيارةٌ عظيمةٌ، فتح الله فيها بدعواتٍ نرجُو الله قبولها.

[زيارة الشيخ عبد الغني النابلسي]

ثُم خرَجنا، وتوجّهنا إلى ضَريحِ الشيخِ عبد الغنيِّ النابُلسي[2]، وولدُه إلى جانبه، والمحلُّ محفوف بالجمال.

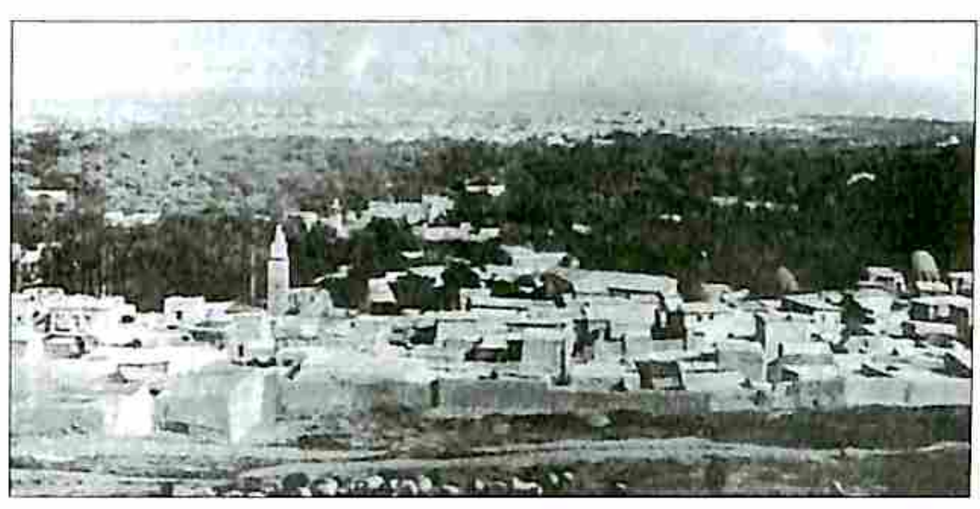

مسجد الشيخ عبدالغني النابلسي

(١) توفي بدمشق سنة ١٣٠٠هـ، ونقل جثمانه إلى الجزائر بعد الاستقلال. «الأعلام» ٤/ ٤٥.

(٢) توفي بدمشق سنة ١١٤٣هـ. «الأعلام» ٤/ ٣٢.

[وصفُ الصالحية]

وقريةُ الصَّالحيةِ[1] هذه، قريةٌ عظيمةٌ، كانَتْ سابقاً منفصلة عن دمشق فاتصَلَ العمرانُ، فصارتْ منهَا. يقالُ إنها كانتْ في قديم الزمَانِ معمُورةً عمارةً عظيمةً، وكان بها نحْوٌ من ثلاثينَ مدرَسةً [٥٦/]، وفيها من العلماء كثيرٌ، حتى أخذتِ الشهرةَ دمشقُ، فتأخرت الصالحيةُ. وهكَذا الدُّنيا.



منظر للصالحية بدمشق

[قصة الشَّيخ ابنِ عربي وجارِه الكاتب]

وعلى رجُوعِنا من الصَّالحية، مررْنا على دورٍ ذاتِ قصُورٍ شامخة، ومن بينها قبرُ الشيخ يوسُف الكاتب[2]، وكان معاصِراً للشيخ محيي الدين، ومن المعترضين عليه،

---

(١) تأسست هذه القرية (سابقاً) والتي أضحَتْ من أحياء دمشق، في منتصف القرن السادس الهجري، على يد الإمام أحمد بن قدامة، الذي قدم من القدس إبان الغزو الصليبي، وأحضر عائلته معه، وسكن في هذه المنطقة. وعن تاريخها المجيدِ ينظَر: «القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية» لابن طولون، صَدر عن مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٨١م، وللدكتور شاكر مصطفى «مدينة للعلم، آل قدامة والصالحية» صدر عن دار طلاس ١٩٩٧م.

(٢) لعله المترجم في «شذرات الذهب» ٥/ ٣٩٠، واسمه: ابن الزكي قاضي القضاة بهاء الدين، أبو الفضل، يوسف بن قاضي القضاة محي الدين يحيى بن قاضي القضاة محي الدين أبي المعالي محمد بن قاضي القضاة زكي الدين علي بن قاضي القضاة منتجب الدين محمد بن يحيى القرشي الدمشقي الشافعي، ، توفي سنة ٦٨٥هـ.

وكان في ذلكَ الوقتِ ينسخُ كتاباً لملكٍ من ملوكِ ذلك الزمان، فلما كان ذاتَ ليلةٍ، جلسَ إلى جانبِ السراجِ، وكان كبيراً ومملوءاً زيتاً، والكتابُ بيدِه يريد تمامَ نسْخِه، فلما انتهى النسخُ وختمَه، قدَّر المولى أن سقَط السراجُ، فتبدّدَ الزيتُ على جميع الكتاب فحزنَ ذلكَ الرجلُ حزناً شديداً، لأنه قد أخبر الملِكَ بانتهاء النسْخِ، وكان عندَ الشيخ يوسُف المذكورِ بنتٌ في غايَةٍ من الذكاءِ والنباهة والصلاح، فقالت لأبيها: يا أبت لِمَ لا تذْهبُ إلى جارِنا الرجلِ الصّالحِ، وكان جارُهم الشيخُ محيي الدينِ، فلعلَّ ببَركَتِه تحصُل كرامةٌ، أو يدلّكَ على شيء يصلحُ غيَارُ[1] الكتاب.

فسَمِعَ كلامَها، وتوجه إلى بيتِ الشيخِ محيي الدين، فدخلَ وسلّمَ عليه [/ ٥٧]، فردَّ عليهِ السلامَ، وقال: أهلاً بالشيخِ يوسفَ؛ أين الكتابُ؟ فقالَ: هذا هو، فأخذَه ورمَاه في بركةِ ماءٍ، كانت إلى جانبه، فصاح الشيخ يوسفُ، فقالَ له الشيخُ محيي الدين: تريدُ الكتاب؟ فتناوله الشيخُ محيي الدين من البرْكَةِ، فإذا هو ناشفٌ أبيضُ، نظيفٌ، أنظفَ مما كان، وحروفُه واضحةٌ، ففرحَ الشيخُ يوسُف بذلك غايةَ الفرح، فقال له الشيخُ: لا يَذْهبُ بغضُنا من قلبكَ حتى تموتَ الآنَ، مُتْ، فسقطَ ميتاً، وأخذَ مدّةً، ثم ناداهُ، فقَام وفي قلبهِ من المحبّة للشيخ والعقيدَةِ شيءٌ عظيمٌ[2]، نفع الله بهم أجمعين. ثم إنّا رجَعْنا إلى منزلِنا، فبتنا تلكَ الليلة.

* * *

(١) دارجة حضرمية، أي: يصلح ما تغير منه.

(٢) هذه الحكاية ذكرها بأطولَ مما هنا النبهاني في «جامع كرامات الأولياء»: ١/ ٢٠٠.

[تلبيةُ دعْوةِ الشّيخِ عبد القادر الخطِيب]

وفي صبحِ اليومِ الثاني، كنا مدعوِّينَ عند الشيخِ العَلامة النجيب، عبدِالقَادر الخطيب[١]، وهم بيتُ عِلْمٍ، وقد توفي والدُه قريباً وكانَ من العلماء[٢].



الشيخ عبد القادر الخطيب

فقَصدْنا إلى بيتِه، وقد دعَا جملةً من علماءِ دمشْق. فمنهم مفتي الأحنافِ الشيخ سليمان أفندي[٣]، والشيخُ المبارك [/ ٥٨]، والشيخ أبو الخير الموقّع[٤]، والشيخ أحمد كِيوان، وغيرهم، وفعلَ ضيافةً عظيمة.

ثم إني سألتُ صَاحبَ البيتِ عن والدِه واشتهَارِه بالعلْم، فأخبرني بصِفاتِ والده واجتهاده في العلم، وكان جميعُ الكتب الذي يقرأها يكتبُها بيده، حتى أخبرَني أنه كتَب بيدِه مائةً وثلاثين مجلداً في فنون متعددة. ثم أخَذني إلى خِزانةٍ كانتْ هناك، وأراني الكتُبَ، فرحمه الله.

---

(١) عبد القادر بن أبي الفرج بن عبد القادر، الخطيب الجيلي الحسني، مولده بدمشق سنة ١٢٩١هـ، ووفاته بها سنة ١٣٥١هـ. كان خطيبا للجامع الأموي، ومديرا لأوقاف دمشق، وهو عم الأديب محب الدين الخطيب. عن: «تاريخ علماء دمشق»: ١/ ٤٦٠، «غرر الشآم»: ١/ ٥١٧، [ومنه أخذت صورة المترجم].

(٢) الشيخ أبوالفرج، توفي في صفر ١٣١١هـ. «غرر الشآم»: ١/ ٥٠٢.

(٣) لعله الشيخ سليمان بن محمد الجوخدار، توفي بدمشق سنة ١٣٣٧هـ، ينظر: «تاريخ علماء دمشق»: ٢/ ٦٩٣.

(٤) أبوالخير بن محمد سعيد الموقّع، توفي بدمشق سنة ١٣٤٦هـ. عن: «معجم الأسر الدمشقية»: ص ٥٢٥.

ثم إنه طابَ الحديثُ في ذلك المجلسِ، فحضَر حادٍ حسَنُ الصوتِ، اسمه حسن التغلبي[١]، فأنشد بقصيدَةٍ غراءَ في مدْحِ أهل البيتِ، وكان مُعْرباً مجيداً. وأنشَد منشدٌ آخرُ أيضاً، ثم إنه انتهى المجلسُ.

[في الريحانية مرّةً أخرى]

ثم إنا في يوم من الأيام وصَلنا إلى المدرَسة الريحانية، فقابلَنا الشيخُ عبد الجليل المذكُور سابقاً، وجلَسْنا على الكراسي، فاستدْعَى التلامذَة، فأقبلُوا نحواً من خمسين تلميذاً، فالبعضُ منهم قبلوا أيدينا، ثم إنهم جلسُوا في غايةٍ من الأدب والسكينة. فقالَ لبعْضِ الأولاد: أقبِلُوا، فأقبلوا.

فأمرهم أن يسْمِعُونا [٥٩/] شَيئاً من شرُوط الصّلاة وأركانها ومبطلاتها وفروضِ الوضوء، وذلك في صَفةِ سَائل ومسئول، بهيئَةٍ حسنةٍ، فأسمَعُونا ما يسرُّ القلوبَ. وفيهم صبيانٌ لم يبلغوا السبعَ السنين، وقد ختمُوا القرآن، وفيهم من الذكاءِ والنجابة ما يقْضي بالحيرة.

ثم إن الشيخَ نادَى على ولدٍ صَغير باسمه، فجاءَ وفي صَدْره لوحٌ معلقٌ، مكتوبٌ عليه: «هذا مصَوِّرُ الحروف والحركات»، ثم قابلَه آخرُ، فكان كلما كتبَ شيئاً في الهواءِ بأصبعه بغايةِ العجلةِ، أخبرَه الثاني بذلك الحرف.

ثم إنّ الشيخَ نادَى عليهم جميعاً، وقال لهم: اقرؤوا «عقيدَة الإمام الغزاليّ» أمامَ السيد، لأجلِ تحفّكُم البركة. فقالُوهَا حفظاً بصوتٍ واحدٍ، مع الأدبِ الكامل، فسبحان المعطي.

---

(١) حسن بن ماجد التغلبي، ولد بدمشق سنة ١٢٩٤هـ، وبها توفي سنة ١٣٧٨هـ، كان شيخ الطريقة السعدية الشيبانية، تفقه على بكري العطار، عن: «معجم الأسر الدمشقية»: ص ١٠٢.

[لفتةٌ ..]

وتعليمُ الشيخِ للتلامذَة، فيه ما يشبهُ قواعِدَنا في جهَةِ حضرموت، لأنهم يبتدؤونَ بأمورِ الدينِ المهمّة، من الصلاة ونحوها. ثم إنا صلينا الظهْرَ عندَه ورجَعْنا.

[زيارة أخرَى للشَّيخِ المبارك]

ثمَّ إنا في يومٍ من الأيام؛ توجّهنا إلى بيتِ العلامة الشيخ [/ ٦٠] محمد بن محمد المباركِ الجزائريِّ، فوافقْنا وقتَ تناول الطعام، فتناولنَا الطعامَ، وجلَسْنا عنده مجلساً طويلاً، طالت المذاكرَةُ فيه. ثم إني ذكرتُ له مصنفاتِ سادَتنا العلَويين، فأحبَّ الإطلاع عليها ثم قال هل منها شيء مطبوع ، فقلتُ له: مطبوعٌ منها: «المشْرَعُ الروي»[1]، و«عقْدُ اليواقيتِ»[2]، و«كتُبُ الحداد»، فطلبَ مني أن أرسِلَ له ذلك.

ثم قرأتُ له من كلامِ سيدي عليٍّ المنثُور والمنظُوم، فعَجِبَ منه غايةَ العجَب، وقال: هذِه اللسانُ غريبةٌ، لم أسْمَع من يعبِّر هذا التعبيرَ. ثم قال لي: وهلْ هو موجودٌ الآن؟ فقلتُ له: نعَم. فقَالَ: هذا والله فريدُ زمانه، ويا سَعادة أهْلِ قُطره به. ثُمّ إنه طلبَ منّي كتابةَ بعْضِ الأدعية والصّلواتِ على النبيِّ ﷺ. ثمّ قالَ: كم بين حضرموت والحجَاز؟ فذكرتُ لهم المسافةَ، فقالَ: أسألُ الله أن يبلّغني، ويمُنَّ عليَّ برؤياه.

---

(١) صدرت طبعته الأولى عن المطبعة الشرفية بالقاهرة، سنة ١٣١٩هـ.

(٢) صدرت طبعته الأولى عن المطبعة الشرفية بالقاهرة، سنة ١٣١٧هـ.

[إجازةُ المؤلفِ للشّيخِ المبارَك]

ثم إنه طلبَ مني الإجازةَ فامتنعتُ، وقلتُ له: أنتم أجيزونَا، فقالَ: بشَرْطِ أن تجيزَني، فكتبتُ له إجازةً، وهي هذه [/ ٦١]:

بسم الله الرحمن الرحيم

وربك الفتاح العليم

«الحمدُلله حمدَ عبدٍ نطَقَ بالحكمةِ بإلهام من حَكيم، فألقَاها على أهل الاسْتعدادِ من كل ذي قلبٍ سليم، فتلقّاهَا منه واحتسَى كأسها الكريم، ثمّ أملاها في مجالس التلقّي والتعليم، فشنفَ بها الأسماعَ الواعيةَ، من ذوي الأرواحِ النورانيةِ والقلْوبِ الصافية، فقاموا بها في محافلِ الدّعْوةِ إلى الله داعينَ، وللأمانة التي أُمِروا بتبليغِها مؤدِّين، ففازُوا برضَا الربِّ الرحيم، وترقَّوا إلى المقامِ العالي الفَخيم، ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٥٣]، والصَّلاةُ والسلامُ على الحبيبِ الأعظمِ، والسيد الأكرَم، سيدِنا محمّدِ بنِ عبد الله صلى الله عليهِ وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد؛ فلما كانتِ الأرواحُ في عالمها جُنوداً مجنَّدةً، منها ما تعارفَ، ومنها ما تناكر، فما تعارَف هناكَ ائتلفَ هنا، وما تناكر هناكَ اختلَف هُنا، فممَّن عَرفتْ روحي روحَه، وهو السيد السند، والعلم الأوحد، العالم العلامة، والحبر البحر الفهامة، الشريف الكامل، أخي في الله، بلا شكٍّ ولا اشتباه [/ ٦٢]، محمّدُ بن محمدٍ المباركُ الحسَنيّ الجزائريِّ، أدامَه الله قائماً في محرابِ التلقِّي والاستمداد، مفيضاً على إخوَانه مما منحَه الحقُّ من الأسْرارِ والإمداد، آمناً في سِرْبه، معافًى في بدنه، ناطقاً بالحكمة في قَومِه، مسْروراً في ليلته ويَومه، اللهم آمين.

وقد جمعَتْني مع الأخِ المشَار إليهِ مجالسُ، تناوبْنَا فيها الحديثَ، في القَديم والحدِيث، فجلَونا بها عرائسَ النفائسِ، ونفَائسِ العرائس، من علُوم وأسرارٍ تلقَّيناها عن المشَايخِ، وأخلاقٍ وآدابٍ شَاهدنَاها في كلِّ ذي مجدٍ شَامخ، فصَفَا الوقتُ وطابتِ الأرواحُ، بما غمَرها من السرُورِ والانشراح، فقالَ لسانُ الحالِ: «نحن رُوحَانٍ ورَدْنا إلى حانٍ كؤسُه مدهَقةٌ للشاربين، ونُدَماؤه بعَوارفِ المعارفِ ناطِقُونَ على يقينٍ، تهمِي عليهِم سحُبُ الفيضِ الإلهيِّ بلطائفِ الأسرار، وتتوارَدُ عليهِم عواطفُ البرِّ الرّحيمِ بالعشيِّ والإبكار».

ومن حُسْن ظنِّه في الفقير، طلبَ مني الإجازَةَ، ظاناً أني معدودٌ في أهل الذكر والتذْكير، والجدِّ والتشْمير، والحالُ أني غارقٌ في بحُور التقْصير، تائهٌ [/٦٣] في مَيدانِ الغِواية الخطير، ولا ينبئُكَ مثلُ خبيرٍ. ولكن لما كانتْ لذلكَ الأخِ عندي محبةٌ ثابتةٌ ووُدّ أكيد، امتثلتُ أمرَه، فأقولُ وبالله التوفيق: أجَزْتُ أخي المذكور، حفظَه الله، في جميعِ ما تصحُّ لي روايتُه ودرايتُه، من معقول ومنقولٍ، مما تلقيتُه عن مشَايخي الجهابذة الفحُول، من تفسيرٍ وحَديث وفقهٍ وعلومِ آلةٍ، فإنّ لي بحَمْدالله عدةُ مشَايخ أخذْتُ الفنُونَ المذكُورةَ عنهم سماعاً وقراءة.



فأولهم والدي العالم العلامةُ، الداعي إلى الله بقولِه وفعله، محمدُ بن حسينٍ بن عبد الله بن شيخ الحبشي، مفتي الشافعية بمكّة المشرفة المحميّة سابقاً، من عام ١٢٧٠ إلى عام ١٢٨١، وفي هذا العَام توفِّي رحمهُ الله وأسكنه بُحبوحَ جنته. وقرأتُ علَيه جملةً من الكتبِ، وحفظتُ عليه جملَةً من المتُونِ.

وأخذتُ عن السيدِ العلامة النِّحْرير، أحمد ابن زيني دحلان، وقرأتُ عليه في «تفسير البيضاوي»، وغيره من كتب الفقه والنحو.

وأخذتُ عن الشيخ محمّدِ بن محمدٍ العزب، وقرأتُ عليه في «شرح المنهج».

ولي عدةُ مشَايخَ سمعتُ منهم، وقرأتُ [/ ٦٤] عليهم، نفعنا الله بهم، ومنهم سيدي وسندِي، وأخي من أبي، العلامةُ الشهير، حسين بن محمد بن حسين الحبشي، فإني سمعتُ منه «صحيح مسلم»، وسمعت منه «الأسماء والصفات» للبيهقي، وغيرها من الكتب، وقرأنا على سيدي الوالد نحنُ وإياهُ في جملة كتبٍ، منها «كشفُ الغمَّة» للإمام الشعراني، ومنهَا «الشِّفا» للقاضي عياض، وغيرها.

ومنهُم شيخي الأكبر، ونجْميَ الأزهر، ومجدي الأفخر، العارف بالله والدالُّ عليه، أبو الرُّوح، وشيخُ الفتوح، بحر الشريعة والحقيقَة، الفرد الجامع، والقطب الرباني، علي بن محمد بن حسين الحبشي، وهو أخي من جهَةِ النسَبِ، فهذا بابُ دخولي، ومنهَجُ وصُولي، متَّعَ الله بحياته، وأفاضَ على جميعِ ذرَّاتِ الوجُود من بركاته ونفحاتِه، فإنه في هذا العَصْر كالشّمسِ في رابعة النهار، مآثره ظاهرة، وكراماته باهرة.

ومن كلامه رضي الله عنه في «تائيته» يقول:

دخلنَـا بـِسر البَـاء في بـاب عَـالم ... نـرى البحْـرَ في أنهـارِه مثـلَ قَطْرَةِ [/ ٦٥]

فلـو ترجمتْ عنَّا الوجُـوداتُ كلُّها ... لمـا عـبَّرتْ عن عُـشر معْشَـارِ ذرةِ

وليس لعَينِ الكشـف يا صَاحِ منتهًى ... سِـوَى حَيرةٍ في حَيرةٍ ضمْنَ حَيرةِ

إلى آخر ما قال رضي الله عنه وأرضاه. وله «ديوانٌ» عظيمٌ يحتوي على قصائدَ طنانةٍ في المحبَّة، بلسان الإدلال، وفي الدعوة إلى الله، وغير ذلك، حفظه الله، ونفع به، آمين.

ولَه مشايخُ كثيرون؛ منهُم شيخُ فتحِه، الإمامُ الأعظمُ الفَردُ، الجامع بين الشريعة والحقيقة، أبوبكر بن عبد الله بن طالب العطاسُ، وكان عظيمَ الحالِ، أعطاه الله لسَاناً عظيمةً في الترجمةِ عن معَاني القرآن العظيم، فمما سمعته عن سيدي عليٍّ، يقولُ: إنه سمعَ من شيخه الحبيبِ أبي بكرٍ المذكُور، أنّه قالَ: «لو أردتُ أن أتكلَمَ على

تفسيرِ هذه الآية، وهي: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ١٢]، إلى آخر الآية، لعجزَتْ كتبةُ الدنيا، فرحمهُ الله ونفعَنا به.

ولي مشايخُ كثيرون، منهم علامةُ الزمان، الحبر البحر الفهامة، السيد عيدروس بن عمر الحبشي، صاحبُ «عقد اليواقيت الجوهرية» في السند [/٦٦] والأخْذِ والإلباسِ والتّلقين وطرُقِها، فانا عاصَرْناه، وأخذْنا عنْه، وأجازنا بما احتوى عليه كتابُه «عقد اليواقيتِ الجوهرية»، وقد تُوفي في شَهْرِ رجَب عام ١٣١٤، فرحمه الله تعالى ونفعنا به.

ولي مشايخُ كثيرون تركتُ ذكرَهم خوفَ الإطالة، وفيمَنْ ذكرْنَا بركةٌ، فأنا أقولُ: قد أجزتُ أخي المذكور بما أجَازوني به، وأجزتُه خصوصاً بما أجازني به شَيخي في الصَّلاة على النبي ﷺ، والدعواتِ التي له، وقد كتبها عنده السيدُ محمدٌ المذكور، وهي مشهورةٌ.

وهذا ما رقمَه القلمُ، ونطق به الفَمُ، مما فتحَ به الله، فأطلبُ من أخي حفظَه الله أن لا ينسَاني من صَالحِ دعَواته، في خلواته وجلَواته، كما أني لا أنسَاه، فنرجو الله عفْوَه ومغفرته، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

حرر ذلك في بلدَة دمَشْق الشام؛ ١٥ ربيع الثاني ١٣٣٨

قال ذلك وكتبه، شيخ بن محمد بن حسين الحبشي.

[الشيخ المباركُ يهدي المؤلفَ كتباً نفيسَة]

ثم إني قبلَ السَّفرِ بيوم ذهبتُ إليه، لأنه متأثر بألم الرِّياح، ففرِحَ بي كثيراً، ثم إني أخبرتُه بالتوَجُّه إلى (بيرُوت) غداً، ثمّ حضَر الطعَامُ، فطَعِمنا، ثم إنه عرَضَ عليَّ كتباً كثيرةً [/٦٧]، وقالَ: الذي تريده من كتبي خُذه بفرَحِ قلْبٍ. فأخذْتُ

الذي لم يكن عندي منه، مثل «شَرْحِ الجامعِ الصَّغير»[١]، وكتاب «العُروش» لمحمد وفا[٢]، وغيرها.

[إجازَةُ الشيخ المباركِ للمؤلف]

ثم إني سلمْتُ له الإجازَةَ التي كتبتها له، واستودَعتُ منه فبكى وأبكَى، ثم إنه ناولني الإجازَة التي كتبها لي، وقال: اعْفُ عني يا سيدي، وهو في غايةٍ من التواضُع، حفظه الله وتولاه. والإجَازةُ التي منهُ هي هذه:

بسم الله الرحمن الرحيم

«الحمدُلله الذي خصَّ هذه الأمةَ بالثبَتِ الأقوَى، وأجازَ من استجازَهُ بجَائزة الهدَى وحقَّقه بحقيقَةِ التقْوَى، وحلَّى أجْيَادَ أهلِ العلْم بفرائِدِ قلائدِ الإسناد، وأمدَّهُم بعَوارفِ المعارِف، ففَازُوا بلطائفِ الإسْعَافِ والإسعاد.

وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحْدَه لا شَريكَ له، شهادةً يكونُ بها العَمَلُ الموقُوف مَرفوعاً، ويوصَلُ بسرِّها من كانَ عن حَمَى الأحبّةِ مقطُوعاً، وأشهدُ أن سيِّدَنا محمداً عبدُه ورسُوله الذي انفجَرتْ ينابيعُ الحكَمِ من عيُون مدَده، وافتخرَتْ أمتُه على سائرِ الأمَم ببلوغِ أقصَى المعالي في علوِّ سندهِ [/ ٦٨]، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصَحبه الناهِجينَ من مناهجِ الشريعةِ أقومَ مجازٍ، حتى لاحَتْ لعيُونِ بصائرِهم من

---

(١) لم يحدد أي شرح هو؟ وقد طبع من شروح الجامع الصغير: التيسير للمناوي وهو الشرح الصغير بالمطبعة العامرة بمصر سنة ١٢٨٦هـ أما الكبير «فيض القدير» فطبع سنة ١٣٢٩ بالمطبعة الجمالية فليس هو المقصود بالذكر هنا. وطبع شرح العزيزي «السراج المنير» ببولاق سنة ١٢٩٢، وأعيد طبعه في الخيرية ١٣٠٤هـ، وفي الميمنية ١٣٠٥هـ، عن: سركيس، عدة مواضع، و«جامع الشروح والحواشي»: ٢/ ٧١٩.

(٢) تقدم ذكر الشيخ محمد وفا، توفي سنة ٧٦٥هـ. وكتاب العروش هذا مخطوط، منه نسخة في الخديوية بمصر، وبشستربتي بدبلن بألمانيا.

معالم الطّريقة المحمديةِ أسرارُ الحقيقَة والمَجاز، ما اتصلَ إسنادٌ حسَنٌ، بخبَر صَحيحٍ وحَديثٍ حسَن.

وبعْدُ؛ فإنّ الإسنادَ من الدينِ، والآخِذَ به معتصِمٌ بحبْل الله المتين، فلذلك أقبلَ أهلُ الفضْل عليه، وتوجّهتْ سوابقُ الهمَم العاليةِ إليه، وإن ممن رتَع في رياض العلوم، وكرعَ من زُلالِ حياضِ الفُهوم، حضرَةُ العالم العامل، والأستاذ الكامل، الحبيبُ النسيب، الظافرُ من فنونِ العلم بأوفر نصيبٍ، مولانا السيد شيخٌ، ابن مولانا العارفِ بالله تعالى والدال عليه مفتي السَّادةِ الشافعيةِ، السيد محمد ابن مولانا السيد حسين الحبشي باعلوي، حفظَه الله وأدام مجده وعلاه.

وقد طلبَ منِّي الإجازَةَ، ظناً منه إني ممن سلك هذِه المجازَة، مع أني لَسْتُ من فرسان هذا الميدانِ، ولا ممنْ لَه في سِباحةِ بَحْر العِرْفانِ يدانِ، إلا أنّه حيثُ حسَّنَ بي ظنَّه، منحه الله مُنَاه فضلاً منهُ [/ ٦٩] ومِنَّة، أجَبتُه إلى مرادِه، رجاءَ بركَةِ إسعافه وإسعاده. فأجزتُه إجازَةً تامةً، مطلقةً عامّةً، بما تجوزُ لي روايتُه، وتُعزَى إليَّ درايتُه، وأجزتُ أولادَه وأشبالَه، أولاهم الله جُودَه وأفضاله. كما أجازَني بذلك مشايخي من العلماءِ الفحُول، فيما أرويه عنهم، وأسنِدُه إليهم، من منقولٍ ومعقول.

منهُم شقيقي وأستاذي، العارفُ بالله تعالى، والدالُّ عليه، السيدُ محمدُ الطيب، سقَى الله ثَراه غيثَ رِضْوانه الصيِّب، وروَّح رُوحَه الكريمة بنَفْحِ أرَجِه الطيِّب، فإنه قدَّسَ الله سرَّه العزيز، أجَازني بما تجوزُ له روايتُه، وتُنمَى إليه درايته، منها تلقينُ أورادِ القطْبِ الكامل، مولانا السيد علي أبي الحسن الشاذلي الحسني، رضي الله عنه، وأحزَابه وأذكاره وأدعيته المباركة.

كما أجازَه بذلك مَشايخه الأجلاء؛ من أجلهِم، الأستاذُ الكبير، شيخُنا العارفُ كتامةً، مطلقةً عامةً، بجميعِ مروياتِه، وخاصة بـ«رِسَالة الإمام أبي القَاسم القشيري».

ومنهمُ، الإمامُ المحدِّثُ العلامةُ، السيدُ محمدُ بن جعفرٍ الكتَّاني الحسنيّ الإدريسيُّ[(١)]، عن مشَايخه المذكُورِينَ في «ثبته»[(٢)].

ومنهم، شيخُنا العلامةُ، الشيخ بكْري العطَّار[(٣)]، عن والده الشيخ حامد العطار[(٤)][/ ٧٢]. وعن شيخِه العلامةِ الشيخ عبد الرحمن الطِّيْبيّ[(٥)]، وكلاهما عن العلامة المحقق، الشهابِ أحمدِ العطَّار[(٦)]، والفهّامة المدقّق، الشيخِ محمدٍ الكُزْبَري، وأسانيدُ هَذين الإمامين مبسوطةٌ في «ثبتيهما».

ومنهم، العلامةُ المحترمُ، الشّيخ عبدُالقادر القصّاب الشَّامي[(٧)]، وهو عن مشَايخه الأكَارم، وأسَاتذتِه الأعاظم، منهم العلامة الشيخُ محمّد عِلَيْش الأزهري المالكيّ[(٨)]، والشيخ محمد الأنبابي[(٩)]، والشيخ محمد الأشموني، والشيخ إبراهيم السقّا[(١٠)]، والشيخ عبد الرحمن الشربيني[(١١)]، والشيخ أحمد الرّفاعي الفيومي[(١٢)]،

---

(١) توفي سنة ١٣٤٥هـ، وعن ثبته وشيوخه ينظر ترجمته الكبرى بقلم د. محمد بن عزوز، الصادرة عن مركز التراث المغربي بالتعاون مع دار ابن حزم، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

(٢) للسيد الكتاني عدد من الأثبات، أكبرها وأجمعها إجازته للشيخ محمد حبيب الله الشنقيطي، الترجمة الكبرى: ٢/ ٥٢٥ وما بعدها.

(٣) توفي سنة ١٣٢٠هـ، ترجمته في: «تاريخ علماء دمشق» ١/ ١٩٧.

(٤) توفي سنة ١٢٦٣هـ، ترجمته في: «تاريخ علماء دمشق في القرن ١٣»: ٢/ ٤٩٧.

(٥) توفي سنة ١٢٦٤هـ، ترجمته في: «أعيان دمشق» للشطي: ص ١٦٥.

(٦) توفي سنة ١٢١٨هـ، ترجمته في: «أعيان دمشق» للشطي: ص ٤٥.

(٧) توفي سنة ١٣٦٠هـ، عن (٩٤ عاما)، ترجمته في: «تاريخ علماء دمشق»: ١/ ٥٣٩.

(٨) توفي سنة ١٢٩٩هـ، «الأعلام»: ٦/ ١٩.

(٩) توفي سنة ١٣١٣هـ، «الأعلام»: ٧/ ٧٥.

(١٠) توفي سنة ١٢٩٨هـ، «الأعلام»: ١/ ٥٤.

(١١) توفي سنة ١٣٢٦هـ، «الأعلام»: ٣/ ٣٣٤.

(١٢) توفي سنة ١٣٢٥هـ، «الأعلام»: ١/ ٢٠٢.

وهم جميعا عن مشَايخهم المذكُورين في «ثبَت»[1] شَيخِنا المذكور.

هذا؛ وأرجُو من بركَاتِ المجَازِ أن لا ينسَاني من صَالحِ الدعواتِ، لاسيَّما في مظَانِّ الإجابات، وأوصيه ونَفْسي بالبرِّ والتقْوى، وحسنِ توجّهاته في السر والنجْوى، رزقني الله واياه كمال رضوانه الأسنى، وختم لي وله بمنه وكرمه بخاتمة الحسنى، بحرمة سيدنا محمد ﷺ وآله الكرام، عليه وعليهم أكمل الصلاة والسلام.

١٧ ربيع الثاني سنة ١٣٢٨؛ بإملاءِ الفَقير إلى مولاه

محمد بن محمدٍ المباركِ الحسنيّ الجزائري، عفَا الله عنه [/ ٧٣].

❊ ❊ ❊

[تلبيةُ دعْوَة الشيخ نجيب كِيْوان]

وفي يومٍ من الأيامِ، دعَانا للضّيافة المكرَّمُ نجيبُ كيوان، فحضَرْنا عنده بعد صلاة المغربِ، وحضر جمع من أهل الشام وتناولنا الطعَام ثم جلسْنا في موضِعٍ لطيفٍ، مفرُوشٍ بأنواعِ المفرُوشاتِ الجميلةِ، فقابلَني صَاحبُ المحلِّ، وجلسَ أمامي، وقَد أُخبِرتُ أنه يحفظ القرآنَ بالسَّبعِ، فطلبتُ منهُ أن يقْرأ شيئاً من القرآنِ الكريم، فقرأ سُورةَ ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ [النجم: ١]، بصَوتٍ حسَنٍ، فطربْنَا غايةَ الطرَبِ، والرَّجلُ المذكُور ذو تجارةٍ واسِعةٍ، ولكنْ مع الورعِ التّام، حسبما أخبرونا، وللتجَّار عَمائمُ معروفةٌ يتميَّزونَ بها عن غيرهم. ثم خرَجْنا من عندِه ورجَعْنا إلى محلِّ الجلُوسِ.

---

(١) هذا الثبت مما يستدرك على ترجمته في «تاريخ علماء دمشق»، وقد أورد المؤلفان أسماء جل شيوخه المصريين والشاميين وغيرهم، ينظر: ١/ ٥٤٢، ومنهم الحبيب أحمد بن حسن العطاس.

[جولةٌ في دمشق؛ المزَّة والرّبْوة]

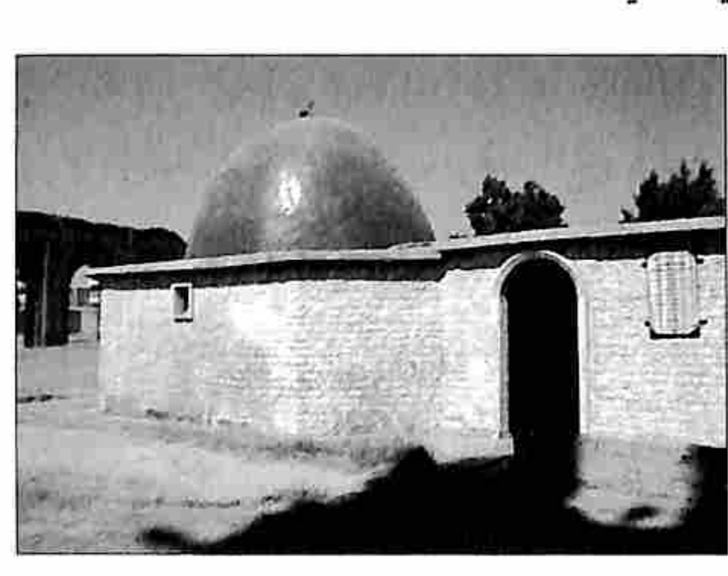


منظر لدمشق

ثمَّ في اليوم الثاني؛ خرَجْنا إلى محلٍّ يقالُ له (الـمَزَّة)، ومحلٍّ آخرَ يقَالُ له (الربْوة)، وهو محلٌّ مرتفعٌ جدًّا، وهو من البلَدِ على مسَافةِ ساعةٍ فلكيّةٍ، ونحن راكبون على عَربيةٍ، ومن حين خرَجْنا من البلَدِ ونحنُ نمشي بين أنهارٍ وأشْجَارٍ مثمرةٍ بأنواعِ الأثمار، ومع جملةٍ من فُضَلاءِ أهلِ الشام.

[ضريح الصَّحابي دحية الكلبي رضي الله عنه]

حتَّى وصَلْنا إلى ذلكَ المحلِّ، وفيه ضريحُ سيّدنا دحيَةَ الكلبيِّ، الصحابي، وضريحُ الشيخِ العارفِ بالله، الشيخِ الطيِّب [/ ٧٤]، أخو الشيخ محمدِ المباركِ المذكور سابقاً، فنزلنَا حولَ ضريحِه في محلٍّ معدّ للزّوار، بصِفةِ زاويةٍ أو مَسجدٍ، والضّريحُ خارجَ ذلكَ المحلّ.



ضريح الصحابي دحية رضي الله عنه



فزُرنا أولاً، وكان في ذلكَ اليَومِ ريحٌ شديدٌ، يكَاد ينقلُنا عن ذلك الموضعِ.

ثم إنا دخَلْنا في ذلكَ المحلِّ المعدّ، وأضافنا الناظِر أولاً بالأسودين، التمْر، والماء، ثم قدّمَ لنا الطّعامَ المعتَادَ، فأكلنَا، ثمَّ قرأنا مَولِدَ المصْطَفى ﷺ.

[الشّيخُ الطيّبُ]

والشيخُ الطيّبُ المذكورُ، صَاحبُ الضريح، صَاحبُ أحوالٍ عظيمةٍ، وهو عالمٌ عاملٌ، عارفٌ بالله، له لسَانٌ عظيمةٌ في كلام القَوم، ذكر لي أخوه محمّدٌ المذكُور من أحوالِه ما يقْضي بالعَجَب، وهو شَيخُه في الطّريقِ، وله «مكاتباتٌ» عظيمةٌ، رأيتُها عند أخيه المذكور، فرضيَ الله عنه ورضيَ عنّا به.

ثم إنّا ركبْنَا العَربيّاتِ، ورجَعْنا وصَلّينا في البلد.

وفي اليومِ الثاني صباحاً؛ أمطرَتِ السّماء بمَطرٍ صيِّب، وهو مطلوبٌ ومرغوبٌ عندَ أهلِ البساتينِ في ذلك الوقْتِ، وزاد البرْدُ وكثُر الثلجُ، فإذا أرسلَ الإنسانُ طرْفَه إلى الجبالِ يراهَا بيضَاءَ يعلُوهَا الثلجُ، كالعِهْنِ الأبيضِ [/ ٧٥] المنفُوش، فسُبحانَ القادرِ على كلِّ شيءٍ، وذلكَ اليَوم يومَ الجمعة، ولعلَّها في ٩ نيسَان.

[ضِيافة عند الشّيخ الموقِّع]

وفي ليلة السبْتِ دعَانا للضّيافةِ الشيخُ المكرَّم المثري، صَاحبُ الخلُقِ الحسَن، أبو الخير الموقِّع، ودَعَا جملةً من عُلَماء دمشْقَ الشّام، ومن القَادمين إليهَا، من جملتِهم الشيخُ يوسفُ النبهاني، وغيرُهم من الأعيانِ، وقرئَ المولدُ الشّريف.

ثم بعدَ ذلك أنشَد الحداةُ بالأصْوات الحسَنة، منهُم حَسنٌ التغْلبي، أنشد بقصيدة ميميةٍ في مَدْح المصْطَفى ﷺ للشيخ الرّواسِ[١]، وهي قصيدة غرّاءُ، ثُمَّ أنشد الحادي الآخرُ، فغَمرَ السرورُ جميعَ الحاضرين.

ثم بعد ذلك وقعَتْ مذاكرَةٌ في برَكةِ الوقْتِ وامتدادِه لبعْض الصالحين، حتى وقع الذكرُ في الإمَام السُّيوطيّ[٢]وكثْرة مؤلفاته، ثم إلى ذكر القَسْطلاَّني[٣]، وما صارَ بينه وبين السيُوطيّ، وما صار بينَ ابنِ حجَرٍ العسْقَلانيِّ[٤]والإمامِ العينيّ[٥]في شرحِهما على البُخَاري.

[حِكايةُ الشّعْراني مع اللَّقّاني]

ثم ذكرَ الشيخُ يوسفٌ النبهاني قِصّةً تناسِبُ ذلكَ، وهي غريبةٌ جدًّا، قال: «إن الشيخَ إبراهيم اللقّاني[٦] كان في عَصْر الشيخِ عبْدالوهابِ الشِّعراني[٧]، وكانَ كثير الانتقادِ على الشيخ الشعراني، فبلغَ الشيخَ الشَعرانيَّ ذلكَ، فأحبّ [/ ٧٦] زوالَ ما كانَ في قلبِ اللقّانيِّ عليه، فذهبَ إليه مرةً فاستأذنَ عليه على الدخولِ، فأذنَ له، فدخلَ. فقالَ: جئتُكَ زائراً، فعاتبَه الشيخُ اللقانيُّ، فقال له: يبلغُني عنكَ أنكَ تقول كذا، وتقول كذا. فقالَ له: سيدي! العفْوُ منكم مطلوبٌ.

---

(١) واسمه محمد مهدي بن علي الرفاعي، توفي ببغداد سنة ١٢٧٨هـ، «الأعلام»: ٧/ ١١٣.

(٢) عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين، توفي سنة ٩١١هـ. «الأعلام»: ٣/ ٣٠١.

(٣) أحمد بن محمد، قطب الدين، توفي سنة ٩٢٣هـ. «الأعلام»: ١/ ٢٣٢.

(٤) أحمد بن علي، شهاب الدين، توفي ٨٥٢هـ. «الأعلام»: ١/ ١٧٨.

(٥) محمود بن أحمد، بدر الدين، توفي ٨٥٥هـ، «الأعلام»: ٧/ ١٦٣.

(٦) توفي سنة ١٠٤١هـ، «الأعلام»: ١/ ٢٨.

(٧) توفي سنة ٩٧٣هـ، «الأعلام»: ٤/ ١٨٠.

ثُمَّ قالَ له: يا سيدي أطلبُ منكم تعيرُوني «المدَوَّنَةَ» للإمَامِ مالكٍ، كَي أنسَخَها، فقالَ له: لا بأسَ، وكان في أجزاءَ كثيرةٍ.

فدعَا على خادم له، فقال له: احملْ هذهِ الأجزاءَ مع الشيخ الشعرانيِّ، فحملَها الخادمُ خلفَ الشيخِ الشعراني، وذهبَ معَه إلى بيتِه، وقالَ للخادِمِ: انتظرني هُنا، حتى تَعُودَ بالأجْزاء للشيخِ اللقّاني. ثم إنّ الشيخَ الشعرانيَّ طلعَ إلى البيتِ، فاختصَر «المدوَّنة»، وهمَّشَ على نسخةِ الشيخِ هوامشَ استغرَقتْ جميعَ أطرافِ الصَّوافح[1].

ثم إنّه بعدَ ذلك سلّمها للخادِمِ المرسُولِ معَه، وقال: سلّمْها للشيخ. فأخذَها ومضَى بها وسلمها للشيخِ اللقَّاني، فتأملَها فإذا هيَ مملوءَةٌ هوامشَ تستغْرقُ كتابتُها أشهراً، فتعجّبَ اللقانيُّ من ذلكَ غايةَ العجَبِ، فقام حالاً، وتوجّه إلى الإمَام الشعرانيِّ، وطلبَ العفْوَ منه، واسترضاه، وقال له: والله ما كنتُ [/ ٧٧] أحسِبُ أنّكَ في هَذه الرتبَةِ، ثم أطْلعَه على «اختصَار المدونة»، فزادَ عجباً[2]، فرضيَ الله عنهُم، ونفع بهم آمين.

* * *

---

(١) يقصد: الصفحات.

(٢) هذه القصة أوردها النبهاني في ترجمة الشعراني من كتابه «جامع الكرامات»، نقلا عن مناقب الشعراني للمليجي المسماة «تذكرة أولي الألباب»، ينظر: ٢/ ٢٧٩، ولكنه سمى اللقاني: ناصر الدين، وهذا الشيخ ناصر، اسمه محمد اللقاني، توفي سنة ٩٥٧هـ، كان فقيها أصوليا. ينظر: «شجرة النور الزكية»: ص ٢٧١.

[زيارة تُرْبة البابِ الصَّغير]


تربة باب الصغير

وفي صباح يوم السبت؛ وصلَ إلينَا الشيخُ حسَنٌ الأَسطوانيُّ، بطَلَب منَّا لأجلِ الـزيـارة(١)، فخرَجْنا معاً إلى محلٍّ يقالُ له (البَابُ الصغير)، لزيَارَةِ من فيه من الصَّحابة والأولياء(٢). فدخَلْنا إليه؛ وأولُ من زُرْناه: سيدُنا أوسٌ الثقفيُّ، صَحابيٌّ، ثم زُرْنَا الشيخَ أبو البَيانِ(٣)، أخ ابنِ رَسْلان، صَاحبِ «الحكَم» التي أولها: «كلُّكَ شرْكٌ خَفيٌّ»، وشرحَها الشيخُ عبدُالغني النابلسْيُّ، وسمّى الشّرحَ «خمْرَة الحانِ على حِكَم ابن رَسْلان»(٤). ثم زُرْنا سيدنا بلالَ الحبشيَّ، مؤذنَ رسُولِ الله ﷺ، ثم زُرْنا بنتَ سيدِنا أبي بكر الصدّيق، ثم سيدَنا عبدَ الله بن جعفر الصادق، ثم فاطمةَ الصغرى بنت

---

(١) يبدو أن الشيخ حسن كان معروفاً بتزوير الغرباء، فقد جاء ذكره في «الرحلة السامية» للإمام محمد بن جعفر الكتاني (ص ٢٧٨)، وأنه صاحبه في زيارة الأضرحة، وأثنى عليه خيرا، ينظر: الترجمة الكبرى، ٢/ ٦٧٠.

(٢) عن مزارات الشام توجد عدة مؤلفات، فلا نطيل بالتعريف بأصحاب هذه المقامات.

(٣) أبوالبيان هو الشيخ نبا بن محمد بن محفوظ القرشي المعروف بابن الحوراني، توفي سنة ٥٥١ هـ شيخ الطائفة البيانية، قال ابن قاضي شهبة: «كان عالما عاملا، إماما في اللغة، شافعي المذهب، سلفي العقيدة، له تآليف ومجاميع وشعر كثير، وكان هو والشيخ رسلان شيخَي دمشق في عصرهما، وناهيك بهما». عن: «الأعلام» ٨/ ٦.

(٤) من هذا الشرح نسخ عديدة في مكتبات العالم، منها سبع نسخ في المكتبة الظاهرية، ذوات الأرقام التالية: (٦٠٢١، ٥١١٩، ٤٩٠٠، ٨٣٤٦، ١١٤١٨، ٨٢٨٣)، وبدار الكتب المصرية، وبالأزهرية، وبمركز الملك فيصل بالرياض، وغيرها. كما عليها شروح أخرى. طبع شرح النابلسي سنة ١٣٥٠هـ، ثم طبع محققا سنة ١٣٨٩هـ في مطبعة العلم بدمشق، بتحقيق عزة حصرية. عن: «العارف عبد الغني النابلسي»: ص ١٠٠.

سيدنا الحسين، ثم سيدنا عبد الله ابن أم مكتوم، ثم سيدنا عبد الله بن زين العابدين، ثم السيدَة أم حبيبة، ثم السيدَة أم سلمة، ثم معاويةَ، وكعبَ الأحبار، وصهيبَ الرومي، والشيخَ سعيدَ الحبال، وابنَ المبارك، وابن الشيخ سعيد الجبَاوي.

[زيارة أحَد الصّالحين]

ثم على عوْدِنا من (الباب الصغير) [/٧٨] من محلِّ الزيارة، فمرَرْنا على الرّجلِ الصالحِ، اللائحةِ عليه علاماتُ الولايةِ، الشيخُ أبوبكر القُصَيباتي، الذي زار المصطفى ﷺ فسلّمَ عليهِ، فردَّ النبيُّ ﷺ من قبرِه، هكذا سمعتُها منهُ، نفع الله به.

[ضيافة أبي الخير الدالاتي]

وفي عشيّة ذلكَ اليوم؛ دعَانا للضّيافَة الشيخُ أبو الخير الدالاتيّ، وهو من تجارِ دمشق[1]. فحضَرْنا عندَه، وطابَ عنده المجلسُ.

[زيارة الشيخ أرسلان؛ وبقية المزارات]

وفي صبحِ يوم الأحد؛ خرَجْنا لزيارَة الشيخِ أرسلان، الذي تقدم ذكرُه، وكان معاصراً لسيدِنا الشيخ عبدِالقادر الجيلاني، وكَان يكاتبه ويقُول في صَدر المكاتبة: «مِنَ البازِ الأشهبِ إلى البَازِ الأبيَضِ»، وكان من العَارفين بالله، فرضيَ الله عنهما ونفعنا بهما.



مسجد الشيخ رسلان

---

(١) كان يعمل في صنع الحلويات، وابنه محمد الدالاتي صاحب جريدة (الأنباء). عن: «معجم الأسر الدمشقية»: ص ١٩٧.

[زيارة الشهداء السبعة، بالأقصاب]


مسجد الشهداء السبعة

ثـم زُرنَـا الصّحابةَ السـبعةَ الشُّـهداء، في مسـجد الأَقْصَاب، وهم: حُجْر بـن عدي الكندي، وصيفي ابن سـكر الشـيباني، وكدان ابن حبّان المعبدي، وشريك ابن شـداد الحضرمـي، وقبيصَة العبـسي، ومحرزَ بن شـهاب التميمي، وثمامة ابن عبد الله الزبيدي. وزرنا الشـيخَ تقيَّ الديـن الحِصْنيَّ؛ وهو الذي ردَّ على ابـن تيميّة(١)، وزُرْنا الشيخَ أحمدَ العاني.

وزرْنا سيِّدَنا أبا الدَّرداءِ [/ ٧٩] الصحابيَّ رضي الله عنه.

[في دار الحديثِ، معَ الشيخ بدر الدين]


شاهد قبر أبي الدرداء

ثم توجّهنَا إلى (دارِ الحديث)(٢)، التي كان يدرس فيها الإمام النوويّ، وفي أعلَى المدرسَة خَلوةُ الشيخ العالِم العلامة، محمد بَدر الدين، المدرِّس بالجامع الأمويّ، فطَلعْنا إلَى محلِّه، واستأذنَّا عليه، فأذنَ لنا، فوجَدناه منفرِداً لنفسه، فقابلَنا ورحَّبَ بنا، ثم سألنَا عن أوطاننا ونسَبنا، فأخبرناه، ثم أخذَ يتكلمُ في أمر الإسلام والمسلمينَ(٣)، واستَدلَّ بأحاديثَ، وهو عالم فَاضلٌ. ثمَّ إنَّا خرَجْنا من عنده، فودَّعَنا إلى خارجِ المنزلِ.

---

(١) توفي الشيخ تقي الدين، أبوبكر بن أحمد الحصني سنة ٨٢٩هـ، واسم كتابه المشار إليه: «دفع شبه من شبه وتمرّد ونسب ذلك إلى السيد الجليل الإمام أحمد»، طبع هذا الكتاب بمطبعة دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر، سنة ١٣٥٠هـ، عن نسخة نادرة كانت بحوزة الإمام محمد زاهد الكوثري (ت ١٣٧١هـ)، واستنسخها منه الشيخ سلامة العزامي، رحمهم الله.

(٢) كان افتتاحها سنة ٦٣٠هـ، على يد الملك الأشرف موسى، من ملوك الأيوبيين، ووقفها على الشافعية، أفردها بالتأليف د. محمد مطيع الحافظ في دراسة تاريخية توثيقية، صدرت طبعته الأولى عن دارا لفكر، دمشق، ١٤٢١هـ.

(٣) عن اهتمام الشيخ بقضايا الأمة، ينظر: «دار الحديث الأشرفية»: ص ٢٣٠.

[زيارة المعمَّر السُّكَّري]

وتوجهنا من عنده قاصِدينَ زيارة الشيخ عبد الله السُّكَّري[١]، فوجدناه عالماً فاضلاً، وهو كبير السنِّ، قد ناهَز المائةَ السنة، وهو كاملُ الحواس، فأجازنَا وصافحَنا بسنده عن مشايخه، وأسمعَنا حديث الأولية يرويه عن الشيخ عبد الرحمن الكزبري عن ابن عقيلة المكي.

[مع الشّيخِ صَالحُ التونُسيّ]

ثم توجّهْنا إلى العَلامَة الشَّيخ صالح التونُسي[٢]، فوجَدْناه مع تلامذته يتذاكرون العلمَ، وهو مالكيُّ المذهَب، وهو مهتمٌ بأمْر المسلمينَ، ويقول: واجبٌ على جميع المسلمينَ الدّعاءُ للدولةِ العَلية، لأنها هي التي قائمةٌ في [/ ٨٠] مقَابلةِ الأعداءِ، وحاميةٌ لبيضَة الإسْلامِ.

❊ ❊ ❊

ثم خرَجْنا من عندِه، ورجعنا إلى منزلنا، فأتوا إلينا الأحبابُ زائرينَ، فقال لي بعضُهم: تفضّلْ أسمعني كيفَ مذاكرَةُ الحبيبِ علي؟، فتكلمتُ معهم، فخشعوا وفرِحُوا بذلكَ فرحاً شديداً، وطلبوا منّي [أن] أكتبَ لهم شيئاً منها، فكتبت لهم شيئاً من المذاكرَةِ، ثم أخذوها نقلاً البعضُ عن البعْضِ.

❊ ❊ ❊



---

(١) مولده سنة ١٢٣٠هـ، وتوفي ١٣ شوال ١٣٢٩هـ، بعد زيارة المؤلف له بنحو عام واحد، له ثبت اسمه «تنبيه الأفهام في بيان صور إجازاتي من مشايخ الإسلام»، كان فقيها ورعا، خطيبا في جامع الشيخ محيي الدين، عن: «تاريخ علماء دمشق»: ١/ ٢٦٢.

(٢) هو الشيخ العلامة صالح الشريف التونسي، كانت له في العلم منزلة عالية، غيورا على الدين، شديد الحرص على مصالح المسلمين، تخرج به كبار أعلام تونس، كالشيخ سالم بوحاجب وابن عاشور، وأقام مدة بدمشق، وبها ظهر علمه، واشتهر فضله، توفي بسويسرا في جمادى الأولى سنة ١٣٣٨هـ، ونقل جثمانه إلىٰ تونس. «شجرة النور الزكية»: ص ٤٢٥، و«تصحيح الأعلام» للأستاذ محمد الرشيد: ص ١٢٦.

[نزهة في ضواحي دمشق]

ثم في يوم الربوع؛ خرجْنا إلى محلٍّ خارجَ دمشق بنحْو سَاعة فلكيّة، على العربية، اسمُه (دمّر)، وهو محلٌّ واسِعٌ فيهِ أنهارٌ جاريةٌ عذبةٌ، وعَلى جوانبِها الأشْجارُ المثمرَةُ بالفَواكه والأزهار اليانعَة الأنيقة، وأشْجارُه خضْراءُ في غاية الحسْن. فجلسنا على حافة النهْر الكبير، ومعنا آلةُ الشّاهي، ومعَنا الحادي السيدُ أحمدُ عبد العظيم، والشيخ الصالحُ حسنٌ الأسطواني، فأنشَد الحادي بتخْميسِ القَصيدة للإمام البُرَعي، التي أولها:

* سمِعتُ سويجعَ الأثَلاتِ غَنَّى[1] *

لشاعر مجيدٍ، فطابَ المجلسُ وصلينا المغْربَ ورجَعْنَا.



من ضواحي دمشق

[في ضيافة الشَّيخِ جمالِ الدين القَاسِميّ]

ثُمَّ في صَباح يوم الخميسِ دعَانا للضِّيافَة الشيخُ العلامةُ، جمالُ الدين ابن قاسِم الحلاقُ[2]، فتوجّهنَا إليه، وتناولنَا [/ ٨١] عندَه الغداءَ، وفرِحَ بنا غايةً، وأكرمنا غايةَ الإكرام.

---

(١) وهي مديحة نبوية، وتمام البيت: «على مطلولة العذبات رنا»، «ديوان البرعي»: ص ٢٤٢.

(٢) مولده سنة ١٢٨٣هـ، ووفاته سنة ١٣٣٢هـ، عن (٤٩ عاما)، أفردت سيرته بمصنفات. وللشيخ الفاضل محمد ناصر العجمي اهتمام بتراثه وسيرته، نشر بعضَها في طبعات فاخرة أنيقة.


صورة الشيخ جمال الدين القاسمي

ثم إنها صارَت المذاكرَةُ معَه في فنُون متعددَة، فوجَدْناهُ عالماً، وله مصنفاتٌ عدّة، أعطانَا منهَا عدد ٤، وعنده كتبٌ كثيرٌ، غالبها خَطٌّ، من كتب أجدادِه، ورأينا عندَه «نظمَ أسْماء الله الحسنَى»(١) لجدِّه العَلامة الشيخ قاسِم بن صَالح الحلاقِ(٢)، المتوفَّى سنةَ ١٢٨٤. ورأينا على النظْمِ المذكُور شَرحاً(٣) للشيخ العلامة أحمد الفيشي المصْري، قالَ في آخرِه في خاتمةِ الكتابِ المذكُور ما مثاله:

«ولما فرغتُ من شَرحِ هذه القصيدَة، رأيتُ في عالمِ الرؤيَا: كأني في مكتبِ صِبْيان كان معلُوماً لنا، ببلَدِنا (فيشَا سليم)، وذلكَ المكتبُ مرتفعٌ جداً، لم يطلع إليه إلا بسُلّم، وكأنّ حولَ ذلك المكتَبِ خُيولاً كثيرةُ عظيمة، لم أر مثلَها في عالمِ الشّهادةِ، وكأنّ عدَدها محققٌ مائةً إلا واحداً، كل واحدٍ منها اسمُه باسْم من أسْماء الله الحسنى، وكلّ واحدٍ منها مشْرئِبٌ إليَّ، ناظراً، طالباً لأَن يكون حاملاً لي بعدَ النزولِ من سُلّم ذلك المكتب. وفي ذلك المكتبِ طاقٌ عظيمٌ مطل عليها،

(١) اسم هذه المنظومة «التوسلات الحسنى بأسماء الله الحسنى»، وصفها الشيخ جمال الدين بقوله: «مشتملة على أوردا بهية، وأدعية إلهامية، نظم فرائدها في ثلاثة عقود»، عن: «آل القاسمي ونبوغهم في العلم والتحصيل» للعجمي: ص ٤٣.

(٢) ترجمته في «آل القاسمي»: ص ٢٧-٤٦.

(٣) قال الشيخ جمال الدِّين عن هذا الشرح: «سافر مرة بعض تلامذة سيدي الجد إلىٰ مصر، وكان معه نسخة منها [يعني النظم]، فوقعت بيد أحد علمائها وأعيان فضلائها، الشيخ أحمد الفيشي أبومصلح، فأحب شرحها، وشرع به حتى أكمله في نحو ثلاثين كراسة، وسماه: أنوار الكائنات بما له تعالى من الأسماء والصفات»، انتهى، عن: المصدر السابق: ص ٤٤.

فتطاول [/ ٨٢] من ذلكَ الطاقِ إليَّ اثنانِ من الخيولِ، كل يريد أن يحمِلَني، أحدُهما باسمه القويّ، والآخر باسْمه الوكيل، فانتزعَني من الهواءِ الحصانُ الذي اسمه القوي، وسارَ بي في جوانبِ البلدِ إلى الطريقِ الذي يسَافر فيها إلى مصْر القاهرة، وسارَتْ كلّ الخيولِ حولي على كلِّ واحدٍ منها إنسانٌ يذكرُ الاسْم المسمَّى به الحصَانُ، وصِرْتُ كأني معَهم أذكُر كل اسم من أسمائه الحسْنى، في آنٍ واحدٍ، بلسَان واحدة، وعنواني في الكلِّ اسمُه القويُّ، انتهت الرؤية».
قَال: «فعلمتُ من عَالم المثالِ: أن ذلك التأليفَ وافقَ الحقَّ، وزادني وضُوحاً، أنّ القويَّ اسمٌ جامعٌ لجميعِ الأسماء، وأنها به يكونُ ظهور آثارِها، كالوكيل»، انتهت.

[في الزّاويةِ المولَويّة]

وفي يوم الخميسِ توجّهْنا إلى المحلِّ الموصُوفِ بـ(زاوية المولَويّة)، وهُم أهلُ طريقةٍ مشْهُورةٍ[1]، ينتسبون فيهَا إلى سَيدِنا أبي بكرِ الصديقِ رضي الله عنه، وأصلها الحديثُ الواردُ، وهو: حين نزلَ جبريلُ على النبيِّ ﷺ وقالَ له: «سلّمْ على الصدّيقِ، وقُلْ له الحقُّ يقرئُكَ السلامَ، ويقولُ لك: إنه راضٍ عنكَ، فهل أنت راضٍ عنه»[2]، أو ما هذا معناه، فكأنّ الصديقَ رضي الله عنه دارَ في المجلسِ طَرباً بما سمِعَ، سمعتُه شفاهاً من بعضِ [/ ٨٣] التلامذَة أهلِ الطريقة.

فدخَلنا الزاويةَ، فوجَدْناها زاويةً عظيمةً، وفيها منازلُ متعددةٌ، فقابلَنا شيخُ الطريقةِ وهو لابسٌ عمامة خضَراء، فأجلَسَنا في محلٍّ مُعَدٍّ للزائرين.

---

(١) مؤسسها مولانا جلال الدين الرومي، توفي سنة ٦٧٢هـ. «الأعلام»: ٧/ ٣٠.
(٢) هذه المقولة ليس لها أصلٌ في كتبِ السنة، ولا يصح رفعها إلى النبي ﷺ.

ثم إنها حضَرتْ صلاةُ الظهْر، فصَلَّينَا، ثم قاموا جميعا إلى محلٍّ آخَر متّسِعٍ، وعليه شباكٌ مستديرٌ على محلّ مصفّح بألواح الخشَبِ، وهو في غَايةٍ من النظَافة، ومن حولِ الشُّباكِ من خَارج جميعُ الذينَ ينظرونَ، ومن داخلِ الشّبَّاكِ هم أهْلُ الطّريقة، وعددهم (٢٠) عشرونَ، وشيخُهم جالسٌ على حَافةِ المحلِّ المسْتَدير.



التكية المولوية بحلب

ثم إن الشيخَ قامَ، ودار ثلاثَ دوراتٍ، ثم جلسَ، ثم قامُوا عشَرةٌ منهُم، فخلعوا الثيابَ الأعلى، فظهَر ثوبٌ أبيضُ، وهو واسعٌ من أسْفلَ ومخصَّر من الوسَط، فصَاروا العشَرةُ يدورُونَ بدورةٍ قويةٍ، فأسفلُ الثوبِ الأبيض يفترشُ مع الاسْتدارةِ حتى يصير كالقُبّة الصغيرةِ، وعلى رؤوسِهم كوافي طوالٌ، الواحدَةُ ذراعٌ، وهي من لَبَد، وفي ذلك المحلِّ محلٌّ مرتفعٌ، وفيه أهلُ المنشدين بالطبل والنّايِ. ثم يقف العشَرةُ، وتقوم العشَرةُ الآخرة، وهكذا إلى[1].

صورة لرقص المولوية الدوراني

(١) فراغ بقدر كلمة.

ولهم إنشَادٌ لطيفٌ، وسَماعٌ على النَّاي والطّبلِ، والأصْواتُ حسنةٌ جدًّا، ولهم أسلوبٌ غريبٌ في اسْتدَارتِهم، فسُبحانَ الله، وزيّنَّا لكُلِّ أمةٍ عَملهُم، ثم انتهَى المجلسُ، ثم إنا عُدْنا إلى البيتِ وبتنَا.

* * *

وفي صباحِ ذلكَ اليومِ؛ وهو يَومُ الجمعة، خرجْت إلى الجامِعِ الأمويِّ، وصليتُ [/ ٨٤] الجمعة، ومررت على حانوت فيه جملة كتب للبيع، فأخذت منها: «تُرجُمان الأشْواق» للشيخ الأكبر، وأربع رسائل له أيضاً.

[وصْفُ دمشق]

ثمّ إنّي رجَعتُ إلى محلِّ جُلوسي، وهيَ اللوكندة، فجمَعْتُ فكْري، وقلتُ: لابدَّ أن نذكُرَ في «الرّحْلة» المدوّنةِ شيئاً من أوصَاف (دِمَشْق الشام)، وما حَوتْه من جوامعَ ومدارِسَ ونَسَمٍ، وما حولها من بَساتين، وغير ذلك.

فَنبدأ أولا بما قيلَ فيها من الشعر:

بـلادٌ بهـا الحصْبـاءُ دُرٌ وتُرْبهَـا   عَبـيرٌ وأنفـاسُ الشِّمالِ شَـمُولُ
تسلسـلَ فيهَـا ماؤُهَـا وهـو مطلَقٌ   وصحَّ نسـيمُ الـرَّوضِ وهُـو عَليلُ

وقال آخر:

إن تكُـــنْ جنّـــةُ النّعيـمِ بِأرْضٍ   فدِمَشْـــقُ ولا يـكُـونُ سِـــواهَا

وهي بلْدةٌ عظيمةٌ واسِعة، ويقالُ لها (جِلَّقُ)، وتحتوي على (ثلاثمائة ألف نفْسٍ)، ما بين مسْلمين ومسيحيين، والغالبُ أن المسلمين أكثر.

وفيهَا ألفُ جامعٍ وزيادة، ويقولَون للمسِجد جامعاً، سواء كان تُصَلَّى فيه

الجُمُعة أم لا. وفيها نحو خمسين مدرسَةً ابتدائيةً ونهائيةً للمتعلمين، وجامِعُها الكبيرُ هو الجامعُ الأمَويّ.

والبلدَة المذكورة، هي واسِعةُ الأطْرافِ، كثيرةُ الأسْواقِ، وأسْواقُها مسْتطيلةٌ، والحوانيتُ عن اليمينِ وعن الشِّمالِ، وكلُّ صِنفٍ من البضَائع لَه سوقٌ معَين، وفيها من الصّنَّاعِ خلقٌ كثير، في كلِّ حِرفَة. مثل: النجَارة، والخياطَة، وأسْواق الحبُوب، مثلُ القمحِ، والذرَة، والأرز، وباقي أصناف الحبوب. وفيها المأكولات المطبوخة، ففي طرف كل سوقٍ منها دكاكين، وأثمانُ المطبوخَاتِ في غايةٍ من الرخْصِ، وهي منوعَةٌ أشْكالاً أشكالاً.

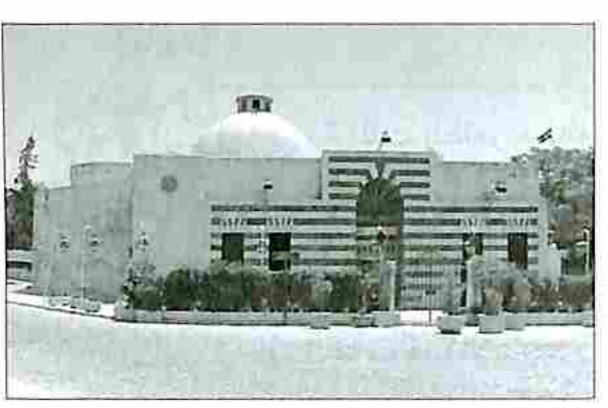
وهي كثيرةُ البرْدِ الشّديدِ، وله اسْتعدادٌ في منَازلهم بسدِّ الطاقَاتِ بالقُزاز المتِين، ويذْبَحُ فيها كلَّ يوم من الغَنَم ثلاثةُ ألفٍ، من غير البقَر والجمالِ، وغنمها الضّأنُ. وهو في غايةٍ من السِّمَن، لأن المراعي خَصبةٌ، وقد يوجَد فيها الماعزُ، والبقَر فيهَا كثيرٌ، واللبنُ الذي فيها غالبُه من البقَر، وهو رخيصٌ جدًّا، حتى أنه من كَثرتِه يرَدُّ في البرد في مَزاوِدَ من جُلودٍ، محمولةٍ على الجمال.

وفيهَا من أنواعِ الخضْرواتِ والبقُولِ شيءٌ كثيرٌ، مثل: باميَة، وملُوخيّة، ودباء، أنواع. وخس، وباذِنجَان، وكُوْسَ، وطماطِم (القوطة).

وتتخللُ تلكَ البلدَةَ أنهارٌ سبعةٌ من العذْبِ، وبعضُها يجري تحتَ البيوتِ، وتمرُّ على مواضِعِ بيتِ الخلاء، فتراهَا في غايةِ النظافةِ، والأنهارُ التي يشرَبُ منها الماءُ تجري على جوانِبِ البيوتِ، في قصَبٍ من حديد. ومنهَا، ما ينسَكبُ في البحَيراتِ[1] الواقعة في وسَط البيوتِ، وفي كلِّ بُحَيرةٍ شَاذَروانٌ يرتفعُ في الجوِّ قدْر

---

(١) ويقال للواحدة منها: فسقية، وتجمع على فساقي. «المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية»: ص ٨٥.


حمام دمشقي

ذراعين أو أكثَر، ثم يفترشُ أعلاهُ على جَوانبِ البحيرة، ويسْقي أوانيَ الأشْجَار المستديرة بها بهيئةٍ لطيفةٍ، ومنظَرٍ حسَنٍ. ومنها، ما يتفرّقُ في الحنفيّاتِ(١) الكائنَة على حافَاتِ الطرُقِ، يشرب منها الذاهبُ والآيبُ.

وتحتوي على نحو خمسينَ حماماً، في غايةٍ من الحسْنِ، وقد دخلتُ بعضَها.

وفي أطراف البلد بساتينُ متعدّدةٌ، في غايةٍ من التنظِيم، وفيها من أشْجار الفواكه [/ ٨٦] شيءٌ كثيرٌ، وقد ابتدأتْ في إظهَار أثمارهَا، وهي: الخُوخُ، والمشْمش، والتفاحُ، والتينُ، والعنَبُ، والسّفرْجلُ، والأتْرجُّ، والإجّاصُ، والتوتُ، والبخارَةُ، والكُمّثْرَى، والمكن دنيًا.


من بساتين دمشق

ومن خلف البساتينِ الجبالُ المتعدّدةُ، المخضرَّةُ بأنواع النبَاتِ، ويعلوهَا الثلجُ مثلَ العهْنِ الأبيض المنفُوشِ، ونظرنَاهُ.

ويقالُ: إنهم في أيام الشّتاءِ يخزّنُونَه في مغاراتٍ، فإذا دخلَ وقتُ الصيفِ يحملونه إلى داخلِ دمشق، ويقَالُ: إنه كلّ يوم تدخلُ إلى دمشْق ثلاثمائةِ حملٍ، يسعّرونه فيَها. وهي بلدةٌ عظيمةٌ، هواؤها لطيفٌ جدًّا، ومناظرَها في غايَةٍ من الحسْنِ، فسبحان الخالق الصانع الحكيم.

---

(١) الحنفية؛ صنبور الماء، وتجمع على حنفيات، كلمة عامية مولدة، تعود إلى العصر المملوكي، أطلقت على قطعة من الخشب مقوسة، تركب على فتحة الماسورة التي توصل الماء للحوض، ويمكن بتحريكها فتح وقفل الماسورة، عن: «المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية»: ص ٣٨، قال الزبيدي في «تاج العروس»: «وتسمية الميضأة بالحنفية : مولدة»، مادة (حنف).

[فائدة]

ورأيتُ في مدرسة الملك الظاهر مسائلَ مكتوبةً في أوراق، يرويها الأشعثُ السجستاني، عن الإمام أحمدَ بن حنبل، بخطّه، مؤرّخةٍ في سنة ١٥٠ بعدَ الهجْرة، وهي مسائلُ فقهيةٌ، وخطُّها يقرُبُ إلى الخطِّ الكوفي(١).

ورأيتُ في ظهْر الكتابِ هذِه الأبياتِ:

أيُّها المدَّعي سُلَيمَى هواها ... لسْتَ منهَا ولا قُلامَة ظُفْر
إنَّما أنتَ في هَواها كَواوٍ ... ألصَقتْ في الهجَاءِ ظُلماً بعَمْرو(٢)

ثمَّ إنّي في بعضِ الأيام جالَ بي الفكْرُ في ميدانٍ، طابَ رواحُه وغدوُّه، وصفَا فيه الذوقُ، فإذا بالقَائلِ يقولُ أمامي:

فما ملَّ سَاقيهَا ومَا ملَّ شَارِبٌ ... عُقارُ لَحاظٍ كأسُها يُسْكِرُ اللبَّا

* * *

[مُغَادرة دِمشْق]

وفي يوم السبتِ؛ موافق ٢ ربيع ثاني سنة ١٣٢٨، صباحاً، توجّهنا إلى (محطّة سكّة الحديدِ)، فوجَدْنا جملةً من الأحبابِ قد سَبقُونا للوداع، فودَّعنَاهم وودّعُونا، وكلٌّ منَّا في غايةٍ من الحزْنِ على فراقِ صَاحبه، فلقَدْ صارَتْ بيننا وبينهم من المحبةِ ما يقْضي بأنّا أهلِ وطن واحدٍ، بل بيتٍ واحدٍ، فجَزاهم الله عنا خيراً.

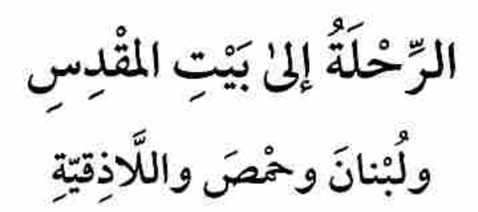
* * *

---

(١) الإمام أحمد ولد سنة ١٦٤هـ، وتوفي سنة ٢٤١هـ، فلعل وهما دخل على الناسخ.

(٢) البيتان لأبي نواس يهجو الأشجع السلمي.

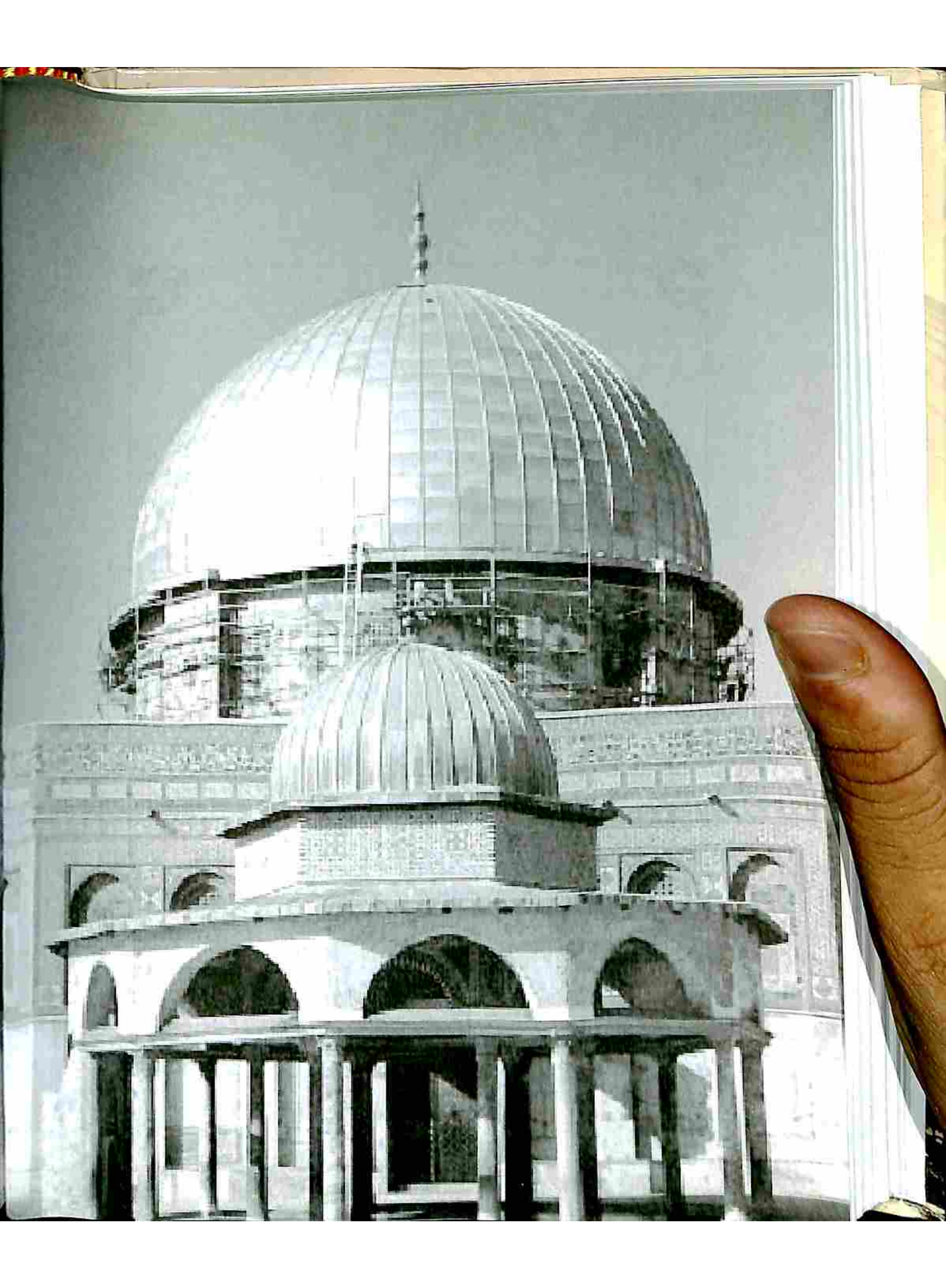




الرِّحْلَةُ إلىٰ بَيْتِ المقْدِسِ

ولُبْنانَ وحِمْصَ واللَّاذِقيّةِ





[الرحلةُ صوبَ لبنانَ
السّبت؛ ٢٠/ ٤/ ١٣٢٨هـ = ١/ ٥/ ١٩١٠م]

[بداية الطريق]

ثم توجّهْنا في حفظِ الله في القَطْر[١]، قاصِدينَ (بعَلْبكّ)، للتفرّج على مَا فيها من المآثر القديمة، فمررنا على قرًى متعدّدة، حتى وصلنا إلى محطة يقال لَها (رياق)[٢]، وهي مفترقٌ لطرقِ سكّة الحديدِ.

فانتقلنا من القَطْر الذي كنا فيهِ، لأنه يتوجّه إلى (بيروت)، إلى قَطرٍ آخرَ وهو الذي



مدينة بعلبك

(١) دارجة شامية، أي: القطار.

(٢) رياق: مدينة لبنانية تقع في محافظة البقاع، بالقرب من زحلة، بها مطار عسكري دمرته القوات الجوية الإسرائيلية في حرب يوليو ٢٠٠٦، ومن معالمها محطة سكك الحديد القديمة.

يتوجه إلى (حلَبَ الشهباء)، ويمر على (بعَلْبك)، فصادفنا في الفِرقَون[١] الذي طلعْنا فيهِ رَجُلينِ من أهالي (دمشْق الشام)، وهما: الشيخُ محي الدين الحلاقُ، ومحمّد أفندي حبَش، فاجتمَعنا معَهما، وصَارت بينَنا وبينَهم من الألفَةِ والمحبّةِ ما يقضي بالعَجبِ.

[الوصُول إلى بعَلْبَك]

حتى وصَلْنا معا بلدَةَ (بعَلْبك)، فنزلنا معاً في لَوكَنْدة، ووضَعْنا ما مَعنا من أمتعةٍ فيهَا، وخرجنا معاً فصَلَّينا العَصْر.



من آثار بعلبك

ثم توجهنا معاً نسألُ عن شخْصٍ من أعيانِ البلدَة، ومعنا له كتابٌ من أهالي (دمشْقَ الشّام) توصيةً علينا، اسمُه الشّيخُ حسنَ الأسْطواني، فسألنا عنه، فقيل لنا: إنّه في محلِّ الحكُومة، فاسْتعنَّا بمَنْ يناديه من الأحْبابِ. فلم نشْعُر إلا وقد دخلَ وجْهُه يتهلّلُ فرحاً، فقبلَ أيدينا، ثم ناولناهُ الكتابَ، فقَرأه، ثم قالَ: تفضّلُوا إلى البيتِ، فتقدّمَنا إلى بيتِه، وهو بيتٌ عجيبٌ، فصَلّينا به المغربَ.

ثم قمنا معاً إلى محلِّ أحمدَ أفندي، من أهالي [/ ٨٨] (بعلبك)، لتناولِ الطعام،

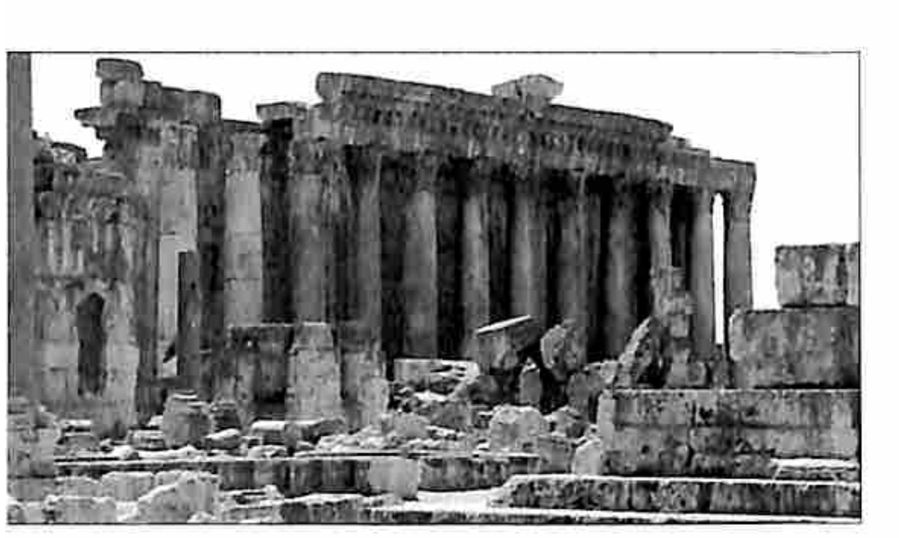
---

(١) كلمة عامية دخيلة، تعني: العنبر.

فوصَلْنا إليهِ، وقابلَنا كمالَ المقابلة، وانبَسطْنا معه كثيراً، وهو في غايةٍ من حُسْن الأخلاق، ثم رجَعْنا إلى اللَّوكندة، وبتنا بها.

[ترحيبُ أهلِ بعلبك بالمؤلف]

وفي اليوم الثاني؛ وهو يوم الأحد، وصَل إلينَا نقيبُ الأشرافِ، وهو السيد محمد الرفاعي، ومفتي الأحناف السيدُ حسينُ الرفاعي، إلى اللوكندة، فقابلناهم ورحّبوا بنا، وانبسَطنا معهم، ثم طلبوا منا الانتقالَ من اللوكندة إلى منَازلهم، فاعتذَرْنا بأنّا على سَفر، وجَزاكم الله خيراً. ثم خرَجُوا من عندِنا بعدَ أن أوعَدْناهم بالدّخول إلى منازلهم.



من آثار بعلبك

[زيارة الآثار في بعلبك]

ثمّ إنه وصلَ إلينا الشيخُ حسَن أفندي الأسطواني، وطلبَ منَّا أن نكونَ عندَه لتناول الطعَام في ذلك اليوم، صباحاً ومساءً، فأجَبناه إلى ذلك.



من آثار بعلبك

ثم إنا طلبْنا من الشيخ حسَنٍ المذكُورِ، أن يكُونَ بمعيّتنا في الدّخول إلى البيتِ الكَبير القَديم المشهور، المحتوي على العجائب، فأجابنا إلى ذلك. فتوجّهنا معاً، حتى وصَلنا إلى محلِّ الاستئذانِ، فطلبنا منهُم الدخولَ إلى المحلِّ المذكُور، فأذنوا لنا، وجَعلوا معنَا معرِّفاً من أصْحابهم، ولم يأخذوا منَّا ما يعتادُون أخْذَه من الدَّاخلين، وهو مجيدي[1]. فتقدم ذلك الرجلُ المعرِّفُ أمامَنا، ففتحَ بابَ البيتِ، فدخَلْنا. فأولُ ما سَألناه عن تاريخِ بناءِ ذلك البيتِ، فقالَ: وُجِد تاريخُه أنّه قبلَ الهجرةِ بألفَي سنةٍ، (٢٠٠٠)، وكانَ من بناء نبيّ الله سليمان عليه السلام. وقيلَ: قبلَ البعثةِ بثلاثَة آلافِ سنةٍ (٣٠٠٠).

فدخلنا إلى محلٍّ واسع فيه من التماثيلِ العَظيمة، وصُوَر الحيواناتِ، أشكالٌ وألوانٌ غريبةٌ، ونظَرْنا إلى [/ ٨٩] جدرانِ البيتِ المذكور، فإذا هو مبنيٌّ بأحجَار عظيمةٍ، طولُ الحجَر نحوُ عشَرة أذرعٍ.

ثمّ تقدّمنا إلى رُواقٍ مبنيٍّ على أعمِدَة عظيمَة طويلةٍ، طولُ العمُودِ نحو عشرينَ ذراعاً، ومتنه وقَفْنا أربعةَ أشْخاصٍ واستدَرْنا على العَمُود وكلٌّ واحدٍ قابضٌ على يدِ



من آثار بعلبك

(١) أي: قرش مجيدي، نسبةً إلى السلطان عبد المجيد خان العثماني.

أخيه مع اسْتِدارتنا جميعاً، وسَقْفُ الرّواقِ من حَجر واحدٍ منحوتٍ، مصطنع بأتقَن صنعَةٍ، ومما يلي السقْفَ منقُوشٌ بتماثيلَ بديعة، وطول ذلك الحجَر نحوُ ستةِ أذرع، وعَرضُه نحْو أربعَة أذرعٍ، وطولُ الأعمِدَةِ كلٍّ عمودٍ عشرونَ ذراعاً، والعجَبُ كلّ العجبِ من عِظَم تلكَ الأحجار، وكيف رُفعَتْ إلى أعلَى الأعمِدة، ولا شكَّ أن السّابقين لهم اقتدارٌ عظيمٌ على حملِ الأثقالِ ورفعِها إلى أعلى!

[وصْفُ قلعة بعلبك]

ثم إنا توجّهنَا إلى باطنِ القَلعةِ، فوجَدنا محلاً كالديوانِ العظيم، وكان معبدَ الملوك، وهو مرتفعُ الجدارِ، وفيه صورُ محاريبَ منقوشَةٍ بأحسَنِ نقْشٍ، وتحتوي على صُوَر بني آدَم، وصُور حيواناتٍ وصوَر فواكه، ثم إلى جانب ذلك المحلّ صورةُ أسدٍ عظيمِ الخلقةِ، فاتحٌ فاه، وكان مجرَى ماءٍ، لأن فوقه مثلَ الشَّذَرْوان.

ثم خرَجنا خارجَ القلعةِ، فوجدناها محكمَةَ البناءِ، طولها ثلاثةُ أحجَارٍ عظيمة، طولُ كلِّ حجرٍ ثمانيةٌ وخمسونَ ذراعاً، مبنيةٌ تلكَ الأحجَارُ في أصْلِ الجدارِ، متصلةً ببعضِها البعْض.

والحاصل؛ أن في تلك القلعَةِ من العَجائب والغرائبِ شيءٌ كثير، وأكثَر ما يتعجّبُ منه الناظرُ، هو رفْعُ الأحجَار الكَبيرة إلى أعْلَى الجدران، فسبحانَ الملهم القادر على [/ ٩٠] كلّ شيءٍ، ثم انتهَى النظَرُ إلى القلعَة المذكورة، وخرَجْنا منهَا، وأغلقَتْ أبوابُها.

ثم توجهنا إلى محلِّ الأفنديّ حسَنِ الأسطواني، وصَلّينا عندَه المغربَ، وكنَّا مدعوِّين عندَه للطعَام في تلك الليلة، فحضَر معنا نقيب الأشراف السيد حسين الرفاعي، ومفتي الأحناف السيدُ عبد الله الرفاعي، وصَلّينا العشَاءَ ثم انصَرفْنا راجعينَ إلى موضع الجلوس، وهي اللوكندة، وبتْنا فيه تلكَ الليْلة.

[المسيرُ إلى حِمْصَ

الاثنين؛ ٢٣/ ٤/ ١٣٢٨ = ٣/ ٥/ ١٩١٠م]

فلما أسفر الصّباح؛ صلينا الصبحَ، ورجعنا إلى سكَّةِ الحديد، وتوجّهْنا فيها إلى (حمْص). وذلكَ يومَ الاثنين ٢٣ ربيع الثاني سنة ١٣٢٨، وزُرْنا عندَ خروجِنا إلى (حمص)، الشيخَ عبد الله اليونينيَّ[١]، أحدَ رواة شيخِ البخاري[٢].



مسجد خالد بن الوليد بحمص

---

(١) لعل المرادَ: أبوعبد الله، وهو محمد بن أحمد بن عبد الله، تقي الدين، شريف حسيني حنبلي، من حفاظ الحديث، ولد سنة ٥٧٢هـ، كان مقربا من ملوك عصره.كالاشرف والكامل بني أيوب، وتوفي سنة ٦٥٨هـ، وهو والد شرف الدين علي، صاحب النسخة اليونينية الشهيرة لصحيح البخاري، كما أنه ابنه الآخر موسى مؤرخ شهير، له مصنفات. ينظر: «الأعلام»: ٥/ ٣٢٢، وقبر أبي عبد الله على تلة لا تزال حتى اليوم معروفة باسمه.

(٢) كذا في الأصل، ولعله اراد: «صحيح»، أو «شرح». ولعل قبور بني اليونيني تقع في تلك التلة في يونين قرب بعلبك، والله أعلم.

[الوصُول إلى حمص]

ثم دخلنا (حمصَ) بعدَ صَلاة الظّهْر، ونزلنَا في اللّوكندة المسماة (المنظَر الجميل)، فلما جلَسْنا قدْرَ ساعتين، وصلَ إلينا العمدَةُ، الأفندي عبدالله بن عبدالفتاح الكَحّالة، من تجارِ حمص، وهو حسَنُ الأخلاقِ، لطيفُ الذّات، فاستدْعَانا إلى منزِله، ومعَه رجلٌ من أصْحَابه، فرحّب بنَا، وقالَ: مثلُكم لا يصلُح له الجلوسُ في هذا المحلِّ، فالأَولى أن تنتَقِلوا إلى بيتي، وكلّفَ علَينا في ذلكَ، فما وسعَنا إلا مسَاعدَته...[1].

فانتقلْنا إلى محلِّه، وهو محلٌ عظيمٌ منظّم، فأنزلَنا من ذلكَ منزلاً لطيفاً، كاملَ الأواني، والفَرْش في غايَة الحسنِ، وبتنا عنده تلك الليلة.

[لقاءٌ مع أهلِ حمص]

ثم في صباحِ ذلك اليومِ، جاءنا علماءُ تلكَ البلدَةِ، وهم الشيخُ عبدُالوهاب الصوفي، وجملةٌ من أهلِ العلمِ، فطابَ الحديثُ معَهم، وصفا الوقتُ وطابَ، ثم انصرَفوا [/ ٩١]، حفظهم الله.

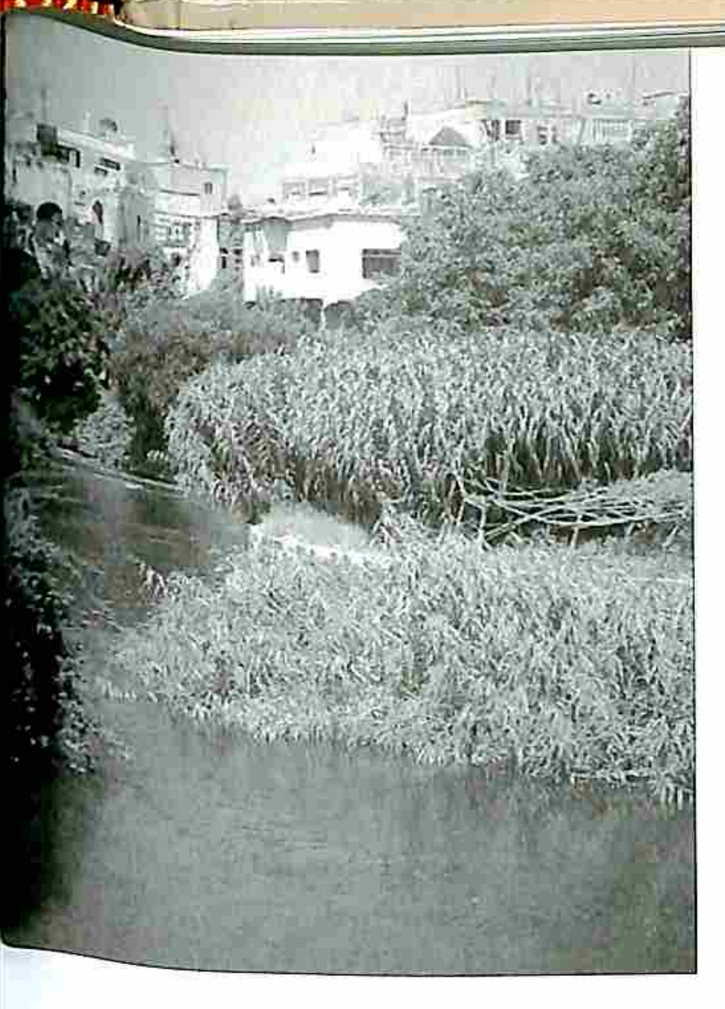
[نزهةٌ على ضِفافِ نهر العَاصي]

وفي عشيةِ ذلك اليوم؛ خرَجْنا إلى خارج بلدة حمص، مع الأفندي عبد الله المذكور، راكبين عرَبية، على خَيلين، حتى انتهَينا إلى محلٍّ لطيفٍ فوقَ رَصيفِ (نهرِ العاصي)، فجلسْنا على ضِفافِ النهْر، نتنزّه على النهْر الجاري، والأشجار المثمرة على حافّته، حتى دخلَ وقتُ المغرِب.

و(نهر العاصي)، هو نهرٌ عظيمٌ، عَرضُه نحوُ خمسةَ عشَر ذراعاً، مع قُوّةٍ في

---

(١) كذا في الأصل، ثلاث نقط.



جريه، وعـذُوبـةٍ في مائه. و(نهر العاصي) هو أصله ينبعُ من عيونٍ في محلٍّ يقالُ له (الهرمَل)[١]، من أطراف (جبل لبنان)، ويمُرُّ على محلٍّ يقال له (الميماس)[٢]، حوله أشجارٌ ملتفّةٌ في غايةِ الحسن والنضَارة.

[وصف مدينة حمص]

وبلْدَة (حمص)، هي دونَ الشّام في المسَاجدِ، وأهلُها أقلُّ، وفوقَ (حماةَ) في الكبر، فيها أسواقٌ عجيبةٌ، وفيها من الألبانِ شيءٌ كثير، وما ذاك إلا لكَثْرة بقَرها وغنَمها، ومواشيها غالبُها في غَاية من السِّمَن، واللبنُ يدخُل به أهلُ البَر على جمالٍ في مَزاودَ من جُلود بكَثرةٍ، بل يظنُّه الإنسانُ أنّه ماءٌ.

وفيه التجارَةُ العظيمةُ، وهم يحوكونَ الأقمشَة الحسَنة من الحرير أشكَال وألوان، منها الدرياموج، ومنها الشّامي أبو قلم، من حرير وقُطنٍ، ويحوكُون فيها القطُفَ، والحنابِل، والمناشِف المخلوطِ قطنُها بالحرير.

[في بستان المنشية]

ثم في عشـيةِ ذلـك اليوم؛ توجّهنا مع الأحبابِ إلى بُسـتانٍ يقَالُ له (المنشـية)،

---

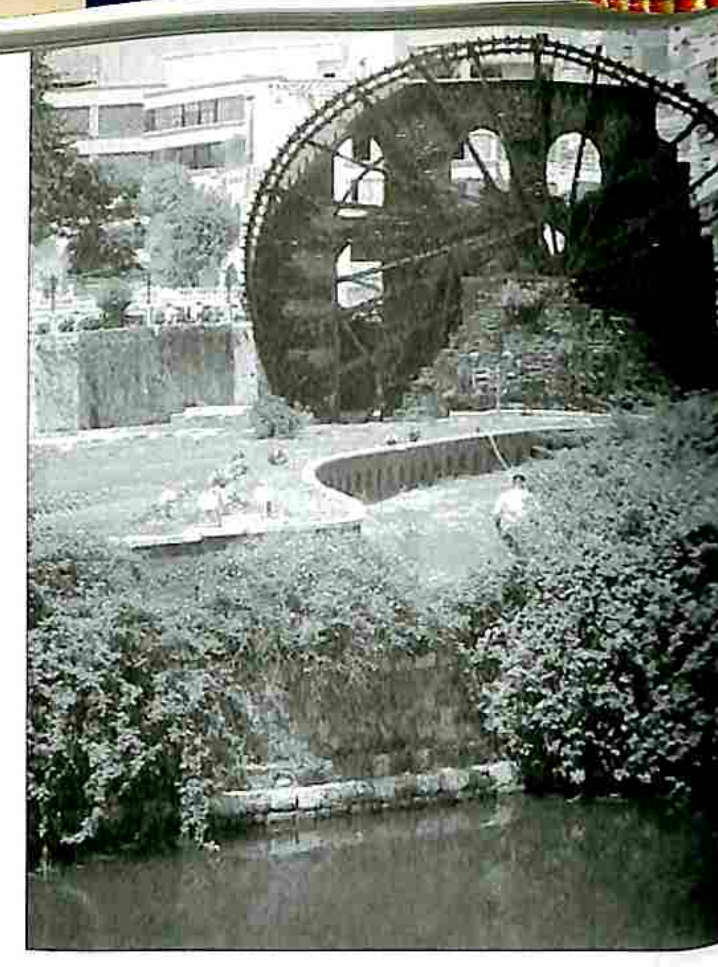
(١) تقع الهرمل في شمال شرق لبنان، تبعد عن بيروت (١٤٣كلم).

(٢) دير ميماس، قرية لبنانية من قرَى قضَاء مرجِعيون، في محافظة النبطية. تبعد (٢٩ كلم) عن بيروت.

وهـو متسـعُ [/ ٩٢] الأطـرافِ، وفيهِ مـن أنـواعِ الأزهـارِ شيءٌ مثـلَ الـورْدِ والنّرجِس.

[تلبيةُ دعْوَة الأفندي كَحّالة]

وفي تلك الليلةِ؛ [كنا] مَدْعوِّين للضيافة عند المكرَّم اللطيفِ، الأفندي محمـد علي أبـو عمـر الكحّالـة، وهو أخٌ للـذي نحنُ نَازلون عنـدَه، فصلَّينا المغربَ في البسـتانِ المذكور، وتوجّهنا إلى بيتهِ مـع أخيه عبـدِالله، فوصلنا إلى البيـتِ، فوجدنـاه مسـتعدًّا لمقابلتنـا، فقابلَنا كمالَ المقابلة.



نواعير الماء في حمص

[وصْفُ البَيتِ الحمْصي]

ودخلنا البيت فوجَدْناها داراً حسَنةَ البنَاءِ، وفيها محلٌّ متسَعٌ في وسَطه، وأرضُه وجدرانُه مفروشَةٌ بالرخَام الملوّن، وفي قلبِ ذلكَ المحلِّ بحيرةُ ماءٍ في وسَطها شَاذروانٌ ينشر الماءَ يميناً وشمالاً، وعلى حَافة البحَيرةِ أشْجارٌ في غاية الحسْن، مزروعةٌ في أواني من صِين. ومنها شَجرةٌ تسمى (شَجرَةُ الهوى)، أغصَانها مثلَ الحريرِ، وأشجار أخَرُ جميلةٌ، ذواتِ ريحٍ طيّب.

والرجلُ تاجر عظيمٌ، وصَنعتُه مثلَ أخيه، في حياكَة الأقمشةِ الحريريّة الملونةِ، المطرّزة بالألوان الجميلةِ، فوُضعَتْ لنا كراسي على حَافة البحيرَة، ننظر في مائها، ونستنشِقُ من تلكَ الأزهارِ الزكية العَرْفِ، حتى حضَر الطعَامُ، فقمنا نتناولُ الطعامَ، وهو كرضل على عادة تلك الجهاتِ، يوضع صَحنٌ بعد صحنٍ، ثم لما انتهَى الطعامُ،

دُعينا إلى محلٍّ آخَر في غايةٍ من الحسْنِ، مفروش بالمفروشَات الحسَنةِ، وأديرَتْ علينا فناجينُ القهْوةِ وكؤوسُ الشّاهي، ثم انتهَى المجلسُ، واستأذنّا في الخرُوج، ثم رجَعْنَا إلى موضعِ [/ ٩٣] استقرارنا، وهو بيتُ الأفنديّ عبد الله الكحّالة، وبتنا تلك الليلة.

[جَولةٌ في مدارِسِ حمص]

وفي صباح ذلك اليوم؛ قالَ لي عبد الله الكحّالة: هَل لكَ رغبةٌ في نظَر المدارسِ؟ فقلتُ له: نعم. فقامَ بنا إلى مدرسَةٍ كبيرةٍ، فيها سبعةُ مواضعَ للتعليم، من ابتداء حُروفِ الهجاء ثمّ القرآن، ثم باقي العُلوم. حتى وصَلْنا إلى منزلٍ، وهو موضعُ من يقرؤونَ النحْوَ، وفيه نحوٌ من سبعينَ تلميذاً، فقابلَني الأستاذُ، وأجلَسني على كرسيٍّ، ثم جاؤوا إليَّ التلامذةُ، وقبّلُوا يديّ، ثم قَال: امتحِنْهُم بإعرابٍ، ترَى إن شاءَ الله ما يسرُكَ منهم.

فتقدم من التلامذة تلميذٌ، سِنُّه نحو (١٢ سنة)، فقالَ: يا سيدي، شرِّفْني بإعرابٍ. فخَطَر على بالي بيتَانِ كنتُ كثيرَ التكرارِ لهما، وهما:

توَهّمْت قدْماً أن ليلي تبرْقَعتْ ... وأنَّ حِجاباً دُونَها يمنَعُ اللّثْما
فلاحَتْ فَلا والله مَا ثَمّ حاجِبٌ ... ولكنّ طَرْفي كانَ عن حُسنِها أعْمَى

فأعربها التلميذ بأفْصَح إعرابٍ، وأعجبَ بها الأستاذُ غايةَ العجَبِ، حتى حلّت عندَه محلاًّ، فيما ظهَر لي على أساريرِ وجْهِه.

[إلى بيروت

الخميس؛ ٢٦/ ٤/ ١٣٢٨ = ٦/ ٥/ ١٩١٠م]

وفي الصباحِ؛ انتظَرْنا البابُورَ البريَّ الواصِلَ من (حلَب) و(حماه)، ثم توجّهْنا فيه إلى (بيروت)، وكان النَّولُ مجيديّينِ ونصْف، فمرَرْنا على قُرًى متعددة. حتى وصَلنا إلى محلٍّ يقال له (رياق)، ومنها تتفرقُ سككُ الحديد. منهَا إلى (الشّام)، ومنها إلى (حمص)، و(حماةَ)، و(حلب). ومنها إلى (بيروت)، وهي التي قاصدينَ سلُوكَها.

[في الطريقِ]

فقدمَ البابُورُ ذلكَ المحلَّ بعدَ العشاءِ، الساعةَ اثنينِ عربي، فتوجَّه البابُور في حفْظِ الله، قاصداً (بيروت)، ومرَرْنا على مواضِعَ متعدِّدة، وشقَّ البابورُ (جبلَ لبنان) المشْهُور بصفاءِ الجوِّ، وطيبِ الهواء، وعذُوبة الماء، والقَرى المسكونةُ عن اليمين والشمال، مِنها (زَحْلة)، و(عَلية)، و(صَوفر)، وهي مشتبكةٌ بالأشْجار المثمِرَة، والأشجَار ذواتِ الأزهار.

[الوصُول]

ووصَلْنا إلى (بيروت) نِصْفَ الليلِ، الساعةَ خمسَة عربي، فنزَلْنا بلَوكَنْدة (المنظر الجميل)، وبتْنا بها تلك الليلة. فلما أصبحَ الصَّباحُ، سلّمْنا لصَاحِبها ما هُو له من الكِراء، وهو على النفَر ربعُ ريال.

[أهالي بيرُوت يتلقَّونَ المؤلف]

ثم ركبنا عربيةَ خَيلٍ، قاصِدين بيتَ العالم الفاضلِ، الشيخَ عبد الرحمن الحوت[١]، فوصَلنا إليه، وقرعنا البابَ، فخرج إلينا الشيخُ، وقابلَنا كمال المقابلة، وأكرمَ نزلنا، وجعَلنا في موضعٍ من بيته، فيه كمالُ الاستعداد، وأضَافنا ذلك اليومَ. والشيخُ المذكور هو من أعيانٍ بلدة بيروت، وعلمائها الأخيارِ المنظُور إليهم بعينِ الاحترام.


صورة الشيخ محمد خرما البيروتي

وكان على جانبٍ من الورَع في الأقوال والأفعال، كما رأينا ذلك عياناً، وهو شافعيُّ المذهب، مسْموعُ الكلمة. وفي آخر النهارِ؛ وصلَ إلينا تلميذُه النجيبُ الأديب، العالم، الشيخُ محمد خَرْمَا[٢]، وجلسَ معَنا، وتناوبنا الحديثَ في فنونٍ شتّى، وذلكَ بحضُور الشيخ عبد الرحمن.

[ترحيبُ الشيخ يوسف النبهاني]

وفي اليوم الثاني؛ وصلَ إلينَا العالم، الشيخُ يوسف النبهاني، وهنأنا بالقُدوم. وفي اليوم الثالث؛ توجّهنا لزيَارته، فوجدْناه في بيتِ صهْره السيدِ الشريف عبد الله المغربي التونُسي، وهو رجلٌ حسَنُ الأخلاق، لطيفُ الشمائل، فأطلعَ الشيخَ يوسُفَ على ما عندَه من الكتُبِ، وطابَ المجلس، ثم إنّ السيدَ عبد الله المذكُور استدْعَانا

---

(١) ولد سنة ١٢٦٣هـ، وتوفي سنة ١٣٣٦هـ، له ترجمة بقلم حفيده كمال يوسف الحوت. ولقيه سنة ١٣٢١هـ السيد محمد بن جعفر الكتاني واستجازه. «الرحلة السامية»: ص ٢٤٥.

(٢) لقيه في بيروت سنة ١٣٢١هـ السيد محمد بن جعفر الكتاني، وأثنى عليه ووصفه بأنه نجيب جدا، «الرحلة السامية»: ص ٢٤٥. والتقى هو بالإمام أحمد بن حسن العطاس، واستجاز منه في موسم حج سنة ١٣٢٥هـ له ولصديقه الشيخ يوسف علايا، «مجموع الرحلات»: ص ٩٥، وروى عنه الشيخ محمد بن عوض بافضل، كما في «الإجازات الخمس»: ص ١٧٩.

للضّيافة في الليلة القابلة. ثم انفضَّ المجلسُ، ورجَعْنا إلى محلِّ الجلوس، وبتنا تلكَ الليلة. وعشيةَ يومِها توجّهنا إلى بيتِه، فأُخبِرْنَا أنّ الشيخَ يوسُفَ توجّه إلى (حَيفا)، قرية (إجْزِم)[1]، بلدةِ والدِه لأجلِ زيارته، وأخبرُونا أن والدَه مسنٌّ، قد بلغَ من العمر فوق التسعين.

* * *

ثم إنها حضرَتْ صلاةُ المغربِ، فصلّيناها، وبعدَها حضَر الطعام، فدُعِينا له في موضع لطيفٍ جدًّا، مضروب بالرخَام الملوَّن، على الكراسي الجميلَة، فلما فرغْنا من الطعَام، أداروا علينا فناجينَ القهْوةِ والشّاهي، ثم استأذنَّا في الخروج، ورجَعنا إلى محلِّ الجلوس.

[نزهة في حدائق بيروت]

ثم في اليوم الرابع؛ توجهنَا إلى خارج البلدة راكبين (الترامْوَي)، وفي صحبتنا الشيخ محمد خَرْما، إلى محلٍّ يقالُ له (الحرش)، وهو محلٌّ متسَعٌ، وفيه أشجارُ الصَّنوبر ألوفاً عديدَة، قريبةً من بعضِها البعْض، وهي طويلةٌ [/ ٩٤]، طولُ الشجَرة نحْو عشرينَ ذراعاً، وورقُها في رأسِها كالظُّلّة المستديرة، وهي قوية الأغصان، وقد يوضَعُ فوقَ الشجرة منها خشبٌ مرتَصٌّ فيكونُ كالسرير للجلوس، ولها ثمرٌ عجيبٌ أخضَر، حجمُه وشكْلُه مثلَ القلْبِ ا للحْمي، فلهذا ترَى بعضَ الواصِفين لشَكْل القلبِ يقولُ: هو صنَوبَريُّ الشّكل.

---

(١) قرية فلسطينية مهجَّرة تقع على بعد ٢٨ كلم جنوبي حيفا، قامت المنظمات الصهيونية المسلحة بهدم القرية وتشريد أهلها البالغ عددهم عام ٤٨م حوالي (٣٤٤٥) نسمة وكان ذلك في ٢٤/ ٧/ ١٩٤٨، وفي عام ١٩٤٩ أقام الصهاينة على أنقاض القرية مستعمرة (كيريم مهرال)، ولا زالت بعض بيوت القرية القديمة موجودة ويستعملها سكان المستعمرة.

والشجَر المذكُور هو من ناحيةِ (بيروت الجنوبية)، ومن ناحيتها (الشَّرقية) جُنَيناتٌ[١] متعدّدةٌ، فيهَا من الأشْجارِ ذواتِ الأثمار والأزْهَار شيءٌ كثير، وتتخلّلها جداولُ تجري بماءٍ معينٍ، وفي مواضِعَ منهَا بحيراتٌ فيها شَاذَروان، يرتفعُ ماؤها في الجوِّ بأحسَنِ منظَرٍ.

ثم رجَعْنا من ذلكَ المحلِّ وقد انتقَلْنا من عندِ الشيخ عبدِالرحمن الحوتِ إلى زاويةٍ بجانبِ (مسجد النَّوفَرة)، فرجعنا إليهَا، وبتنا تلكَ اللّيلة.

❊ ❊ ❊

(١) واحدها جنينة، تصغير جنة، وهي البساتين ذات النخيل والأشجار، فإن لم يكن بها نخيل فهي حديقة، وكانت الجنينة في عصر المماليك تحاط بسور مثل الحديقة، عن: «المصطلحات المعمارية»: ص ٣٠-٣١.

[المسيرُ إلى اللاَّذقِية
٢/ ٥/ ١٣٢٨هـ = ١٢/ ٥/ ١٩١٠م]

فلما أصبحَ الصباحُ؛ سألنا عن البابُور الذي يتوجه (اللاذقية)[١]، فأُخْبرنا عنه أنه يتوجّهُ السَاعة ثمانية عرَبي ذلكَ اليوم، فتوجّهنا إلى محلِّ الوكَالة، وبمعيَّتنا فضيلةُ العالم الفاضِل الشيخ عبد الرحمن الحوت، والشيخ محمد الخرمَا، فنوَّلنا في البرِيمُو[٢]، محلّ نمُور[٣](١)َ، وطلعْنا في حفظ الله وسلامته.

[التعريج على طَرابُلْس الشّام]


صورة السيد عبدالفتاح الزعبي الحسني

وتوجّه البابورُ ومرَّ على (طَرابلُس الشَّام)، ووقفَ بها، فنزلْنا إليهَا، وكانَ يومُ الجمعة، فقصَدْنا الجَامعَ، وصلَّينا الجمُعةَ، واجتمَعْنا بالعلاّمةِ الفَاضِل، عبد الفتاح الزُّعْبي الكَيلاني[٤]، وهو رجلٌ مسنٌّ، وهو الخطيبُ في ذلك اليوم، وهو على غايةٍ من السّكينةِ والتواضُعِ، فأسمَعنا حديثَ الأولَيةِ.

---

(١) مدينة سوريّة، تعتبر الرابعة في الجمهورية من حيث عدد السكان، بعد دمشق، حلب وحمص، تقع على الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط، على بعد حوالي ٣٨٥كم من الشمال الغربي للعاصمة السورية دمشق.

(٢) إيطالية معربة، تعني: الدرجة الأولى، مثل: الفِرسْت كلاس بالإنجليزية.

(٣) إنكليزية محرفة، معربة من (Number)، بمعنى: رقم. البعض يقول: نمرة، أو نمبر، وكلمة نمور دخلت على الحضارمة من اللهجة الجاوية.

(٤) ولد بطرابلس سنة ١٢٥٥هـ، أخذ عن الشيخ محمد الجسر، وكان خطيبا ومدرسا في الجامع الكبير، وله كتاب في الأنساب، وكان نقيبا للأشراف بها، توفي سنة ١٣٥٣هـ.

واجتَمَعْنا فيها بالعلاّمة الفَاضلِ، الشيخ عبد الرحمن بن عبدِالرزاق الرافعيّ، في مسجده، وصلينا عندَه صلاةَ العصر، وهو عالِم مصنّفٌ، وأعطانا شيئًا من تصانيفه.

ثم خرجنا من عنده إلى جُنينةٍ إلى جَانبِ المسْجدِ، في غاية من اللطَافة والظرافَة، وشربْنا فيها من الثلج، ثم خرَجْنا وركبنَا عربيةً، ودُرْنَا على حافَةِ البلدة، فوجَدْناها محتفّةً بالأشْجارِ المثمِرَة، والأزهَار الحسَنةِ.

[التشْميرُ نحو اللاذقية]



مدخل اللاذقية كما يبدو مطلع القرن العشرين

ثم توجّهْنا قاصدينَ الأسْكِلة، فوصَلْنا، وطلعنا إلى البابور، ثم شَمّر البابورُ في حفظ الله، يمشي ليلاً حتّى أصبحَ الصباحُ. وإذا باللاذقيةِ أمامَ البابور، معترضةً في البرِّ، فوصلَ البابور فنزلْنا.

[أبناء السيد فضْل باشا مولى خَيلة]

ثم توجّهنا قاصدينَ بيتَ السيدِ الفاضل الشريفِ، سَهلِ[1] بن فضْل بن

---

(١) نظرا لمكانة السيد فضل باشا رحمه الله من خلفاء بني عثمان، فقد أنعم على ابنه السيد سهل برتبة الباشَوية المسماة (روميلي بكلربك) سنة ١٣٠٢هـ، وبعد وفاة أبيه سنة ١٣١٨هـ عن (٨٠ عاما)،=

علوي بن سهل، فلما وصَلْنا، قابلَنا هو وأولادُه الكرامُ، السيد صافي، والسيد مظفر، وأولادُ أخيه المرحُوم السيدِ حسن[1] باشا، وهم محمد صالح، ومحمود، ومحمد. ثم دخلنا إلى موضعٍ أعدَّوه لجلوسِنا، فوضَعنا فيه الأمتعة.

ثم طَلعنا [/ ٩٥] إلى محلٍّ، وهو مجلسُ السيد سهل، فوجَدناه جالساً، فسلّمنا عليه، فقامَ فعانقنا، وردَّ علينا السّلامَ، ثم أخذ يسألنا عن حَطّنا وتَرْحالنا، وعن سَفرِنا من أي محلٍّ؟ فأخبرْناه بالواقع. ثم وصلَ إلينا حضرةُ الشهْم السيد حَامد المنفِّر، وابنه النجيبُ السيدُ سهل، وهنّونا بالقُدوم، وكانت بينَنا وبينَ السيدِ المذكور مصاهَرةٌ. وجلسْنا يومينِ عندَ السيدِ سهلِ بن فضْل.

[ضيافَةُ السيد حامدٍ المنفّر]

ثم في اليوم الثالث؛ دعانا للضِّيافة السيدُ حامدٌ المذكور، فتوجّهْنا بمعيّةِ السيد سهلٍ وأولاده، وَأولاد أخيه، إلى بيت السيد حامدٍ المذكور، فكانَ يوماً مغْموراً بالأنْس والسرور.

[زيارة الشيخ عبد الوهّاب الصُّوفي]

ثم خرجتُ من عند السيدِ حامدٍ؛ وبصحبتي السيد سهل، فقال لي: أتحبُّ أن تزورَ رجلاً من أولياءِ الله الصالحينَ، فقلتُ له: هذا هو المطلوبُ. فدخلنا على رجلٍ صالحٍ، اسمه الشيخ عبد الوهاب الصوفي، فسلمْنا عليه، فردَّ علينا السلامَ، فرأيتُ عليه سِيما الصالحينَ، وتغلبُ عليه المراقبةُ، ثم أخذ السيدُ سهلٌ يسألُه، عن معرفةٍ سبقَتْ بينه وبينه.

=مكث في إستانبول مدة، ثم غادرها إلىٰ اللاذقية، سنة ١٣٢٧هـ، ومات بها سنة ١٣٤٨هـ. عن: «القول الأعدل» ص٨٥.

(١) ومن أولاده المشاهير: عبد الله بك، زعيم الأسرة الفضلية في الشام، كان عالما أديبا، له مجلة (المرشد العربي)، وكتاب «صدق الخبر في خوارج القرن الثاني عشر»، عن: «القول الأعدل» ص٨٥.

ثم قال الشيخُ عبد الوهاب: يا سيدُ سهلُ، أتعرف الرجلَ الهنديَّ الذي كان في مصْر وطريقتُه عيدروسيةٌ؟. فقال له السيدُ سهلٌ: نعَم؛ أعرفُه، ولي معه وقائعُ كثيرة حينَ اجتماعي به في مصر. ثم أخذ الشيخُ عبد الوهاب يتكلّم على حالِ هذا الرجل، وماله من الكرامات. ثم قالَ: وله أيضاً كشفٌ خارقٌ، كاشَفني مراراً، وأجازَني [٩٦/] باجازاتٍ، وأنا أعملُ بها إلى اليوم والليلة.

ثم قال الشيخُ: واجتمعتُ أيضاً بأولياءَ كثيرٍ، فمرّةً رأيتُ رجُلاً يقود حماراً ويلتقط القمائمَ التي في الطرُقاتِ، وكأنه مأمورٌ من الدّولة، فمَرّ رجلٌ آخر على فرسٍ، فوكز صاحبَ الحمار بفرَسه، وتقدّم إلى الأمَام نحْو عشرِ خطَواتٍ، فلم أشعر إلا والرجلُ الذي يقودُ الحمارَ، أشارَ بيده من أسْفل إلى فوق، من غير مسٍّ لصاحب الحصان، وقال: هكَذا. فوالله إني رأيتُ الرجلَ الذي على الفرَس انقلبَ على رأسِ الحصانِ من فوقه ورجلاه إلى أعلى، فعلمتُ أن هذا الرجلَ من أهل التصريف.



وأما شيخُنا الهنديُّ، رضي الله عنه، فإنه كان لي ابنٌ واسمه محمد العَرَبي، وكنتُ أحبه حبًّا شديداً، فمرضَ وهو صغيرُ السنِّ، قبل السنتين، فتورمت لثاتُه، فصرتُ مهموماً، لأني ما عندي إلا هذا الولدُ، فتوجهتُ به إلى شيخنا الهنديّ، فمسحَ عليه. فأخذتُه ومضيتُ به إلى البيتِ عندَ أمه، فلم نشعُر إلا وقد طلعتْ أسنانُه وهي بيضاءُ مرصوصَة.

[من أحوال المجاذيب]

ثم إني سألتُ السيدَ سهل، عن الشيخ الهندي المذكور؟. فقال لي السيدُ سهل: إني اجتمعتُ به في مصْر، وكان لي معه كمالُ الصحبَة، وكان يحبني كثيراً، وهو غريبُ الحالِ، ينفق نفقاتٍ كثيرةً. فمرةً جئتُ إليه، وقلتُ له: إن رجلاً من أهالي مكةَ قدِم، ونريد منك إعانةً له، فأعطاني له مائةَ جنيه. وينفق إنفاقاتٍ كثيرةً.

وقالَ لي مرةً: إن هذي الجارية اشتريتُها لكَ، فقلتُ له: لا أريدُها. فقالَ لي: خذها، فإنها ستلِدُ لك بثلاثة أولادٍ، ويموتون وتموتُ هي بعدهم، فلم آخُذْها منه، ثم إني توجهتُ من مصْر إلى جدّة [/ ٩٧] ثم إلى مكة.

فلما وصلتُ إلى مكة فلم أشْعُر بعد أيام إلا بوصُولِ مكتوبٍ من المذكُور لي إلى مكة، ويعلمُني بوصُوله إلى جدّة، فشاورتُ سيدي العمَّ عبدَالله بن محمد الحبشي، فقال لي: لا تنزل إلى جدّة، وانما استشرْ والدَك، فاستشرت والدي فلم يأذن لي في النزولِ، فأخبرتُ العمَّ عبدَالله بذلك، فقال لي: الأولى أن ترسلَ إليه مرسولاً.

والرجل المذكُور هو باقٍ في البحر، لم يخرج إلى البرّ، لأنه لو خرج إلى البرّ يُسْلَبُ حالُه، فأرسلتُ المرسولَ، وسأل عن الرجل، فأخبر أنّه في البحر، وأنه خرجَ من البابُور إلى سنبوقٍ، استأجرَه على أن يحملَه إلى أرضِ السودان، فطلع المرسولُ إليه إلى البحر، وسلّمه الجاريةَ التي كان وهبها لي سابقاً، وأعطاه أشياءَ أخَر. ثم إن المرسُولَ وصلَ إلينا بالجاريةِ وما معَها، وأخبرَنا بالواقعِ، فعلمتُ صدْقَ العمّ عبد الله بن محمد الحبشي فيما أخبرَني به. ثم إني دخلتُ على الجاريةِ، وولدَت ثلاثةَ أولادٍ فماتوا جميعاً، وماتت هي بعدهم. فكان الأمرُ كما قالَ الشيخُ رضي الله عنه. ثم إنه انتهى المجلسُ.

[زيارة شَيخ المولوية في بيته]

وقمنَا من عند الشيخ عبد الوهّاب الصوفي، إلى بيتِ شيخ الطريقة المولوية. وطابَ المجلس واستمرت المذاكرَةُ في ذكر الأولياء والصالحينَ، حتى وصَلنا إلى ذكر العارفِ بالله عمر بن عبد الله الجفري.

فقال السيد سهلٌ: أخبرني السيدُ أحمد بافقيه، أنه دخلَ ذاتَ يوم على الحبيب المذكور، وكان ذلك قبل صلاةِ العيد، فوجَده متغير اللّونِ، وعليه هيبةً عظيمةٌ، فلم

أشعر إلا بقَوله: من يصافح هذه اليدَ التي صافحَت النبيَّ ﷺ هذا الحين، فأخذتُها وقبلتُها. ثم إنه بعدَ ذلكَ [٩٨/] قال لي: عمّك عُمر خرَّف، فحمدْتُ الله على ذلكَ، ولم أسمع منه غير ذلك منذُ عرفتُه، رضي الله عنه، من الكراماتِ، لأنه كان في غايةٍ من التمكينِ.



دراويش مولوية

[زيارة ضريح الشيخ المغربي]

وفي يوم من الأيام توجهتُ مع السيدِ سهلِ بن فضل، لزيَارة المرحوم العارفِ بالله، محمد بن ناصر المغربي[1]، صاحب الكراماتِ الباهرة، وهو مدفونٌ فوقَ جبلٍ عالٍ، وله قبةٌ عظيمةٌ، وإلى جانبها مسجد.

فزُرنا ذلك الشيخَ، ووجَدْنا له تلامذةً[2]، وعندَهم من مصَنفاته شيءٌ كثير، وله في الحقائقِ لسانٌ عظيمةٌ، وله صلواتٌ على النبي ﷺ في ضمنِ مؤلَّفٍ ألفَه، ثم إن بعضَ تلامذتِه جرّدَ الصلواتِ وأفردَها لنفسِها، ورجَعْنا مع السيد سهلٍ.

---

(١) من العلماء الصالحين الأخيار، أطنب النبهاني في وصف حاله، أقام بهذه البلدة وعلم أهلها، وله بها مسجد كبير، توفي سنة ١٢٤٠هـ، ولم يذكر النبهاني له من المؤلفات سوى مولد، وكلام المؤلف هنا ينبئ عن وجود غيره وفي مصادر أخرى: اسمه محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد ناصر الدين الدرعي، ولد في المغرب الأقصى سنة ١١٧٨هـ، حج سنة ١٢١٧هـ، ثم زار القدس ودمشق وانتهى به المطاف باللاذقية وبها توفي سنة ١٢٤٢هـ، وفي «معجم شعراء البابطين» ورد اسمُه محمد المغربي التونسي، ومن شيوخه أحمد الصاوي، ووفاته ١٢٤٤هـ. فليحرر. وينظر: «جامع كرامات الاولياء»: ١/ ٣٦٣، و«معجم المؤلفين»: ١٢/ ٧٢.

(٢) من تلامذته الشيخ أحمد بن عبدالرحمن الحلبي، ودفن إلىٰ جواره.

[العَودةُ إلى بيروت]

وفي يوم الربوع لعله ١٦ جمادى الأولى؛ توجهنا من اللاذقية في (بابور الإيطاليا) إلى بيروت، ووصَلْنا اليها مساءَ يوم الخميسِ مع السَّلامة، ونزلنا في لَوكندَة (قصَر البحر)، وجلسنا فيها نحْو ثلاثة أيام.

واستدْعَانا للضِّيافة الشيخُ رشيد جَبْري، وطلبَ منَّا أن ندخُلَ إلى موضعِ التجارَة الذي ينسَبُ إليه، فوصَلنا إلى ذلك الموضع وفيه الكبرخَات التي تصلّح الكُنافَة، والمكرونة، والشعيرية، والحلوى الطحينية، والخشاف المقَطّع من الزبيب، وغير ذلك، وأطعمنا من جميع المذكُورات .

ثم توجّهنا إلى بيته فوجَدْناه في وسَطِ بستانٍ، فيه أجناسُ أغلبِ الفواكه، فقابلَنا كمالَ المقابلةِ مع أولاده الكرام، فطَعِمنا الطعَامَ، وطابَ المجلسُ، وذكّرناهم بالله وآلائه، وصَلينا العشاءَ، وانصرَفْنَا راجعينَ إلى اللّوكندة.



مسجد المغربي باللاذقية

***

[المسيرُ إلى بيتِ المقْدِس
السبت؛ ١٨/ ٥/ ١٣٢٨هـ = ٢٨/ ٥/ ١٩١٠م]

ثم في اليوم الثاني توجّهْنا في (البابُور الفرنْصَاوي) إلى بلدة (يَافا)، وأخذْنا ليلةً في الطريقِ. وصباحاً وصَلنا إليها، وتوجّهنا في سكّةِ الحديدِ، قاصدين زيارة (بيتِ المقدس)، وأخذنا نحو ستِّ ساعاتٍ إلى (بيتِ المقْدس)، وفي صُحبتنا المزوِّر والمعرِّف، الشيخ عبد الله الأنصاري.

فنزلنا في (لَوكندة الأرْوام)، كل ليلة بمجيدي ونص، ومن ثم توجهنا مع المعرف قاصدين أيليا وهو المسجد الأقصى [/ ٩٩].

[قُبةَ الصَّخرةِ]

فقصَدْنا قُبةَ الصَّخرةِ، ودخلنا تحتَ الصخْرةِ، في موضع قدَمه ﷺ، وصلَّينا ركعتين.



مسجد قبة الصخرة



ورأينا الصَّخرةَ مرتفعةً، من تحتِها جُدرانٌ ضَعيفةٌ، وإلى جانبِ الدرَج محلِّ النزولِ، عمودُ رخَام صغيرٌ عن يمينِ الداخل، متصلٌ بالصّخرة. فركَعْنا.

[قبة المعراج]

ودعونَا الله في المحلِّ الذي عَرَجَ منه النبيُّ ﷺ.



[محراب الأنبياء]

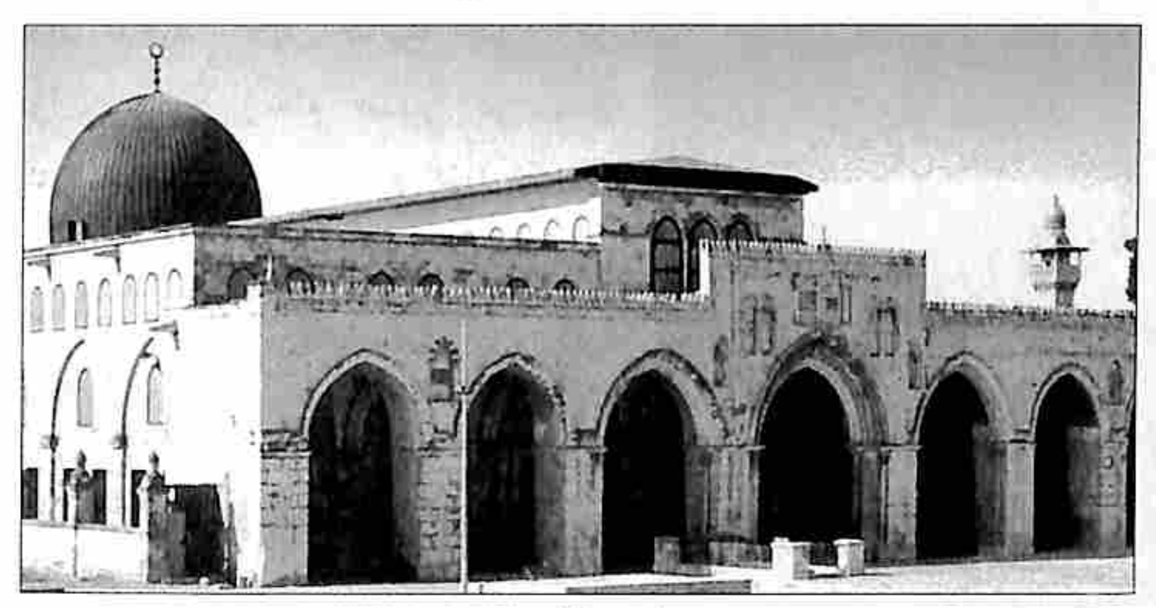
ثـم زرْنَا محـرابَ سـيدِنا داودَ، وسـيِّدنا سليمان، عليهما السلام.

[المسجد الأقصى]

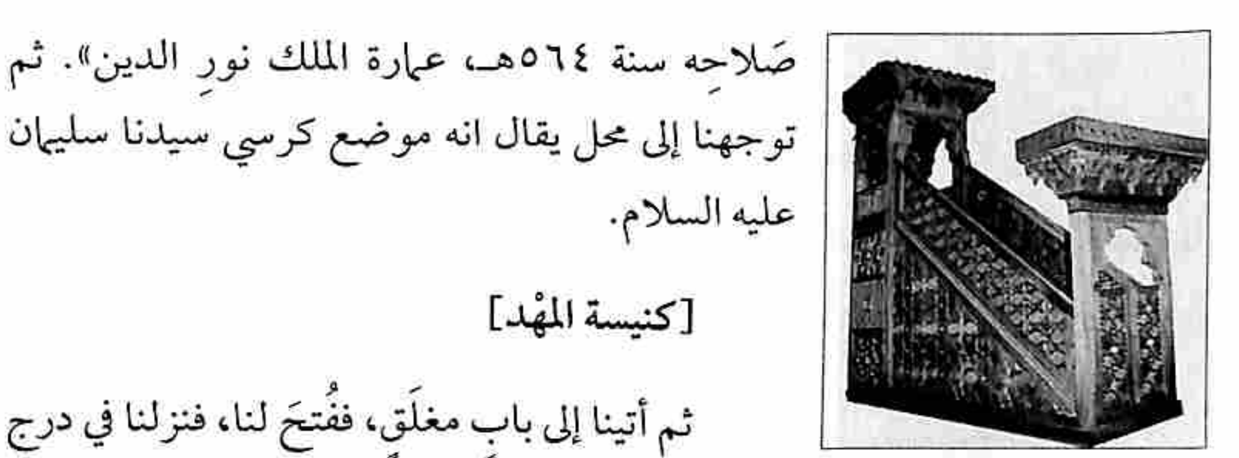
ثم خرجنا من تحت الصَّخرة وقبتها، إلى ناحيةِ المسْـجدِ المعمُور، الذي يقـالُ له (المسْـجدُ الأقصَى)، فتوضّأنا من بُحَيرةٍ وسَط المسجدِ.



وقصَدْنا المسجد فوجدَناه في غايةٍ من الحسْنِ. وعلى منبره مكتوبٌ: «فرغ من



المسجد الأقصى



منبر السلطان نور الدين زنكي (احترق)

صَلاحِه سنة ٥٦٤هـ، عمارة الملك نورِ الدين». ثم توجهنا إلى محل يقال انه موضع كرسي سيدنا سليمان عليه السلام.

[كنيسة المهْد]

ثم أتينا إلى بابٍ مغلَقٍ، ففُتِحَ لنا، فنزلنا في درجٍ تحتَ المسْجدِ الأعلى، فرأينا في أسفلَ مسجدٌ مثلَ الأعلَى، وهو مبنيٌّ بأحجَار عظيمَة. فمشَينا في ذلكَ المحلِّ، بين أعمدة مبنية بناءً، حتى وصلنا إلى محلٍّ وفيه مَهدٌ من حجَرٍ منحوتٍ، قيلَ لنا: إنّه مهدُ سيدنا عيسَى عليه السلاَم في حالِ التربيةِ، ولم ننظُر من هذا المسجدِ السفليِّ إلا القليلَ، لأنه متباعدٌ ومتّسعٌ.



كنيسة المهد

[زيارة ضريح السيدة مريم عليها السلام]

ثم خرَجْنا من ذلكَ المحلِّ، وتوجهنا إلى البيعَة الكبرَى، التي فيهَا ضريحُ سيدَتنا مريمَ عليهَا السلام، فوجَدناه موضعاً قديماً، عظيمَ البناءِ، له باب واحدٌ، فنزلْنا نحْو قَصْرينِ[1] في الأرض.

ومن أسفلَ محلٌّ متسعٌ من غُرَف، وفيه من المصابيح مئينَ، وهي مُسرَجةٌ، وفيها الشموعُ الكبيرة، وشمعدانات ذهبية، وفيه القسُوس والرهبان.



وبسبَبِ كثرة المصابيح كأنَّ المحلّ في رابعَةِ النهار، فلما توسطنا المحلَّ رأينا الرهبانَ والقُسوسَ قائمين نَحْو السيدَة مريم، ورأينا النساء ساجداتٍ نحْو الراهبِ الكبير، وهم يرفعُونَ أصواتَهم، ويضربون بالصُّنَج[2].

فأجلسَنا المدير لهذا المحل على كراسي، وقالَ: اصبروا، حتى يخرج الرهبانُ من موضع الزيارة، فنسمَعُهم يتكلمونَ بأصواتٍ مختلفةٍ، ولباسُهم السوادُ، ذكوراً وإناثاً، فانتظَرْنا حتى فرَغُوا ، فأخذوا إلى ناحيةٍ. ثم دخَلنا إلى محل مزَخْرفٍ بالذهبِ والفضة، والمباخرُ فيها العَنبرُ وأصنافُ البخورِ، فوجَدْنا ضريح السيدة مريم إلى

---

(١) أي: دورين، دراجة حضرمية.

(٢) صفيحة مدورة من نحاس (صفر)، يضرب بها على الأخرى، فتصدر صوتا عاليا. «المعجم الوسيط».

جانب الجدار، وعليه من الستائر وإلى جانبه الشموع فدخلنا فقابلنا الضريح فوجدنا صورة سيدتنا مريم وسيدنا عيسى فوق القبر في الجدار ، ثم أقبلوا الينا القسوس والرهبان ينظرون الينا ماذا نفعل.

ثم إني قمتُ أمامَ القَبر، وزرتُ بالزيَارة المعروفَة، فوقعَتْ زيارةٌ عظيمةٌ، ثم إنّ القسُوسَ عند رفْع أيديَنا بالدعاءِ، رفعُوا أيديَهم وأخرجُوا القلانسَ من على رؤوسِهم، حتى انتهينا، فتعجّبوا منّا، ثم إنّهم رفعُوا أيديهم بالتسليم.



ضريح السيدة مريم العذراء

[المدرسة الصلاحية]

وخرَجنا من ذلك المحلِّ، وتوجهنا إلى محلٍّ واسع، يحتوي على جنَينتينِ، فيها من أنواعِ الأزهار شيءٌ كثير، وما بين الجنتينِ بيتٌ كبيرٌ، شامخ البناءِ، فتقدمنا اليه فوجدنا مكتوب فوق الباب [/ ١٠٠] نقباً في الحجَرِ، ما صورتُه بالعربيةِ، بخط فصيحٍ، وهو:



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ [النحل: ٥٣]

«هذه المدرسةُ المبارَكة وقفَها مولانا الملكُ الناصرُ صلاحُ الدنيا والدين، سلطان الإسلام، أبو المظفَّر، يوسفُ بن أيوب [بن] شادي، محيي دين الله، أمير المؤمنين، أعَز الله نصرَه، وجمعَ له بين خيري الدنيا والآخرَة، على الفقهاءِ من أصحابِ الإمامِ أبي عبدِالله محمدِ بن ادريسِ الشافعي في سنة ٥٨٨».

ثم انا سألنا عن هذا المحلِّ، فقيلَ لنا: إنه الآن صَار كنيسةً للفرانصيص[١]. فدخلنا، فوجَدناه محلاً متسعاً، وفيه ألواحُ معلقة، مكتوبٌ فيها بالعربيةِ أحاديثُ رواها الشيخَان.

[كنيسَة القيامة]

ثم توجّهنا إلى كنيسَةٍ أخرى، وهي كبيرة جدًّا، وتسمَّى (بالقيامة)، يدَّعُون أن بها قَبر سيدِنا عيسَى عليه السلام. فدخلنا إليهَا مع المديرِ والبواب، فرأينا النصارى فيها أصنافاً، كل صنف لهم موضعٌ، وهم فرقٌ: فرقةٌ يقالُ لهم: الكاثوليك، وفرقةٌ: الأرْوام، وفرقةٌ: اللاَّتينُ. فدخلنا فرأينا [ما يزعمون من أنه][٢] محلَّ الصلب، وهو مسنودٌ، وصورةَ سيّدنا عيسَى عليه السلام كأنه مصْلوبٌ، ورأينا أشياءَ تقشَعرُّ منها الجلودُ، قبحهم الله، ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٧].

حتى أن البوابَ مسلمٌ، يقولُ: انظروا إلى قلّةِ عقولهم. فقلتُ: كيفَ ترضى بالجلوسِ في هذا الموضِع؟. فقالَ: أقَامَني الله في ذلك.

---

(١) أي: الفرنسيس، الفرنسيين.

(٢) من هامش الأصل.

ثم خرَجْنا من ذلكَ الموضعِ، ونحنُ في زيادة من الإيمانِ، لما رأينَا ما رأينا من اعتقَاداتِهم القَبيحة. ثم رجَعْنا إلى موضعِ الجلوسِ وبتنا تلك الليلة.



كنيسة القيامة

[زيارة مسجد الخليل عليه السلام]

ثم لما أصبحَ الصباحُ؛ أخذنا عَربيةً بخمْسةِ مجيدي، وتوجهنا لزيَارة سيّدنا إبراهيم الخليل عليه السلام، فأخذنا ستَّ ساعات في الطريق حتى وصلنا.

فنزلنا في موضِع معَدٍّ للضيوفِ والزوار، فجلَسْنا وتناولْنا الطعامَ، ثم توضّأنا وكان ذلكَ الوقتُ وقتَ الظهر.

ثم توجهنا إلى مَسجدٍ عظيم، وفيه ضريحُ سيدِنا إبراهيم الخليل عليه السلام، وسيدناً إسحاق عليه السلام، وسيدنا يعقوب عليه السلام، وسيدتنا سَارة، وغيرهم من الأنبياء عليهم السلام، فابتدأنا بزيارة سيدِنا إبراهيم عليه السلام ووقعَت زيارةٌ. عظيمةٌ، ثمّ زرنا النبيَّ إسحاق عليه السلام ثم يعقُوبَ عليه السلام وسيدَتنا سارة.

ثم دخلنا إلى محلٍّ، وفيه كهيئة التابوتِ، ولكنه



مسجد الخليل عليه السلام


مسجد الخليل

مكشوفُ الجوانبِ، فرأينا في ذلك الموضع مثلَ البير، وفيها السرجُ كثير وعليها بوابين، فسألنا عن ذلكَ، فقيل لنا [١٠١/] إن في هذا البير أرواح سبعين من الأنبياء فقرأنا عندهم ما تيسر. ثم حضرت صلاة الظهر فصلينا.

ثم إنا زرنا من بقي هناك ورأينا في ذلك الموضع من الهيبةِ والوقار والسكينة ما يشْهَد له بأنه مقامُ نبوةٍ، ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝ وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ١٢٧ - ١٢٨].

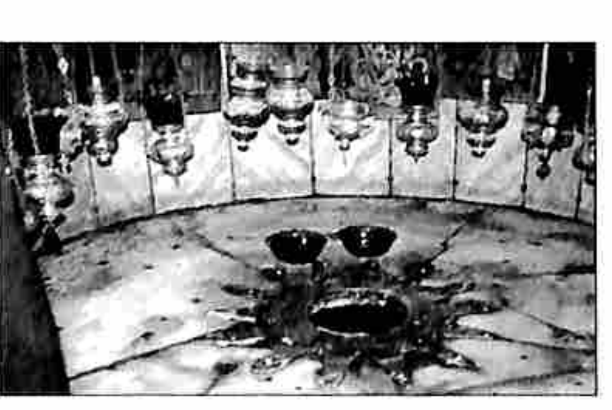
[زيارة بيت لحم]


بيت لحم

ثم توجهنا إلى (بيت لحم)، وهو موضِعُ ولادَة سيدنا عيسَى عليه السلام، فوجَدناها قريةً عظيمةً، فيها أبنيةٌ عظيمة، وسكّانها الجميعُ نصَارى، وفيهم من الجمالِ شيء غريبٌ.

فأتينا إلى ديرٍ عَظيمٍ، مرتفع البناءِ، وله بابٌ صغيرٌ.

وبالاتفاق مع وصُولنا إلى عند البابِ خرجَ من النساءِ الراهباتِ ما يزيد على مائةِ امرأةٍ، لابساتِ السوادَ، فلما خرجْن دخَلنا ومعنا البوابُ.


موضع ميلاد المسيح عليه السلام

حتى وصَلنا إلى موضع الولادَة، وهو في محلٍّ مظلم، وفيه من المصابيح والشمُوع، ولم يسْرِجُوا بالقَازِ، إلا بالزيتِ والشمع. فرأينَا موضعَ الولادَةِ، وهو المحلُّ الذي انتبذَتْ إليه، وموضعُ النخلة، وهذا المحلُّ كله من تحت الأرضِ.

وهذه الكنيسة كبيرةٌ جم، وفيه محلٌّ تعليم القُسوس، يجلس الراهبُ على كرسيٍّ، ويتكلمُ، وقد يرى عليه أثر البكَاءِ، والناسُ من حولِه، من العجائز والشيبان، ثُمّ إنا خرَجْنا، ورجعنا إلى (بيتِ المقدس)، إلى موضِع الجلوس، وبتنا تلك الليلة.

[مروراً برَمْلة فلسطين]

وفي صَباح ذلك اليوم؛ توجهنا في المركب البرِّي إلى (يافَا)، ومررنا على مواضع قديمةٍ منها (رَملة فلسطين) المشهورة، وهي كانت من سابقٍ عاصمةَ أرضِ الشام.



المسجد العمري بالرملة

[الوصول إلى يافا]

ثم وصلنا إلى يافا فنزلنا عند المكرم رشيد طاهر أفندي، فأنزلَنا في بيتٍ له في طرَفِ البلد، وحوله بساتينُ محتَفّةٌ به، وفيها من أشْجار الفواكِه والأزهارِ شيءٌ كثيرٌ، والفواكِه، مثلَ تينٍ، ورمانٍ، وبرتقالٍ، وعنبٍ، وخيارٍ، وقثاء. والأزهار، مثلَ ياسمين، وبهار، ونَسْرين. وفي وسط البستانِ بيتٌ عجيبٌ، في غايةٍ من الحسْنِ، مبنيٌّ بالحجَر الأصْفر، والرخام الملون. وَفيه من الآلاتِ شيءٌ كثير، والاستعمالاتُ مثلَ اللانفوات[١]، والمرايات، والنجفَات[٢].

(١) دارجة محرفة، أي: لمبات، مصابيح، جمع لمبة، محرفة عن الإنجليزية (Lamp).

(٢) كلمة مولدة، تطلق على مجموعة من المصابيح الكهربية مختلفة الشكل، متسقة الوضع، باهرة الضوء. «المعجم الوسيط» (نجف).

وإلى جانب البيتِ بنقلةٌ، تشرف على البسْتان، وعندهـا فَابريكَ[١]، تطلّع الماء مـن البير على أدنـانٍ، تدُور عـلى عجَلة متصِلـةٍ بالآلة التي تديـرُ العجَلَـة، والأدْنـانُ نـحـو مـائة وثلاثين دنًّا كِبار، وتقذِفُ الماء في موضعٍ متّسِع، ثم ينسابُ في جداولَ إلى البستانِ. فسألناه عن ثمنها، فقالَ: بمائةٍ وخمسين جنيهاً، وتمشي الفابريكَة على القَازِ كلَّ يومٍ نصفُ بِلَيق[٢].



مسجد على ضفاف النهر بحيفا

فتمنّينا أن لو كان مثلَها بحَضْرموت، وخصُوصـاً في (مُغيشـة)[٣]، لقـربِ مائهـا، وسـألنا عن البـير، كَم قامـةً؟ فقالـوا: ثمانيةَ عـشر قامةً، ومـن أعجَبِ مـا رأينَـا في ذلك البستانِ، شـجرةُ عنبٍ، تثْمِر في السّنة ثلاثَ مراتٍ.

[الساعاتُ الأخيرة في يافَا]

ثم بتنا تلك الليلة؛ وخرجنا نسألُ عن البابُور [/ ١٠٢] المتوجّه إلى بيروت، فقيل لنا: إنه بكْرَة، نصْفَ النهار، ويتوجّه إلى بيروتَ أواخرِ النهَار.

فتوجّهْنا إلى السّوق، وكان قصدي أسألُ عن عصًا لَوز مُرّ، لأني كنتُ رأيتُ فيها أثراً ورَد في استعمالها[٤]، فوقفتُ على دكّانٍ، وسألتُ صاحبه: هل يوجدُ عندك

---

(١) الفابريكة، إيطالية معرَّبة، أصلها (Fabrica)، معناها: المصْنَع. «الدخيل في اللغة العربية الحديثة»: ص ١٠٣. ولعلها كانت تطلق في الشام على الآلة التي تدير غيرها.

(٢) كلمة جاوية (ملايوية)، تنطق بالقاف اليابسة، أو الكاف المعقودة، وباللاتيني (Blek) تعني: الجردل، أو الدلو. عن السيد محمد العيدروس.

(٣) هي مزرعة أو بئر كانت من أملاك الحبيب علي الحبشي، بقرب الفجير (شيخ بن علوي).

(٤) رحم الله المؤلف، فقد احتاط لدينه، واحترز عن نسبة هذا الأثر ورفْعه إلىٰ النبي ﷺ، لأنه أثر موضوع، أخرج أوله الديلمي في «الفردوس» من حديث أنس، وأورده السيوطي في «العجاجة=

عصا لَوزٍ مُر؟ فقال لي: ما عندي شيءٌ من ذلكَ، وكان إلى جانبِ الدكانِ رَجلٌ شَيبةٌ، جالس على كرسيّ، فقال بصَوتٍ رافعٍ: هذه العصَا [من] اللَّوز المرّ، أنا أعرِفُ أنك تطلبُها من أجلِ الحديثِ الذي رأيتَه!. فتعجبتُ منه غايةَ العجبِ، فقال لي: إني قطعتُها من شجرَتها بقراءة الفاتحة، ثم قرأ الفاتحةَ، ثم نَاولني إيّاها. وهو رجلٌ عليه آثارُ الصلاحِ والولاية.

ثم إني قلتُ له: ما اسمك؟ فقالَ لي: اسمي عبدُالقادر، فكتبت اسمَه عندي، وطلبَ مني الدعاء، ثم توجّهنا إلى محلِّ الرجُلِ المثرِي، صَادق طاهر، فرأينَا كارخَانات[1] الصَّابون.

[العَودة إلى بيروت]

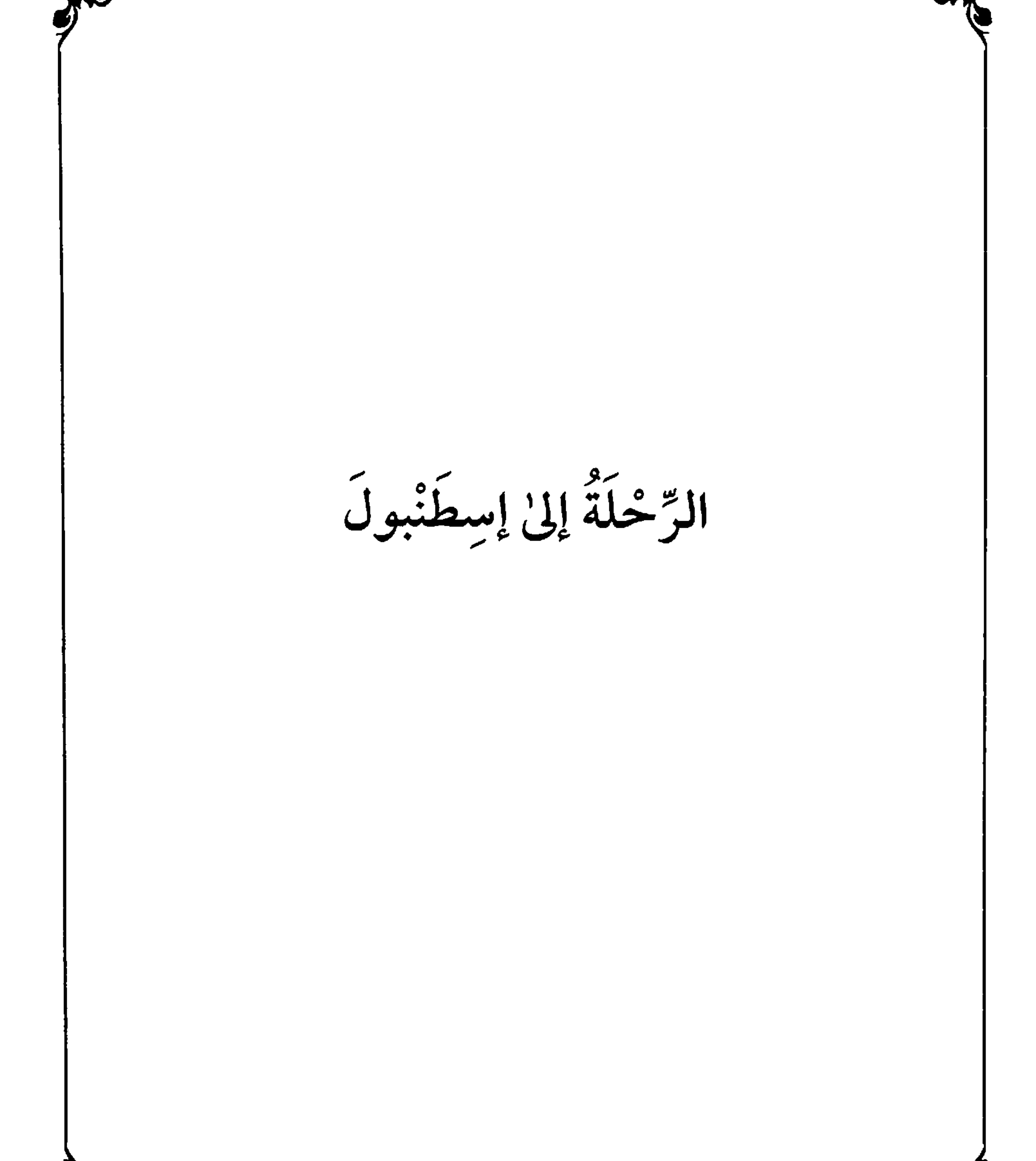
ثم خرجنا وتوجّهنا إلى البيتِ، وأخَذْنا الأمتعَة، وطلعْنَا البابور قريبَ الغرُوب، وبتْنا تلك الليلة، وفي الصباح وافَينا بيروت، ونزلنا في لوكندة (فصل البحر)، ورئيسُها الحاجّي عمَر الطّرابلسي، لوكَندةَ في غايةٍ من النظافَة. وقابلنا كمال المقابلة.



* * *

=الزرنبية» (الحاوي: ٢/ ٨٩)، ونصه: «العصا علامة المؤمن وسنة الأنبياء»، وزاد بعضهم: «ومن خرج في سفر ومعه عصا من لوز مر أمنه الله من كل سبع ضار ولص عاص ومن كل ذات حُمة حتى يرجع إلى أهله ومنزله وكان معه سبعة وسبعون من المعقبات يستغفرون له حتى يرجع ويضعها»، قال الملا علي القاري: « كلام صحيح ، وليس له أصل صريح»، عن: «كشف الخفاء ومزيل الالباس»: ١ / ٣٢١.

(١) الكرَخانه، تركية معربة مأخوذة من الفارسية، بمعنى: معمل غزل الحرير، واشتق الشوام منه فعلا ومصدرا (كرخنه، كرخنة)، أي أتقن صنعه وأجاد، وهو في الأردية بنفس اللفظ والمعنى، وكذلك في التركية القديمة، وبعض بلدان الخليج، ولكنه استعمل مؤخرا بمعنى الماخور، (بيت الدعارة)، فينبغي التنبه. عن: «الدخيل»: ص ١١٩.



الرِّحْلَةُ إلىٰ إسِطَنْبولَ



[المسِيرُ إلىٰ الآسِتانَة العلية

الثلاثاء؛ ٢٩/ ٥/ ١٣٢٨هـ = ٨/ ٦/ ١٩١٠م]

ثم بعدَ يومين؛ توجّهنا في بابورٍ أمريكَاني إلىٰ الآسِتانة العليّة، والنَّولُ أربعَة جنيه، في نمُور ، وذلك ليلةَ الثلاثاء ٢٩ جماد الأول سنة ١٣٢٨، وشمَّر البابور نصْفَ الليلِ، فنسأل الله السلامة والعافية.

[بُلْدانٌ على طريقِ الرحْلة إلىٰ إسِتانبُول]

فمرَرْنا على بلدةٍ يقالُ لها (إياس)، فوقف فيها البابور قدْرَ أربعِ سَاعاتٍ.

ثم توجّه منها إلىٰ بلدة يقال لها (مَرْسِين)[1]، وهي أكبرُ من التي قبلَها، وأهلُها أكثَر، وفيهَا فواكهُ كثيرةٌ، وثمنها رخيصٌ جدًّا، أخَذْنا منهَا مكتلَ مشْمشٍ ملآن، بنحْو ربُع ريالٍ. وتوجّه منها البابُور إلىٰ بلدَةٍ يقال لها (رُودُسْ).



مسجد قديم في تركيا

---

(١) مدينة مرسين هي عاصمة محافظة مرسين تقع في جنوب تركيا ولها ميناء على ساحل البحر الأبيض المتوسط ويبلغ تعداد سكانها حوالي ٨٤٢, ٥٣٧ نسمة. تعد الحد الغربي للأقاليم السورية الشمالية التي أخضعت لتركيا بموجب معاهدة سيفر بين تركيا من جهة وبريطانيا وفرنسا من جهة أخرى.

وجميعُ تلكَ البلدانِ التي مررنا عليها من حين توجهنا من (بيروت)، من أملاك الدولة العلية العثمانية، وهي بلدةٌ عجيبةٌ، وكلام أهلها بالتركي والعربي وشوارعها نظيفة وفيها من الفواكه شيء كثير.

ثم توجه البابُور منهَا لثلاثٍ مضَتْ من شهر جماد الثاني سنة ١٣٢٨.

[مدينة شاكس التركية]

ثم في اليوم الرابع؛ وهو يوم السبت، وصل البابور إلىٰ بلدة تسمى (شاكس)، وهي من أملاكِ الدولة العثمانية أيضاً، ومنها تخرج المسْتكَى العالي، وفيها من أنواع الأزهَار شيء كثيرٌ، وأهلها غالبُ صنعَتِهم يستقطرُونَ ماءَ الزَّهر، وأخذنا منها مستقْطَر زَهر اليَاسَمين، فوجَدْناه في غاية من الرائحَةِ الطيبَة النفيسة.

وهي بلدةٌ عجيبةٌ، حسَنةُ البيوتِ، جيّدَة الهواءِ، في غايةٍ من النظافَة. ودخلنا إلىٰ جامعهَا، فوجدناه جامعاً لطيفاً، حسَن البنَاءِ، مفروشاً بالسجاجيد الجميلةِ، وجوانبه مزخرَفةٌ بأنواع [/١٠٣] الصِّباغ الملوّن، وعليه سقف مرفوعٌ، ومن تحتِه مكتوبٌ بماءِ الذهَب أسماءُ الخلفاءِ الأربعة، وهم أهل العبَاء[1]، فتنزهْنا في تلك البلدة. وغالبُ أهلها أروامٌ، وفيها جملةٌ من التركِ.

ووجَدنا في جامعِها جملةً من طلبةِ العلم، ولهم قاعدةٌ غريبة في التدريسِ؛ يملي عليهم الشيخُ المسائلَ، وهم يسمعونَ، وينقلون ما يمليه عليهِم، مع أدبٍ وسكينةٍ وتواضُعٍ، ثم دخَلْنا في بعضِ الأماكنِ لتناولِ بعْضِ الطعام.

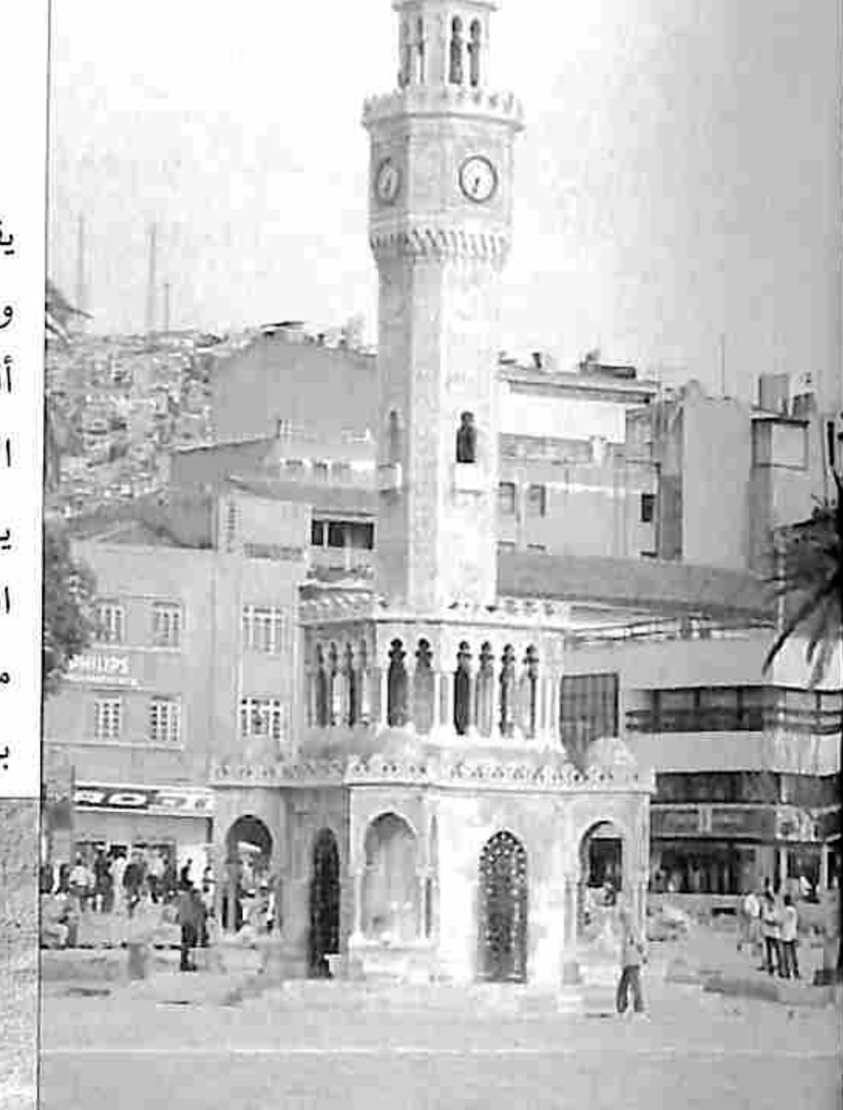
[مدينةُ إزمير]

ثم طلعنا إلىٰ البابُور، وتوجّه في حفْظ الله إلىٰ (إزمير)، فوَصَلْنا إليها بعدَ يوم وليلةٍ، فلما أشْرَفنا عليها، وجَدْنا الرّصيفَ مزدَحِماً بالبوابير، نحو مائةِ بابورٍ، فدَخلنا من بينِها، ورسَى البابُور، فنزلنا في محلٍّ يقال له (الخان)، معدٌّ للقادمين إلىٰ (إزمير) من الغرباء.

---

(١) كذا في الأصل، ولعلها: ومعهم.

وبلدة (إزمير) بلدَةٌ كبيرة، يقالُ لها (إسْطَنبول الصّغْرى)، وعددُ من فيها من الخلق (ستمائة ألفِ نفْسٍ)[1]، منهم التركُ، ومنهم الأروام. وهي منسّقةُ الأطرافِ، يركبونَ من طرَفِها إلىٰ الطّرفِ بطريقِ البحْر، لأنه أسرَعُ، في بابوراتٍ صغَارٍ معدةٍ لذلك، ولأن المسافةَ بطريق البرِّ بعيدةٌ جدًّا، لكثرة الأسواقِ والبيوتِ.



سجادة من الصوف (حنبل)

مسجد إزمير

وهي كثيرةُ الأسـواقِ، وفي كل سُـوقٍ صنفٌ من البضَائع، حتى أتيتُ إلىٰ سـوقٍ واحدٍ مسـتطيل، تباعُ فيه النعالُ والأخْفافُ من الجلودِ الطيبة، وبعضُها يبـاعُ فيـه الصّوف الأنقُـوري، وبعضُها تباعُ فيـه الحنابِلُ[2] والقطُـف الجميلةُ، وبعضُ القطُفِ أثمانُها خمسُمائة (٥٠٠) ريال.

وفي طرَفِ البلدةِ المذكورَة، على سَاحلِ البحر، محلاتٌ للتنزّه، وجُنَيناتٌ،

(١) وبلغ التعداد في عام ٢٠٠٠م: (٢,٤٠٩,٠٠٠ نسمة)، أي: أربعة أضعاف عدد السكان قبل ٩٠ عاماً.

(٢) الحنابل، جمع حنبل: السجاد المصنوع من الصوف المغزول يدويا، وهو اصطلاح عند قبائل البربر المغربية، ومنها تسرب إلىٰ جنوب الجزيرة العربية، ولا يزال مستعملا في حضرموت حتى اليوم.

وقهاوي يجلسُون فيهَا بالليلِ جملةٌ من الخلقِ، ما ينيفُ على الألوفِ، وهي محتفّةٌ ببساتينَ، وفيها ضَوءُ الكَهرباءِ ساطعُ النور. وأقمنا بها نحْو ثلاثةِ أيامٍ، ومنها ضَربْنا تلغْرَاف للشَّريف نَاصر(١)، لأجْل ملاقَاتنا.

[جنگ قلعة]

ثم توجّهنا منها في بابور فرنسَاويٍّ، إلىٰ دار الخلافة (إسْطَنبول) العامرة، ومررنا على (جَنْق قلعَة)، ودخَلْنا من طرفِ البحْر الأحمر، وأقامَ البابُور فيها ساعَتين فقطْ، لقصْد إخراجِ البُوسْطة وأخْذِها.

[إلىٰ إسْطَنبول]

ثم توجّه إلىٰ (إسطنبول) في ذلك اليوم، فأقبلَ البابور على الآستانةِ، وهي معترضةٌ في البر، قطعةٌ في جزيرة أوربَّا، وقَطعةٌ في جَزيرة آسيا. يمشي البابُور في(البُغاز) ما بين البرَّينِ، من أوربَّا ومن الأناضُول، الذي هو جَزيرة آسيا. والبيوتُ في البرِّ عنِ اليمينِ وعنِ الشّمالِ شيءٌ كثيرٌ، لا يعلَمُ عددهنّ إلا الله، ثم دخلَ البابور بينَ البوابير المرتصَّة حتى رُبط بالأسكِلَة.

فإذا فيهَا من الخلقِ عددٌ كثير؛ فأقبلَ لملاقاتِنا الشيخُ المكرَّم، محمد علي خُوقَير، بأمْرٍ منْ مَولانا الشريفِ ناصر بن علي، أحَدِ أعضَاء مجلسِ الأعيانِ، فسَلّم علينَا. وقالَ: إني مأمورٌ من مولانا الشريفِ لملاقَاتكم، فأخذَ ما معَنا من أمتعةٍ، وسلّمَها إلىٰ خدَمِهِ الذين جاؤوا معه. ثم قالَ: تقدموا، فتقدمنا.

ونزلنا من البابور [/ ١٠٤] الذي جئْنا فيه إلىٰ البرِّ، وكان هناكَ عربيةٌ على جَوزِ خَيلٍ معَدّةٍ لوصُولنا، فركبنا فيها معاً، حتى وصلْنا إلىٰ الجسْر العَظيم المهيل، الذي تُربطُ فيه المراكِبُ النقّالة، وسَألنا الثقةَ عن طولِ ذلك الجسْرِ؟ فقال: إن طولَه ألفُ مترٍ، عن ألفَي ذراعٍ.

---

(١) هو الشريف ناصر بن علي بن محمد بن عبدالمعين، أخو الشريف الحسين بن علي قائد الثورة العربية الكبرى، وسيتكرر ذكره لاحقا.



منظر عام لمدينة إسطنبول

ثم دخلنَا إلىٰ محلِّ تسليمِ النُّولُون[1] إلىٰ المحلِّ المقصُودِ، فأعطينَا جميعاً من ورقةٍ، ونزلْنا في أحد البوابير، وحين أقبلنَا على البابور ظنّنّاهُ فارغاً، فلما دخلنا فيه فإذا هو مملوءٌ من الخلقِ، وتعجبْنا من هُدوئهم وسكوتهم، فقيلَ لي: هكذا العادة. وفيه محلاتٌ متعدّدة، منها ما هو مختصٌّ بالنساءِ، مع كمال السّتر.

[التوجُّه إلىٰ مَنزلِ الشَّريفِ نَاصِر]

ثم إنا جلسْنا في موضعٍ من الأماكنِ التي هي نمور ، وتوجَه البابور إلىٰ محلٍّ يقالُ له (أمريقَان)، فوصَلْنا إليه بعدَ مضيِّ ساعةٍ ونصفٍ، فنزلنا إلىٰ البَر، وركبنا في

---

(١) النول أو النولون: من النوال وهو العطاء، الثمن، الأجرة، وأصل إطلاقها على أجرة السفينة لنقل الركاب، ثم توسعوا في الاستعمال. ذكره في «تاج العروس»، مادة (نول). وورد ذكر النول في التفاسير، في قصة موسى والخضر عليهما السلام.

زَورقِ البحْر المذكورِ إلىٰ جِهَة بيتِ الشّريف ناصِر، والزَّورَق المذكور هو من أملاك الشريف أعدَّ لنا في ذلك الموضعِ، لأن مسَافة البر بعيدةٌ إلىٰ بيتِ الشريف، وتوجّه الزورقُ حتى وقفَ تحتَ بيتِ الشريفِ.

وهو بيتٌ كبير مشْرفٌ على البحْرِ، وله طاقاتٌ مطلة على البستانِ من الجانبِ الآخر، فقابلنَا ابن مولانا الشريف، وهو جميل بك[1]، بالمقابلةِ التامةِ. وطلعْنا إلىٰ البيتِ، ثم هيئوا لنا منزلاً مخصوصاً بنا، ثم قمنا لأداءِ فريضَة المغربِ، فصَلّينا.

ثم وصل الشريف ناصر بيك[2] من مجلسِ الأعيان، فسلّم علينَا وسلمْنا عليه، وعانقَنا وقابلَنا كمالَ المقابلة، ثم جلسْنا في موضِع معَدٍّ للقَادمين، فأخذ الشريفُ يسْتخبرُنا عن حطِّنا وتَرْحالنا، وعن وقتِ خرُوجِناً من مكّة المشرّفة.

ثم سألنَا عن أخيه مَولانا الشريفِ الحسين، وهو الأمير بمكةَ الآن[3]، فبلّغناه سلامَه، وأخبرْناه بما مرَرْنا عليهِ من البلدانِ والقرَى.


صورة شريف مكة الحسين بن علي

وهو رجلٌ لطيفُ الأخلاقِ، صاحبُ استقامةٍ، وعَقيدةٍ حَسنةٍ.

ثم سألَني عن الوالدِ حسين في مكةَ المشرَّفة، لأنه كانت له العقيدَةُ الكاملةُ فيه، ويقولُ: إنه شَيخي. وسألني عن سَيدي الوالدِ علي، وعن سيدي الوالدِ أحمد حسَن العطاس، فأخبرتُه بذكرِهم لَه، وثنائِهم عليه.

---

(١) الشريف جميل بن ناصر، هو جد ملك الأردن الحسين بن طلال لأمه، وهي الملكة زين الشرف بنت جميل (ت ١٤١٤/ ١٩٩٤م).

(٢) كان وصول الشريف ناصر بن علي إلىٰ الآستانة سنة ١٣٠٠هـ، صحبة عمه الشريف عبدالإله، وأنعم عليهما بلقب الباشوية، وظل الشريف ناصر بالآستانة إلىٰ ما بعد سنة ١٣٣١هـ، ولم تؤرَّخ وفاته، ينظر: «الإشراف على تاريخ الأشراف»: ص ٦٠٩، ٦٢٢، ٦٦٩.

(٣) ولد الشريف حسين سنة ١٢٧٠هـ، وتولى إمارة مكة أواخر سنة ١٣٢٦هـ عقب وفاة عمه عبدالإله، وتوفي في عمان ١٨ محرم ١٣٥٠هـ، ودفن في بيت المقدس. «الإشراف»: ص ٦١١-٦٦٢.

[تجوالٌ في أحياء إسطنبول]

فجلَسْنا عند الشريفِ ناصرِ المذكُور قَدْر يومينِ نهار، أو ثلاثٍ. ثم خرجْنا إلىٰ محلٍّ هو من إسطنبول، ولكن يقالُ له (إصْطَنبول)، اسمٌ مخصوصٌ له، وفيه محل يقال له (تحت قَلعة)، ينزلون فيه أهلُ مكةَ.

فدخَلْنا إلىٰ ذلكَ المحلِّ فوجَدْناه بيتاً عاليَ البناءِ، ويحتوي على نحو ستةِ قصُور[١]، وهو من أوقافِ بعضِ المتقدمين، وفيه أصحابُنا الذينَ كانوا معَنا في السفر، وهم: محمد عِشْري، وأحمد سَبحي، وصالح كابلي، فاجتمعْنا بهم في ذلكَ المحلّ، وصار لنَا بهم الأنسُ الكاملُ، وصلّينا عندهم العصْرَ.

[زيارة أبناء السيد فضل في شَكْلطَاس]

ثم خرجْنا وتوجّهنا إلىٰ (شِكْل طَاس)، لزيارَةِ السيدِ الفاضِل، أحمد بيك[٢] بن السيدِ العَارفِ بالله فضْل باشَا، وهو في حَارةٍ يقالُ لها (أوزُن جوّا)، في بيتِ منير باشا، فوصَلْنا إلىٰ ذلك البيتِ، فاستقبلَنا السيدُ أحمدُ المذكور هو، وإخوانُه[٣] [/ ١٠٥] محمد يوسُف بيك، وعلي بيك، وفاتح بيك، وولد أخيه سهلٍ جَعفَرُ، وولدُ أخيه حسَنٍ، فطَاب معَهم المجلِسُ.

وسألني السيدُ أحمد المذكورُ، عن أخْوالِه السّادةِ آل أحمد بن زين الحبشي[٤]،

---

(١) أي: طوابق، دارجة حضرمية.

(٢) لم أقف على ترجمته أو تاريخ وفاته، وقد طبع له كتاب عنوانه «الأنوار النبوية والآثار الأحمدية» من تأليفه، ترجم فيه لأبيه وذكر فضائله، يقع في (٦٨ صفحة)، طبع بالمطبعة الخيرية في دار القسطنطينية في العشر الأواخر من رمضان سنة ١٣٢٩هـ، وللسيد شيخ (صاحب الرحلة) تقريظ عليه في بيتين. ينظر كتابنا: «أضواء على حركة نشر التراث الحضرمي في المهجر».

(٣) للسيد فضل من البنين ستة، وثلاث بنات. أحمد بك وبنت أخوالها آل الحبشي، والباقون مذكورة أسماؤهم، وتقدم في اللاذقية ذكر البقية. وينظر مشجر ذريته في «شمس الظهيرة»: ١/ ٣٠٨.

(٤) تزوج السيدُ فضل باشا بمكة من الشريف علوية بنت صافي بن علي الحبشي، وخلف منها: أحمد بك، وبنتاً. توفيت الشريفَة علوية بالآسِتانة في ٢٤/ ربيع الأول/ ١٣٢١هـ، عن: «الآثار النبوية» لابنها أحمد بيك: ص ١٣.

لأن جدَّه السيدُ صَافي بنُ علي الحبشي[١]، وسألني عن السَّادَة آل حَضْرموت، وعن أعمالهم، وما هم عليه، فأخبرتُه بالواقع.

فقالَ: إني أحبُّ أن يقدُمَ من الجِهَة (حضرموت) من السّادة العلويةِ وفدٌ إلىٰ الآستانة، ويقابلُ الدولة العلية العثمانية، ويخبرونها بأحوالِ السّادة في حضْرموت، فقلنَا له: إن شاء الله يكونُ ذلك. ثم أنا طعِمْنا عندَهم الطعام تلكَ الليلةَ، وبتْنا عندَهم على أنسٍ كاملٍ.

[نزهة]

ثم لما أصبحَ الصباحُ رجَعْنا إلىٰ (إستينيا)، وهو بيتُ الشريفِ ناصر، وجلسْنا به يومين، وفي أثنائها نخْرجُ نتنزّه نحنُ وجميلُ بيك ابن ناصر، في بستانٍ لهم إلىٰ جانب البيتِ، وهو محتَوي على أشْجار، لذيذَةِ الأثمار، منوّعةِ الأزهار.

[الانتقال إلىٰ أناضُول حُصَار]

ثُمّ في اليوم الثالث؛ وصلَ إلينَا الولدُ المباركُ، محمد بن حامد منفَّر، وهو ابنُ الكريمَة، وطلبَ منَّا أن نتوجّه معَه إلىٰ منزلِه في (أناضُول حُصَار)، فركِبنَا البابُور النقّال، من (أمريقَان)، حتى وصَلْنا إلىٰ سكّة (أناضُول) فنزلنا.



قصر كجكسو القريب من أناضول حصار

(١) توفي السيد صافي بن علي بن محمد بن أحمد بن جعفر بن أحمد بن زين الحبشي، بحَوطة جده الإمام أحمد بن زين سنة ١٣٠٣هـ، وكتب عنه في «الشجرة الكبرى» (مج٦، ورقة ٣٩/ ب): «كان سيداً نبيهاً، صاحبَ مراكب، يسير بالحجَّاج إلىٰ مكّة غالباً كلَّ سنة».



التنقل بالزوارق في تركيا

ثم ركبْنا في زورَقٍ يمشي بنا في خَورِ ماءٍ ممتدٍّ من البحرِ، مختلطٍ بماءٍ حُلو، نحو نصفِ ساعةٍ، والبيوتُ عن اليَمينِ وعن الشمالِ، حتى وصلنا إلىٰ منزله في حارةٍ يقال لها (قوك سَوه)، وهو في محلٍّ مرتفعٍ، وحولَه من النضَارة الحسَنة، الحاصلة من الأشعار المنوعة الأثمار والأزهار، ما يشْرَحُ الخاطر، ويقرُّ النّاظر، فبتْنا عندَه تلكَ الليلةَ على سُرورٍ وأنسٍ كاملٍ.

[زيارة السيد محمد بن فضل؛ بأسْكُدَار]

فلما أصبح الصباح؛ توجّهْنا معاً إلىٰ أسْكلة (أناضول حصار)، فركبْنا في بابور إلىٰ الأسْكدار، لزيارة السيدِ الشريفِ، محمد باشَا بن السيدِ فضْل باشا، فوصَلْنا على نصفِ ساعةٍ إلىٰ أسكلة (أسكدار).

ونزلنا وركبْنَا في عربيةِ خيولٍ، وأخذْنا في الطريقِ نحْو نصْفِ سَاعةٍ، حتى وصَلنا إلىٰ بيتِ السيدِ محمدٍ، فاستقبلَنا كمالَ المقابلةِ، ثم أَخَذْنا نتناوبُ الحديثَ مع السيد المذكُورِ، فوجَدناه رجُلاً كاملاً، معدوداً من أهلِ العقْلِ.

ثم ذكَرْنا أيامَنا الماضيةَ معه في مكةَ المشرفة، على طلبِ العلم وحفْظِ المتون، مثلِ «الألفية»، و«الزبد»، وغيرها، وذلكَ في حياةِ والدي ووالدِه، وكان ذلك عام ألف ومائتين وثمانين (١٢٨٠).

[مندوبُ اليمنِ في مجلِسِ المبعُوثان]

فحضَرتْ صلاةُ المغْربِ، فصَلَّينا، ثم جلسْنا في ذلكَ المنزلِ، فدخلَ علينا رجلٌ، عليه لباسُ أهلِ اليمَنِ وهيئتِهِم، فسألتُ عنه؟ فقيلَ لي: هذا مبعوثُ اليمَنِ. فقابلناهُ،


صورة السيد أحمد بن يحيى الكبسي

وسلّمَ علينا، وجلسَ إلىٰ جَانبي، فسَألته عن اسْمه، فقَال: السيد أحمد [بن يحيى] الكِبْسي(١)، جئتُ زائراً للسيدِ محمّد. فتذاكرنا معَه، فوجدتُه بحْراً في العلم، وخصُوصاً في علمِ اللغة [/١٠٦]، وله الإنشاءُ الحسَن، فيما يظهَر لي أن مذهبَه زيديٌّ، لأنه ظهَر لي من بعْضِ فلَتاتِ لسَانه ما يحقّقُ ظنّي.

ثم حضرَتْ صلاةُ العشاء، فصلينَا، وتناولنا الطعَامَ، ثم استمرّتِ المذاكرةُ، وجرَى الحديثُ في المسائلِ الواقعَةِ التي صَارتْ في مجلسِ المبعوثانِ(٢) هَذا اليوم وكان السيدُ المذكورُ له إلمامٌ بالسّياسَة ، فأبدَى ما عندَه من آراءَ، فاستَصْوبها السيدُ محمد بن فضلٍ، واستمر السّمرُ إلىٰ مضيِّ ثلاثِ ساعاتٍ من الليل.

وكان الليلُ في تلكَ الأيامِ قصيراً جدًّا في ذلكَ الإقليم، يظْهَر الفجْرُ على سبعِ ساعاتٍ إلا ربعاً من الليل، والشمْس تطلُع على ثمانِ سَاعاتٍ إلا ربعاً، فبتنا تلك الليلةَ عندَ السيد محمّدٍ المذكُور، على صَفاءٍ وأنسٍ، نتناوبُ الحديثَ، في القديم والحديثِ.

---

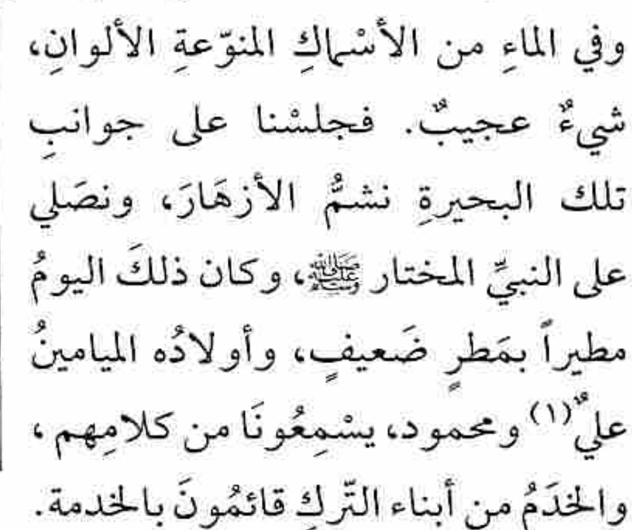
(١) في الأصل (برهان)، ولعله خطأ من الناسخ. ولد السيد أحمد سنة ١٢٩٠هـ، وتوفي في صنعاء ٧/ ذي الحجة/ ١٣٤٥هـ، تولى للإمام يحيى عدة أعمال، ينظر: «هجر العلم»: ٤/ ١٧٩٩، ومنه أخذنا صُورته.

(٢) هو البرلمان العثماني، أو المجلس النيابي، أسسه السلطان عبدالحميد، واجتمع البرلمان رسميًا في٤ربيع الأول١٢٩٤هـ=١٩مارس١٨٧٧م. لم تطل الحياة النيابية كثيرًا، حيث لم تزد عن ١١ شهرًا من تاريخ انعقاده، أصدر بعدها السلطان عبدالحميد قرارا بتعطيل المجلس في١٣صفر١٢٩٥هـ=١٤فبراير١٨٧٨م، واستمر هذا التعطيل زهاء ٣٠ عامًا. قبل أن يصدر السلطان عبدالحميد الثانيفي٢٣جمادى الآخر١٣٢٦هـ=٢٣يوليو١٩٠٨مقرارًا بإعادة العمل بالدستور، وإعادة النشاط النيابي. كان مجلسُ المبعوثان يتم اختيار أعضائه عن طريق إجراء انتخابات عامة في أنحاءالدولة والأقاليم، يمثل كل نائب ٥٠ ألف فرد من رعايا الدولة الذكور، ومدةالعضوية ٤ سنوات.

[نزهةٌ في بُسْتانٍ]

حتى أصبح الصباحُ، فاستأذنّا السيدَ محمد بن فضلٍ في الرجُوعِ إلىٰ محلٍّ جلوسِنا، فلم يأذَنْ لنا، فجلَسْنا، وقامَ بنا إلىٰ بستانٍ جميلٍ إلىٰ جانبِ بيته، فنظَرْناهُ، فـــإذا هـــو بســـتانٌ عجيبٌ، فيه من أنواعِ الأثمار والأزْهار، ما يُقِرّ النّاظر، ويشرحُ الخاطر، فأخذَ السيدُ محمدٌ يقطِفُ من تلكَ الأزهار، ويناولنا، ويقطف من الأثمار الحسَنة الجميلةِ، وهي البخَارةُ الخضْراءُ، غريبة الشكل، لذيذَة الطعمِ، ومن التوتِ الأبيضِ، والشريك الأحمر، والكمّثْرَى، والعنب.

وفي وسَط ذلك البستانِ، بحيرةُ ماءٍ مستديرةٍ، بهيئةٍ حسنة، وفيها ماءٌ صافي، وفي الماءِ من الأسْماكِ المنوّعةِ الألوانِ، شيءٌ عجيبٌ. فجلسْنا على جوانبِ تلك البحيرةِ نشمُّ الأزهَارَ، ونصَلي على النبيِّ المختار ﷺ، وكان ذلكَ اليومُ مطيراً بمَطرٍ ضَعيفٍ، وأولادُه الميامينُ عليٌّ[1] ومحمود، يسْمِعُونَا من كلامِهم، والخدَمُ من أبناء التّركِ قائمُونَ بالخدمة.





عناقيد العنب

حتـى حـَضر وقتُ الطعـام، فقُمْنـا إلىٰ محلٍّ آخَـر، مفروشٍ بالفـرُشِ الجميلة، وعناقيـدُ العنـب متدليـةٌ علينَا، نتناولُ منهـا ما نَشـاءُ، فقدّمُوا لنا من أفخَـر الطعام، عـلى قاعِدَة أهل البلدَة، كَرْضَـل، حتى فرَغْنا، ثمّ صلينا الظهْرَ، وتوجّهْنا راجِعينَ إلىٰ موضِع جلوسِنا، عند الشّريفِ نَاصر، فجلَسْنا يومين.

---

(١) لم يرد اسمه في المشجر الذي في «شمس الظهيرة»، وورد اسم إخوته: محمود، وعبدالله، ومحمد مولى الدويلة، وللأخير ابن: حسين، له عقب في أنقرة، وكتب تحت أسماء أخويه: (ض)، أي: انقرضا، فليحرر.

[جَولةٌ في مسَاجدِ إسْطَنبُول]

ثم في اليومِ الثالث؛ خرَجْنا إلىٰ (إسطنبول)، من طريق الجسْر الكبير، المتقدم ذكرُه، إلىٰ (تحت قلعة)، حيث ما ينزلون أهل مكة المشرفة فاجتمَعْنا بالسيد الفاضلِ عبدالوهابِ[1]، نائبِ الحرَم المكِّي، فقالَ لنا: هل لكُم إرادةٌ بنظَرِ الجوامعِ المشهورة في الآستانة؟. فأجَبناه: بنَعم.

[جامع السلطان سليمان القانوني]

فخَرجْنا معاً حتى وصَلنا إلىٰ (جامعِ السلطان سليمانَ)، وهو جامعٌ عظيمٌ مزَخْرفٌ، وفيه أعمدَةٌ عظيمةٌ، وبناءٌ غريبٌ، ما بينَ كلِّ عمُودَين خمسةٌ وعشرونَ ذِراعاً.



جامع السلطان سليمان

---

(١) من بيت شهير بمكة المكرمة، ونيابتهم في الحرم كانت نيابة عن الأمير في شؤون المسجد ومراقبة موظفيه من خدم ومؤذنين وأئمة. توفي محرماً سنة ١٣٦١هـ. عن: «الأسر القرشية»: ص ٢٣٢، وهو والدُ السيد أحمد عبدالوهاب، رئيسَ المراسِم الملكية بالمملكة العربية السعودية، على عهد الملك خالد آل سعود.

[جامع السلطان بايزيد]

ثم توجّهْنا إلىٰ (جـامعِ السـلطان بايـزيـد)، وهـو جـامعٌ كبيرٌ، وإلىٰ جانبِه (كتْبخان).



جامع السلطان بايزيد من الداخل

[مسجد آيا صوفيا]

ثم توجهنا إلىٰ جامع (آيا صُوفيا)، وهو جامعٌ كبيرٌ، عظيمٌ، غريب الشكلِ، متقَنُ البناءِ، كان في زمَنِ الرُّومِ كنيسةَ النصارَى، فلما فتح (القُسْطَنطينيةَ) السلطانُ محمدٌ الفاتحُ، جعله مسجداً، وفيه من آثار السّلطانِ المذكُورِ وكَرامتِه شيءٌ كثير، منها: أثرُ السيفِ الذي ضربَ به أحدَ الأعمِدةِ فانسَلختْ قطعةٌ، وهي ظاهرةٌ. ومنهَا: البابُ الذي في أحدِ جوانبِ المسجد، لما أرادَ أن يغلقوه الرومُ مع دخُولِ السلطان محمّدٍ المذكورِ، فلم يستطيعوا، ثم إنه غاصَ البابُ في الأرضِ، وهو إلىٰ الآن غائصٌ، وموضِعُ البابِ باقٍ من غير بابٍ.



مسجد آيا صوفيا

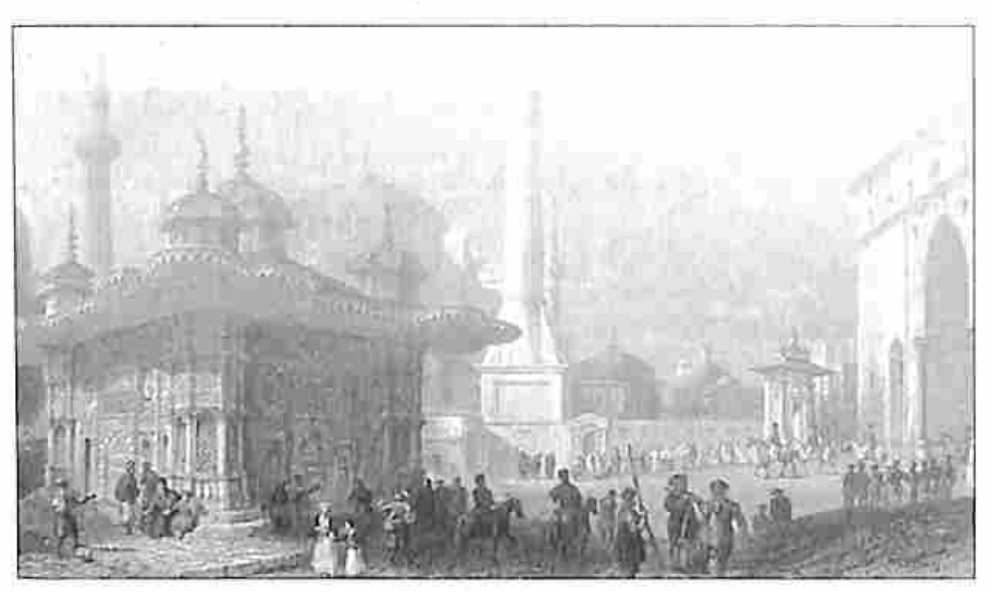
والمسجِدُ المذكور عظيمُ البناءِ، عليه قبةٌ عظيمةٌ، وإلىٰ جانبهَا أروقَةٌ عظيمةٌ، بأعمِدَة الرخَامِ المنظّم، وفي أعلَى القبةِ من داخِلها علَى قدْر استدارَتها درابزون[١]، من أسفلَ، في نحْو نصِف القبةِ، يمْشي فيه الإنسانُ، ثم من فوقه درابزون أحمر، ثم من فوقه آخَرُ، فهي ثلاثةٌ. وكلها مستطيلةٌ على استداراتِ القبة، مع البناء المحكَم، والقوةِ، وعُظْم الارتفاع، وبناؤها قبلَ الهجرة بمُدّةٍ طويلةٍ[٢]. وللمسجد المذكُورِ أربعُ منائر، كلّ منارةٍ طولُها قريباً من مائةِ مترٍ، عن مئتي ذراعٍ، وفيه مواضِعُ كهيئةِ المحَاريب، فركَعْنا فيه، وخرَجْنا منه.

---

(١) الدرابزون، أو الدرابزين: فارسية الأصل أو تركية معربة (Tirabzan)، وتعني: الحاجز الحديدي أو غيره على جانبي السلم، أو في الجانب المفتوح من الشرفة. «الدخيل»: ص ٦٩. وقيل إن أصلها يوناني: «تأصيل ما ورد»: ص ٩٦.

(٢) قيل إنها بنيت على يد الإمبراطور البيزنطي جستنيان سنة ٥٣٢هـ، وافتتحها سنة ٥٣٧م.

[الباب العالي]



الباب العالي (طوب قبو)

ثم مرَرْنا علَى المواضعِ المشهورةِ. منها (البَابُ العالي)، محلُّ الأحكامِ والإجراءات، فدخلنا إليه، ونزلنا في منزلٍ منه، عند أحدِ الرجالِ المعدُودين من خدَمِ أهلِ البابِ العالي.

[جولة في مباني الحكومة]

ثم خرجْنا منه، فمَررْنا على (بيت نظارة التجارة النافعة)، ورئيسُها خالخان أفندي، و(بنك الزراعة)، ثم على محل (سفارة إيران)، و(دائرة الديون العمومية) التي على الدولة، ثم على (دفتر خاقان)، ثم (سَرايا طُوب قَبو)، ثم (نظَارة العدلية)، و(نظارة الغابات والمعادن).

[متحف دائرة الإنكشارية]

و(دائرة الانقِشارية)، وهمُ الدُّوَلُ[١] السابقون، فقصَدْناها للتفرُّجِ على ما فيها فوجَدناها سَرايا[٢] عظيمة، ولها بابٌ عظيم، وعليه بوَّابون وخَدَمه، فدخلنا

---

(١) بتقدير حذف مضاف، أي: رؤساء الدول، دارجة حضرمية.

(٢) فارسية معربة (Saray)، معناها: القصر، أو مقر الحكومة. «الدخيل»: ص ٨٢.

ثم سلمْنا من الدَّراهم ما يلزَم على كلِّ داخلٍ للتفرّج والنظر. ثم دخلنا من موضعٍ لا يسَع في الدخُول إلا شخْصاً واحداً، وله حديدٌ مستديرٌ، ينعَطِف خلفَ الداخلِ، بحيثُ لا يدخُل شخصٌ آخرُ إلا بعْدَ استدارتِه ثانياً.

ثم طلعْنا في درَج من الرُّخَامِ الأبيض فوجَدْنا في أثنَاء الدَّرجِ رجَالاً، ظَننَّا أنهم رجالٌ حقيقةً، ويكَادون ينطِقونَ من إتقانِ التّمثيل، وهم في هيئة الغفَر[1]، يعني الحجَّاب. ثم طلَعْنا في الدّرجِ إلىٰ أعلى، فإذا محلٌّ عظيمٌ متّسعٌ، وفيهِ من التماثيلِ المشخَّصة ما يقطَعُ الناظرُ إليهَا من خَارجِ المنزلِ بأنّها أجسامٌ حقيقيةٌ، من إتقانِ الصَّنعة، فدخلنا فإذا صُورَةُ نَاظرِ الحربيّة، وأمامَه أشخاصٌ، وبيدِهم أوراقٌ مفتوحَةٌ، وكأنهم يقرؤونَ عليهِ ما فيهَا.

ثُمَّ تقدّمْنا، فإذا صورَةُ شيخِ الإسلام، وحولَه جملةُ أشخاصٍ، ثم صُورَة الصَّدرِ الأعْظم، ثم صورةُ الملكِ، ثم صُورٌ مختلفةٌ على مقتضَى وظائفهم، ومنهم من هو جاردٌ سيفَه للقِصَاص، وعليه اسمُ الجلاد، وعلَيهم الجميعِ من اللبَاسِ المعتَاد في زمنهم، ما هو في غايةِ الغَرابةِ، وكانوا في الزمَانِ السابقِ قد ملكُوا الآستانةَ، وهم الإنقشَاريةُ[2]، ثم خرَجْنا.



جنود الإنكشارية (لوحة)

---

(١) دارجة عامية، محرفة من كلمة (خفر) الفصحى.

(٢) **الإنكشارية**؛ معربة من التركية العثمانية (ينيچري)، تعني: الجنود الجدد، وهم طائفة عسكرية من المشاة العثمانيين، شكلوا تنظيماً خاصاً في شاراتهم ورتبهم وامتيازاتهم، وكانوا أقوى فرق الجيش وأكثرها نفوذاً، يرجع البعْضُ تاريخَ وجُودِها إلىٰ سنة ١٣٢٤م، في عَهد السلطان أورْخَان الثاني. ثم انتهى أمرُها في عهد السلطان محمود الثاني سنة ١٨٢٦م (= ١٢٤١هـ).

[في مَجلسِ المبعُوثَان]



مجلس المبعوثان

ثمّ في يوم الاثنين؛ ١٩ جماد الثاني سنة ١٣٢٨، دخَلْنَا مجلسَ المبعُوثَانِ، فأنزلونا في محلٍّ مرتفعٍ، في زاويةٍ من زوايَا ذلك المجْلسِ، وأهلُ المجلسِ نراهُم من تحتِنا، بحيثُ أننا ننظُر جميعَ من فيهِ وغيرَهم، ونعرفهم بأسمائهم.

والمجلسُ المذكورُ متسعٌ، وفيه كراسي متعدّدة، ما ينيف على المائتين، وعليها المخمَلُ الأحمر، وكلُّ ثلاثةٍ من الكَراسي [/١٠٨] أمامَها طربيزة[١]، وفوقَها آلاتُ الكتابةِ، ورئيسُ المجلسِ وهو أحمد رضَا، جالسٌ في محلٍّ مرتفعٍ في وسَطِ الجدار، وهو في نصْفِ المجلِس، بحيث يسمَعُ خطابَ الجميعِ.

ومِن تحتِه محلٌّ آخَرُ في صُورَة المنبر، وهو محلُّ الخطَابةِ لكلِّ مبعُوثٍ أرادَ أن يتكلَّمَ بما اقتضَاهُ نظَرُه وفكرُه، في الأحوال السياسية الحاضرة.

---

(١) يونانية معربة (Trapeza)، تعني: منضدة، مائدة. «الدخيل»: ص ٤٩.


سليمان البستاني
من أعضاء المبعوثان

[كِيانُ مجلسِ المبعُوثَان]

وكلُّ بلدَةٍ من بلداتِ الدَّولةِ العلية يأتي منهَا مبعوثٌ أو مبعُوثَانِ، فمبعوثُ الآستانة هو رئيسُ المجلسِ أحمد رضا، ثم مصْطَفى عَاصِم، وسُلَيمان البستاني[1] مبعُوثانِ بيروت، وهما في غايةٍ من الفصَاحة والذّكاءِ المفْرِط، وغيرهم.

[حولَ سيرِ إجْراءاتِ أعْمالِ المجْلس]

وأمّا معرفةُ ما انطَوى عليه مجلسُ المبعوثانِ من القَواعد، وهي: (الحكومةُ التشريعيةُ)؛ وهي: تشريعُ القوانينِ بعد الفَحْصِ والتدقيقِ. و(الحكومةُ الإجْرَائية)، وهي: ما يديرُه الصَّدرُ الأعظَمُ وأصحابُه المنضَمِّينَ إليه.

ثُمَّ (مجلسُ الأعيانِ)، وموضِعُه إلىٰ جانبِ مجلسِ المبعُوثانِ، ويحتوي على ستةٍ وثلاثين (٣٦) نفَراً، ورئيسُه سعيد باشا، ومختَار باشا، (نمُور ٢).

فإذا انقضَتِ المسائلُ في (مجلِس المبعُوثان)، ترفَعُ إلىٰ (مجلسِ الأعيان)، ثم إلىٰ (مجلسِ النّظّار)، ويحتوي على ثمانيةٍ: الصَّدرُ الأعظَم، وشَيخ الإسلامِ، وناظر الدّاخلية، وناظِرُ الخارِجية، وناظرُ الحربية، وناظِر العَدلية، وناظر المالية، وناظرُ البحْرية، وناظر التجَارة النافِعة، وناظرُ المعارفِ، وناظر الزراعاتِ والمعادن.

وهيئةُ تلكَ المجالسِ وقاعِدتُها: أن يقومَ الشخْصُ، ويعلُو المحلَّ المرتفِعَ، ويخطبُ بالتركيةِ، ويبديَ ما عندهُ من رأيٍ وفِكرٍ في الأحوال الحاضِرَة، ووقائع الأحوالِ، والكتبةُ يكتبونَ، وهم أهلُ المجلسِ.

(١) ولد الأديب المسيحي سليمان خطار البستاني سنة ١٨٥٦م، في بكتشين إحدى قرى إقليم الخروب التابع لقضاء الشوف بلبنان، وتوفي بأمريكا سنة ١٩٢٥م ودفن في مسقط رأسه، كان أديبا فصيحاً، أشهر أعماله: ترجمته العربية لإلياذة هوميروس. [وهو الذي تظهر صورته في هذه الصفحة].

[متحَف طُوبْقَبو سَراي]



متحف طوبقبو سراي

ثم في يوم الثلاثاء؛ توجهنا إلىٰ سَرايا (طوبْ قبو)[١]، بمعيتنا السيد عبدُالوهاب نائبُ الحرم، المتقدم ذكرُه. وهي سَرايا عظيمةٌ، تحتوي على سراياتٍ أخرَى. من جملتها: (خِزانة همايون)[٢]، وهي محلٌ واسعٌ محكَمُ البناءِ، وعليه أبوابُ الحديدِ، وهي تحتوي على الغنائمِ التي غنِمَتها الدولةُ في غزَواتها من السِّلاحاتِ، والمجوهراتِ، واللباسَات الفاخرة، وما أهدي إليها من الملوكِ، وما وجَدُوه من دفائنَ، وفيها غيرُ ذلك من العجائبِ.

فتقدّمْنا أولاً إلىٰ منزلٍ فيه الخازندار، المتولّي ذلكَ المحلَّ، فدخَلْنا عليه وسلّمْنا، فرَدَّ السلامَ، وقابلَنا كمالَ المقابلة، وأدخلَنا إلىٰ محلٍّ، معَدٍّ للجلُوسِ، مستطيلٍ، وفيه نحْوٌ من مائةِ كرسي، وفيه الفرشُ الجميلةُ، فجلَسْنا على الكراسي، وسألَنا: عن قدومنا، من أي محلٍّ؟ وتحادثْنا معَه بالحديثِ الحسَن.

---

(١) **الباب العالي** (طوب كابي) أو (توبكابي سراي بالتركية)، أمر ببنائه السلطان محمد الثاني في عام ١٤٥٣م، وكان مركزَ الحكْمِ في الدولة العثمانية من عام ١٤٦٥م إلىٰ ١٨٥٣م، يقع بين القرن الذهبي وبحر مرمرة.

(٢) همايون، كلمة فارسية، تطلق للتعظيم والتفخيم، وخصص إطلاقها بالسلاطين، ويوصف بها كل ما يتصل بهم، كالخط الهمايوني، ويعني: المرسوم السلطاني، وخزانة همايون، أي: الخزانة السلطانية.



طوبقبو من الداخل

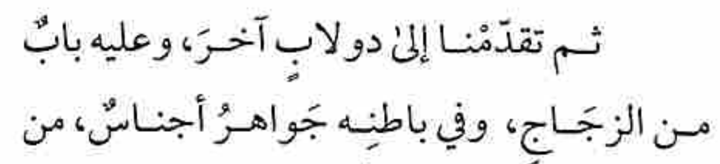
ثم ناولناه رقْعةَ الاستئذانِ في التفرُّج على السَّرايا وما فيها، فقرأها، وقالَ: تفضّلوا، بسم الله. فقُمْنا معاً. ثم إنه نادَى على الخدَم، نحْو خمسةَ عشر نفراً، ومشَى أمامَنا قاصداً إلىٰ بابٍ كبيرٍ من حديدٍ، والخدم إلىٰ جانبِه، وبيدِهم المفاتيحُ الغريبةُ الشكْل. وإذا على البابِ أقفالٌ متعدِّدةٌ، ومن جملتِها قفلٌ كبيرٌ، وعليه خيطٌ من حريرٍ ممهُورٍ بمُهْرٍ فوق اللُّك[1]. ثم فُتِحَت الأقفالُ، ودفعوا البابَ إلىٰ خارج، فظهَر لنا محلٌّ واسِعٌ، ثم من بعدِه بابٌ آخرُ، ففُتِحَ.

وتقدم الناظرُ أمامَنا، وقالَ: تفضّلوا هاهُنا. فدخَلْنا فإذا موضِعٌ مرتفِعٌ، وهو طبقاتٌ، فدخَلنا [١٠٩/] إلىٰ أولِ طبقَةٍ منه، فإذا فيها من الأسْلحَةِ الغَريبةِ، من البَنادقِ، والفرُود، والسيوفِ الغاليةِ الغريبةِ الشكل، شيءٌ كثير. ومنهَا السيوفُ التي مكتوبٌ عليهَا الآيات القرآنيةُ، ومنها الطويلُ، ومنها القصيرُ.

ثم ارتفَعْنا في درجٍ من حَديدٍ إلىٰ الطبقَة العليَا، فإذا على جِهاتها الأربَعِ دواليبُ مرصُوصةٌ، وفي وسَطِ المحلِّ المذكُورِ أيضاً طرابيزَةٌ كبيرةٌ مستديرةٌ، فتقدّمْنا إلىٰ دولابٍ

---

(١) اللك: صباغ أحمر يشبه المر، كما أجمعت عليه المعاجم والقواميس، كأنه الشمع الأحمر، أو الورنيش.



بيت السلاح

مستديرٍ، فإذا فيه كرسيٌّ من ذهَبٍ مرصَّع بالياقُوتِ والزمرُّدِ والألماسِ، وفي وسَطه تطريزٌ بالحريرِ، مرصَّعٌ باللؤلؤ، وهي حبوبٌ صِغارٌ في غايةِ الصّفاءِ، والكرسيُّ المذكُورُ في غايةٍ من حُسنِ الوضْعِ وتركيبِ الجواهر. فقال لنا الناظِرُ: إنّ هذا الكرسيَّ أهداهُ سابقاً ملكُ إيران لأحدِ السلاطينِ.

ثـم تقدّمْنـا إلىٰ دولابٍ آخـرَ، وعليه بابٌ مـن الزجَـاجِ، وفي باطنِـه جَواهـرُ أجنـاسٌ، من جملتِها ثلاثُ قطعٍ من الزُّمرّدِ الأخْضَر، في غايةٍ من الحسْـنِ والصّفاءِ، واحدةٌ طولها نحْو ستّة أصَابع، وعَرضُها ثلاثةُ أصابع تقريباً، وواحـدةٌ كبيـضَـة الـــدجاجَة، والصَّغيرةُ كبيضَة الحمامةِ، وإلىٰ جانبِ تلك القطَعِ زبادي ملآنةٌ باللؤلؤ الصّافي، والزّمُرّدِ والياقوتِ.



من الآثار النفيسة في المتحف

ثـم تـقـدّمْـنـا إلىٰ دُولابٍ آخرَ، وعليه أبوابُ الزجَاجِ المتين، وفي وسَطهِ كرسيُّ السلطانِ سليمانَ، وهو في هيئَة المنبرِ الصّغيرِ، وفي وسَطه معلقٌ من أعْلَى عقدٌ محتوٍ على ثلاثِ قطعٍ، حبةُ لؤلؤٍ كبيضَة الحمامة، وقطعةُ زمرّدٍ أخْضَر كأنّ فيه مـاءً يـتردّد من شِدّة صفائه، وقالَ لنا الناظر: إن ميزانها محقّق، مائتين وسبعين كُـرْد، والثالثةُ: فَصُّ ألماسٍ من العَالِ.

فتقدّمنا إلىٰ موضعٍ آخرَ من ذلك المحلّ، فرأينا مرآةً كبيرةً، مركّبة على طربيزةٍ من الصَّدَفِ العالِ، مقَضّبٍ بالذهَب والفضّة، ومرصَّع بالياقُوت والزمُرُّدِ، فسألنا: ما هذه الآلةُ؟ فقيلَ لنا: هذا محلُّ غَسْلِ الوجْه، أهداه أحد الملوك.

وكان في صُحبَتنا رجلٌ تاجرٌ، من أهل الهندِ، تجارتُه في اللؤلؤ، واسْمُه أحمد شادي، من تجار بُمبَي: هذه الحبّة ثمنُها أربعينَ ألفِ روبيةٍ، يعْني حبةَ لؤلؤٍ موضُوعةٍ في دُولابٍ. ثم إنَّا سألناه: هَلْ رأيتَ في سياحتكَ هذه مثْلَ هذه الجواهر؟ فقَال: لا؛ ما رأيتُ مثلَ هذِه، وقد دخلْتُ خزانَة لندَن، وباريس، وبرلين، فما رأيتُ في خزائنِهم من ذلك شيءٌ.



عقد من اللؤلؤ

ثم إلىٰ جانبها دولابٌ آخَر، وفيه من عقُودِ اللُّؤلؤِ الثمينةِ شيءٌ كثيرٌ. وقالَ لنا الناظرُ: هذه العقُود ثمنُها مِلْيون جنيهٍ. وفيه كأساتٌ مرصَّعةٌ باليَاقوتِ والزمرُّد، وأمشاطُ الرؤوسِ، والمكاحلُ، ومرَشَّاتُ الماءِ ورْدٍ، مرصَّعةٌ جميعُها.

ثم إلىٰ موضِعٍ آخر، وفيه أدواتُ الكتابةِ، من دواةٍ، وأقْلام، ومقالم، وكلّهَا من ذهبٍ مرصَّعةٌ. ثم تقدّمنا إلىٰ دولابٍ آخر، فيه طَبقاتٌ، أما الطبقَةُ الأولى: ففيهَا حجَرٌ واحدٌ، لونُه ما بينَ الحمْرةِ والبياضِ، في غَايةٍ من الصّفاء واللمَعانِ، فسألنا عن ذلك؟ فقيلَ: إنه ألماسٌ أحمر، وهو قليلُ الوجُودِ. وفيه أيضاً من الفناجينِ المذهّبة المرصّعة شيءٌ كثيرٌ، ما بينَ كبيرٍ وصَغيرٍ [/ ١١٠].

[صُوَر سَلاطين بني عُثْمان]

ثم ارتفعنا إلىٰ طبقَةٍ أخرَى من الـ...[١]، فإذا هي طبقَةٌ واسعةٌ، وعلى جوانبها دواليبُ مستديرةٌ بالمحَلِّ، وفيها صُوَر السلاطينِ مجسَّمةٌ، وعليهم اللباسُ الفاخِر، وفوقَ رُؤوسِهم العمائمُ، التي تسمى القَاوُوق، وفوقَ كلّ عمامةٍ ريشَةٌ من ذهبٍ مقَضّبةٍ بحبُوبِ الألماسِ والزمرُّدِ.

[صورة السلطان محمد الفاتح]

والابتداءُ من السّلطانِ محمّدٍ الفاتحِ، الذي فتحَ القُسْطَنطينيةَ.



(١) كذا في الأصل.

[صورة السلطان سليمان القانوني]

حتى وصَلْنا إلىٰ صُورَة السّلطان سليمانَ(١)، فإذا عَلى صورتِه عمامةٌ، وفي وجْهِ العمامَةِ مثلُ حَجْمِ كفِّ اليدِ، وفيه ثلاثُ أحْجارٍ في غَاية الصَّفاءِ والحسْنِ، كأنَّ في جوفهنَّ ماءٌ يتردّدُ، وهي اثنتَين من الزمرُّدِ الأخضَر، وواحدةٌ من الياقوتِ الأحمر، وهي أفخَرُ ما رأينَاهُ في الأحْجارِ.



(١) هو الشهير بالقانوني، صاحب أطول مدة حكم لسلطان عثماني، حكم (٤٦ سنة)، ولد يوم ٦ نوفمبر ١٤٩٤م، مات أثناء حصار مدينة سيكتوار في ٥/٦/٧ سبتمبر١٥٦٦م.

[صِفة صُوَر السلاطين]

وصُوَرُ السلاطينَ المذكُورين، كلُّ واحدٍ في وسَطها خِنْجَرٌ من حَديدٍ، وفي مقْبضِ الخنجَرِ الأحْجارُ الغَاليةُ، إلا السلطان أحمد ، فالذي فوقَ خِنْجَرِه ثلاثةُ أحْجارٍ في غَايةٍ من الصّفاءِ، اثنتينِ ياقوتٌ أحمرُ، وواحدةٌ زمرُّدٌ أخْضَر.



[صورة السلطان محمود الثاني]

وهكذا في جميعِ الصُّور إلىٰ زمَنِ السلطانِ محمُود[1]، وهو أولُ من بدّلَ اللباسَ بالقَاعدة المعْهُودَةِ الآن.

(١) محمود الثاني، ولد في ٢٠ يوليو ١٧٨٥م، وتوفي في الأول من يوليو ١٨٣٩م، كان السلطان الثلاثينَ للدولة العثمانية، شهد عصرة خطوات إصلاح واسعة، وحاول أن يوقظ الدولة العثمانية.

[صورة السلطان عبدالمجيد الأول]

ثم السلطانُ عبدُالمجيدِ[(١)]، هو أولُ من أحدَثَ الطُّربُوش.



(١) هو عبدالمجيد الأول، ولد سنة ١٨٢٣م، ومات سنة ١٨٦١م، وهو السلطان الحادي والثلاثون، وهو أول خليفة عثماني يرعى مسيرة التغريب تحت شعار الإصلاح والتحديث في الدولة العثمانية، حيث استحدث الباب العالي (رئاسة مجلس الوزراء) الذي أصبح يتولى مقاليد السلطة، ويقاسم السلطان نفوذه، في حكم الدولة، بينما أصبحت مشيخة الإسلام مجرد هيئة شورية. وهو والد السلطان عبدالحميد الثاني.

[صورة السلطان عبدالعزيز الأول]

ثم تقدمنا إلىٰ الأمَام، فإذا صورَةُ السلطانِ عبدِالعزيز[1]، راكباً على صُورَةِ حِصَانٍ، وهي في غاية من الإتقانِ.





(١) ابن الخليفة محمود بن عبدالحميد الأول، ولد سنة ١٢٤٥هـ، حكم من ١٢٧٧هـ حتى عزل وقتل عام ١٢٩٣هـ. بتآمر من رئيس مجلس الشورى مدحت باشا، والسر عسكر عَوني باشا، وناظر البحرية أحمد باشا قيصرلي.

[بقية آثار متحف طوبقبو]


السلطان عبدالحميد الثاني

ثم تقدمنا إلىٰ دولابٍ آخَر، وفي الطبقَةِ العُليَا منه، صَحنٌ أبيضُ موضُوعٌ، وفي باطنهِ قائمُ سيفٍ من زمُرُّدٍ أخضَر، قطعةٌ واحِدةٌ تضيءُ كالسِّراجِ من صفائِها، فهذا الذي صَار العجَبُ من كَونِه قِطعةً واحدةً، فسبحان الخالقِ.

ثم أشياءُ كثيرةٌ، لا أستطيعُ عدَّها، منها أكياسُ المَصَاحفِ، وساعاتٌ غريبَةُ الشكْلِ، وسَاعةٌ من خشَبٍ، وهي من زمَنِ هارونَ الرّشيد. ثم دُولابٌ آخرُ، ملآنٌ بالنياشِينِ[1]، التي أهْديَتْ لعبْدِ الحميدِ من ملُوك الإفرنجِ وغيرهم.

ورأينَا صُورةَ أحدِ السَّلاطينِ من اللؤلؤ، وفيه انعطافُ الصدْر وِارتفاعُ الكتفينِ، أو هيَ اتفاقيةٌ، ثم تمّموا بعدَ ذلك بالصَّنعة المتقنةِ صُورةَ الرأسِ والوجْهِ بغَاية الإتقانِ، مرصَّعٌ بالألماسِ، مع هيئةِ العمامةِ بقضيبٍ مخلّل باللؤلؤِ الدَّقيقِ، في غايةٍ من الحسنِ. ثم ارتفَعْنا إلىٰ الطبقَةِ الثالثة؛ فرأينَا دواليبَ، وفيهَا من سرُوجِ الخيلِ المرصَّعةِ بالذّهبِ والفضةِ، وأغْطية التّباسي[2] من الحريرِ الجميلِ.

ورأينَا في الجانبِ من الزجاجِ المنوَّعِ الغَريبِ الشّكلِ، وهي كاسَاتٌ، وأباريقُ، وفناجينُ، ومواضعُ الفاكهة، وفي الجانبِ الآخَر من الصِّينِ العَالِ الرَّهيف، الذي

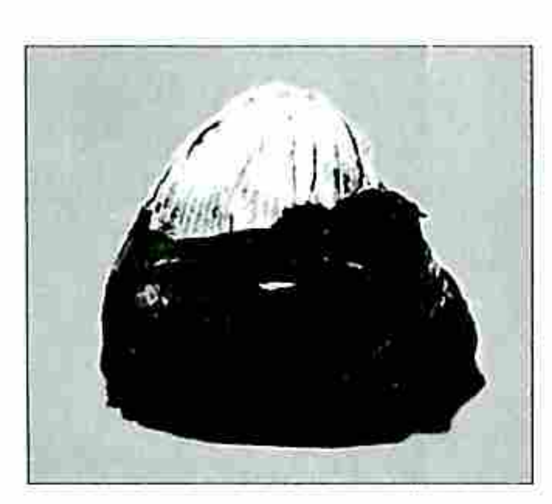
---

(١) الواحِد منها: نيشان، أو نشان، وهي كلمة فارسية الأصل، دخلت على التركية (Nisan)، وتعني: الشارة، والشعار، والعلامة. «تأصيل ما ورد»: ص ١٩٠، «الدخيل»: ص ١٤٢.

(٢) تباسي، الواحد منها: تبسي، كلمة تركية (Tepci)، وهي: الصينية الصغيرة التي يقدم عليها الشاهي (الشاي) ونحوه. «الدخيل»: ص ٤٧.


نقود قديمة

يكَادُ كالزُّجَاج. ثم أصنافُ الدّراهمِ، وهي العمْلةُ القديمة، من دراهم ودنانير وريالاتٍ، وبعضُها ذهبٌ، وبعضها فضّةٌ، وبعضُها نحاسٌ. ثم نظَرْنا إلىٰ دُولابٍ آخَر، وفيه مِن الشَّالاتِ الكَشْميرِ شَيءٌ كَثيرٌ. وكان مُدّةُ التفرّجِ كلّها نحو ثلاثِ سَاعاتٍ.


العمامة النبوية الشريفة

[مآثر نبويةٌ شريفة]

ثم توجَّهنا إلىٰ مَوضعِ الخرْقَةِ الشَّريفةِ النبويّةِ، فلم نجدِ القائمَ، غيرَ أنا أخْبرَنا الثقةُ ممن قَد رأى ذلك المحلَّ، وقالَ: إن في هذه القُبّةِ الخرْقَةُ [/ ١١١]، من ثيابِ النبي ﷺ. وفيه من سِلاحاتِ الصَّحابةِ.



❊ ❊ ❊

[المصحف العثماني الشريف]

وفيه المصْحَفُ العثمانيّ، وفيه نقْطةُ الدَّمِ الواقِعةُ علَى آيةِ: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[البقرة: ١٣٧].



مصحف عثمان رضي الله عنه

* * *

[التحول عَن بيتِ الشّريف ناصر]

ثم لما كان ذاتَ يومٍ؛ ونحْنُ جالسونَ عندَ الشريفِ ناصرٍ، في محلِّه المعروف بـ(إستينيا)، إذ وصل السيد الفاضل أحمد بن فضلٍ، وطلبَ من الشريف ناصرٍ أن تكونَ عندَه في بيتِه باقي إقامتنا في الآستانةِ، فأخبرنا الشريفَ، فقلنَا له: الأمرُ إليكُمْ، فأذِنَ لنَا، فنَقلْنا إلىٰ بيتِ السيدِ أحمدَ بن فضلٍ، إلىٰ (شكطاس).

* * *

[دَعْوةُ السُّلطانِ محمّد رَشَاد للمؤلّفِ

الجمُعة؛ ٨/ رجب/ ١٣٢٨هـ = ١٦/ ٧/ ١٩١٠م]



السلطان محمد رشاد الخامس

ثـمَّ في يـومِ الجمُعـة؛ لعله ثـمانُ رَجب سـنة ١٣٢٨، بلَـغ السُّـلطانَ المعظَّـمَ محمّـد رشَادٍ[1] وصُولَنا إلىٰ الآستانةِ.

فأرسـلَ إلينا بعْضَ خدَمه، وطلبَ منَّا أن نحْـضُرَ معَـه صَـلاةَ الجمُعةِ في مسـجِده، وذلك يوم الثّلُوث.

(١) ولد سنة ١٢٦٠هـ، وتولى بعد أخيه السلطان عبدالحميد عام ١٣٢٨هـ، في عهده حصل الاتحاديون على نصر ساحق في الانتخابات النيابية عام ١٣٣٠هـ. ودارت حرب البلقان وهزمت الدولة العثمانية، وتمكن أعضاء جمعية الاتحاد والترقي من تمكين قبضتهم إلىٰ السلطة، وانضمت الدولة العثمانية إلىٰ ألمانيا في الحرب العالمية الأولى، وبدأت فكرة القومية تنمو تحت رعاية رجال الاتحاد والترقي محاربة للرابطة الدينية، توفي في رمضان ١٣٣٦هـ، وتولى بعده أخوه محمد وحيد الدين (ت ١٣٤٤هـ).

ولما كان يومُ الجمُعةِ؛ تقدمَ إلينا ذلكَ الخادمُ بالعَربية السُّلطانيةِ، فركبْنَا ومشَينا إلىٰ المسْجدِ الجامعِ، المسمَّى (جامع أشكطاس)، فوجَدْنا أمامَ الجامعِ عساكرُ كثيرةٌ مجتمعةٌ، وهُم على أجْناسٍ مختلفَةٍ في زِيِّهم ولباسِهم، مرتَصِّينَ مُناظِرينَ وصُولَ السّلطانِ.

فتقدّمْنا إلىٰ زاويةٍ معَدَّةٍ للجُلوسِ قبلَ الصلاةِ، فوجَدْنا فيها من كبَارِ الضُّباطِ والبُوش[١] جملةً، فجَلسْنا على الكَراسي، وقُدِّمَتْ لنا القهوةُ.



الموكب السلطاني

فلما قرُبَ وقتُ وصولِ السلطانِ، دعَونا للخرُوجِ لمقابلَة السّلطانِ على عَادة القَادمِ الغريبِ، فخرَجْنا وجلسْنا إلىٰ جانبٍ، وإلىٰ جانبِنَا جملةٌ من الرؤَسَاء، وبيدِهم مباخِرُ العَنبرِ والنّدِّ.

فأقبلَ السلطانُ في موكبٍ عظيمٍ، تؤُمّه العساكرُ الخيالةُ، وعليهم كوافي الحديدِ التي تسمى بالمغَافر، ثم طائفةٌ أخرَى خيالةٌ أيضاً بيدِهم الراياتُ، ثم تقدّمَ رجالٌ كانوا منحَازين في موضعٍ بمباخرِ العُود والعَنْبر، وهم كبارُ السنِّ، وعليهم اللباسُ الفاخِرُ. حتى وصلت عرَبيةُ السلطانِ، إلىٰ جانبِ المحلِّ الذي نحنُ قيامٌ

---

(١) البوش: الجماعة المختلطة من الناس. «القول الفصل»: ص ٦٣، و«رد العامي إلىٰ الفصيح»: ص ٤٢.

فيه، حتى صارَ بينَنا وبينه نحْو ثلاثَةِ أذرعٍ، فنزلَ السلطانُ من العَربيةِ، وسلَّم علينَا بسلامِهم المعتادِ، فردَدْنا عليهِ السلامَ.

ثم تقدّم مولانَا السلطانُ إلىٰ الدَّرجِ وطلعْنا خلْفَه، حتى قصَد إلىٰ محلٍّ خاصٍّ به، ونحن جلَسْنا إلىٰ جانبِ الرؤسَاءِ، وصَلَّينا الجمعةَ. ثم بعْد صَلاة الجمعةِ خرَج السلطانُ، وقابلَنا السّاشامابنجي، يخاطبنَا ويقولُ: السلطانُ يسَلّمُ عليكمْ، وهو ممنونٌ منكُم، ومتَشكِّرٌ جدًّا، ويقولُ: حصَلت البركَةُ بحضُورِكم، وخرج السلطانُ، وخرَجْنا راجِعينَ إلىٰ محلِّنَا.

[زيارَة السرايا السلطانية]

ثم في اليومِ الثاني؛ توجّهنا إلىٰ السَّرايا حقّ السلطان، ودخَلنَا المابَين، في موضعٍ واسعٍ، وفيه المرايَاتُ الكَبيرةُ، طولُ المرآةِ نحوُ خمسةِ أذرعٍ، وعَرضُها ذراعانِ ونصفٌ، وفي الموضعِ المذكور قطيفةٌ واحدةٌ مفروشَةٌ، وفوقها الكراسي الحسنةُ المموَّهةُ بماءِ الذهب، وفي صَدْر المجلسِ وجَدْنا شيخَ الإسْلامِ[1]، المتولي [/ ١١٢] ذلك اليومَ، واسمُه موسَى الكاظمُ[2]، فسلّمْنا عليه، وتحدثنا معه حديثاً حسناً، وكان بمعْيّتنا السيدُ الفاضلُ أحمد بَيك بن فَضْل باشَا، فسألنا شيخُ الإسلام: عن وصُولِنا من أيِّ محلٍّ؟ فأخبرْنا بالواقعِ، وهو يتكلمُ بالعربيةِ، ووجَدناه رجلاً كاملاً، ثم قالَ: لابدَّ من وصُولكم إلىٰ محلّنا، فقلنا له: إن شاءَ الله، لابُدّ من الوصول إليكُم، والتهنئة لكُم بمَشْيخةِ الإسلامِ. ثم إنا خرَجْنا، ورجَعنا إلىٰ منزلِنا.

---

(١) شيخ الإسلام، منصب ديني إداري، أول ما ظهر واتخذ شكل مؤسسة لها كيانها وأهميتها في الدولة العثمانية في عهد السلطان محمد الثاني (الفاتح). وآخر من تولى مشيخة الإسلام بالدولة العثمانية الشيخ المجاهد العالم مصطفى صبري التوقادي. وللمزيد من المعلومات يمكن العودة إلىٰ كتاب أكرم كيدو، «مؤسسة شيخ الإسلام في الدولة العثمانية»، ترجمة هاشم الأيوبي، (منشورات جروس برس، طرابلس. لبنان، ١٩٩٢م).

(٢) ظل متوليا هذا المنصب إلىٰ عام ١٣٣٣هـ، كما تشير إليه بعض الوثائق.

[زيارَةُ شيخِ الإسْلام في مَوضِعه]

ثُمّ بعدَ أيامٍ توجّهْنا إلىٰ شيخِ الإسلامِ المذكور، وبمعيتِنا السيدُ أحمدُ بَيك ابن السيد فضل باشَا، فقابلَنا كمالَ المقابَلةِ، وسألَنا عن قُطْرنَا وواديَنا، وعن حضْرَموت، وعن أهلِها، وعن أمرائها. فأخبرنَاهُ بالواقع، وأخبرنَاه بالسادة العلويةِ وكثْرتهم بذلكَ الوادي الميمونِ. ثُم قالَ: لم لا يطْلَعُ وفدٌ مَن حَضْرموتَ، من عُظَمائها ورؤسَائِها إلىٰ الآسِتانةِ، ويقَابلون الدَّولةَ الشَّاهانيةَ، ويعقدُون معَهم العقْدَ الصحيحَ بالتبعيةِ للدَّولةِ؟ وأخْذِ منْشُورٍ من الدَّولةِ بالحمايةِ، ونيشَان ورابطةٍ عثمانيةٍ، حتى تقْوَى الرابطةُ، ويأمَنون من طُروقِ العدُوِّ إلىٰ أماكنهم؟ فقلنَا له: إن شَاءَ الله يكونُ ذلكَ.

وقد امتدحتُه بقصيدَةٍ نحْوَ عشرينَ بيتاً، أولها:

مِــن كَــرمِ المــرْءِ ومِـن مجْدِه إخلاصُـه والصِّـدقُ في وعْـدِه

إلىٰ آخرها.



[العلامة المكيُّ ابنُ عزُّوزٍ يزورُ المؤلفَ]

ثم في يوم من الأيام؛ ونحنُ عند السيدِ الفاضلِ أحمد بيك ابنِ السيدِ فضل باشا. وصلَ لملاقَاتِنا السيدُ الفاضلُ، والشيخُ الكامل، والعالم العامل، محمدُ مكيّ بنُ عزوزٍ المغربيُّ[1]، فاجتمَعْنا معه، وطابَ الحديثُ معه، فوجدناه عالماً متبحراً في غالبِ العلومِ، ثم تكرَّر الاجتماعُ به، وتردد إلينا كثيراً.

ثم انه ذاتَ يوم دعَانا للضيافةِ في بيته، فوجَدْنا منزلَه ملآناً بالكتُبِ النفيسَة، ومنها القلَمُ ومنها الطَّابَعُ، وطاب المجلسُ معه في ذلك، ثم إني ذكَرتُ سيدي علي،

---

(١) محمد المكي بن مصطفى بن محمد بن عزوز الحسني الإدريسي المالكي التونسي، في مدينة نفطة بأرضِ الجريد في الجنوب التونسي بتاريخ ١٥ رمضان ١٢٧٠هـ، وتعلم بتونس، كان قاضياً وفقيهاً، وولي الإفتاء بنَفْطة سنة ١٢٩٧هـ، ثم قضَاءها، هاجر أبوه من الجزائر لاجئاً إلىٰ تونس هرباً من وحشية الاحتلال الفرَنسي، عاد إلىٰ تونس سنة ١٣٠٩هـ، وفي سنة ١٣١٣هـ رحل إلىٰ الآستانة، فتولى بها تدريسَ الحديث في دار الفنونِ، ومدرسة الواعظين، وتوفي بها سنة ١٣٣٤هـ، له مؤلفاتٌ طبع بعضها. ينظر: «الأعلام»: ٧/ ١٠٩، و«فهرس الفهارس»: ٢/ ٨٥٦.

وسيدي حسين، وسيدي العمّ أحمدَ بن حسن العطاس، وأسمعته من كلامهم المنثُورِ ودعَواتهم، فكانَ كلَّما أسمعتُه شيئاً عمَد إلىٰ الدواةِ والقلَمِ وكتبه، ثم أنه أطْلعَني على كتبه، وقال لي: خُذْ منها ما تحبُّ!. فأهدَى لي منها «كتاب الشِّفا» للقاضي، وهو خطٌّ إصْطنبوليّ، وأهدَى لي «ديوان قابَادُو» المغربي، وهو ديوانٌ بديعٌ، وبعضَ رسائلَ من تأليفِه.

وصارَتْ بيني وبينه محبةٌ كامِلةٌ، وألْفةٌ وأخُوّةٌ في الله، واستمرت الاتصالاتُ بيننا وبينه، وأعجبني كثيراً، لأنه متلهّفٌ ومتشوقٌ لما مَعَ العارفين بالله من علُومٍ وأذواقٍ، وهو مالكيُّ المذهبِ، فقيهٌ في مذهبِه، وله اطلاعٌ على بقيةِ المذاهبِ، وله العقيدَة الكَاملةُ في أهلِ البيتِ النبويِّ، خصُوصاً في السّادة العلَويّة.

[تبادلُ الإجازَةِ بين المؤلّفِ وابنِ عزُّوزٍ]

ثم إنه ذاتَ يوم، وصلَ إليَّ، وطلبَ مني الإجازَةَ، فاعتذرتُ منه لكَوني لستُ أهلاً لإجَازةِ من هو دونَه فكيفَ بمثلِه!. فلَمْ [/١١٣] يترك لي عذراً، فأسعفتُه بمَطْلوبِه، رجاءَ دعائِه الصالح، وكتبت له إجازةً مختصرةً، وأكثر إسْنَادي فيها إلىٰ سيدي عليٍّ، ثم طلبَ مني الدعواتِ والصلواتِ على النبي ﷺ، ونقلَها جميعَها، ثم إنه طلبَ مني كتابةَ أسْماءِ المشايخِ الذين عاصَرتُهم وأخذْتُ عنهم، فقلتُ له: «الصّيدُ كل الصيدِ في جَوف الفَرا»، وأشرتُ إلىٰ سيدي عليّ، وانتسابي إليه، فقالَ: صدقْتَ فيما قلتَ، ولكني أريدُ منكَ تعيين المشَايخِ، فكتبتُ له مَا استطعتُ منهُمْ ثم إني طلبتُ منه الإجازَةِ، فأبَى، فكلفْتُ عليه، فأجَازني، وله سندٌ عالٍ إلىٰ جملةٍ من المشَايخِ، وإجازاتٌ[1]، فطلبتُ منه أن يَرقُمَ ذلكَ لي في قرْطَاسٍ.

---

(١) قال السيد عبدالحي متحدثا عن شغف ابن عزوز بالرواية: «هذا الرجل كان مسند أفريقية ونادرتها، لم نر ولم نسمع فيها بأكثر اعتناءاً منه بالرواية والإسناد والإتقان والمعرفة ومزيد تبحر في بقية العلوم والاطلاع على الخبايا والغرائب من الفنون والكتب والرحلة الواسعة وكثرة الشيوخ، إلىٰ طيب منبت وكريم أرومة وكان كثير التهافت على جمع الفهارس»، عن: «فهرس الفهارس» ٢/ ٨٥٦.

[مجلسٌ آخرُ معَ ابنِ عزُّوز]

ثم إنه في اليوم الثاني؛ أتى إليَّ، وجلسَ معي جِلسةً، تذاكَرْنا فيهَا في كَلام القَومِ، فطابَ المجلسُ، ثم إني أسمعتُه مما كنتُ حفِظْته من كَلام سيدي علي، وفي مجالسِه الخاصّة، فطرب طرباً شَديداً، وأقْسَم أن لَو كانتِ البلادُ قريبةً، وسَهُلت الطريقُ لوصَلتُ إلىٰ هذا الحبيبِ، والتمست بركتَه. ثُمَّ قالَ: إني قد اجتمعتُ بأناسٍ كثُرٍ من أهْلِ الفضْلِ والعلم، ولكن لم أسمَعْ منهُم مثلَ ما سمعتُ منكَ، فقلتُ له: هذا ظنكُم الحسَنُ، وإلا فالفَقيرُ ليس بشيءٍ بالنسْبة إلىٰ من ذكرتُ لكَ أوصَافَهم وأخلاقَهم، ولكن نسْألُ الله أن ينظِمَنا في سِلْكهم، ويجعَلنا منهُم.



[نصّ إجازة ابن عزوز للمؤلف]

نموذج لخط ابن عزوز

ثم إنه كتبَ لي المسلسلاتِ بالمالكية المغاربةِ في «موطأ الإمام [مالك]»، وكتَب لي أيضاً المسلسلَ بالفقهاء المالكيةِ إلىٰ الإمامِ البخاريّ في «صَحِيحه»، والمسلسلَ بالمحمديِّين، على حسَبِ الترتيب، وغير ذلك مما كتبَه لي، فأنا أثبِتُه جميعاً برمَّته، إلىٰ آخرِ ما رقمَه لي في الأوراقِ، قال رضي الله عنه:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المسلسل بالمالكية المغاربة في «موطأ الإمام مالك»

أجازَني به العلامةُ النحريرُ، الشيخُ سيدي محمّدٌ المكي بن الصّديق المالكي الجزائري، عن عمِّنا عالم عصْرِه في قُطرِ المغربِ، الأستاذِ السيد محمد المدني بن عزّوز الجزائري ثم التونسي، عن الشيخ مصطفَى بن عبدالرحمن مفتي الجزائر المهاجرِ إلىٰ بلد إسكندرية، عن الشيخِ علي ابن الأمين مفتي المالكية بالجزائرِ، عن علامة فَاس الشيخ محمد بن سودة التاودي، عن شيخه أبي عبدِالله محمد عبدالسلام البكّي، عن أبي الفضْل أحمدَ ابن العربي ابنِ الحاجّ، عن شيخ الجماعة سيدي عبدالقادر الفاسي، عن الشيخ محمد بن قاسم القصار القيسي الغرناطي، عن ولي الله الشيخ رضوانَ بن عبدالله الجَنَويّ، عن عبدالرحمن سقَّين العاصميّ المغربي، عن العلَم الشهير سيدي أحمد زروق البرنُسي الفاسي، عن وليِّ الله محيى السنة سيدي عبدِالرحمن الثعالبي الجزائري، عن محمد بن مرزوق الحصري التلمساني، عن محمد بن جابر الوادياشي، قال:

«حدثنا عبدالله بن محمد هارون القرطبي، عن القاضي أحمد بن زيد القرطبي، عن محمد بن عبدالحق الخزرجي القرطبي، عن محمد [/ ١١٤] بن فرج مولى ابن الطّلاَّع القرطبي، عن أبي الوليد يونس بن مغيث الصّفار القرطبي، قال: حدثنا أبو عيسى يحيى بن عبدالله بن يحيى بن يحيى القرطبي، قالَ: أخبرنا عمُّ والدي أبو مروان عبيد الله بن يحيى، قالَ: أخبرنا والدي يحيى بن يحيى الليثيُّ، قالَ: أخبرنا إمام دار الهجرَ، مالك بن أنس رضي الله عنه وعنهم».

المسَلْسلُ بالفقَهاءِ المالكيةِ إلىٰ الإمَام البخاريِّ في «صَحِيحه»

أخذْناهُ عن شيخِنا العلامةِ، ولي الله سيدي محمّد ابن القاسم الشريف الحسني الهاملي الجزائريّ، عن مفتي الجزائر الشيخِ علي بن محمد الخفَّاف، عن والده، عن

جدّه، المذكورَين، عن الحافظِ الرُّحَلةِ سيدي أحمد بن عمار، عن خاله الخطيبِ الصالح سيدي محمد هدِّي، عن شيخ الإسلامِ علاَّمة المعقُول والمنقول، سيدي عمار بن عبدالرحمن، وهو والدُ أحمدَ بن عمار المذكُور، عن الشيخِ أحمد المقّري، عن عمه أبي عثمان سعيدٍ المقّري، مفتي تلمّسَانَ ستينَ سنةً (٦٠)، عن أبي الحسن علي بن هارون، عن أستاذ المغرب الإمام محمد بن أحمد بن غازي العثماني المكناسي، عن أبي عبدالله محمد بن محمد بن يحيى السرَّاج، إلىٰ آخر ما في «مسلسلات بن عقيلة».

المسلسل المحمديين

يوجد عندكُم في «مسلسلاتِ الشيخ محمد عقيلة» ثلاثةٌ بالمحمديينَ، نرويها عن شيخنا محمد أمين الشّرواني الشافعي، عن الحافظ محمد عابد السندي الشهير، عن الشيخ يوسُف بن محمد المزجاجي، وقد سمّيَ محمّداً كذلكَ، إذ عادةُ بيتِ المزْجَاجي يقْطَعون السُّرارَ على اسِم محمدٍ تبركاً، ثم يسمّيه أبُوه بعدَ ذلكَ بما شاء، قاله عبدُالخالق المزجاجي في «النزهَة المستطابة»، نقلَه عن محمد عابدٌ السندي. ثم عبدُالخالق المزجَاجيُّ روَى عن محمد عقيلة مُسَلسلاتِ المحمديين.



[ح] ونروي بهذا الطريقِ مسَلسلاتِ المحمَّدِيّاتِ التي في «حصر الشارد» لمحمد عابد، وهي نحو العشْرينَ مسلسلاً، كلها مرجِعُها لمحمد بن عقيلَة، إمّا عن حسَن العجيميّ، أو عن محمد بن عبدالباقي الحنبلي، جزاهم الله خيراً.

مسَلْسلٌ بالمحمديين رابعٌ إلىٰ البخاريِّ

أجازَنا الشيخُ سيدي محمد الشريف نقيب الأشرافِ بتونس، وإمامُ جامِعها الأعظَمِ المسمَّى بجَامع الزيتونَةِ، وهو نظيرُ الجامعِ الأزهر بمِصر، وجَامع الفاتحِ بالآستانةِ، وجامعِ القرَوِيِّينَ بفاس، رحمه الله، عن العلامَةِ الشيخ ابن الخوجَة، المفتي الحنفيّ بتونس، عن شيخ الإسلام الحنفي، الشيخ محمد بيرم الثالثِ، عن شيخ الإسلامِ المالكيّ، الشيخ محمد المحجوب، وكان يلقّبُ بمالك الصغير، عن

الشيخ محمّدٍ الهدّة السوسي التونسي، محشّي الحطّاب شارحِ «ورَقاتِ إمام الحرمين»، عن شيخِ الشريعة والطريقة، سيدي محمد بن سالم الحنفي المصريّ، عن محمد بن عبدالواعظ [/ ١١٥]، عن [النّجْمِ][1] محمد بن أحمد الغِيطيّ، عن محمد بن محمد الدّلجي، عن القطب محمد بن محمد بن عبدالله الخيضَري، عن أبي الفتح محمد بن فُلَيح، عن محمد بن مسلم، عن محمد بن مالكٍ الحنبليّ، عن محمد بن عبدالرحيم عبدالواحدِ المقدسي، عن محمد بن مكي، عن الحافظ أبي موسَى محمد المدينيّ الأصفهاني، عن أبي الفضلِ محمد بن طَاهر المقدسيّ، عن الحافظ محمد بن عبدالواحد البزاز، عن محمد بن أحمد بن حمدان، عن أبي الهيثَم محمد بن مكي الكُشْمِيهَني، عن محمد بن يوسف الفِرَبْري، عن مؤلفِ «الصحيحِ»، أبي عبدالله محمد بن إسماعيلَ البخاريّ، رحمه الله، ونفعنا به.

مسلسلٌ بالمحمّدينَ خامسٌ على طريق «ثبَتِ الأمير»

عن شيخِنا محمدِ بن محمد المكيّ ابنِ الصّديق، عن عمّنا السيدِ محمدٍ المدني بن عزّوزٍ، عن الشيخِ محمد المرزوقيّ، مفتي مكّة، عن الشيخ محمد الأمير الكبير، عن الشّيخ محمد الحِفْني، عن محمد الدّرديري. إلىٰ آخر ما في «ثبَت الأمير».

وبهذا نروي المسلسلَ أيضاً إلىٰ محمّد الحفْني، عن الشّيخِ محمد السِّجِلْماسيّ، إلىٰ آخر ما في «ثبَت ابن عابدين»، في (مسلسل المحمديين)[2].

سندٌ عالٍ جدًّا في الصِّحَاحِ السِّتةِ

وإن لم يكُنْ بالطّريقِ المتعَارفِ، فهو يؤخَذُ تبركاً بالقُرْبِ منه ﷺ، لعُلوِّ السنَدِ، والإنسُ والجنُّ إخوانٌ في التكليفِ والإفادةِ والاستفادة والاقتداء، لا مشَاحّةَ في

---

(١) في الأصل: العم، وهو خطأ من الناسخ.

(٢) ص ٢٦٧.

ذلك. أجازني بهِ العلاّمةُ الشيخُ علي ابنُ الخفاف، مفتي الجزائر، عن السيد محمد صالح البخاري الحسيني، عن أبي حفص عمر بن تكي المغربي المراكشي، عن القاضي أبي محمد شمهُورَش الجنّي الصحابي، عن مؤلفي الصحاح الستة بصحاحهم المشهورة.

ومن عجَائبِ الأقدارِ؛ أني سَمعتُ بهذا السَند عند الشيخ محمّد الخفاف، ولا يوجَدُ عند غيرهِ، وعمرُه يناهز التسعين، وما دخلتُ الجزائرَ قبلها، فمضَيتُ إليه وأخذْتُه عنه يومَ الجمعة، ومن بعدِه يومَ السبْتِ تُوفّي رحمه الله، وذلك في شهر صَفَر سنة ١٣٠٧. وهذا من آياتِ بركَةِ الحديثِ الشريفِ: «ليبلّغِ الشّاهدُ منكمُ الغائب»، فكلُّ أمانةٍ تحفَظُ إلىٰ أن يأخذَها صاحبُها، يبلّغها إلىٰ من شاء الله من علماءِ الأمة وأئمّةِ الدين».

❊ ❊ ❊

ومما رقمه لي أيضاً، قالَ: «كانَ والدُنا مصْطفَى بن محمد بن عزّوزٍ، علّمَنا أبياتاً ندعُوا بها، ونحنُ صِبيةٌ، وهي هذه:

يـا لَطِيـفَ الصُّنع يَا مَـنْ كُلَّما ... دهَـمَ الأمْـرُ جَـلا مَـا دهمَـا
يـا غيَـاثَ المسْتَغيثِينَ ويَـا ... مَـاضيَ الحكْـمِ إذا مَـا حكَـما
نـفِّس الأمْـرَ عـلينَـا سُرعَةً ... إنّما الأمْـرُ عـلينَـا عَـظُما
واستجِبْ منّـا دُعَانـا كرَمـاً ... يـا كَريـماً أنـتَ ربُّ الكُرَمَـاءْ

❊ ❊ ❊

[ابن عزُّوزٍ يترجِمُ لنفسِه]

«توفي الوالد ونحن صغارٌ، ختامَ سنة ١٢٨٢، وكان علَى قدم راسخ في الطريقِ الإلهي، شريعةً وحقيقةً، كان يصفُه أكثَر العلماءِ الذين بتُونس وغيرها بالقُطْبانيةِ، كأبيه محمّد بن عزّوز المتوفى سنة ١٢٣٢. والوالدُ والجدُّ وخُلفَاهما همُ الناشرونَ الطريقة

الخلوتيةَ في إقليمِ الغَرْبِ، بإرشادٍ عَميمٍ، وتسليكٍ مستقيمٍ، على جادِّ السنة المحمدية.

واتصَالُ العَاجز بسَندهما انتساباً: أخَذتُ عن جماعةٍ، منهُم وليُّ الله، ذو الأسرار والأنوار، الشيخ سيدي بن علي بن عثمان المتوفَّى سنة ١٣١٦، عَن خاله ومربيهِ في طريقِ الله، والدِنا، [/ ١١٦] عن أستاذِه، إمَامِ الزاهِدينَ، ونبراسِ العارفينَ، سيدي علي بن عمر، وهو والدُ شيخِنا علي ابن عثمان المذكور، ولكِنْ عُرِفَ بابنِ عُثمان اسمِ جدِّه الأعلَى، وسيدي علي بن عمر المذكُور هو أكبَر خلفاءِ الجدِّ، ووارثُ سرِّه.

والجدُّ محمّدُ بن عزوزٍ، أخذَ عن الشيخِ عبدالرحمن باشِن تارزْ الجزائري، عن صَاحبِ الطريقِ الآتي بها من مِصْر، نشْراً لذكْرِ الله، وتوصيلاً للمَعْرِفة بالله، السيدِ محمد بن عبدالرحمن الزَّواوي الجزائري، الشهير بالأزهري، عن شيخه سيدي محمد بن سالم الحِفْناوي،عن السيد مصطفى البكري، إلىٰ آخر السند الخلوتي. فالحفناويُّ وشيخُه البكريُّ؛ لو لم يكن آيةً على علوِّ مقامهما إلا كَونُهما من شيوخِ ذلك الطَّود العَظيم، أبي المراحِم السيدِ عبدِالرّحمن بن مُصْطفى العيدرُوسِ، لكفاهما شرفاً.

وانما أنبأتكُم بذَرَّةٍ من تاريخِ الوالد والجدِّ، لتباعُدِ الأقْطارِ، فلا يكونُ عندكم خبرٌ برجَال الغَرب المتأخرين، واذكُرونَا بدعائكم، كما لكُم منَّا ذلك.

كتبه محمد مكي، بالآستانةِ، في شعبان سنة ١٣٢٨».

* * *

ومما رَقمَه لي:

المسَلْسلُ بقراءةِ آخرِ سُورة البقرةِ

«هذا مبتدأٌ من العبدِ الحقيرِ، لا يخفَى عليكم المسَلْسلُ بقراءَةِ أولِ النحْلِ،

الذي في «مسلسلات ابن عقيلة»(١)، و«محمد عابد»(٢)، وغيرهما، وبينَنا وبينَ قارئِها مناماً على النبي ﷺ طبقاتٌ. فقَدْ منَّ الله على عبدِه بمثلِها أو أهمَّ مِنها.

رأيتُه ﷺ سنةَ ١٣١٢ بتونُسَ، وأنا بين يديه، وبشَّرَني بشيءٍ يخصُّني، والحمْدُ لله، ثم رفع ﷺ يديه للدّعاءِ، ورفَعْتُ يديّ، فقرأتُ: ﴿ربَّنا لا تؤاخِذْنا إن نَسينا أو أخطأْنَا﴾، إلىٰ آخر سورةِ البقَرةِ، داعياً بها عندَه ﷺ، وهو مادٌ يدَيهِ، منصِتٌ لي، حتَّى ختمتُهَا. وكيفيةُ مدِّ اليدَينِ ورفْعُهما متوسّطةٌ، لا فوقَ ولا أسْفلَ، وأما مسْحُه وجْهَه الشريف بيدَيه بعدَ الدعاءِ، فلم أذكُرْ أنه مسحَ»، انتهى.

ثمّ قالَ: «أجزتكُم بذلكَ بعْدَ قراءتها بتلكَ الهيئةِ المباركَةِ، مسلْسَلاً، كما تلقيناَها، أعْني العلامةَ الوليَّ المباركَ، شيخَنا الحبيبَ، السيدَ شيخَ بن محمّدِ بن حسينٍ الحبشي، العلويّ الشافعيّ، حفظه الله، ورزقنَا رضَاه. وإجازتي لكُم عامّةٌ، تحوي جميعَ ما تصِحُّ لي روايتُه ودرايتُه، في المعقول والمنقولِ، امتثالاً لأمرِكُم، وأنا حامدٌ لله إذْ منَّ عليَّ بإجَازتكُم لي، بِأتمَّ وأشرفَ مما عندي.

كتبه، محمد المكي بن عزوزٍ، طالبُ دعاكم، حَامداً على لُقيِّكمْ».

(محمد المكي بن عزوز).



---

(١) ص ٨٣.

(٢) ٢/ ٥٦٥.

[سُؤالٌ وجَوابٌ في مسْألة ذوقيّةٍ]

ومما رقمَه لي: صُورةُ سؤالٍ، والظاهرُ أنّه منه، والله أعلم: «سُئِلَ بعضُ العارفينَ [/ ١١٧] بالله، فكانَ الجوابُ من ذلك لبعض:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدُلله فاتحِ أقفالِ قلُوبِ الغافلين، والصّلاة والسلامُ على سيدنا محمّدٍ ﷺ المبعوثِ بالفَتْحِ والنّصْر المبينِ، وعلى آلِه وأصْحابه الفَانينَ الرّاضينَ، صلاةً وسلاماً دائمينِ متلازِمَينِ، ما أمدَّ ربُّنا أصنافَ العارِفِينَ، بنُورِ المعْرفَة واليقينِ.

وبعدُ؛ فقد وردَ علينَا كتابٌ من أهلِ الفَتحِ والتمكينِ، محتوٍ على مخاطبَةٍ من جنابِ الحقِّ ربِّ العالمينَ، رآها مناماً، وصورتها: «متَى تلقاني ربُّكَ، ولسْتَ أنا من الملاقين».

قلتُ: طلبَ منهُ أن يفْنَى عنِ الوجُودِ وما حوَى، وأن لا يَرى لنفسه مقاماً ولا حالاً، ويفِرَّ من ذلكَ فِرارَه من الكُفْر، ويقولُ مجيباً عن الجمْلةِ الأولى: ألقاكَ إذا شقَقْت سَماءَ قلبي، وأنزلْتَ على لَطيفةِ رُوحي سُيولَ عرفانِكَ، وامتزجَت ...[١] جِسمي، وأخذْتَني منّي، وغيبتَني بكَ عنّي، وصَار الحكْمُ لِلاَهُوتي على ناسُوتي، وغرقَتْ شَريعتي في بحْرِ حقيقَتي، مع بقَاء الحاجزِ الذي بين الشريعةِ والحقيقةِ، وفنيَ الكلُّ في الكلِّ، من حيثُ الكُلّ، وحَقّقتَني بأنوارِ أولِ بارزٍ للوُجود، لأهتديَ بها في السَّير لبابِ حضَراتِكَ، فعِندَ ذلك تكونُ لي سمعاً وبصراً، ويَداً ومؤيِّداً، وأكْدَحُ إليكَ كَدْحاً على بِسَاطٍ لا تَطْغى فيه جمْعَيّتي على فرقَيّتي، ولا فرْقي على جَمْعي، وبتأييدكَ تُنَاديني هواتفُ الحقيقَةِ: الذي تطلُبُ أمامَك، فأتحققُ أنكَ لسْتَ من الملاقِينَ على الوَجْه الذي أريدُ، بل على الوجهِ الذي تُريدُ، وإنما استغراقُ شُهودي في حيُث من

---

(١) كلمة غير واضحة.

حيثُ لا حيثُ، إلىٰ أن تنتهي الحيثيات فتخرُجُ شَريعتي من سَاهور حَقيقتي، فيتبلبَلُ لسَانُ جِسمي، قائِلاً: سبحانكَ ما عبدناكَ حقَّ عبادتك، سبحانك ما عرَفْنَاك حقَّ معرفتكَ، فعَجْزي كنْزِي وفَوزي، والسلام».

قال صاحبُ الرؤيَا المذكورَةِ: «كنتُ كتبتُ للشيخ صَاحبِ الجوابِ المسْطُورِ لأسْأله عن ذلكَ، فكتبَ الجوابَ المسْطُورَ، وأرسَله إليَّ من بلدَةٍ في الغَرْب، فقبلَ أن يصِلَني جوابُه بيومٍ أو يومينِ، رأيتُ في المنام كلماتٍ قدْسيةً أيضا، نصُّها: «لا إلهَ إلا أنا، سُبحَاني، إذا نَحْوي قاصِدٌ يمَّمَ، أتممتُ له أمْرَه»، انتهَى ما رقمَه.

[رسَالةٌ من ابنِ عزُّوز للمؤلّفِ بعد سفَرِه]

ثم بعدَ توجُّهي من الآستانة إلىٰ مِصْر، كتبَ لي كتاباً من الآستانةِ جوابَ كتابٍ منّي، أحببتُ أن أثبتَه هُنا ملحَقاً بما رقمَه لي، وأجازَني به، وهذا الكتابُ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

«الحمدُ لله، والصلاةُ والسلام على سيدِنا رسُولِ الله ﷺ، وآله ومن [١١٨/] والاه، شيخَنا العلامةَ، وأستاذَنا الذي هو على صِحّة حديثِ: «أمّتي كَالمطَرِ» علامة، جمالَ العارفينَ، وملجأَ المريدينَ، الباذِلَ جُهدَه في الدّعوة إلىٰ ربِّ العالمين، سيدي شيخَ بنَ الحبيبِ محمدِ بن حسين الحبشيّ العلويِّ، دامَتْ محادثتُه، وأسعدَتْ محبيه سَعادتُه.

السلام عليكم ورحمة الله

وبعدُ؛ فقد تشرفتُ بكتابٍ منكُم كريم، أفادَني عافيتكُمْ، والحمدُلله، وأفادَني أني منكُم على بالٍ، وتأسّفتُ على عدَم وصُولِ كتابي إليكم في رمضَانَ، فإني والله كتبتُ لكُم كتاباً طويلاً عريضاً، سألتكُم فيه عنْ أمورٍ تتعلّقُ بإفاداتٍ في «كتابِ» شيخِكُم الحبيبِ عيدَروسٍ، الذي أتحفتُمونا به، فيَا لَه من كتَابٍ، ما سُرِرتُ بهديةٍ سروريَ به، ووجدْتُ فيه اتصَالاتٍ بأسانيدَ كنتُ ظمآناً، وظَهرتْ به مزيتكم على خادِمكُم العبدِ الحقير.

وقد كتبتُ إلىٰ أصْحَابنا في الغَربِ، حكيتُ لهم فضلَ الله علينَا باجتماعِنا بكُم، وأخْذِنا عنكُم، قلتُ لهم: «منذُ رحَلتُ إلىٰ الشَّرقِ ما اجتمعتُ بأفضلَ ولا بأكملَ ولا بأنورَ، من هذا السيدِ». والله إني نفسي صادقٌ في ذلكَ. هذا قبلَ أن يأتيني «كتابُ» الحبيبِ عيدرُوس[1]، وبعدَ وصُوله، واطِّلاعي عليهِ، تأكّد ذلك الفضلُ، ولله الحمدُ، وقد قرأتُ «الكتابَ» المشَار إليهِ، حتّى أحَطتُ بمُعظَمِه، ولخصْتُ سَلاسِلَه وأسانيده. وبعد قراءتي كتبت لكم وسألتكم عن أمور فيه.

وسألتكُم أيضاً: عن شيخِ الحبيب أبي بكرٍ العطاسِ، أعني شيخَ فتْحِه، وإن كان شيوخه كثيرٌ كما أشرتُم إليه في الإجازَة التي كتبتمُـوها لنَا. ومُرادي بهذا السؤالِ: لنَعرِفَ آباءنا في الطريقِ، حيث علمْتُ من رؤيَا مبشِّرةٍ أن تسلْسُلَ طريقكُم الفتحيِّ عن أخيكُم سَيدي علي. وقد ذكرَ الحبيبُ عيدروسٍ: الحبيبَ أبابكرٍ العطاسَ، قالَ: أخَذْنا عنهُ، وأخذَ عنَّا، وألبسَنا الخرقة وألبسْناهُ، ولم يذكر أخَذَ الحبيبُ أبوبكرٍ عَمَّن؟[2]. **وكذلك سألتكُم** عن: شيخه وشيخ شيخه المذكورين في «كتابِ» الحبيب عيدروس بن عمر؟.

وإني قصصْتُ الرؤيَا في الكتابِ الذي أرسلتُه إليكُم، وعَساهُ وصَلكم بعدَ إرسالِكم كتابَكم الأخير، المحتوي على عتابٍ شديدٍ، لقَولكُم، لا سمحَ الله: «مَنْ غابَ عنِ العَينِ غابَ عن القلبِ»، أزْعَجتني هَذه الكلمةُ، ولعلّكُم قلتمُوها تأديباً لتلميذِكم من الشَّفتين لا منَ القلب!. وأظنّكم، ولو لم يأتِكُم مني جوابٌ، تحمِلُوني على أنّي كتبتُ وضَاعَ الكتابُ في الطّريقِ، لأنكم تعرِفُونَ صِدْقي في محبّتكم واحترامِكم، وإني ساعةَ فارقْتكُم، ذهبتُ إلىٰ البيتِ باكياً، والله، بالصَّوتِ والعَبرةِ، على حالةٍ لم أعْهَدها وقعَتْ لي لأجْلِ فُراقِ أحَدٍ، والله على ما نقول وكيلٌ.

---

(١) يعني به: «عقد اليواقيت الجوهرية»، الذي طبع في مصر سنة ١٣١٨هـ.

(٢) شيخ فتح الحبيب أبي بكر العطاس، هو العلامة الحبيب محمد بن جعفر العطاس، ذكر ذلك مؤلف «تاج الأعراس»: ١/ ٣٩١.

وحيث أني خِفتُ أن المكتوبَ ضَاعَ، فقَد جعلتُ هذا بالتعَهُّدِ، لا يعطيه موزّعُ البوسْطَة إلا بكتابتِكُم على كَاغدٍ، أي بالبريدِ المسجَّلِ، (رجِسْتَر جَوابي)، يأتيني هُنَا ليطمئنَّ قلْبي، فأنتُم أخْبِروني بوصُولِ الأوّلِ إن كان وصلكم، وأجيبُوني عما فيه إن كَانَ بلغكُم، أو أخْبِروني بضَياعه، لنجَدِّدَ كتابةَ تلك السؤالاتِ إنشاء الله تعالى [/١١٩].

وإذا طبعتم الكتُبَ بادِرُوا بنسَخٍ منهَا، لاسيَّما «الرّشَفاتُ»، وكنتم وعَدتموني بـ«المشْرَعِ الرّويّ»، إن تيَسَّر، وهل ذلكَ مطبوعٌ أم لا؟ وذكرتُم أن مِصْر أعجَبكُم كِبرُها، وكَثرَةُ النَّسَمِ فيها، فأخافُ كثْرَتَهم كما قيلَ:

فكَاثِرْ بسَـعْدٍ إنّ سَـعْداً كـثِيرةٌ ... ولا ترْجُ من سَعدٍ وفاءً ولا نَصْرَا[1]



والله يصْلحُ أحوالَ الجميع. والسيدُ أحمدُ بيك مسْرورٌ برضاكُم عنه، وممنونٌ بالتفاتِكُم له، والبارحةَ سَهِر عندَنا، وتَذاكَرنَا فيكُم، وبلغَنا أنَّ ابنَ أخيكُم سَيدي محمدَ بن حسينٍ توجّه إلىٰ البلدِ الأمينِ، أمّنهُ الله. ولا تنسَونا من دُعَائكم، ودمْتُم بعافيةٍ، وحافظُوا على تصْحيحِ ما تَطْبعونه، فإنّهم يحرِّفُونَ كثيراً، والسلامُ.

كتبه مقبلُ أيديكُم، محمد مكّي بن عزُّوزٍ

في ٢٠ شوال سنة ١٣٢٨».

---

(١) ورد البيت في «ديوان الحماسة» من غير نسبة إلىٰ قائله.

عَوداً لما كانَ لنا بالآستانة العلية؛

كنتُ ذاتَ يومٍ جالِساً في بَيتِ السيدِ أحمدَ بنِ فَضلٍ، نتناوبُ الحديثَ، ونتذاكَر في سيرِ السلفِ الماضِينَ، إذ دخلَ علينا رجلٌ لَه معرفةٌ بالسّيد أحمدَ المذكور، وكان جاءَ زائراً. فقالَ لي السيدُ أحمدُ المذكورُ: هذا الرجلُ من الصالحينَ. فقُمْتُ إليه وعانقْتُه، وجلسَ إلىٰ جانبي.

[الشيخ بهاءُ الدينِ الأفْغاني]

فسألتُه عن اسْمِه، فقالَ: اسْمِي بهاءُ الدِّينِ الأفْغَانيّ(١)، فسَألتُه عن بلادِه، وسألتُه عن مُقَامِه بالآستانةِ، فقالَ: لي لستُ من أهْلِ الإقامةِ بها، وإنّما أترَدّدُ بينَها وبينَ دمشق الشام. فتباحثتُ معَه، فوجَدتُه من العارفينَ بالله الكُمَّلِ.

ثُم إنّه سألَني: من أيّ جهةٍ من أرْضِ العرَبِ؟ فقلتُ له: من اليمَن. فقالَ: من أيِّ جِهاته؟ فقُلتُ: من حَضْرمَوت. فقَالَ: من أيِّ بِلادٍ من حضرموت؟ فقُلتُ له: من سَيئون. ثُمّ إنّه سَألني عَن اسْمي ونَسبي وقَبيلتِي.

ثُمّ إنه دارَ الحديثُ ماَ بيني وبينه، فأسمعتُه شيئاً من كلام سيدي عليّ، فطَرِبَ طرباً شديداً، وصَار يستعيدُ منِّي كُلَّ ما أمليهِ، وكلما طَرِبَ يقُولَ: مليحٌ مليح. حتى أسمعتُه جملةً من كلامِ سيدي.

ثم إني قلتُ له: السيدُ عليّ هذا أخِي من أبي، وشَيخي في الطريقِ، وهو الآنَ في

---

(١) يبدو أن هناك شخصان يسمى كل منهما بهاء الدين الأفغاني، أما أحدهما فهو المذكور هنا، وعلمتُ من بعض الباحثين أنه توفي قربَ مدينةِ حمص. وأما الآخر فهو من مواليد سنة ١٢٥٠هـ تقريباً، وتوفي بمكة المكرمة في ٩ شوال سنة ١٣٥٢هـ، كما حققه الحبشي في «الدليل المشير»: ص ٦٨، وفي «تشنيف الأسماع» (ص ١٢٤) أنه عمر (١٣٠ سنة)، وأن وفاته سنة ١٣٦٥هـ.
ومما يثير التعجب؛ أن ترجمة الثاني منهما، مشابهةٌ إلىٰ حد كبير ترجمة الشيخ عبدالحكيم الأفغاني، المتوفى بدمشق سنة ١٣٢٦هـ، ينظر: «تاريخ علماء دمشق»: ١/ ٢٤٠، و«الرحلة السامية».

سيئونَ، وله رباطٌ معمُورٌ بطلبة العِلْم، ومسْجِدٌ. فقَالَ: أنَا أعرِفُ سَيئون، وأعرفُ الرباطَ والمسْجدَ، وهيئتُه كَذا وكَذا.


منارة مسجد الرياض

فقلتُ له: هَلْ خرجْتَ إلىٰ حضرموت؟ فأجابني بقوله: أنا أعرِفُ سيئون. فعرَفتُ أنه من الرّجالِ أهلِ الكَمال.

ثُمّ إني سألتُه عن بعضِ كلماتٍ في اصْطلاحِ الصُّوفيةِ، فأجَابني. ثُم إنه تكلّمَ على النفُوسِ السبعِ بلسانٍ غريبةٍ، وأشبعَ الفصْلَ بكَلامٍ لم يطرُقْ سَمعي من قبلُ، فسبحان المعطي.

فلما انتهَى المجلسُ، قال لي: إني جالسٌ في زاويَةٍ من زَوايا أهلِ السّياحةِ، وعندي إخوانٌ، وأحِبُّ أنك تأتيني إلىٰ الزّاويةِ، حتّى تنظُرَ الدراويشَ أهْل التجريدِ. فقامَ، ووّدعتُه.

[زيارةُ زاويةِ الدراويشِ الغُربَاء بأسْكُدار]

ثم بعدَ يومينِ؛ أخذتُ مَعي [/ ١٢٠] من يعرِفُ ذلكَ المحلَّ، إلىٰ حَارة في إسْطَنبول يقال لها (أسكُدار)، ركبتُ إليها في بابُورٍ، ثم من المرْسَى ركبتُ في عربيةِ خَيلٍ، حتى وصلتُ إلىٰ زاويةِ الشيخِ المذكُورِ، فدخَلتُ فوجدتُه جالساً بين أصحابهِ، وهم نحْوُ ستينَ، وعليهِم آثارُ الولايةِ لائحَةً، وهو المقدَّمُ عندَهم، فقابلوني كمالَ المقابلةِ، وجلستُ، وقال لي: نصْنَعُ لكم شَاهي؟ فقلتُ له: الأمْرُ إليكُم، فطبخُوا الشاهي.

ثم إنها حضَرتْ صَلاةُ العصْرِ، فقامَ، وقال لي: تقدّمْ، فقلتُ له: لا أتقدم أبداً، فقالَ: لا بُدَّ من تقدّمِكَ لكي تحصُل للجميعِ البركَة. فتقدمتُ وصَليتُ بهم، فلما انتهتِ الصّلاةُ انعقَد المجلسُ، ودارتِ المذاكرَةُ في كَلام القَومِ، فأخذَ يملي علينَا من كَلامه ومِن حفظِه ما يقْضي بالعَجبِ.

ثم إني سألتُه: أنّ بعضَ الصُّوفيةِ يقُول: محيى الدين ابنُ عرَبي ختْمُ الأولياءِ، والشيخُ التيجَانيُّ يقولونَ تلامذتُه أنه ختْمُ الأولياء، وقَصْدي أعلَمُ ما عندَه. فقالَ لي: إنّ لكل زمانٍ ختمٌ. ثُم قالَ لي: هل تَعْرفُ كتابَ «عَنقَاءُ مَغْربِ»[1] للشَّيخ الأكبر؟ فقلتُ له: نعَم؛ أعْرِفُه. فقال لي: إنّي قرأتُه، وعرَفْتُ رموزَه، ومن جملَتِها ما حدَثَ الآن في مملكة آلِ عُثمان.

ثم إنه سألَني أيضاً عن سيدي عليٍّ، فقالَ: إني أعرِفُه، أسْمِعْني من كلامه، فأسْمعتُه، فقال: هذا كلامُ العارفينَ بالله أهلِ المحبّةِ ، ثم قالَ: إن شاءَ الله آتي إلىٰ حضْرَموت، وأنظرُ الحبيبَ عليّ.

ثم قالَ: أنا في هذِه الأيّامِ متوَجِّهٌ إلىٰ دمشقَ، ثم إني سَألتُه عَن رِجالٍ من الصالحينَ كنتُ لقيتُهم في دمشْقَ، وعن أحوالهم. فقالَ: أعرِفُ منهم جملةً، فقلتُ: ما تقولُ في فلانٍ؟ فقالَ: ذاك معه تلهّفٌ وقوّةُ وجهَةٍ، ولكِنْ ما وجدَ من يأخذُ بيدِه، وشيخُه قدْ ماتَ. فقلتُ: وما تقولُ في فلان؟ فقالَ: ذاك واقفٌ، ما عندَه سَيرٌ، ولكنّ اعترافَه ينفعُه إن شَاءَ الله. ثُمّ قالَ لي: إذا وصلتَ إلىٰ مكةَ، فاسألْ عن الشّيخ مرادٍ القَازانيّ[2]، واقصِده، فإن عندَه كتباً تعجِبكَ. ثمّ ودعتُه وأنا في غايةِ الأسفِ على فُراقِه، ورجعت إلىٰ محلّي.

---

(١) وله عدة أسماء منها «السر المكتوم»، وعليه عشرة شروح، ذكرها وذكر نسخ الكتاب وما يتعلق به، الأستاذ رياض المالح في «الشيخ الأكبر»: ص ٣٣٦.

(٢) محمد مراد بن عبدالله القازاني المكي الحنفي، له اشتغال بالتاريخ. ولد في (قازان)، وجاور بمكة أكثر من أربعين عاما، ورحل إلىٰ (روسيا) قبيل الحرب العامة الأولى، ومنها إلىٰ الصين الشمالية فأقام بها في بلدة (جوكاجك) إلىٰ أن توفي سنة ١٣٥٢هـ، وقد جاوز التسعين. من كتبه: «ذيلُ الرَّشَحات»، ترجمه عن الفارسية. عن «الأعلام»: ٧/ ٩٥. روى عنه السيد عبدالحي الكتاني، ذكره في «فهرس الفهارس» في عدة مواضع: ٢/ ٥٧٩، ٦٩١، ٧٥٢.

[زاوية الشيخ ظافر المدني]

ثم في يوم من الأيامِ؛ توجّهتُ إلىٰ زاويةِ الشَّيخِ ظافرٍ[1]، رحمه الله تعالى، فوجدْتُ بها أولادَه الكرامَ، وضَريحُه إلىٰ جانبِ الزاويةِ، فزرْنَاهُ، وجلَسْنا مع أولاده: إبراهيمَ، وإخوانه، وهم في غايةٍ من حُسنِ الأخلاقِ، وظَرافةِ الذّواتِ.

ثم إنهم طلبُوا منِّي أن أطلعَ إلىٰ أعلَى الزاويةِ، فطلعتُ، فوجَدْنا عندَهم نزيلاً رجلاً من أهلِ الغَرْبِ، من بيتِ السنوسيّ[2]، وهو من العلماء في كلِّ فنٍّ، فتذاكرتُ معَه، فوجدْتُ له معرفَةً كَاملةً بعلْم الحديثِ، ويعرفُ من غريبِ الحديثِ شيئاً كثيراً، ويتكلّمُ على بعْضِ المعاني، وطالَ معه الخطابُ، وفرحْتُ بهِ كثيراً، وفرِحَ بي، ثم قالَ: لا بدَّ من أن تأتيَ إلينا مرةً ثانيةً، فقلتُ له: إن شاء الله، ثم ودعتُه وانصرفْتُ.

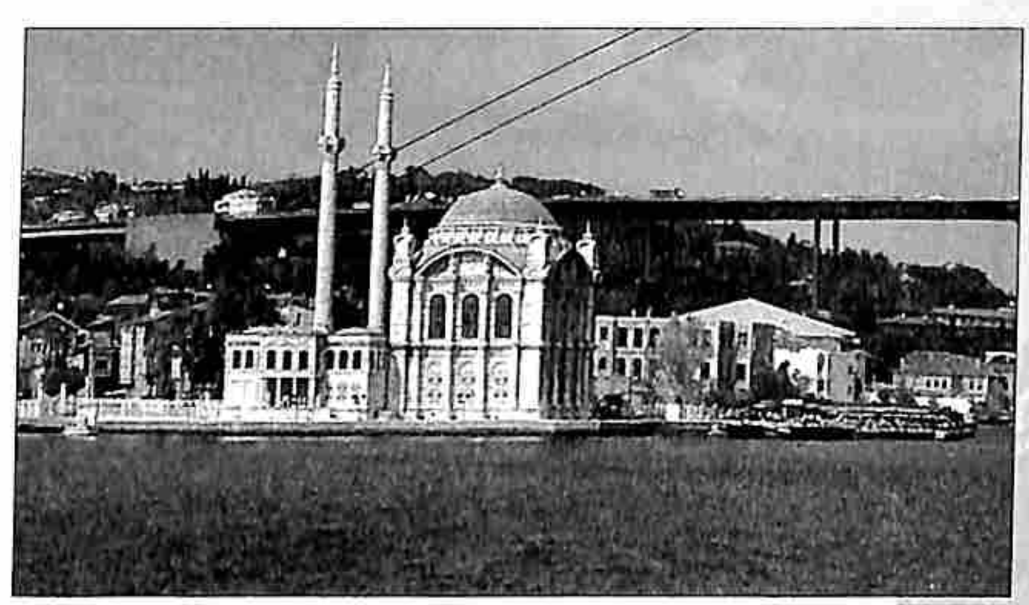
* * *

(١) محمد (ظافر) بن محمد حسن ابن حمزة ظافر، الطرابلسي المغربي المدنى، فقيه مالكي، شاذلي الطريقة، ولد سنة ١٢٤٤هـ، في مسراتة (بطرابلس الغرب)، وسكن المدينة المنورة فنسب إليها، واستقر شيخا لزاوية الشاذلية بالآستانة، وتوفي بها سنة ١٣٢١هـ، وكان وثيقَ الاتصالِ بسلطانها العثماني (عبدالحميد الثاني)، ينظر: «الأعلام»: ٧/ ٧٦،

(٢) لعله السيد العلامة المجاهد أحمد الشريف، توفي بالمدينة المنورة سنة ١٣٥١هـ.

[جولةٌ في مكتبة مدْرَسة السلطان بايزيد]

ثم في يوم من الأيّام؛ توجهْتُ إلىٰ كتُبْخَان، المجاورَة لمسْجد بايزيد، وفي صُحبتي [/ ١٢١] أخي محمّدُ مكّي بن عزُّوز، فوجَدْتُها مدرسةً عظيمةً، وفيها من الكتبِ ألوفٌ عديدةٌ، من بينِ طابعٍ وقلمٍ. وفيها من التفاسيرِ الشيءُ الكثيرُ، وكتُبِ الحديثِ، ومن جملتِها: شرُوح «المشْكَاة»، وشروحُ «البخَاريّ»، وشروح «مسْلمٍ»، مثلَ: «المعْلِم»، و«المفْهِم».



مسجد السلطان بايزيد من الخارج

وفي التصَوُّفِ كتبٌ كثيرةٌ، ومنها مَا كانَ من تصَانيفِ الشَّيخِ الأكبر، مثلَ «الفتُوحات»، و«الفصُوص»، وشُروحها، و«كتَابُ العَبادلة»[1]، وهو خمسةُ أجزاءٍ، كتابٌ عَظيمٌ حَافلٌ، على نسَقٍ غريبٍ، يتكلّمُ على كلِّ من اسْمُه عبْدُ الله مع إضَافةِ بعْضِ وصْفٍ، ويتكلّمُ على حالِه ومقَامه. وله قاعدَةٌ غريبةٌ، فتتبعتُ الأسماءَ، فلم أجِد اسْماً من أسْماء من أعْرِفُهم. والظّاهرُ؛ أنه جعلَ أسْماءَ العبادِلَة وشَرحَ معَانيها اصْطلاحاً، على حسَبِ قصْدِه ووارِدِه، والله أعلَمُ.

---

(١) طبع بمصر بتحقيق عبدالقادر أحمد عطا. وينظر: «الشيخ الأكبر»: ص ٣٢٣.

ورأيتُ أيضاً: كتابَ «الرمُوزُ اللاهُوتية»[١]، للشيخ الشَّهْرَزُوريّ[٢]، والذي يظهَرُ لي أنّه صَاحبُ القَصيدَةِ التي أولها:

لمعتْ نارُهم وقَدْ عسْعَسَ اللَّيـ ـلُ ومَلَّ الحادِي وحَار الدَّليلُ
فتـأملتُها وفِكْـري مـنَ البَينِ عَليلٌ وطَرْفُ عَينِي كَليلُ[٣]

إلىٰ آخرِهَا، وهي قَصِيدةٌ غراءُ.

---

(١) تمام اسمه: «الرموز والأمثال اللاهوتية في الأنوار المجرد الملكوتية»، يقع في مجلد كبير، على قول البغدادي في «هدية العارفين»: ٢/ ١٧، منه نسخة في طوبقبو (٣/ ٦٥٣) ذكرها الزركلي، وأخرى في المكتبة الأزهرية (١/ ١٠٥) برقم (٣١٤٥٣٧).

(٢) محمد بن محمود، شمس الدين الإشراقي، الشهرزوري الحكيم، كان حيا سنة ٦٨٧ سبع وثمانين وستمائة، وله مصنفات غير ما ذكر. «هدية العارفين»: ٢/ ١٧، و«الأعلام»: ٧/ ٨٧. ووقع كحّالةُ في أوهام في ترجمته، فأرخ وفاته في سنة ١٠٠١هـ.

(٣) إنما صاحب القصيدة الشاعر المرتضى، واسمه عبدالله بن القاسم بن المظفر الشهرزوري، ولي قضاء الموصل وبها توفي سنة ٥١١هـ، أو ٥٢٠هـ، ينظر: «الأعلام»: ٤/ ١١٤، و«وفيات الأعيان»: ١/ ٢٥٣.

ولهذه الأبيات مكانة وتأثير في قلب صاحب هذه الرحلة، جاء على لسان الحبيب عبدالقادر السقاف (ت ١٤٣١هـ) قوله حاكيا بعض اخباره: «جِئْنا ليلة من الليالي بعد العصر مع الحبايب عمر بن حامد، ووالدي، وحسين بن طاهر، والحبيب حسين بن عبدالله الحبشي، إلىٰ عند الحبيب شيخ، وكان الحبيب شيخ يضحك الشيابة وهم يحترمونه باعتباره أخو الحبيب علي، فقال والدي لعمي حسين بن عبدالله الحبشي: أنشد لنا بقصيدة ابن عبدالله الشهرزوري، فأنشدها:

لمعتْ نارُهم وقَدْ عسْعَسَ اللَّيـ ـلُ ومَلَّ الحادِي وحَار الدَّليلُ

والحبيب حسين صاحب صوت زين وذوق، فلما بلغ إلىٰ قوله:

قلـتُ أهـلَ الهـوى سـلامٌ عليكـم لي فـؤادٌ عنكـم بكـم مشـغولُ

صاح عمي شيخٌ صَيحةً عظيمة كبيرة، وفيها أحسِبُ أنه وقَع على الأرْضِ، فلما أفاقَ طلبَ من الحبيب حسينٍ إرجاعَ القصيدة، فردَّها». «جني القطاف»: ص ٩٩.

ورأيتُ أيضاً: كتابَ «المقْصِدُ إلىٰ الله»[١]، للشَّيخِ الجنيدِ بن محمدٍ[٢]، شَيخ الطائفةِ. ورأيتُ أيضاً: كتابَ «جمع الفَوائد من جَامع الأصُولِ ومجمَعِ الزَّوائِد»[٣]، للشيخِ العلامةِ محمّد بن سليمان المغربي المالكي[٤]، نزيلِ مكّة المشرفة، قالَ فيه: عن أبي أيوب: «[رَكعَةُ] الوِتْر حَقٌّ على كُلِّ مُسْلم، فمَنْ أحبَّ أن يُوتِرَ بخمْسٍ فليفعَلْ، ومَنْ أحَبَّ أن يُوتِرَ بثَلاثٍ فليفْعَل، ومَن أحَبَّ أن يُوتِر بواحِدةٍ فليفْعلْ»، هذه الروايةُ لأبي داودَ[٥]، زادَ النَّسَائيُّ: «ومَنْ شَاءَ أوْمَأ إيماءً»[٦]، انتهى.

وكتبَ بعضُ العلماءِ على الهامشِ: «قوله: «ومَنْ شَاء أوْمَأ إيْماءً»، يحتمَلُ أن يصليها إيماءً، ويمكنُ أنه يرادُ مجرّدُ الإشَارةِ بالرأسِ، والمرادُ منه: التيسير فيه، والحثّ عليه، ولو بالإيماءِ المعروفِ في الصّلاة أو غيرها، والمرادُ المبالغَة في فعله، ولَو بالإيماء»، انتهى.

[ابن عزوز يستنسِخُ كتابَ «العَبادلة»]

ثم إن الشيخَ مكّي بن عزّوزٍ، الذي معي، أعجبه كتاب «العَبادِلَة»، وقال: إني دخلتُ مراتٍ إلىٰ هذه المدرسة، ولم أطلع على هذا الكتاب، ولا شكَّ أن هذا بهمّتكم.

---

(١) في الأصل (القصد)، والصواب ما أثبت، كما سماه خليفة في «كشف الظنون»: ٢/١٨٠٦، والبغدادي في «هدية العارفين»: ١/ ١٣٨.

(٢) الشيخ الجنيد بن محمد البغدادي، ولد سنة نيف وعشرين ومئتين، وتفقه على أبي ثور صاحب الشافعي، توفي سنة ٢٩٨هـ.

(٣) طبع في ميرته بالهند سنة ١٣٤٦هـ، ثم في دار الأصفهاني بجدة ١٣٤٥، بتصحيح الشيخ محمد عاشق إلهي، ثم في المدينة المنورة ١٣١٨، في (٣) مجلدات، وفي مطبعة دار التأليف بالقاهرة ١٣٨١ وبذيله (أعذب الموارد في تخريج جمع الفوائد) للسيد عبدالله هاشم اليماني المدني، ثم في دار ابن حزم ببيروت ١٩٩٨ في (٤) مجلدات، وعدد أحاديثه (١٠١٣١) حديثاً.

(٤) ينسب إلىٰ تارودانت بالمغرب الأقصى، توفي بمكة سنة ١٠٩٤هـ، «الأعلام»: ٦/ ١٥١.

(٥) أبو داود (١٤٢٤)، وأول الحديث عنده: «الوتر حق»، بدون زيادة (ركعة) في أوله.

(٦) النسائي في «المجتبى» ٣/ ٢٣٩ (١٤٠٦).

ثم إنه طلبَ من الكَتَبَةِ الكائنينَ بتِلْكَ المدرسةِ أن يكتبُوا له هَذا الكتابَ، فاصْطلحَ معهُم على أجْرةِ الكتَابة.

[لقاءٌ عابرٌ معَ إسْماعيل باشَا البغدادي]

ثم خرَجْنا من المدرَسةِ، فاجتمعْنا في طريقِنا برجُلٍ من العُلَماء، فقال لي الشيخُ الذي معي: هذا الرجلُ[1] صنّفَ ذيلاً على «كَشْفِ الظُّنُونِ»[2]، وهو في آخر التصنيفِ. فتكلَّمْنا معَه برهةً خفيفةً، ثم قالَ: إني أطلبُ منكَ أن تكتُب أسماءَ [/ ١٢٢] الكتُبِ التي من تصَانيفِ السّادة العلَويين وغيرِهم، من أهْلِ قُطْرِكم فكتبتُ بعضَ الأسْماءِ التي في حِفْظي، ثم قالَ: إذا تمَّ طبعُ كتَابي هذا أرسِلُ لكم منه نسْخةً، ثم رجَعتُ إلىٰ المحلِّ الذي أجلِسُ فيه.



[وَصْفُ إسْطَنبُول]

وفي يومٍ من الأيام؛ دخلَ عليَّ رجلٌ من أهَالي إسْطَنبُول، خَبيرٌ بها، فطلبْتُ منه أن يكتبَ لي حدُودَ هذهِ البلَد، وما فيها من خلقٍ، ومحاكم، ومسَاجد، وغيرها. فبعْدَ يومينِ أتَى لي بورَقة فيهَا ما ذكرَه هُنا، فقال:

«**إسطَنبُول**؛ هي جهتينِ، والبحْرُ ما بينَهما. **جهةُ أورُبّا**، وهي: **الرُّومْلي**، ذرعُه ألفٌ وتِسْعمائة كيلومتر مربع، **وجِهةُ آسيا**، وهو: **الأناضولُ**، تابعٌ لولاية إسطنبول، وهو أربعة آلاف كيلو متر. وتُجمَع إسطنبول على عِشْرين بلديةً، وتشملُ على مائةٍ

---

(١) هو المؤرخ إسماعيل باشا البغدادي البابانى، عالم بالكتب ومؤلفيها. باباني الاصل، بغدادي المولد والمسكن. أقام زمنا في (مقري كوي) بقرب الآستانة، مشتغلا باكمال كتابه «إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون»، توفي سنة ١٣٣٩هـ، عن: «الأعلام»: ١/ ٣٢٦.

(٢) تمامه: «.. في أسماء الكتب والفنون»، أشهر وأهم المراجع البيبليوغرافية للمصنفات العربية، مصنفه مصطفى بن عبدالله كاتب جلبي، التركي، المتوفى سنة ١٠٦٧هـ = ١٦٠٩ - ١٦٥٧ م، عن: «الأعلام»: ٧/ ٢٣٦.

وسَبعةٍ وثلاثينَ قريةً، وتشتمِلُ على ثلاثِ مديرياتٍ، وعلى ستّةِ قُضَاةٍ (قَائِم مقَام). وعلى ثلاثِ متَصرِّفياتٍ: أسْكُدار، وبيوغلي، وشتالحة.

وعَددُ سكانها: (مليونْ نَفْس)، وحَاراتها: (٧٢ ألفِ حَارَةٍ)، وفيهَا (ثلاثين ألف عربية)، و(خمسةٌ وثلاثون طرومْوَي)، و(عشرونَ أتُومْبيل). ويُذْبَحُ فيها من الغَنم كلَّ يومٍ: (ثمانيةُ آلافٍ)، ومن البقَر: (ثلاثَةُ ألفٍ).

ومراكبُ الشّركَة التي تحمِلُ الناسَ من الجانبِ الرُّومْلي إلىٰ الأناضول، وبالعكس، نحْو (ثمانين بابوراً)، وأما البوابيرُ الخارِجَة والداخِلة كلَّ يومٍ في البُوغَازِ، التي تنفُذ إلىٰ البحْر الأحمر، فما ينيفُ على (مائةِ بابُورٍ)، وأما المتفرقة في المراسي فنحْوُ (خمسمائةِ بابُورٍ)، وفيها ما كان باسْمِ الدَّولة، وفيهَا ما كان باسْم الأجانبِ، وتحتوي على (خمسَةِ آلافِ مسجدٍ)، ما بين جامعٍ ومسْجد، و(خمسمائة حمامٍ) برِّيٍّ وبحْريٍّ، و(خمسينَ زاويةً) للمَشايخ، ومنهُم المولَوية، ولهم الاسْمُ الكَبيرُ في الآستانة».

[تلبيةُ دعْوَة الشيخ إبراهيم ظَافر]

وفي يومٍ من الأيامِ؛ دعاني إلىٰ مَنزله الشيخُ إبراهيمُ ظَافر، وهو بعيدٌ عن المحلِّ الذي أنَا فيه بنحْوِ ثلاث ساعاتٍ بحْراً وبرًّا، فتوجهت أولا إلىٰ (أسكلة حيدر باشَا) في بابورٍ، ثم نزلتُ منه، وركبتُ سكَّة الحديدِ، ثم نزلتُ منها وركبتُ علَى عربيةِ خيلٍ، حتى وصلتُ إلىٰ محلِّه.

فوجَدتُه في انتظارِنا، وبمعيَّتي ابنُ أخي حُسَين[1]، والسيدُ أحمد بن فضلٍ، فنزلْنا في بيتِه، وقابلَنا كمالَ المقابلةِ، والبيتُ المذكورُ في غايَة الظَّرافَةِ والحسْنِ، وحوله بستانٌ جميلٌ، فتناولنا الطعَامَ، وجلسْنا عنده مدةً طويلةً، وهو في غايَةٍ من الأخْلاقِ الحسَنةِ ولطَافةِ الحديثِ. ثمَّ أخذ يقصُّ علينَا ما كانَ من حَالاتِ والدِه مع السّلطانِ

---

(١) هو السيد محمد بن حسين.


مقام أبي أيوب

عبدالحميدِ، وكان والدُه والسيدُ فضلٌ بمنزلَةٍ واحدَةٍ من جِهَةِ المقابلة مع السّلطانِ بالحقِّ والصدْقِ، وكان السيدُ فضلٌ أرفَعُ [/ ١٢٣] رتبةً عندَ السلطان. ثم إنا ودّعناه ورَجَعْنا.

[زيارة الشريف أحمد في نظارة الأوقاف]

ومَرَرْنا على الشريفِ أحمَدَ القَائمِ في نظَارة الأوقافِ، وأضَافنا تلكَ الليلَةَ، وبتنا عندَه، وهو حفيدُ الشَّريفِ عبدِالمطَّلبِ(١). والشَّريفُ عبدُالمطلبِ المذكورُ كانت له صحبةٌ أكيدَةٌ معَ الوالدِ محمد، رحمة الله عليه، في مكّةَ المشرفةَ، فتذاكرْنَا في ذلكَ مع الشّريفِ المذكُورِ، فلما أصبحَ الصّباحُ، رجَعنا إلىٰ محلِّنا.

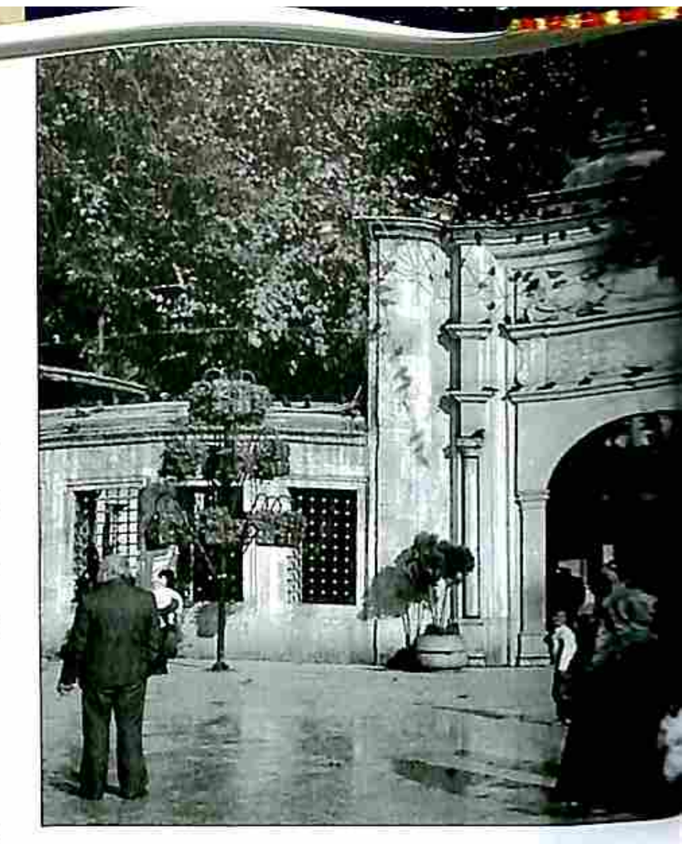
[زيارَةُ قبرِ الصَّحابيِّ أبي أيوبٍ رضي الله عنه]

وفي يَومٍ من الأيامِ؛ توجَّهْنا إلىٰ زيارةِ سيِّدِنا أبي أيوبِ الأنصاريِّ رضي الله عنه، وكان ذلكَ يومَ الجمُعةِ، وهو في جَانبِ إسطنبولَ الغربيِّ. فركِبنا في بابورٍ مسَافةَ سَاعةٍ فلكيةٍ، حتى وصَلْنا إلىٰ الحارَةِ التي هُو فيهَا، وهي قريبةٌ من البَحْرِ، فنزلْنَا وقصَدنا الجامِعَ، وتوضَّأنا، وجلَسْنا لانتظارِ الصَّلاةِ.

وكان ضريحُ سيّدنا أبي أيوبِ الأنصَاريُّ إلىٰ جانبِ الجامعِ، فصَلَّينا الجمعة. وبعْدَ الصَّلاة توجّهْنَا إلىٰ الضّريحِ في جمعٍ من الناسِ، ووقعَتْ زيارَةٌ عظيمةٌ، وإلىٰ جانبِ الضّريحِ المذكُور مصاحفُ قلمٍ، بخطٍّ جميلٍ حسَنٍ، فقرأنا ما تيَسّر من القرآنِ.

---

(١) توفي الشريف عبدالمطلب سنة ١٣٠٣هـ، وقد ناهز عمره (٩٤ سنة)، ينظر: «الإشراف»: ٥٤١-٥٥٤.



رضي الله عنه

[زيارَةُ أحد أحفاد السيدِ فضْل]

ثم خرَجْنا إلىٰ منزلِ السيدِ مصْطَفى بن حسَنِ بن فضلٍ، وهو جَالسٌ في تلكَ الحارَةِ، بعيداً عن أعمامِه، فقابلَنا وفرِحَ بنَا. ثم في عشيّةِ ذلكَ اليَوم، رجَعْنا إلىٰ إسْطَنبولَ، وإلىٰ منزلِنا في بيتِ السيدِ أحمدَ بن فضلٍ.

[مزاورَةُ بعْضِ الحجَازيّين]

وعند الصباحِ؛ وصلَ إلينَا السيدُ عقيلُ بن محمّدِ بن عبدالله السقّاف[1]، وسفيانُ باناجَة[2]، وطلبُوا منا أن نأتي إليهم إلىٰ بيتهم، فتوجّهْنا إليهم، وأخَذْنا عندَه مدّةً من النهارِ، وتناولْنا عندَهم الطعامَ، وانبَسَطْنا عندَهم غايةَ الانبسَاطِ، وهيئوا لنا منزِلاً خاصًّا لأجلِ كثرَةِ التردّدِ إليهم.

ثم رجَعْنا إلىٰ بيتِ السيدِ أحمدَ بن فضْلٍ، وصِرْنا نتردّدُ ما بينَ الأخِ أحمدَ بن فضلٍ، وبين سفيان باناجه.

والمذكُورُ هو عبدٌ من عبيدِ عبدِالله بن يوسُف باناجه[3]، ونِعْمَ العبدُ المذكورُ، فإنّ لَه من الأخْلاقِ الحسَنَةِ ما يفضُلُ بها بعضَ الأحْرارِ. وكان عندَه السيدُ عقيلُ بن محمّدِالسقّافُ، سيدٌ أديبٌ فاضلٌ، حصَل لنَا الأنسُ التّامُّ بمجالَسته ومحادثتِه.

---

(١) لعله أخو السيد حسين بن محمد السقاف، الذي تقدم ذكره في رحلة المدينة المنورة.

(٢) جاء في «كناشة» السيد أبي بكر الحبشي المكي (ص ١١٧)، قوله: «في يوم الجمعة، رابع جمادى الثانية، سنة ١٣٦٦، توفي ببلدة جدة الشيخ سفيان باناجه، وهو مولى آل باناجه، وكان في أيام الملك الحسين أمينا لصندوق المالية، رحمهم الله تعالى».

(٣) كان من جلة أعيان الحجاز ومثريه، وكانت بيوته في مكة وجدة منازل للسلاطين والملوك وعلية القوم، عينه السلطان عبدالحميد عضوا في مجلس المبعوثان، وأنعم عليه بالباشوية، توفي في جدة بعد سنة ١٣٣٢هـ. ينظر: «أعلام الحجاز» لمغربي: ٢/ ٢٤٢ وما بعدها.

[مَباهجُ عيدِ الجلُوسِ السُّلطاني]

ثم لما كانَ عشْرين رجَب سنةَ ١٣٢٨، مُوافِق عشْر شَهر تمّوز؛ دخَلَ وقتُ تَوليةِ السّلطانِ، ودخولِ (عيدِ المشْرُوطيةِ)، وهي القواعِدُ التي أسّسُوها على عَقْد مجلِسِ الشورَى، وهو المسمى الآن بالمبعُوثانِ، فنصَبوا الخيامَ، ونشَرُوا الرايَاتِ على البيوتِ، وفي تلكَ الليلةِ أوقَدُوا السُّرجَ والفوانيصَ أُلُوفاً.

وفي صباحِ تلك الليلة كانت المَناورَةُ في البُوغاز[1]؛ وهُو البحْرُ الحاجِزُ بينَ قِطْعتَي إسطنبول، الشّرقيةِ التي تسمَّى الأناضول، والغَربيّة التي تسمَّى الرُّومْلي. والمناورة؛ هي عبارةٌ عن سَير البوابيرِ الحربيةِ في البُوغَازِ المذكور، يميناً وشِمالاً، مع رفْعها للبنَاديرِ، وضَرْبِ [/ ١٢٤] المدافعِ.



واجتمعَ من الخلقِ في ذلكَ اليومِ عَددٌ كثيرٌ، وكانَ يومَ السبْتِ، وكانَ الاجتماعُ للتفرُّجِ على رَصيفِ البوغَازِ، واجتمعَتْ نحْوُ سَبعينَ بابوراً من البوابيرِ الحربيةِ التي باسْمِ الدولة وبوابيرِ الأجانبِ عدَدٌ كثيرٌ.

ومولانا السلطانُ محمّدُ رشَاد في بابُورٍ حربيٍّ كبيرٍ، معَدٌّ لَه ولمن يليقُ بمُجَالستِه، مثل الصَّدْر، وشَيخِ الإسْلام. وعلى البَابُور المذكُورِ من الزِّينَة والراياتِ المنشُورَة المنوَّعةِ الألوانَ شيءٌ كثيرٌ. وبوابيرُ الأجانِب معَدّةٌ لمن أرادَ أن يتفرَّجَ، يسلّمُ قدْراً من الدّراهمِ ويطلَعَ إلىٰ البابُورِ، وأما بوابيرُ الدَّولةِ معدَّةٌ للمأمورينَ، وأهلِ الرُّتَبِ، أو مَن كان نزيلاً عندَهم.

ثم إنّ بعْضَ الأحبابِ أتَى إلينا بِأوراقٍ لأجْلِ الطُّلوعِ إلىٰ بعْضِ البوابير للتفرُّجِ، وتوجّهْنَا، فلما وصَلْنا إلىٰ الرّصيفِ، ورأيتُ كثْرَة الخلْقِ، واختلافَ ألسِنَتهم وأدْيانهم، لم أستَحْسنِ الطلُوعَ. وأما الولَدُ محمّدُ بنُ حُسَينٍ فتوجّه وطلعَ معَهم إلىٰ

---

(١) البوغاز (Bogaz)، كلمة تركية، تعني: المضيق. «الدخيل»: ص ٤٤.



البَحْر، وأنا رجعتُ مع بعْضِ الأحبابِ إلىٰ بيتٍ جميل مطلٍّ على البُوغَاز، فترَى جميعَ البوابيرِ، وتَرى كيفيةَ المَناورَةِ، فطلَعْنا إلىٰ البيتِ المذكُور، وتفرّجْنا على ما صَارَ، مع كَمالِ الراحةِ. والتِي أوقَدُوهَا من السُّرجِ والفَوانيصِ[1] المنوّعةِ الشكلِ شيءٌ كثيرٌ، فترَى على كلِّ بيتٍ من بيوتِ أهْلِ الرُّتَبِ نحواً من ثلاثةِ ألفِ فَانُوص. وفي ذلكَ الوقت كان خِدَيْوِ مِصر[2] في إسطنبُولَ.

فالّتي وضَعَها من السرُجِ والفَوانيصِ نحوٌ من اثنَي عشَر ألفاً. واجتمعَ في ذلك اليَومِ مئَاتُ الأُلوفِ من الخَلقِ، وانتهى على حفْظٍ وسلامَةٍ، ورَجعْنا إلىٰ منازلنَا.

[نزهةٌ ختَامية]

ثم توجّهنا في يوم من الأيام؛ إلىٰ (بيُوغْلي)، حَارَةٌ كبيرَةٌ في إسْطَنبولَ، وإلىٰ جانبهَا (النّشْمةَ)، وهما حَارتَانِ في غَايةٍ من الانتظَامِ وعُلوِّ القُصُورِ، وهي محلٌّ للبيعِ والشّراءِ، وفيهما من البضَائعِ الغاليةِ والمجَوهَرات النفيسَةِ.



الخديو عباس حلمي الثاني

ومن سُكّانها الأفندِي علي، يمَنيٌّ، دعَانا للضّيافةِ، فتوجَّهْنا

(١) وتكتب بالسين، مفرَدُها: فانوس. كلمة معربة، محرفة من (فنار)، وهي أيضا دخيلة غير عربية، وتطلق على المصابيح الموضوعة في مشكاة الزّجاج لتقيها الهواء. «رد العامي»: ص ٣١٠، «المعجم الوسيط» مادة (فنس).

(٢) الخديو، دخيلة، تركية فارسية الأصل، (Hidiv)، تعني: الملك، أو الوزير. «الدخيل»: ص ٦٦. وكان خِدَيو مصر حينذاك هو عباس حلمي الثاني، من أحفاد محمد علي باشا الكبير، تولى حكم مصر في ٢ يناير ١٨٩٢م، إلىٰ أن خلع في ١٩ سبتمبر ١٩١٨م، ومات سنة ١٩٤٤م. «الأعلام»: ٣/ ٢٦٠. [صورته تظهر في هذه الصفحة].

إلىٰ بيتِه في سِكّة حديدٍ تمشي تحتَ الأرضِ بالنُّورِ الكَهْربائي، وفيها مواضِعُ للجلُوسِ جميلةٌ، تمشي تحتَ الأرْضِ مقدارَ نِصْفِ سَاعةٍ، حتى وصَلْنا إلىٰ بيت الأفَنْدي المذْكور، فأضافَنا، وقابلَنا كمالَ المقابلةِ، وله بيتٌ في غايةِ الحسْنِ والظُّرفِ، وكانت الضيافَةُ بالليلِ. ثم إنا رجَعنا إلىٰ بيتِ المحبِّ سُفيانَ باناجَهْ.

[مُغَادرَةُ إسْطَنبُول]

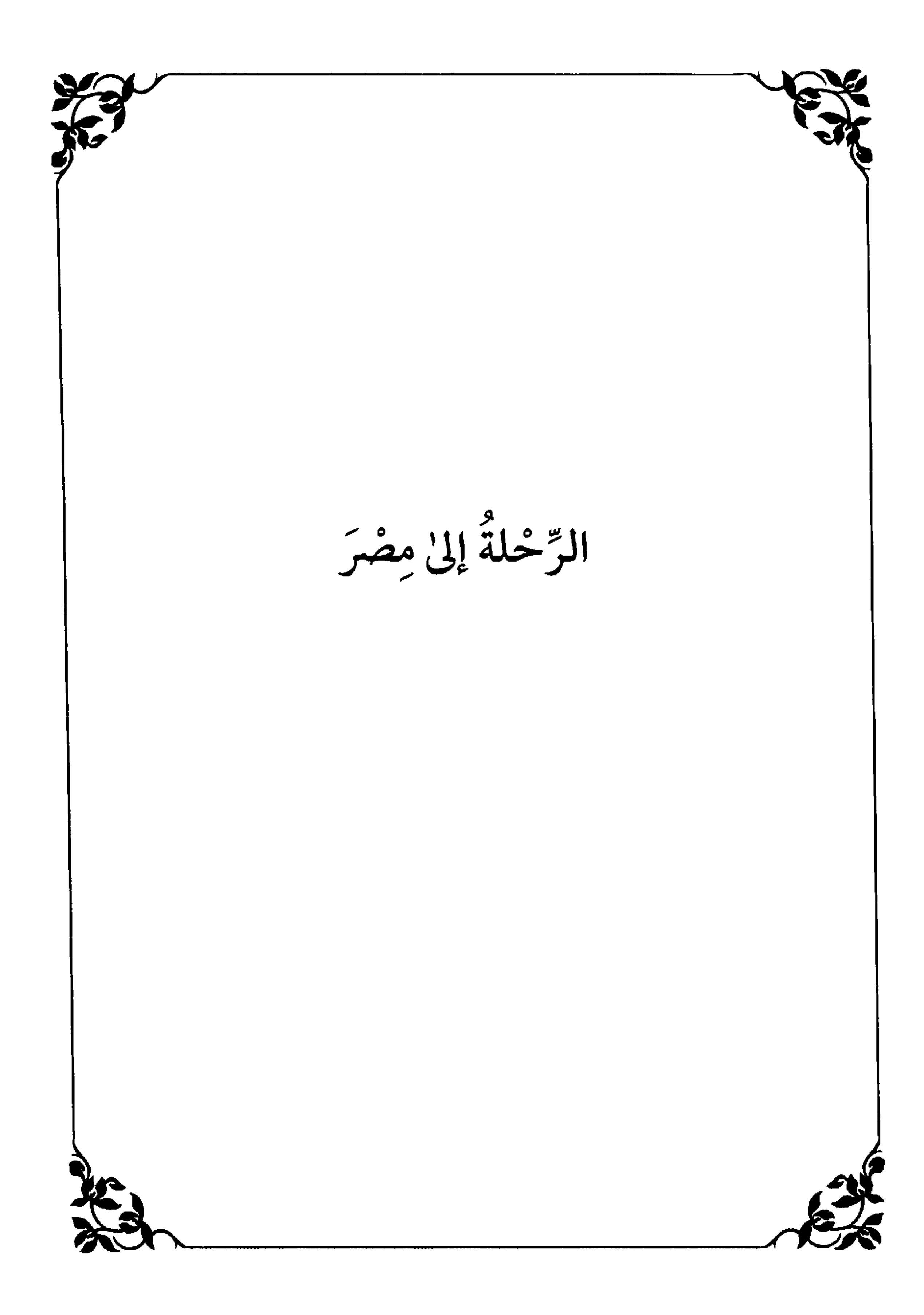
ثم لما كانَ يومُ الثلاثاء؛ لعلّه: ١٣ شوال سنةَ ١٣٢٨، عزَمْنا على التوجُّه من الآستانةِ في بابُورِ الشَّركةِ الخدَيويّةِ، المسماة بـ(العثمانية)، فحضَر لدَينا للاسْتيداعِ الشيخُ محمّدُ بنُ عزُّوزٍ، والشيخ إبراهيمُ ظافر، والسيدُ أحمد بن فضلٍ، وإخوانُه، والسيدُ علي مُرّاكشي، وسُفْيان أفنْدي باناجَهْ، والسيدُ عقيلٌ السقافُ، والسيد رسُول الأفغانيُّ، والأفنديّ علي حيدَر الشامي[1]، وجُملةٌ.

وبمَعيتنا في السَفرِ جملةٌ من أهالي مكّةَ، شرّفها الله، منهم الشيخُ عبدُ الله سُنْبل، والشيخ بَكر زَقْزُوق، والشيخُ محمّد عشري، فتوجّه البابُور في حفْظِ الله، حتى وصلنا أزْمِير، وأقَام نحْوَ خمسِ ساعاتٍ، ثم إلىٰ (بيرَة)، وهي أسكِلةُ عَاصِمة (اليونَانِ) المسماة (أثينَا)، وغالبُ سكَّانها نصَارَى، أهلُ تجارةٍ.

* * *



(١) ليس هو شارح المجلة العدلية، فذاك تركي توفي سنة ١٣٢١هـ، وأما المذكور هنا فلم أتعرف عليه.



الرِّحْلةُ إلىٰ مِصْرَ



[الوصول إلىٰ الإسكندرية]



الاسكندرية

ثمّ منها[١] إلىٰ الإسكندريّة.

وصَلْنا إليها على سَبعةِ أيام، يومَ السّبتِ صَباحاً، لعلّه ٢١ شَعبان، ونزَلْنا إلىٰ البرِّ، وتوجّهنا إلىٰ خَان القِرتْلّي، وفي صُحبَتنا الشيخُ بكْر زَقْزوق، وأمّا باقي الأصْحابِ فتوجّهُوا إلىٰ السُّوَيس، وقصْدُهم إلىٰ جُدَّةَ توًّا.

وأقمنا بالإسْكندريَّة ثلاثَةَ أيّام، في المحلِّ المذكُور، وعلى كلِّ فردٍ من الأشخاص في مقابلِ الأكل (ستةُ قرُوش مصريٍّ)، عن (نصْفِ ريال فرَانْصَة).

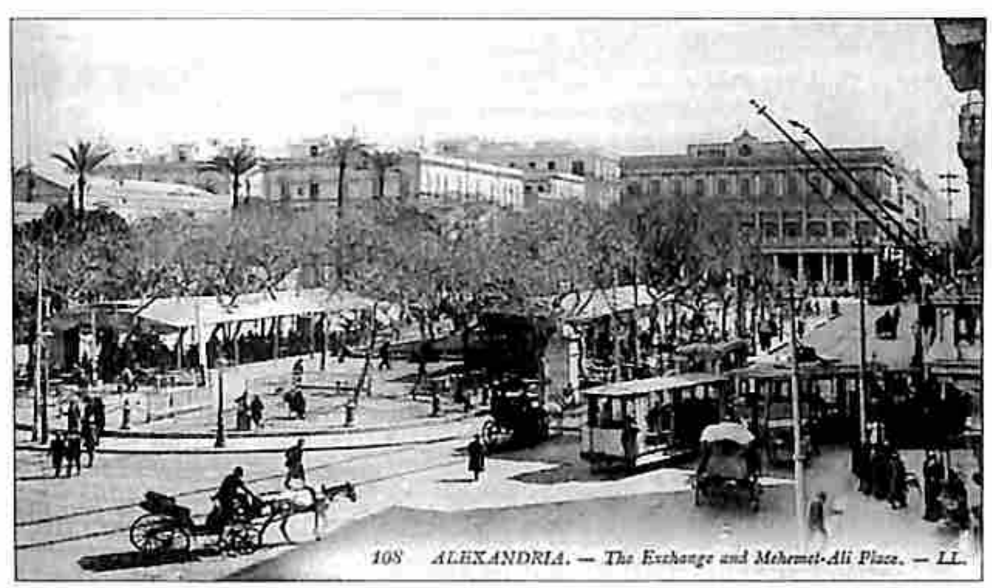
ثم في عشيةِ يومِنا، خرَجْنا للتفرُّج في إسكندرية، فأخذنا معنا شخصاً دليلاً، وخرجنا نمشي على الرِّجْل، فوجَدْناها بلدةً منظّمَةً، في غايَةٍ من الحسْنِ، وفيها

---

(١) أي: من أسكلة أثينا باليونان.

القصُورُ العالية، وأزقّتها مضْروبةٌ بالحجَارةِ، وبعضُها بالسِّمنْتِ الإفرنجي.

وفيها مغاراتٌ ودكَاكينُ وبنوكٌ ومسْتَودعاتٌ، قلَّ أن يوجدَ في غيرها مثلُها، من حسْنِ البناءِ وتَركيبِ الأبوابِ التي من القُزَازِ المتِين، وفيه محلٌ يقالُ له (المنْشيّة)، شارعٌ كَبير متّسِعٌ منظّمٌ.



ميدان المنشية

[ميدان محمد علي باشا]



تمثال محمد علي باشا على حصانه

وفي وسَطه جُنينةٌ فيهَا من أصْناف الأشْجارِ الملَوّنةِ، وحولها محلٌ منظّمٌ بالكَراسي، وفيه تمثالُ محمّد عَلي باشَا[١]، راكبٌ حِصَاناً، والتمثالُ من حديدٍ، يكاد التمْثالُ ينطِقُ، والحصَانُ يكادُ يتحرّكُ من حُسْنِ الصّنعةِ.

هذا منظَرٌ البلْدَة بالنهَار؛ ولما نظرْناهَا ليلاً فكأنها بلدَةٌ أخرَى، من إشراقِ نُورِ الكَهْرباءِ فيهَا بأنْواعِ مختلفةٍ، وزُجاجَاتٍ ملوّنةٍ.

---

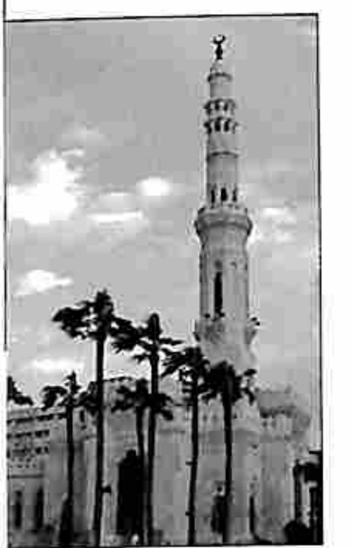
(١) هو محمد علي الكبير، حاكم مصر، توفي بالإسكندرية سنة ١٢٦٥هـ ودفن بالقاهرة. أصله من ألبانيا، وكان أميا وتعلم وعمره ٤٥ سنة، فاهتم في دولته بالتعليم. ينظر: «الأعلام»: ٦/ ٢٩٨.

وفي كُلِّ محلٍّ متسع قهوَةٌ معدَّةٌ لشَراب الشّاهِي والقَهْوة، واللبَنِ المعْقُودِ بالثّلج(١)، والعربياتُ فيهاً تجيءُ وترُوحُ. والحاصِلُ؛ أنها نزهةٌ كاملةٌ، والناظرونَ إليها كُلٌّ له مَقْصِدٌ ومَشربٌ، والله عَليمٌ بذاتِ الصّدورِ.

[زِيَارَاتٌ]

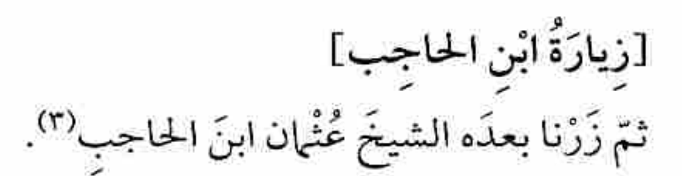
ثُمّ في اليومِ الثّاني؛ توجّهْنا لزيارَةِ من فيهَا من الأولياءِ والصَّالحينَ.

[زيارَةُ مقَام الإمَام البُوصِيريّ]



منارة مسجد البوصيري

فأولُ ما بَدأنا بالشَّيخِ الكَبيرِ، والوليِّ الشّهير، المخْلِصِ في محبّةِ البَشيرِ النّذيرِ، محمّدِ بنِ سَعيدٍ البُوصِيريِّ(٢)، مُصنّفِ «الهمْزية»، و«البُرْدَة».



[زيارَةُ ابْنِ الحاجِب]

ثمّ زَرْنا بعدَه الشيخَ عُثْمان ابنَ الحاجِبِ(٣).

[زيارَةُ مقامِ الشيخِ أبي العبّاسِ المرْسيّ]

ثمّ زُرْنا الإمامَ العارفَ بالله، أبا العبَّاسِ المِرْسيَّ(٤)، ووقعَتْ زيارَةٌ عظيمةٌ.

---

(١) يقصد به البوظة، أو الآيس كريم، كما يعرف اليوم.

(٢) نسبته إلىٰ بوصير، من أعمال بني سويف، بمصر، أمه منها، وأصله من المغرب، من قلعة حماد، من قبيل يعرفون ببني حبنون، ومولده في بهتيم من أعمال البهنساوية، ووفاته بالإسكندرية سنة ٦٩٦هـ. «الأعلام»: ٦/ ١٣٩.

(٣) فقيه مالكي، من كبار العلماء بالعربية، كان أبوه حاجبا فنسب إليه، كرديّ الأصل، ولد في أسنا، من صعيد مصر) ونشأ في القاهرة، وسكن دمشق، وماتَ بالإسكندريةِ سنة ٦٤٦هـ، «الأعلام»: ٤/ ٢١١.

(٤) الشيخ أحمد بن عمر المرسي، أبو العباس، شهاب الدين، فقيه متصوف، من أهل الإسكندرية، توفي بها سنة ٦٨٦هـ، لأهلها فيه اعتقاد كبير، إلىٰ اليوم، أصله من (مِرْسِية) في الأندلس. عن «الأعلام»: ١/ ١٨٦.



مسجد ومقام أبي العباس المرسي

[زيارة مقام الشيخ ياقوت]

ثمَّ توجّهنا إلىٰ الشيخِ الوليِّ العارفِ بالله، ياقوت العَرْشي.

وهذه الزياراتُ جميعُها، نحنُ والولَدُ المباركُ، محمّدُ بنَ حسينٍ الحبشي، والدعاءُ واحدٌ، والقَصْدُ والوُجْهَة.



مسجد ومقام الشيخ ياقوت

* * *

[زيارَةُ مقَامِ البدَويِّ في طَنْطَا]

ثُمَّ في اليومِ الثّالثِ؛ وصلَ لملاقَاتِنا من برِّ مِصر، من محلَّةِ (الدَّقَهْلية)، الشيخُ محمّدُ راضي، فباتَ عندَنا تلكَ الليلةَ.



مسجد ومقام السيد البدوي

وفي الصّباحِ، توجّهنَا معاً من إسكندريةَ في سكَّةِ الحديدِ إلىٰ (طنْطَا)، لزيارَة الإمامِ الكَبيرِ، الشيخ أحمَدَ البدَويِّ[1]، فوصَلْنا إليها في ذلكَ اليوم. وقصَدْنَا إلىٰ الجامعِ العَظيمِ الذي إلىٰ جَانبه ضَريحُ سيِّدِنا الشيخِ أحمَدَ البدويِّ، فصَلَّينا المغربَ، ثم تقدّمْنا إلىٰ ضريحِ سيِّدنا أحمدَ البدويِّ، وزرْنا، ووقَعتْ زِيارَةٌ عظيمةٌ، وزرنا إلىٰ جَانبه تلميذَه الشيخَ عبدالعالِ[2].

[تَعْريجٌ على الدَّقَهْليّة]

ثم خرَجْنا من الجامعِ بعدَ أن صلَّينا العشاءَ، وقصَدْنا سكَّةَ الحديدِ، وتوجّهنا إلىٰ (المنصُورَة)، ونزلنا في لَوكَندَةٍ، وبتْنا بها تلكَ الليلةَ [/١٢٦]. وفي الصَّباحِ عزَمْنا على التوجّه إلىٰ مِصر، فطلبَ منَّا الشيخُ محمّدُ راضي، الذي في صُحْبتنا، المرورَ إلىٰ

---

(١) أحمد بن علي بن إبراهيم الحسيني، أبو العباس البدوي، صاحب الشهرة في الديار المصرية. أصله من المغرب، ولد بفاس، وطاف البلاد وأقام بمكة والمدينة، ودخل مصر في أيام الملك الظاهر بيبرس، فخرج لاستقباله هو وعسكره، وأنزله في درا ضيافته، توفي سنة ٦٧٥هـ، ودفن في طنطا. عن «الأعلام»: ١/ ١٧٥.

(٢) توفي سنة ٧٣٣هـ، ينظر: «السلوك» للمقريزي، و«النجوم الزاهرة» لابن تغري بردي، و«شذرات الذهب» للحنبلي: ٥/ ٣٤٦.

بلادِه المسَماة (جَماليّة دَقَهْلية)، فخَرجنا على اسم الله، وإذا بالسَّيدِ هَاشِم مجاهِد، وصلَ من البِلادِ المذكُورَة لملاقاتنا، فاجتمَعْنا وسِرْنا معاً إلىٰ سِكَّةِ الحديدِ، ورَكبْنا فيهَا إلىٰ محلِّ الشّيخ محمّد رَاضي، في البلاد المذكورة.

فلاقَانا جملةٌ من أهلِ البلَدِ بالخيولِ والبغَالِ والحمِير، وأركَبُوني على فرسٍ جميلةٍ جدًّا، هي للشَّيخ طَه، رَيِّس (الكَفْرِ الجديد)، وبقيّةُ الأصْحاب رَكبوا كذلكَ. فنزلْنا في بيتِ الشيخ محمّد راضي، وأنزلَنا خيرَ منزلٍ، وقابلَنا كمالَ المقابلةِ، هُو وأولادُه، وهمْ طَلَبةُ علْم مبارَكُون. واجتمَع عندَ الشيخ محمّد راضي المذكورِ جملةٌ من جيرانِه وأهلِ بلَده، وحضَروا الوليمَةَ، وذكّرْناهم بعدَ ذلكَ، وحصلَ منهُم إقبالٌ كليٌّ، ثم قراءةُ «الرّاتبِ» للحَبيبِ عبدِ الله الحداد، وبتْنا تلكَ الليلةَ عندَ الشّيخ محمّدِ راضي.

وفي اليومِ الثّاني؛ أضَافنا عمْدَةُ البلدِ، الشّيخ طه الهوّاري، ووقَع عندَه جمعٌ عظيمٌ، ودخلْنا بيتَ السيدِ حسَين مجاهِد، وهو رجلٌ سَليمُ الصّدر، من أهل النور.

[المسيرُ نحْوَ القَاهِرة]

ثمَّ في اليَومِ الثّالثِ؛ توجّهْنا في سكّةِ الحديدِ إلىٰ محلٍّ يقَالُ له (المطَريّة)، ومعَنا جملةٌ من الأحبابِ، ووصَلنا إليها وقتَ العصْر، وصَلّينا. ثم إنّا من (المطَرية) ركِبنَا في سَفينةٍ صَغيرةٍ يقال لها (الذّهَبية)، تمشي في طرَفِ البحْر، فسَافرَتْ بنا تمشي بالشّراعِ،

حتى وصَلْنا إلىٰ (بورْت سعيد)[1]
نصْفَ اللّيلِ، فنزلنا على الرّصيفِ،
وأخذنا عربيةَ خيلٍ، فمشَينا في
نصْفِ البلدِ.
ثُم رجَعْنا إلىٰ (الذّهبيّة)،
وبتنا بِهَا إلىٰ أن أصْبحَ الصباحُ،
فأخَذْنا عربيةً أخرَى، ودُرْنا في باقي
البلدِ، ووصَلْنا عند (الكنال)[2]، وهو
الموضِعُ الذي تمرُّ فيه السفنُ ما بينَ البَحْرين،
وهُو في غَاية الانتظامِ والقُوّة، وعلى جوانبه شِباكُ
حديدٍ، من الطرَفِ إلىٰ الطّرفِ. ثم توجّهنا إلىٰ مَرْسَى سِكّةِ
الحديدِ التي تمشي إلىٰ مصْر، نحْنُ والشيخُ محمد راضي، ورجَعَ العمدَةُ
والشيخُ أبو حُسين ومَن معَهم، واستَودَعْنا منهُم، وكلٌّ منّا حزينٌ على فراقِ صَاحِبه.

ميناء بور سعيد

* * *

(١) بورت (Port)، إنجليزية معربة، تعني: الميناء. وبورسعيد، هي مدينة ساحلية مصرية، تقع شمال شرق مصر، وتطل على ساحل البحر الأبيض المتوسط عند مدخل قناة السويس، يحدها الشمال البحر المتوسط، ومن الشرق محافظة شمال سيناء ومن الجنوب محافظة الإسماعيلية ومن الغرب محافظة دمياط، يرجع إنشاء مدينة بورسعيد إلىٰ عام ١٨٥٨ م.

(٢) القنال، بقاف معقودة شرقية، أو بالكاف، معربة عن الإنجليزية (Canal)، ويقال: إنها محرفة عن الكلمة الفصحى (قناة)، وهي: الممر المائي، المَضِيق، وتقدم أنه (البوغاز) بالتركية. والقنال المعني بالذكر هنا، هو قنال السويس، التي حفرت زمن الخديو عباس حلمي، سنة ١٨٦٣م، وهي عبارة عن ممر ملاحي بطول ١٦٣ كم في مصر بين بورسعيد على البحر الأبيض المتوسط والسويس على البحر الأحمر، وتم افتتاحها في ١٦ نوفمبر ١٨٦٩م، واستغرق حفرها عشر سنوات.

[الوصُولُ إلىٰ القَاهِرة

الجمعة؛ ٢٨ شعبان ١٣٢٨هـ = ٤/ ٩/ ١٩١٠م]

وتوجّهنا في القَطْر الحديديّ العَصْرَ، فوصَلْنا إليهَا على خَمْسِ ساعاتٍ، فنزَلْنا على (الاسْتَيشَنْ)[١]، وركِبنا في عَربيةٍ إلىٰ بيتِ المكرَّم الشّيخ عمَر بن محمّدٍ باجنيد[٢]، فقابلَنا كمالَ المقابلةِ، وأنزلَنا خيرَ منزلٍ، ووجَدْنا عندَه السيدَ الشّريف حسَن بن محمدٍ البَار[٣]، فحصَل بوجُوده وحضُوره كمالُ الأنسِ والسُّرور.



ثمّ في اليومِ الثّاني من وصُولِنا، قدِمَ من الرِّيفِ الشيخُ سالم باجنيد[٤]، وهو ابنُ الشيخ عمر المذكُور، ففَرِحَ بنا وفرِحْنا به.

[زِيارةُ مَقام ومسْجدِ الإمامِ الحسَين رضي الله عنه]

ثم في يوم الأحَد؛ لعله ٣٠ شهر شعبانَ، خرَجْنا لزيارَةِ سيِّدِنا الحسَينِ ابن

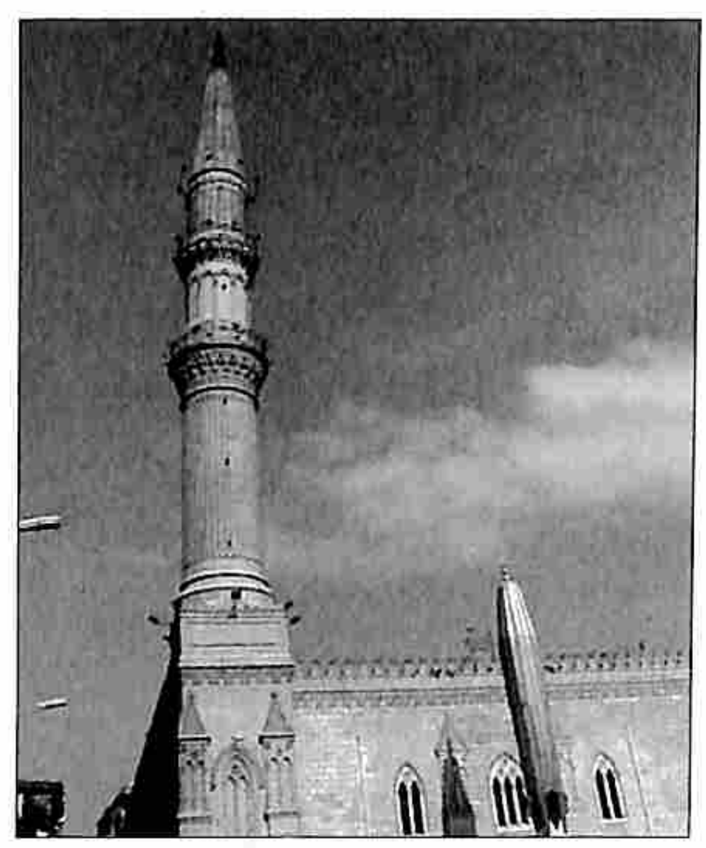
---

(١) إنجليزية معربة من (Station)، تعني: المحطة. وأهل المدينة كانوا ينطقونها (الإستصيون)، ينظر: «طيبة وذكريات الأحبة»: .

(٢) وهم من فرع المشايخ آل عبدالباسط، وقد يقال لهم (آل بابسوط)، وقد استضاف الشيخ عمر باجنيد وأخوه عبدالله، في عام ١٣٠٨هـ، العلامة الحبيب أحمد بن حسن العطاس، عندما زار مصر في تلك السنة.

(٣) كان السيد حسن البار متزوجاً بإحدى بنات الشيخ عمر باجنيد، وهي أم أبنائه: عبدالقادر، وحسين، ومحمد الغزالي، وأحمد. عن: د. **محمد علي البار**، (صهر السيد محمد الغزالي البار).

(٤) من أولاده بمِصْر: إسماعيل، وناجي، يزاولان التجارة.



منارة مسجد الحسين رضي الله عنه

سيّدنا علي بن أبي طالب، رضيَ الله عَنهما ونفعنَا بهما في الدّنيا والآخِرةِ، وصَحِبنا جملةٌ من أهالي مصْر، فدَخلْنا جامعَ سيّدنا الحسَينِ رضي الله عنه، وضَريحُه إلىٰ جانبِ المسجد في جهَةِ القبلةِ، وعليه قبّةٌ عَظيمَةٌ.

فدخَلنا إلىٰ القبة وسَلّمْنا على سَيّدنا الحسَينِ رضي الله عنه [/١٢٧]، ووقعَتْ زيارَةٌ عَظيمةٌ، استحْضَرتُ فيهَا سَيدي عليّ، وفَرِح بها من كان معَنا، نَرجُو الله قَبُولها. ثمّ في تلك الليلةِ؛ وهي ليلةَ الاثنين، قَدِم شَهرُ رمضانَ، أعاده الله علينَا في الأوطَانِ، مع سَلامة الأديانِ والأبدانِ في عافية.



صورة قديمة للقاهرة

[زيارَةُ مقَامِ السيّدَة زَيْنَب، والعيدَرُوس]

ثم في اليوم الثاني من رمضَان؛ وهو يومُ الثلاثاءِ، خرَجْنا لزيارَةِ السيدَةِ زينبَ، ابنةَ سيدي عليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه، فوجَدْنا عليهَا قبةً عظيمةً، وعندَها من الصالحينَ جملةٌ، فزُرْنا، ووقَعتْ زيارَةٌ مقبولَةٌ إن شَاء الله.

وزُرْنا إلىٰ جانبهَا، وهو في صَحنِ القبّةِ، سيدَنا القُطْبَ العارفَ بالله، عبدالرحمنَ بن مُصْطفَى العيدَرُوسَ(١)، وحصلَ للقَلْبِ كمالُ الأنسِ عندَ ضريحه.



[زيارَةُ مَقَاماتِ سيِّداتِ بَيتِ النّبوَّة]

ثُمَّ في اليوم الخامسِ؛ خرَجْنا لزيارَةِ السيدَةِ سُكَينة، والسيدَةِ نفيسَة، والسيدَةِ رُقيّة، وجملةٍ من أَهْلِ البَيتِ الكِرَام.

---

(١) توفي بالقاهرة سنة ١١٩٢هـ. ينظر: «الأعلام»: ٣/ ٣٣٨.



الوجهة — مسجد السيدة نفيسة — لوحة ١٨٤
١٣١٤هـ (١٨٩٧م)

[في الكُتبْخَانة الخدَيويّة]

ثم في اليومِ السَّادسِ؛ توجّهنا إلىٰ كتُبْخَانة الخدَيويةِ المصْرية(١)، وهي مُسْتَجَدّةُ البناءِ، حسَنةُ الموقعِ، عظيمةُ البناءِ، في غايةٍ من القوّةِ.

---

(١) نشأت دار الكتب بمبادرة من علي باشا مبارك، ناظر المعارف في عصر الخديوي إسماعيل، بقرار سنة ١٢٨٦هـ/ ١٨٧٠م، بتأسيس الكتبخانة الخديوية المصرية، في الطابق الأرضي بسراي الأمير مصطفى فاضل، شقيق الخديوي إسماعيل، بدَرْبِ الجماميز. وذلك من أجل «تجميع المخطوطات النفيسة مما حبسه السلاطين والأمراء والعلماء والمؤلفون على المساجد والأضرحة ومعاهد العلم»، ومع ازدياد نمو المكتبة وضيق المكان بمقتنياته، وضع حجَر أساس مبنًى جديدٍ للكُتُبخانة الخديوية ودار الآثار العربية، في ميدان باب الخلق، وقد خصَّصَ طابقَه الأرضيَّ لدار الآثار العَربية والطابق الأول وما فوقَه للكتبخانة الخديوية، وانتقلت إليه الدار سنة ١٩٠٣م، وفتح المبنى للمتردِّدينَ عليه في أول سنةِ ١٩٠٤م.



الكتبخانة الخديوية سابقاً

فدخَلْنا من بابِها، وطلَعْنا إلىٰ الدرَج، حتى وصَلْنا إلىٰ محلٍّ، وهو أولُ مَا يدخلُه الداخِلُ، وعليهَا حُجَّابٌ، فدخَلْنا، فوجَدْنا دواليبَ مُقْفلةً، وأبوابُها من الزُّجاجِ، ويُرَى ما في داخِلها من خَارِجها من غيرِ مسٍّ، والمنظُورُ من الخارجِ أوراقٌ، وجُلودٌ، وألواحٌ، وعِظامٌ، ومكتوبٌ فيه الخطوطُ القديمَةُ، وهي مِنْ قبلِ البعْثةِ، ومن [بعْدِ] البعثة.

ورأينا كتابَ المقَوقسِ الذي كتبَه النبيُّ ﷺ، ووجَدْنا كتاباً في خُوصِ النخْلِ، وورَقِ أشْجارٍ، وهي من قَديمِ الزمَانِ. وفي بعْضِ الدواليبِ مصَاحِفُ بالخطِّ الكُوفيِّ، ومصاحفُ أخرَى بخطٍّ حسَنٍ.

ورأينـا خـطَّ ابـنِ مقْلـةَ[1] المشْـهورِ، في أوراقٍ متعـدِّدة، في غايـةٍ مـن الحسْـنِ. والمصاحِفُ منوّعةُ الخطِّ، منهَا إسْطَنبوليٌّ، ولاهُوريٌّ، وصَنْعَانيٌّ، وغير ذلك.

ثمّ دخَلْنَا إلىٰ مَنْزلٍ آخَر، فوجَدْناهُ مغْتصًّا بالخلقِ، جَالسينَ على كَراسيّ،

---

(١) محمد بن علي بن الحسين بن مقلة، أبو علي، وزير من الشعراء الأدباء، يضرَبُ بحسن خطه المثل. ولد في بغداد، ومات بها مسجونا مقطوع اللسان بسبب وشاية، سنة ٣٢٨هـ. «الأعلام»: ٦/ ٢٧٣. [نمُوذجٌ لخطه في هذه الصفحة].

وأمامَهم طَربَيزَةٌ كبيرةٌ، وفوقَها مجلداتٌ موضُوعةٌ، وهي «الفِهْرِسْت» للكتُب الموجُودةِ في المحلِّ المذكُور. وفي الجانبِ الآخَر كراسيّ معَدّةٌ للجلُوسِ علَيها لأجلِ المراجَعة في الكتابِ الذي تطلبُه.


نموذج لخط ابن مقلة

فأخذتُ مجلداً من «الفِهرِسْت»، فتصفّحتُه، فوجَدتُ فيه من الكتُبِ أشياءَ كثيرةً، ورأيتُ فيه: كتابَ «الإمْتاعَ في أحكام السّماع»[1]، للإمام جَعْفر بن ثَعْلَبٍ الأُدْفَويّ[2]، وهو كتابٌ حافلٌ.

ومُضافٌ إليه «شرْحَ الكَلماتِ التي سَألَ عنها كمَيلُ ابنُ زيادٍ سيِّدَنا الإمامَ عليَّ بن أبي طالب»[3] رضيَ الله عَنهُ وكرَّم وجْهَه، وهي هذه:

«سأل كُمَيلُ بن زيادٍ رضيَ الله عنه سيدَنا الإمامَ عليَّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه وكرّم وجهه، فقَالَ لَه: ما الحقيقة؟. فقالَ له: مالَكَ وللحقيقَة يا كُمَيلُ. فقالَ له: ألستُ صَاحِبَ سرِّكَ؟ فقالَ: بلى؛ ولكن يطْفَحُ عليكَ مَا يرشَحُ منِّي. فقالَ له كُمَيلُ: أوَ مثلك يخيِّبُ سَائلاً؟.

فقَالَ له عليٌّ كرّم الله وجْهَه: الحقيقَةُ كشْفُ سُبُحَاتِ الجلالِ منْ غَير إشارَة، فقالَ له: زدني بياناً، فقالَ: هتْكُ السرِّ لغَلبة السّرِّ، فقالَ له: زدْني بياناً، فقالَ: محو الموهُومِ لصِحَّةِ [/ ١٢٨] المعلُومِ. فقال لَه: زِدْني بياناً.

---

(١) نسخة منه في المكتبة الأزهرية رقم (٤٦٢/ ٧٠٥٨ أدب، أباظة)، ومصورة عنها في معهد المخطوطات العربية (برقم ٤٣)، كما في «خزانة التراث»، النسخة الرقمية.

(٢) أبو الفضل، كمال الدين، مؤرخ، له علم بالأدب والفقه والفرائض والموسيقى، ينسب إلىٰ (أدفو)، بضم أولها، بلدة في صعيد مصر، توفي سنة ٧٤٨هـ، وقيل في اسم أبيه: تغلب، ينظر: «الأعلام»: ٢/ ١٢٢.

(٣) لم أقف على مؤلف هذا الشرح المشار إليه، ولم يذكر ضمن مؤلفات الأدفوي.

فقالَ: جَذْبُ الأَحَديّةِ بِصيغَة التَّوحيدِ، فقالَ له: زِدْني بياناً، فقالَ: نورٌ يشْرِقُ من صُبحِ الأزلِ، فتَلوحُ على هَياكلِ التّوحيدِ آثارُه، فقالَ له: زِدْني بياناً، فقالَ: أطفِ السّراجَ، فقَدْ طلعَ الفجْرُ»(١).

هذا أصْلُ الكَلِماتِ، وأشبعَ الفَصْلَ عليهَا الشارحُ المذكُورُ بعِبَاراتٍ لطيفَةٍ رَشِيقةٍ، حتى قالَ في آخِرِ كلامِه عليها:

«ولما أكْثرَ كُمَيلُ تمنّي الازْديادَ في البيَانِ، قال له الإمامُ عليه السلام: يا كميلُ؛ كمُلَ البيَانُ، فما بقِيَ عليكَ إلا العيانُ، قد ظهَر الصُّبحُ لذي عَينينِ، فإذا أضَاح(٢) الصَّباحُ لا يُحتَاجُ إلىٰ المصْباحِ»، انتهى كلامُه.



قال في «الأجْوبة الإلهاميةِ»:

«بمثل هذه الإشارَةِ يحسُن إبْرازُ الحقائقِ، فإنّه لفْظٌ جامعٌ بين الإخْفاءِ والإظهارِ، كما يجمع طلوعُ الفَجْر بين الليلِ والنّهارِ، لأنه وقتٌ تجتَمعُ فيه الظّلماتُ والأنوارُ، وهذا كلامُ الأمناءِ علَى الأسْرارِ».

ورأينَا في كتُبخَانة المذكُورَة شيئاً كثيراً من التفَاسِير الغَريبةِ، وكتُبِ الحدِيثِ، وكتُبِ الفقهِ، والتواريخِ. ومنها: «تَاريخُ الحمْيريّ»(٣)، ذكَر فيهِ اليمَنَ وحَضرَموت

---

(١) هذا النص استشهد به البرهان الكردي الكوراني في بعض ردوده على الزيدية، وتصدى له بالرد من علماء اليمن الشيخ إسحاق العبدي (ت ١١١٥هـ) وهو من تلامذة العلامة المقبلي، في كتابه «الاحتراس عن نار النبراس»، مخطوط في عدة مجلدات. ينظر: «البدر الطالع»: ١/ ١٣٣، «مصادر الفكر»: ص ١٥٤.

(٢) كذا في الأصل.

(٣) المقصود بالذكر هنا هو «القصيدة النشوانية»، التي مطلعها: «الأمر جد وهو غير مزاح»، لنشوان الحميري (ت ٥٧٣هـ)،وله عليها شرح يسمى «خلاصة السيرة الجامعة لعجائب أخبار الملوك التبابعة»، منه نسختان في دار الكتب المصرية، الأولى رقمها (١٣٥٩ تاريخ)، والثانية (١٦ ش). طبعت القصيدة وشرحها لأول مرة في ألمانيا سنة ١٨٦٥م، ثم في إنجلترا سنة ١٨٧٩م، ثم في

وملوكَها، وهو تاريخٌ حَافلٌ جَامعٌ.

ثمّ خرَجْنا من المحلِّ المذكُورِ ورجَعْنا إلىٰ مَنزلنا.

[زيارَةُ مقَامِ الإمَامِ الشَّافِعيِّ]

ثم في يومٍ من الأيام؛ خرَجْنا لزيَارةِ سيِّدنا الإمامِ الشّافعيّ، ووصَلْنا إلىٰ جامعِه، وهو جامعٌ عظيمٌ، يحتوي على عَقْدَين عظيمَينِ، ومن تحتِها أربعُ سواري، ما بين كلِّ ساريتينِ للأعْلَى ذراعُ يدٍ.



مسجد ومقام الإمام الشافعي

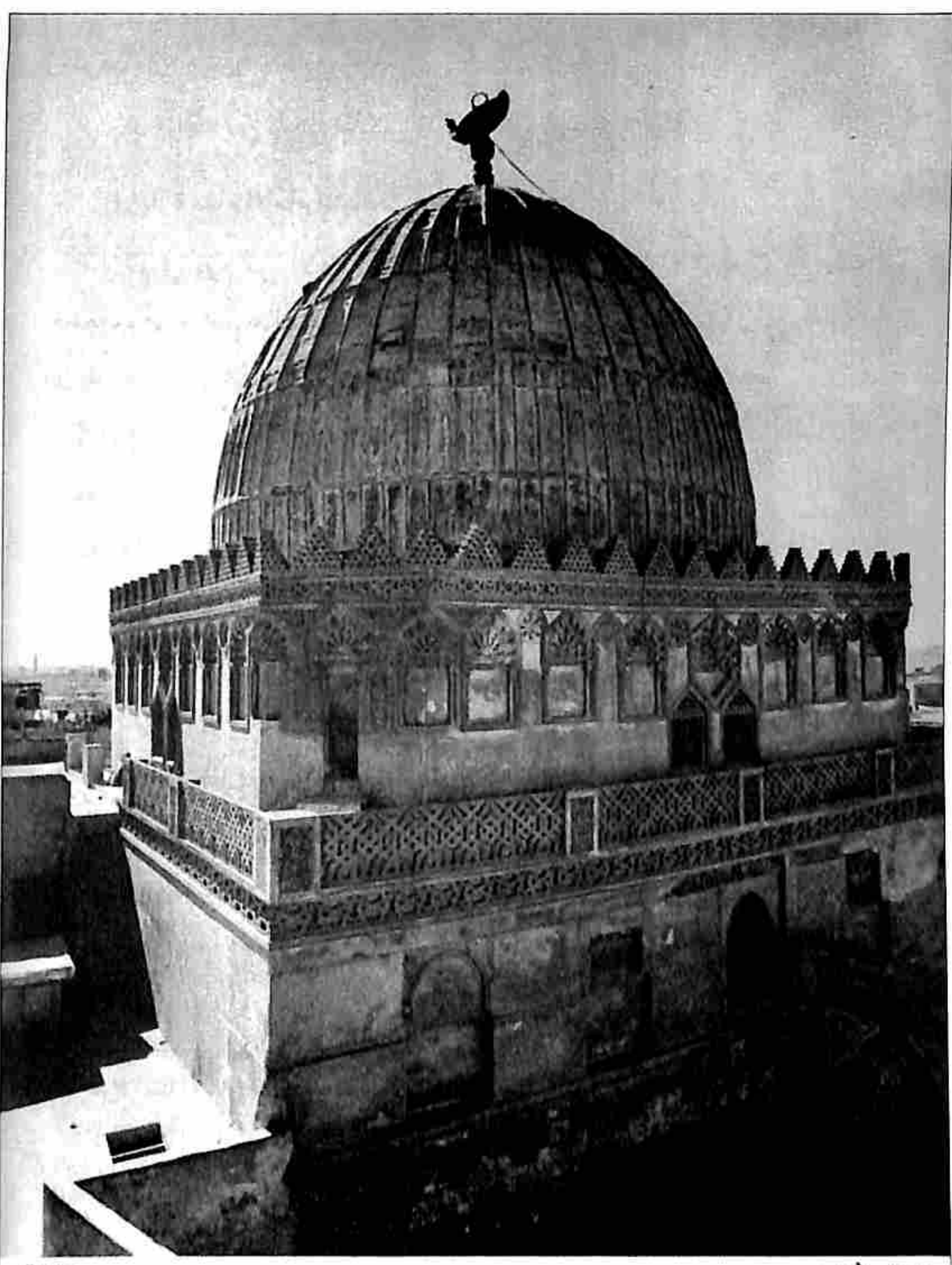
وإلىٰ جانبِ الجامعِ المذكُور قبّةُ الإمام الشافعيّ(١)، وعلى مَراسي القُبةِ من خَارجٍ صُورَة سفينةٍ، فكأنهم شَبّهوا الإمامَ الشافعيَّ رضيَ الله عنه بالبَحر، والسّفينةُ لا تكونُ إلا على بحْر. فدخَلْنا القبةَ المذكُورةَ، وفيها ضَريحُه المباركُ، فزرْنَاه، وزار معَنا جماعَةٌ، ووقعَتْ زيارَةٌ عَظيمَةٌ، نرجُو الله قبولَها.

ثمَّ خرَجنا؛ فقيلَ لنا: إن ضريحَ الإمامِ الشَّيخ زكَريّا الأنصاريَّ(٢) هُنا، وكان إلىٰ جانبِ قبةِ الإمامِ، فتوجّهْنا وزُرْناهُ.

الجزائر سنة ١٩١٤م، بالمطبعة السلفية بالقاهرة سنة ١٣٧٨هـ بتحقيق علي المؤيد، وإسماعيل الجرافي. ينظر: «يمانيات» للعمري: ١/ ١٠٤.

(١) توفي الإمام سنة ٢٠٤هـ. وهذه القبة بناها الملك الكامل الأيوبي، أخو صلاح الدين، سنة ٦٠٨هـ على قبر الإمام وقبر أمه التي توفيت تلك السنة، كما دفن في القبة إحدَى زوجات صلاح الدين، وابنه العزيز عثمان ابن صلاح الدين.

(٢) توفي شيخ الإسلام زكريا سنة ٩٢٦هـ. ينظر: «النور السافر»، وغيره.



Exterior — المنظر الخارجي

THE MAUSOLEUM OF IMAM ASH SHAFI'I — ضريح الإمام الشافعي

608 H. (1211) — ٦٠٨هـ (١٢١١م)

Plate 32 — لوحة ٣٢

[مَزاراتٌ أُخْرَى]

ثم توجّهنا لزيارَةِ اللَّيثِ ابنِ سَعْدٍ[١]، وابنه شُعَيب[٢]. وزُرْنا الشيخَ وَكيعاً[٣]، وهو شيخُ الإمَامِ الشّافعي، الذي قالَ فيه الإمامُ شِعراً:

شكَوتُ إلىٰ وَكيع سُوءَ حِفْظي ... فأرْشَدَني إلىٰ تَركِ المَعَاصي
وأخْبرَني بأنّ العلْمَ نُورٌ ... ونُورُ الله لا يُهدَى لعَاصي[٤]

ثم رجَعْنا إلىٰ مصْرَ للاسْتراحَةِ في محلِّ النزولِ.

[الشيخ المغاوري]

فبتْنا تلكَ الليلةَ؛ وفي صَباحِها أخَذْنا عربيةً، وخرَجْنا لزيارَةِ الشّيخ المغَاوريّ، حتى وصَلْنا إليهِ، فوجَدْنا ضريحَه في سَفحِ جبلٍ، في غَارٍ كبيرٍ متسعٍ، ومن داخلِه ضياءٌ ظَاهرٌ، كان فيه كُوّاتٌ متعدّدةٌ، وذراعُ ذلكَ الغَارِ من بَابِ المغَارة إلىٰ أقصَى داخلها مأتَي ذراعٍ، وقبرُ الشَّيخ رضيَ الله عنه في أقْصَى الغَار من داخِلٍ، فدخَلْنا إلىٰ عندِ الضّريحِ، وزُرْنا الشيخَ رضيَ الله عنه، وكأنا من قوة الضياء الحاصلِ عند بَابِ الغارِ، وهذه كرامةٌ للشّيخِ رضيَ الله عنه، ومِنْ حَولِ ضريحِه كَذلك قبورٌ، فزرنا الجميعَ.

وسَألنا بعْضَ أهلِ مصْر عَن هذا الشّيخ: هل ترجَمَ له أحدٌ من المؤرِّخينَ؟ فقالَ: متدَاولٌ [/ ١٢٩] على ألْسُنِ النّاس الأَخيارِ، أن هذا الشيخَ كانَ من كبارِ الأولياءِ الصالحينَ، وكان دائماً في هذه المغارَةِ، لا يخرجُ منها أبداً، وكان في سنةٍ منَ

---

(١) توفي سنة ١٧٥هـ. ينظر: «الأعلام»: ٥/ ٢٤٨.
(٢) توفي سنة ١٩٨هـ. ينظر «العبر» للذهبي: ١/ ٢٥٨.
(٣) توفي سنة ١٩٧هـ. ينظر «الأعلام»: ٨/ ١١٧.
(٤) «ديوان الإمام الشافعي»: ص ٨٣.

السنينَ أحبَّ أن يتوجّه للحَجِّ، وكان يكرَهُ ملاقاةِ الناسِ، فقالَ: أنا قَصْدي أتوجّهُ إلىٰ الحجّ، ولكنْ لا أخرُجُ من هذه المَغارةِ، وكانَت المغارَةُ في حينِ جلوسِه بها صَغيرةً، وقريبةً، فأخذَ يبْحَثُ في تلك المغارَة من داخل، وكأنه في قصْدِه النفوذُ من المغارة إلىٰ مكّة!، حتى وصلَ إلىٰ محلِّ ضَريحه الآنَ، فَاخْترمَتْهُ المنيةُ هنا، في ذلك المحلِّ، والله أعلم بالواقع!. وحولَ الضّريحِ عنْدَ بابِ المَغارةِ جملةٌ من الدراويشِ أهلِ الله، وأنْوارُ الولايةِ لائحَةٌ علَيهم.

[مقَامُ ابنِ الفَارِض]

ثمّ توجّهنا إلىٰ زيارَة العَارفِ بالله، سُلطانِ العاشِقينَ، الشّيخ عُمرَ ابنِ الفارضِ[1]، رضيَ الله عنه، وكانَ ضَريحُه في ذيلِ (العَارضِ)، وهو جبلٌ ممتَدٌّ في طرفِ (القَرَافةِ)، وهو الذي يقولُ فيه الشّاعِرُ المجيدُ:

جُـزْ بالقَرافَـةِ تحـتَ ذيـلِ العَارضِ   وقُل السَّلامُ علَيكَ يا ابْنَ الفَارضِ
أبـرزْتَ في نَظْـمِ السُّـلوكِ عَجائبـاً   وكشَـفْتَ عن سرٍّ مَصُـونٍ غَامضِ
وشَربْـت مـن بَحْرِ المحبّـةِ والوَلاءِ   فرَوِيْـتَ مـن بحْـرٍ محيـطٍ فَائـضِ



فدَخلْنا قُبتَه، وزُرْنا ضَريحه المبارَكَ، وحصَلتْ طمأنينَةٌ عند قَبرِه، وأنشَدْنا بشيءٍ من كلامِه عند ضَريحه ، وكان البَوابُ الذي عندَ ضريحه من كبَارِ الصالحينَ، فتحدّثنا معه ساعةً، وهو كَثِير الصّمتِ، فحضَرتْ صَلاة الظّهْر، فصَلّينا ثم رجَعْنا.

[مَزاراتٌ، ودَراويشُ]

وفي اليومِ العَاشر؛ زُرْنا الشَّيخَ عبدَالكَريم[2]؛ صَاحبَ الحالِ العظيم المرقِّي

---

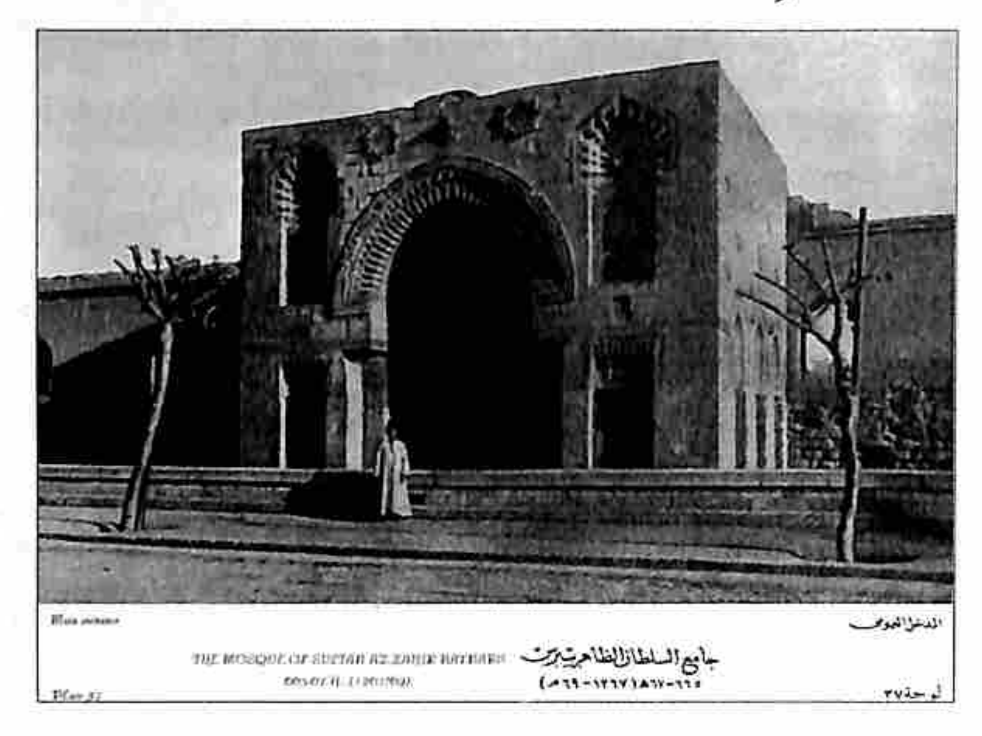
(١) توفي سنة ٦٣٢هـ، أصله من حماة. ينظر «الأعلام»: ٥/ ٥٥.

(٢) ذكر نور الدين السخاوي الحنفي في «تحفة الأحباب»، ص ٣٩١، قبر عبدالعزيز بن عبدالكريم، قال: «كان رجلا صالحا، كثير الخشوع في الصلاة»، ولم يؤرخ له، ولم نقف على من اسمه

للمُريدينَ وهو في قبره، وذلكَ بمجرَّدِ اعتكافِ المريدِ عند قَبرهِ مرّةً بنيةٍ صَادقةٍ، تظهَر له أماراتُ الفتْحِ، فسبحانَ المعْطي.

ومررنا على الخانْقَاهْ[1]، وهيَ موضِعُ اجتماع الدّروايشِ السُّوّاح، فرأينَا منهم كثرةً، وهم علَى قدَمِ التّجريدِ، في راحةٍ عَظيمَةٍ، مشْغُولينَ بالله، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾.

[جَامعُ الظّاهرِ بيْبَرَسْ]



ثمّ توجّهْنا إلىٰ جَامع الملكِ بيبَرْس[2]، وهو جَامعٌ عظِيمٌ قَديمٌ، وعلى عتبَةِ بابِه

عبدالكريم غيره، وفي «الكواكب السيارة» لابن الزيات ذكر لبعض من اسمهم عبدالكريم، ولم يذكر لهم مناقب.

(١) لم يحدد أي خانقاه يقصد، وقد كانت بالقاهرة عدد كبير منها، وقد تسمى (زوايا) أو (تكايا) جمع تكية، أو خانقاه كما سماها المؤلف، وتجمع على خوانق، وهي سمة إيجابية في المجتمع عند بعضٍ، وسلبية عند آخرين.

(٢) توفي الظاهر بيبرس سنة ٦٧٦هـ، تقدم ذكره في قسم الشام.

حجرٌ كبيرٌ مستطيلٌ وعريضٌ، ويقالُ إنه غائصٌ منه في الأرْضِ نحْوُ عِشْرينَ ذراعاً، ومن جَانبي شِقَّي البابِ في كلِّ شقٍّ نحْوُ اثني عشَر ذراعاً، وعليه كتابٌ بالعَبْرانيِّ، فدخلنا إليه، وصَلّينا فيه صَلاةً مفروضَةً. ثم أكثَرْنا الترداد إليه، والسببُ أنّ الخطيبَ فيه هُو الشيخُ محسِنٌ أبوحَرْبَةَ الحضْرَميّ[١].

وأخبرني الشيخُ محسِنُ المذكُورُ: أن هذا الحجَر الذِي رأيتَه عندَ عتبةِ بابِ المسجدِ، طلبُوه الإفرنجُ من الدّولة الخديويّةِ بعشْرينَ ألفِ جنيهٍ، فلم ترْضَ الدولةُ، وقالَتْ: لا حاجةَ لنَا في بيعِه، ولا يسوغُ لنا ذلك. وبابُ الجامعِ المذكُورِ عليه صَفائحُ من نحَاسٍ، وعليها نقشٌ في غايةٍ من الدقّةِ والحسْـنِ.

[جامع السلطان حسَن]

ثم توجّهنَا إلىٰ جامعِ السُّلطَانِ حسَنٍ[٢]، وهو جَامعٌ كبيرٌ، مشهورٌ بقوّةِ البنَاءِ وارتفَاعِه وإحْكامِه، فوجَدناهُ مسجداً عظيماً، وجميعُه تحتَ قبّةٍ عَظيمةٍ واحِدَةٍ، وإليهَا ضَريحُ السُّلطَانِ المذكُور.



جامع السلطان حسن

---

(١) الشيخ محسن أبوحربة، الأظهر أنه يماني، من تهامة، ينسب إلىٰ الشيخ محمد بن يعقوب بن الكميت، المتوفى بوادي مور بقرية (مريخة) سنة ٧٢٤هـ، وله «دعاء ختم القرآن» مشهور، ترجمته في «طبقات الخواص»: ص ٢٧٤. وأما الشيخ محسن فقدم إلىٰ مصر قبل سنة ١٣٢٠هـ، وهو يروي عن طبقة من شيوخ العلم في اليمن ومصر، ومن الآخذين عنه الفاداني المكي، وإجازته منه مؤرخة في سنة ١٣٥٥هـ، مما يفيد حياته إلىٰ تلك السنة. ينظر: تعليقاتي على «عقد اليواقيت»: ٢/ ١١٨٥.

(٢) هو السلطان حسن بن السلطان قلاوون، المملوكي، توفي سنة ٧٦٢هـ، ودفن بعيدا عن الضريح الذي أعده لنفسه في مسجده، ينظر: «الأعلام»: ٢/ ٢١٦.

[زيارة قلعة محمد علي باشا]



قلعة محمد علي باشا

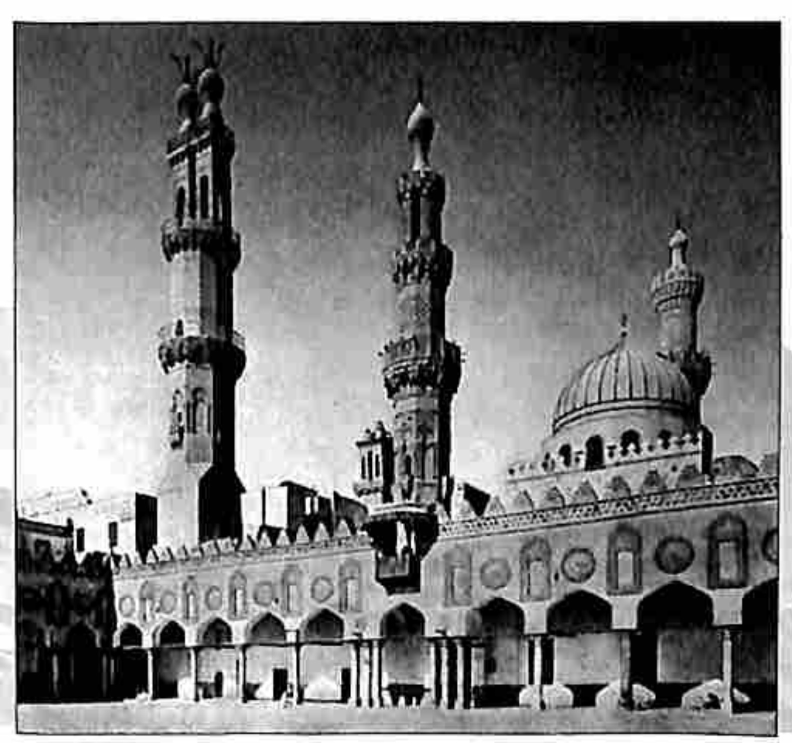
ثم توجّهْنا إلىٰ القَلعَةِ الكُبرَى المرتفِعَة، التي تُرَى مصْرُ من تحتِهَا [/ ١٣٠] ، وفيهَا جامعٌ كبيرٌ عَظيمٌ، مبنيٌّ من الرُّخَام الملوّنِ، وفيه أعمِدَةٌ طويلةٌ، ما بينَ كلِّ عمُودٍ وعمُودٍ أربعونَ ذراعاً، وفيه فراشٌ واحِدٌ، وهي قطيفَةٌ واحِدَة، ممتدّةٌ إلىٰ جوانبِهِ الأرْبعِ. وإلىٰ جَانبِ الجامعِ المذكورِ، الجبُّ[١] الذِي جُعِلَ فيه نبيُّ الله يوسفُ عليه السلام، وحولَه بحيرَةُ ماءٍ يُتَوضَّأ منهَا.

* * *

---

(١) محققو المؤرخين على عدم ثبوت ذلك، وثمة جب آخر في (يافا) ينسب إليه أيضا.

[زيَارةُ الجامعِ الأزْهَرِ الشَّريفِ؛ ووَصْفُ درُوسِ العُلَماءِ]



صورة قديمة للجامع الأزهر

ثم توجّهْنا إلىٰ الجامع الأزْهر المشْهُور؛ وهو في وسَطِ القَاهرَةِ التي اختطَّها الملكُ المعزُّ لدينِ الله بنِ المنصُور، أولُ خلَفَاءِ الدّولَةِ الفاطميّةِ بمِصْر، سنةَ [١]٥٧٣، وبنَى عليها السّورَ الحاجِزَ الملكُ صَلاحُ الدينِ الأيوبيُّ.

---

(١) كذا في الأصل. والصواب: أن القاهرة اختطت في عهد المعز الفاطمي (ت ٣٦٥هـ)، بين سنتي ٣٥٩هـ و٣٦١هـ، ينظر: «الأعلام»: ٧/ ٢٦٥.

والجامعُ الأَزْهرُ المذكُورُ؛ جامعٌ عظِيمٌ، محكَمُ البنَاءِ، وإلىٰ جوانبه الأَرْبعِ أروقَةٌ متعدِّدةٌ، كُلُّ رواقٍ مختصٌّ بأَهْلِ إقليم من الأَقَاليم السبعةِ وجِهَاتها المتعدّدة. فرواقٌ خاصٌّ بأَهْلِ الهندِ، ورواقٌ للشَّوامِ، ورواقٌ للأَتْراكِ، ورُواقٌ للمغاربَةِ، ورُواقٌ لليمانيّةِ، وغيرهم. وفي رواقِ اليمانيَةِ جملةٌ، ممن نعْرِفُهم، وشَيخُ الرُّواقِ المذكُورِ الشَّيخُ محسنٌ أبوحَرْبة.



الجامع الأزهر من الداخل (قديماً)

وكان وقتُ دخُـولِنا الجامعَ عندَ الاستواءِ، فأذّنَ الظهْرُ، وصَلَّينا خلْفَ الشيخِ العلاّمة الفقيهِ، محمّدِ النجْديِّ الشّافعيِّ[١]، وهو إمامٌ في العلْمِ عَظيمٌ، وأخبَرني من أثقُ بهِ: أنّ الخضرَ عليه السلام لا يزالُ يصلّي خلْفَه!.

ثم بعْدَ الصلاةِ؛ انعقدَت المدارِسُ في الجامعِ المذكورِ، في كلِّ فنٍّ من الفنُونِ، والتي عدَدْتها في ذلكَ الوقتِ نحْوَ (ستّين حلقةً)، والمدرِّسُ يجلِس على كرسيٍّ والتلاميذُ من حَولِه، ورأيتُ من جملةِ المدرِّسينَ ولداً صَغيراً، سنُّه نحْوُ أربعَةَ عشَر سنةً، يقرِّرُ في أوصَاف الماءِ، فشَرع يقُول: «الماءُ جَوهرٌ شفّافٌ، يتلوّنُ بلَونِ إنائه»، فتكلّمَ أولاً على الماءِ، ثم على معْنَى الجوهَرِ، ثم على الشّفافِ، بعبَارةٍ رَشيقَةٍ لطيفَةٍ. ثم

---

(١) هو العلامة الشيخ محمد النجدي الشرقاوي، توفي سنة ١٣٥٠هـ عن (٨٩ عاما)، كان شيخ الشافعية في عصره، زاهداً تقياً. «الأعلام الشرقية»: ١/ ٤٠٢.

إني درْتُ على أهلِ الحلقاتِ جَميعِهم، وكلٌّ منهم يدرِّسُ في فنٍّ، ومنهم من يدرّسُونَ في فنٍّ واحدٍ، فأعجبني إلقَاؤهم وتقريرهُم.

وفي تلكَ الأيام غالبُ المدرِّسينَ يقرِّرُونَ في التّوحيدِ وفي الصِّيام، لأن ذلكَ الوقْتَ في شهْرِ رمضَانَ. ثم تردّدتُ إلىٰ الجامعِ المذكورِ، وكانَتْ صلاةُ الظهْرِ غالباً فيه. وبعدها أجْلسُ إلىٰ سَماعِ المدرِّسينَ، ولقيتُ في الجامعِ الأزْهر جملةً من أهلِ (جَاوَا)، وغالبُهم من أهل (فلِمْباغ)، وأهل (بَالي أمفنان)، ومن أهل (سُمارَان)، وهم مجتهدونَ في الطّلبِ.

[إحْصَائيةٌ حَولَ الأزْهَر]



صورة شيخ الأزهر سليم البشري

وذهبتُ في يوم من الأيّام؛ إلىٰ من له ولايةٌ على الجامعِ الأزْهر، ومعرفَةٌ بطلَبةِ العلْم، فسألتُه. فقالَ: إن في الجامعِ الأزهر من الطَّلبةِ خمسةَ عشَرَ ألفاً، ومنهُم حفّاظُ القرآن نحْوَ ثلاثةِ ألفٍ. وكانَ [في] ذلكَ الوقْت، شيخُ الجامعِ الأزهرِ، الشيخُ سليمٌ البشريُّ[1]، وهو رجلٌ عالم، وله مَدخَلٌ في السِّياسَة، والمفتي بمِصْر القاهرَة، الشيخُ محمدٌ البُجَيرميّ، وهو مُفْتي الشّافعيّ.

[تلبيةُ دعْوَةِ الوجيه عَبْدالله باناجَهْ باشَا]

وفي ليلةٍ من ليالي رَمضَان؛ دعانَا للضِّيافة، الشيخُ عبدُ الله بن يوسُفَ باناجَهْ، وهُو من أهلِ الثرْوة. فأرسلَ لنا العربيةَ بجَوزِ خَيلٍ، ومشَينَا إلىٰ بيتِه، وكانَ في العبّاسيةِ[2]، ومرَرنَا على حَاراتٍ متعدّدةٍ، منها (الأُزْبكيّة)، ومنهَا (المَنْشيّة)، وغيرُها

---

(١) توفي سنة ١٣٣٥هـ، كان نقيب المالكية، ولي مشيخة الأزهر مرتين. «الأعلام»: ٣/ ١١٩. [صورته تظهر على يسار الصفحة].

(٢) حي وسط القاهرة، ينسب إلىٰ الخديو عباس حلمي باشا.

حتى وصَلْنا إلىٰ بيته، فقابلَنا كمالَ المقابلةِ، وأفطَرْنَا عنده تلكَ اللّيلةِ، وجلسْنا عندَه إلىٰ مُضيِّ ثلاثِ ساعاتٍ من اللّيلِ.

ومن غريبِ الاتفاقِ؛ أنه لم يكْن عندي شيءٌ من العُودِ الماورديِّ، وأنَا أعتَادُ [/ ١٣١] التبخيرَ به، وعازمٌ على أني أسألُ عن محلِ بَيعِه، فبعْدَ انتهاءِ المجلسِ وقراءةِ الفاتحة، أخْرجَ الشيخُ عبدُ الله المذكورُ قطعةً من العُود الماورديِّ، وناولَني إياها، ففرحتُ بها كثيراً.

❊ ❊ ❊

ثم إنا عُدْنا إلىٰ محلّنا، وصلَّينا التراويحَ في بيتِ الشّيخِ عمَر باجُنَيد، على العادةِ، وكان عنده جملَةٌ من المجَاورينَ، يأتون لصَلاة التراويح معَنا، ويتسحَّرونَ عِند الشيخ عمر في جميعِ رمضَانَ، لأن له محبةٌ كَبيرةٌ في الغُرَباءِ، ولَم يزلْ يتعهّدُهم ويحسِنُ إليهم، فجَزاه الله خيراً.

[زيارَةُ القَرافة]

وفي يوم من الأيّام خرجتُ إلىٰ (القَرافة)، وهي المقبرَةُ، لزيارَةِ مَن فيهَا من الصّالحينَ، فزُرْنا الشيخَ مَصْطفَى الذهبيَّ، وغيرَه من الأولياءِ.

[فائدةٌ، في جَلالةِ قَدْر الشّيخ الذَّهَبيّ]

ثم أقولُ؛ والشيء بالشيءِ يذكَرُ: أخبرَني مَن أثقُ به في مصْر: أن السيدَ عُمرَ بن أحمدَ الصّافي، كتبَ إلىٰ الحبيبِ أبي بكرِ بنِ عبدِ الله العطاس يستشيرُه في الإقامةِ في مِصْر، أو الانتقالِ منها إلىٰ غيرها؟ فأجابَه: بأنّك تقيمُ في مِصر، ويكفيكَ مشَاهدةُ السيدِ مصْطَفى الذّهبيِّ[1]، وإذا وصَلكَ كِتَابي فبلّغْه عنّي السلامَ، وقبِّلْ رجْلَيه. فامتثلَ السيدُ أحمدُ أمْر الحبيبِ أبي بكرٍ، وقبّلَ رِجليهِ وأنا أنظُر، ثم إنه لما بلغَ الحبيبَ

---

(١) توفي سنة ١٢٨٠هـ. «الأعلام»: ٧/ ٢٣٢.

أبابكرِ وَفاةُ السيدِ مصْطَفى المذكور، سكتَ سكْتةً طويلةً، وقالَ: الله (يمدها)، لَو فُقِدَ مذْهبُ الشافعيِّ لتلقّيناه من صَدْرِ السيدِ مصْطفَى الذهبيّ؛ رحِمَ الله الجميعَ، ونفعنا بهم، آمينَ.

[أقْصُوصَةٌ؛ على لسَانِ المُعَمَّرِ باعَامِرِ]

ثُمّ في يوم من الأيام؛ خرَجْنا أيضاً لزيارَةِ السيدَةِ زينب، والسيدِ عبدالرحمن بن مصْطَفى العيدرُوس، وهوَ مَدفونٌ في جانبِ قُبَّةِ السيدةِ زينبَ، كما تقدم، وصَحِبني في الزيارَةِ رجلٌ من الصّالحينَ، عمْرُه يناهز المائةَ، واسمُه الشيخ محمدُ بن علي باعَامر، وهو الآن مقيمٌ بمصْرَ. يرْوي عن شَيخِ الإسلام والأزْهر، الشيخ مصْطَفى العَرُوسيّ[1]، عَام ١٢٨٣، أنّه أخْبرَه: عن أبيهِ عَن جدِّه شَيخِ الإسلام[2]، عن أبيه، أنه قالَ: كان جدِّي معَاصراً للسيدِ عبْدِالرّحمن بن مُصطَفى العيدرُوس، وذلك مع وصُوله من الحجَاز إلىٰ مِصْر.



قالَ: وصلَ السيدُ عبدُ الرحمنِ المذكورُ إلىٰ مصر، واستَكْرَى بيتاً بجوارِ السيّدَةِ زَينب، وكانَ يأتون إليه جملةٌ من أَهَالي مصر للزيارَةِ، ويأتون إليهِ جملةٌ من أهالي الرّفاهيةِ. وكان جماليَّ الحالِ، ويحبُّ ضَرْبَ العُودِ، والطرَبَ في كلِّ ليلةٍ على السَّماعِ من كَلامِه، ومن كلامِ غيرِه من الأولياءِ العارفينَ.

فبلغَ ذلكَ إلىٰ شَيخِ الإسلام؛ فأرسلَ إلىٰ السيدِ عبدِ الرّحمن يطْلُبُه، فلما وصلَ إليهِ قَالَ له: لا يصِحُّ منكَ ما بلغَنا عنك، وأنتَ عالمٌ فَاضلٌ، وسيّدٌ علَويٌّ. فأجابه: إن شَاءَ الله نتركُ ذلكَ. ثم إنه طلبه ثانياً وثالثاً، وهو يعودُ لما هُوَ عليهِ من الطرَبِ. ثم إن شيخَ الإسلامِ اجتمعَ هو وجملَةٌ من العلماءِ، وتوجهوا إلىٰ الحاكمِ الكَبير في ذلكَ الوقتِ، وأخبرُوه بالواقعِ، فأرسلَ الحاكمُ إلىٰ السيدِ عبدالرحمن بطَلَبه في الحالِ من بيتِه، بكَمالِ الاحْترامِ والتَّعظيمِ.

---

(١) توفي سنة ١٢٩٣هـ، كان أحد شيوخ الأزهر، «الأعلام»: ٧/ ٢٤٣.

(٢) أحمد بن موسى بن داود العروسي، توفي سنة ١٢٠٨هـ. «الأعلام»: ١/ ٢٦٢.

فلما حضَر السيدُ عبدُ الرحمن عندَ الحاكم، والعلماءُ حَاضرونَ، سلَّمَ على الحاكم وعلى العُلماءِ وجلسَ، فقال الحاكِمُ: هذا السيدُ عبدُ الرّحمنِ حضَر، وما تريدُون منه؟ فتكلمَ شيخُ الإسلامِ بما جرَى بينه وبينَ السيدِ عبدِ الرحمن، من نهيه عما يفْعلُه من الطّربِ والسماعِ. ثم قالَ شيخُ الإسلام: إمّا أن ينتهيَ عن هَذا الفعلِ، أو يسَافِر من مصْر. وكان ذلكَ الوقْتُ لعلّه بعدَ المغربِ فسَرَّجُوا الشمُوعَ، وأوقدوا [/ ١٣٢] القناديلَ، وكان المحلُّ في غايَةِ الحسنِ والنضَارَةِ، فصاحَ السيدُ عبدُ الرحمنِ صَيحةً عظيمةً، وقال: الله!؛ هذا المحلُّ الجميلُ يحسُن فيه ضَربُ العُودِ، ونادَى على خادِمه: ائتني بالعُودِ من البيت!.

فذَهب الخادِمُ إلىٰ البيتِ، وأحْضَر العودَ، فأخذَه السيدُ عبدُ الرحمن، والحاكمُ والعلماء حاضرون وهم واجمونَ لا يتكلمون!. وحرّكَ عليهِ فتمايلُوا جميعاً على بعضِهم البعْض طرباً!، ثم حرّكهُ ثانياً، فتحرّكتِ القَناديلُ حركةً قويّةً، وتحرّكَ معَها المنزلُ!، ثم ناولَ العودَ الخادِمَ، وقامَ وهُم في الغَيبةِ، فلما أفاقوا قالَ لهم الحاكِمُ: ما ترون في هذا الأمر الذي رأيتمُوه؟ فقالَ العلماءُ: الآن؛ مثْل هذا لا يُعترَض عليه، ويُسلَّم له حالُه[١]. ثُمّ إنه رضيَ الله عنه، بقيَ في مِصْر على التدْريسِ والائتلافِ التامِّ مع عُلَماء

---

(١) وهناك قصة أخرى أوردها السيد عبدالحي الكتاني في «فهرس الفهارس»، عن أخي المؤلف، مفتي الشافعية بمكة، حيث قال: «مهمة: سمعت شيخنا مسند مكة وبركتها أبا علي حسين بن محمد بن حسين الحبشي الباعلوي الحسني يحدث عن المترجم أنه دخل في مصر على العلماء في الأزهر وهم ينتخبون من يصلح لإمامةٍ مات صاحبها، فاستشاروه فقال: لا أؤهل لها إلاّ من يعد لصلاة واحدة خمسمائة سنة يستحضرها، فعجبوا لذلك وطلبوه في عدها فعدها لهم. قلتُ: ومنذ سمعت الحكاية المذكورة من شيخنا هذا وأنا أستهولها وأستعظِمُ أمرَها، حتى وجدت في معجم ياقوت الحموي نقلاً عن كتاب «التقاسيم» للحافظ أبي حاتم ابن حبّان إنه قال في أربع ركعات يصليها الإنسان ستمائة سنة عن رسول الله ﷺ أخرجناها بفصولها في كتاب صفة الصلاة، ا هـ. ثم صرت أتتبع أحواله ﷺ في الصلاة وحركاته فكاد يجتمع العدد المذكور أو أزيد، ومن ترك العجلة أصاب واستفاد وأفاد». عن «فهرس الفهارس»: ٢/ ٧٤٢.

مصْر، وأخَذُوا عنه وأخَذ عنهم، حتى توفِّي ودُفنَ إلىٰ جانبِ ضَريحِ السيدَةِ زينبَ، رحمهم الله أجمعين، ونفعنا بهم.

[زيارةُ الشّيخ عَوضٍ الزَّبيدِيّ]

وفي يوم من الأيّام؛ ذهبتُ إلىٰ زيارَةِ العارفِ بالله، العالم العاملِ، الشيخ عوض الزَّبيديّ(١)، منْ أهلِ اليمَن، من بلدَة زَبيد، فوجَدْناه في زاويتِه عند بَابِ النصر(٢)، الذي يخرجُ الناسُ منه إلىٰ (القَرافة)، فسلّمْنا عليهِ، وكان كبيرَ السِّن، عُمره والله أعلَمُ يناهِزُ السبعينَ أو أكْثر، فقابلَنا كمالَ المقابلةِ، وفرِحَ بنَا أكثَر، ثم انه أجلسَني إلىٰ جانبِه، وسألَني عن وصُولي: من أيِّ جهةٍ؟ فأخبرْتُه أنّ وصُولي من حَضْرموت، وقد حجَجْتُ وزرْتُ المصطَفى ، ووصلْتُ إلىٰ الشّام وإسطنبول، والآن دخلتُ إلىٰ مصْر لزيَارةِ من فيهَا من الأولياءِ، مثلكُم وأمثالِكُم. فقَالَ: أهْلاً وسَهْلاً.



واستمرَّ الحديثُ معه، حتى سألتُه عن بلَدِه، فقالَ: بلَدي زبيدُ، وقد خرَجْتُ منها منذُ مدةٍ طويلةٍ، وقد عاصَرْتُ فيهَا الشيخَ داودَ حَجَر(٣)، وابنَه(٤)، والشّيخَ سليمان بن عبدالرَّحمن(٥)، وعدَّ لي جملةً من العُلَماءِ.

---

(١) عمر هذا الشيخ حتى عاش إلىٰ ما بعد سنة ١٣٤٤هـ، وقد أخذ عنه الحبيب محمد بن هادي السقاف الذي زار مصر سنة ١٣٤٣هـ، والسيد أحمد الغماري، وترجم له في «البحر العميق»: ١/ ٣٦٣، وقال: إنه أخذ عنه سنة ١٣٤٤هـ، وكان عمْر الشيخ حينها (١١٦ سنة)، فيكون مولده سنة ١٢٢٨هـ تقريباً، وعلى هذا فيكون عمره حين رآه المؤلف، على رواية الغماري (مائة عام) بالتمام!، فليحرر.

(٢) هذه الزاوية عمرها له محبوه من أتباع الشاذلية، كما في «البحر العميق»: ١/ ٣٦٤.

(٣) من بني القديمي الحسينين، توفي بزبيد سنة ١٣١٣هـ. «المحاسن المجتمعة»: ص ١١٣.

(٤) هو السيد محمد بن داود، توفي سنة ١٣٠٧هـ، بإسطنبول.

(٥) إما أن يكون مراده السيد الإمام عبدالرحمن بن سليمان، مؤلف «النفس اليماني» المتوفى سنة ١٢٥٠هـ، أو حفيده سليمان بن محمد بن عبدالرحمن المتوفى سنة ١٣٠٤هـ، وهذا في درجة السيد داود وابنه، ينظر: «المحاسن المجتمعة»: ١٢٦.

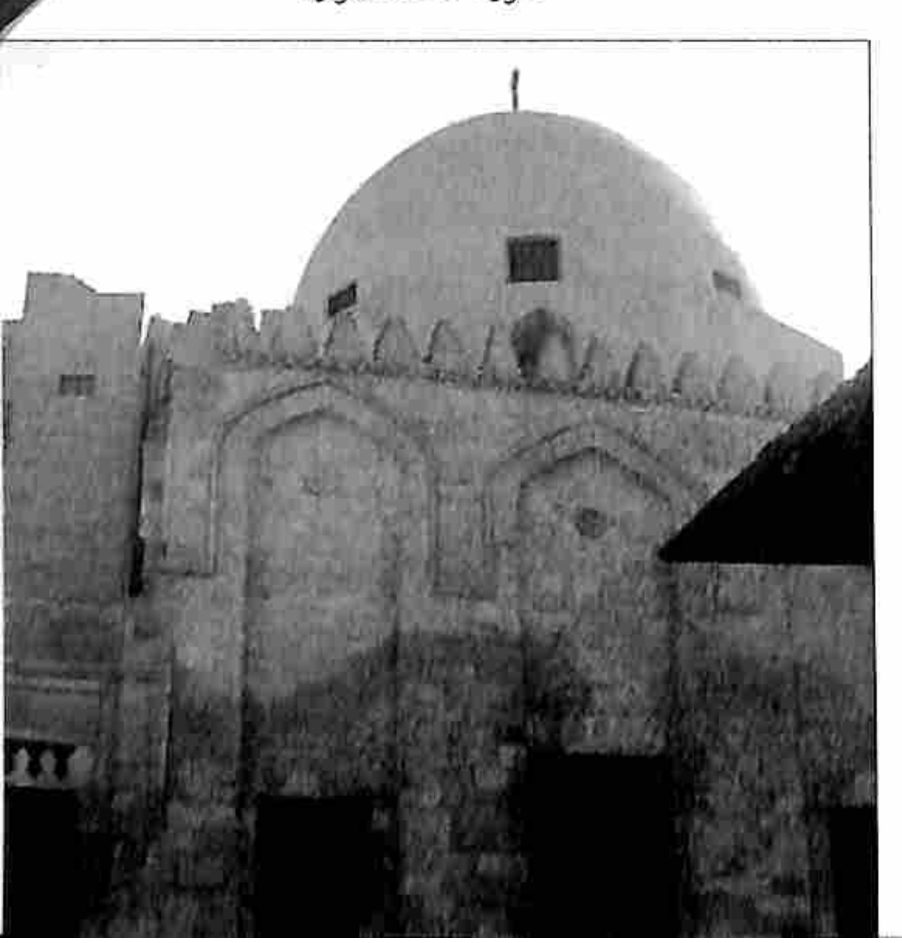
ثم باحثتُه في علْمِ الفقْهِ، فوجدته فقيهاً، وعدَّ لي جملةً من كتُبِ الفقه التي قرأهَا، من جملتها: «كتُب» ابنِ المقْري، وغيرهَا. ثمّ ذكَر عَصْر الشّيخ إسماعيلَ الجبرتيّ، وابنِ المقْرِي قالَ: وكانا في عصْرٍ واحدٍ، وكان بينَهما من المحَاوراتِ والقضَايا شيء كثيرٌ، من حيثُ أن أحَدهما فقيهٌ، والآخرُ صوفيّ.

ثمّ سألتُه عن مُقَامه في مصْرَ، فقالَ: دخلتُها أولَ مرّةٍ، فجلسْتُ في الخانْقَاه التي للصوفية، ودخلتُ في خَلْوة الشّيخِ أبي الحسنِ الشّاذلي، وجلسْتُ فيها ثلاثةَ عشر سنة (١٣)، ثم خرَجْتُ منها وقَد فتحَ الله عليَّ. ثم توجهتُ إلىٰ المدينةِ المنوّرة، وجلسْتُ فيها خمْسَ سنينَ، ثم عدْتُ إلىٰ مصْر.

وطالتِ المذاكرَةُ مع الشيخِ المذكور، وطابَ الحديثُ، فسألتُه عن بعْضِ معاني كلامِ القوم، فتكلم بكلامٍ حسَنٍ، واستمرّت المذاكرَةُ معه، حتى أتينا إلىٰ معاني علْمِ اليقينِ، وعَينِ اليقينِ، وحقِّ اليقين، فتكلم بها يملأ المسَامع والقلُوبَ. ثم طلبتُ منه قراءَةَ الفاتحةِ، وخرجْتُ. وقالَ: لا بدَّ من العَودِ إلينا ثانياً، فقلتُ: إن شاء الله يكونُ ذلك.

[زيارَةُ خانْقَاه الصُّوفِية]

ثم إني بعْدَ خرُوجِي من عندِ الشيخِ المذكُور، سألتُ عن الخانْقَاه التي ذَكرَها، فدلوني عليها فتوجهت إليها [/ ١٣٣] فوجَدتها محلاً قَديمَ البنَاءِ، وفيه من الصّالحينَ والدراويشِ أهلِ التجريد جملةٌ، وفيها محلٌّ لصَلاةِ السَّاكنينَ بها.



صورة خانقاه للصوفية

فدخلتُهـا فقابلنـي أهلُها بـرَدِّ السّـلام، وتحادثتُ معَهم قليـلاً، وكـان ذلك قريـبَ المغربِ، فأقيمَـت الصّلاةُ، وطلبُوني أَن أصَلّي بهـم، فامتثلْتُ وصليتُ بهم، ثـم بعدَ الصّلاةِ سـألتُ عن خَلوةِ سـيدي أبي الحسَنِ الشّـاذلي، التي ذكرَها الشيخُ المتقـدّمُ ذكرُه، فدلّوني عليهَا في جانبِ المسْـجد، فالتمسْـت بركتَهـا، وخرَجتُ من المحلّ المذكورِ ورجَعتُ إلىٰ منزلي.

[معَ أحَدِ سَماسِرَة الكُتبِ]

ثم إني في بعْضِ الأيام عدْتُ إلىٰ الشّيخ عوَض المتقدّم ذكرُه، واستصْحَبتُ معي «شَرْحُ الحكَم» للشيخِ أَحمَدَ بن محمدٍ القُشَاشيّ[١]، والكتابُ المذكُور كنْتُ في طلبِه من منذ مدةٍ فقيل انه في المدينة المنورة ، فلما وصلت المدينة سألت عنه فقيل لي انه يوجد في مدرسة الشيخ محمّد مظْهَر النقشْبَنديّ. فتوجهتُ وسَألتُ عن الكتَابِ المذكُور، فقيلَ لي: إنّه أخذَهُ شخْص وقصْدُه أن يطبَعه في مِصْر.



فلما وصَلتُ إلىٰ مصْر، إذا برجُل إلىٰ جَانبي وأنَا في مسْجد سيِّدنا الحسَين، فقال لي: عنْدي نسخٌ من كتابِ «الدرّة الثّمينَةِ في فضَائلِ المدينَة»[٢]، للشيخ القشَاشيّ، هل لكَ قصْدٌ في شرَاءِ شيءٍ منها؟ فقلْتُ: نعم. ثم قلتُ له: هَلْ معكَ نسخَةٌ من «شَرحِ الحِكَم» للشّيخِ القشَاشيّ؟ فقالَ: نَعم، أنا آتيكَ به، ثُمَّ أتاني به اليومَ الثاني.

[زيارَةُ الشيخ عوَضٍ مرّةً أخْرَى]

عُدنَا إلىٰ ما نحن فيه؛ من الدخُولِ إلىٰ الشّيخ عوضٍ. فدخلْتُ عليهِ، فوجدْته في بيتِه، ففرحَ بي وفرحْتُ به، وسألَني عن حَالي في غَيبتي عنه، فقُلتُ: لم أزَلْ أفتّش

---

(١) تقدم الكلام على الكتاب ومؤلفه في (رحلة المدينة المنورة).

(٢) صواب اسم الكتاب: «الدرة الثمينة فيما لزائر النبي ﷺ إلىٰ المدينة»، طبع بمطبعة التقدم العلمية، بدرب الدليل، بالقاهرة، سنة ١٣٢٦هـ، في (١٥٧ صفحة)، على نفقة الشيخ محمد عبدالواحد جمجوم، بيض له سركيس (٢/ ١٧٢٠) ونسبه لرجل آخر، ولم يذكر بياناته.

عمَّن يرشِدُني مقالُه، وينهِضُني حالُه، فقالَ: هكَذا، باركَ الله فيكَ.

ثم إني سألتُه عن شَيخ فتحِه، فقالَ: شيخي الشيخُ محمّدٌ الفاسيّ[١]، الذي كان بمكَّةَ سابقاً، وزاويته في أجْيَاد. فقالَ لي: هل تعرفُه؟ فقلْتُ له: أعرفه بمكّةَ بالمسجد الحرام، حين تقومُ حلقَةُ ذكْره عند باب الوداع. فقالَ: صدقْتَ، هذا هُو شَيخي، وصَحِبتُه مدّةً طويلَةً، ووجدْتُ منه خيراً كثيراً، الحمدُ لله.

فقلتُ: قصْدي أقْرَأ عليكُم شيئاً من كَلامِ الصّوفيّة، فقالَ: بسْم الله، تفضّلْ، ففتَحتُ الكتابَ الذي هو «شَرْحُ الحكَم»، فقالَ: ما هَذا الكتابُ؟، فقلْتُ له: «شرحُ الحِكّم» للشّيخ القِشَاشي، فقَالَ: أنْعِم وأكْرِمْ بالشّيخ، فهو من كبَار الأولياءِ الصَّالحين العارفينَ، ففتَحْتُ الكتابَ، وقرأتُ عليه نحْوَ ثلاثةِ أسطُرٍ، فأخذ يتكلّمُ على معَاني الخطْبَةِ بكلامٍ بديعٍ غريبٍ.

ثم طلبتُ منه الإجازَةَ، وأن يكتُبَها لي، فأبى من الكِتابةِ، فأجَازَني لفْظاً بجميع ما تصِحُّ له روايتُه ودرايتُه، فقبلتُ الإجازَةَ، ثم إنّه قدّمَ لنا شيئاً من الفواكهِ، فأكلْنا، ثُمّ استأذَنّا بالخرُوجِ، وطلبنَا منه الفاتحَةَ، وودَّعَنا، وخرَجْنا.

[استطرادٌ في تَرْجمة الشَّيخ القِشَاشيّ]

ثم إني أقولُ؛ والشّيءُ بالشَّيءِ يذكَرُ: لما وقعَ ذكْرُ الشّيخ العَارفِ بالله، أحمَدَ القِشَاشيّ، أحببْتُ أن أذكُرَ شيئاً من كلامِه، ومن حاله ومن مقَامه، التماساً لبركته. فأقولُ: رَأيتُ في كتاب «خُلاصَة الأثَر في أعيانِ القَرْن الثّاني عشَر»[٢]، أثْنَاءَ ترجمةِ الشيخِ المذكور:

«ويقالُ: إنَّ الشيخ أحمدَ بن محمّدٍ القَشَاشيَّ المذكُورَ، وصَل إلىٰ مقَامِ

---

(١) تقدم ذكره، توفي سنة ١٢٩٣هـ.

(٢) للمؤرخ الأديب محمد أمين المحبي، المتوفى سنة ١١١١هـ.

الختميّةِ في عَصْره. فقد قالَ فيما وجد بخطِّه على هَامش «رسَالة» [/ ١٣٤] العارفِ بالله السيدِ سالم بن أحمدَ شيخانَ باعلوي، المسَماة بـ«شَقِّ الجيبِ في معرفة رجَالِ الشّهادة والغَيب»، عند قوله: «والختْمُ هُو واحِدٌ في كل زمان يختم الله به الولاية الخاصة وهو الشيخ الأكبر»، انتهى. قالَ ما نصُّه: «الذي نتحقّقُ وُجْدَانَه: أن الختْميةَ الخاصّةَ مرتبَةٌ إلهيةٌ، ينزلُ كلَّ أحدٍ لها حسَبَ وقتِـه وزمانِه، غيرَ منقطعَةٍ أبدَ الآبادِ، إلىٰ أن لا يبقَى على وجْهِ الأرْضِ من يقولُ: «الله، الله»، لعدَمِ خلُوِّ المراتبِ الإلهية عن القائمينَ بها، حتى يصير القَائمُ بها كالصّفْرِ الحافظِ لمرْتَبةِ العدَدِ فيما قبله وبعدَه، بأنفاسه تتمّ الصّالحاتُ، وتقْضَى الحاجاتُ. وقد تحقّقْنا بذلكَ حقًّا، ونزَلْنا منازلَهُ صدقاً، وممن رأيتُه من مشَايخي من أهل الختميّةِ المذكُورَة سنداً متصِلا منهُم إلينَا من غير انقِطاع بإذْنِ الله، خمسَةُ أنفُسٍ، سَادسُهم كلبُهم، لا رَجْما بالغيبِ وربِّه». ثم قَالَ بعدَها: «قالَ عبدُ الجميع محمد بن أحمد المدَني: ومثلُه لا يتكلّمُ إلا عن إذْنٍ إلهيٍّ، ونَفْثٍ رُوعِيٍّ»، انتهى[1].

انتهَى كلام «الخلاصَة»، وذلكَ فضْلُ الله يؤتيه من يشَاءُ.



[نزْهةٌ في حَديقَةِ الحيَواناتِ]

ثم في اليوم الثالثِ من شَهْر شوال؛ توجّهتُ في سكّة الحديدِ إلىٰ (الجيزَة)، لأجلِ التفرّجِ علَى مواضِعِ الحيواناتِ، فوصَلنا إليهَا ودخلنا المحلَّ الذي فيه الحيواناتُ، فوجدناه بيتاً كبيراً فيه موضعٌ متسع، فدخلنا من البابِ وسلّمْنا ما يلزم تسليمُه على الداخلِ، ودخَلنا.

---

(١) خلاصة الأثر: ١/ ٣٤٥.

فأول ما قابلنا شباكُ حديدٍ، على محلٍّ كبير، وفيه أصْنافُ الأسُودِ والنُّمُور وأنواعُ السباعِ، وكلُّ واحدٍ منها في قفَصٍ لنفسِه. ثم إلىٰ مَوضِع آخَر، وفيه أصنافُ الطّيورِ المشكَّلَة الألوانِ، فمنها الأبيضُ، ومنهَا الأخضَرُ، ومنها الأَصْفرُ، وبعضُها طُوالُ الرِّقابِ قدْرَ ذراعٍ. وفيه الطواويسُ، وطَير النعَام.

وإلىٰ موضعٍ آخَر، وفيه الزرافةُ، يدَيها أَطولُ من رِجْليها. وإلىٰ موضعٍ آخَر، وفيه بقَرُ الوَحشِ، وحمارُ الوَحشِ، وجلدُه مثلُ بيوتِ الشّطْرنج. وإلىٰ موضعٍ آخرَ وفيه أصنافٌ الوعْلِ، وعليه شباكٌ حديدٌ، ومن داخل الشبّاكِ مثلُ الجبَلِ عليه غَبرةٌ وفيه شبهُ الغِيرانِ. ورأيتُ فيه الوعُولَ ذواتِ القرونِ الطويلةِ، وفي كل قرن نحو أربعينَ حجَرةً، ورأينا فيه [من] أصْناف الحيوانِ، الكرْكَدنٍّ، وله قرنٌ في جبهتِه واحدٌ، وهو محدَّدٌ مستطيلٌ.

ورأينا حيواناً له بطنانِ، بطنٌ أصليةٌ، وبطنٌ خارجةٌ من أسْفلَ، ولها فمٌ مثلَ فمِ الجرابِ، إذا ولدَت الأولادَ الأنثَى تحفَظ أولادَها بالتربيةِ في ذلكَ المحَلِّ، حتى يستَطيع المشيَ، فيخرُج. وذلك الحيوانُ رجلاهُ أطولُ من يديه، عكْسَ الزرافَةِ.



ومن أعجَبِ وأغْربِ ما رأينَا، وهو حيوانُ البحْرِ المسمَّى بـ(جامُوس البحْر)، وفيه شبَهٌ من الجامُوسِ، وشبهٌ من الخنزيرِ، وهو مهُولُ الخلقةِ، له رأسٌ كبيرٌ، يسَاوي ربعَ جسْمه، وهو أسْودُ اللّونِ، وجدنَاهُ واقفاً على رأسِ بحَيرةِ [/ ١٣٥] ماءٍ، يأكلُ من الشّجرِ، فاجتمعَ الخلقُ إليه ينظرونَه، وبيننَا وبينه شبّاكٌ من حديدٍ، فلما رأى كثرةَ الخلقِ انحَدرَ إلىٰ البحيرةِ وغاصَ فيهَا، فانتظرنا ساعةً، حتى عادَ ورجعَ إلىٰ محلّه الأولِ، فسُبحانَ الصَّانعِ الحكِيمِ.

[محاورَةُ أديبٍ مُغترَبٍ]

وفي يوم من الأيام لقِيتُ بعْضَ من أعرفُه سابقاً، وكان من أهْلِ الأدَب والشعْرِ، وأقامَ في مصْر مدةً مديدةً. فقلتُ له: كيفَ حالُكَ يا فلان؟، أينَ الذي كنتُ

أعرفُه منكَ من الكلامِ في الأدَبِ والشّعْرِ الحسَنِ. فأجَابني ارتجالاً بهذينِ البيتَين:

كتَــبَ اللهُ أنْ أعِـيشَ غـريـباً ... في بـلادٍ أسَـاقُ كُـرْهـاً إليهَا

وبـقـلـبـي مخـــدَّراتُ مـعَـانٍ ... نـزلَـتْ آيـةُ الحـجَـابِ عليهَا

[زيارَةُ العلاّمةِ أحمد بِكْ الحسَيني بحُلْوانَ]

ثم في يوم من الأيّام؛ سألتُ عن العالمِ الشّهيرِ السّيدِ أحمد بيك الحسَينيّ(١)، فقيلَ لي: إنه في حُلْوانَ. فلما كانَ بعْد يومينِ، أخذتُ معيَ من يعرِفُ الأماكِنَ، وتوجّهتُ، فرَكِبنَا في سكّةِ الحديدِ إلىٰ حُلوانَ، أخَذْنا نحْوَ سَاعتينِ، حتى وصَلْنا، فنزلْنا، فوَجدْنا البلدةَ حسنةً جدًّا، هواؤهَا في غايةِ اللطَافةِ، وطرقها في غاية النظَافةِ، حتى وصَلنا إلىٰ بيتِ أحمدَ الحسَيني المذكُور. فوجدناهُ بيتاً حسَناً، مرتفِعاً، وأمامَه جُنَينةٌ حسنةٌ، فيها من أنواعِ الأشْجارِ المثمِرَة والمزهِرَة، ففُتِحَ لنا البابُ، وهو من حديدٍ، وعلَونا على الدّرجِ، وهو من رُخَام أبيض، حتى دخلنا أولَ منزلٍ للدّاخلِ، فوجَدناهُ مفروشاً بالجلائلِ المفخّر، فمشَينا عليهَا بالنّعالِ، حتى وصَلْنا إلىٰ المحلِّ الذي هُوَ جالسٌ فيهِ، فوجَدناه ملآناً بالكراسيّ، ومن بينها الطّربيزاتُ، والمذكورُ جالسٌ على أحَدِ الكراسي، فقامَ إلينا، وعَانقَنا، وردَّ علينَا السلامَ، وقابلنا كمالَ المقابلةِ.



ثم أخذَ يسألُنا عن وصُولِنا، من أيِّ محلٍّ؟ وعن وطنِنَا؟ وعن نَسبنا؟، فأجَبْنا بالواقعِ. فأكرَم نزُلَنا، ثم دارَ الحديثُ ما بينَنا وبينَه، وقالَ: ما الذي دلّكُم

---

(١) أحمد بن أحمد بن يوسف، محام، من فقهاء الشافعية، مولده ١٢٧١هـ ووفاته ١٣٣٢هـ بالقاهرة. كان والده شيخاً لطائفة النحاسين، وخلفه فيها. وصرَف أوقات فراغه للدراسة في الأزهر. ولما أنشئت المحاكم (عام ١٣٠٣هـ) مارس مهنة المحاماة، ونبغ فكان من أعضاء بعض اللجان القانونية، وانقطع للتأليف ولأعماله الخاصة. «الأعلام»: ١/ ٩٤.

علَينا؟. فأجبتُه: دلّتْنا عليكُم تَصانيفكُم البدِيعةُ النافِعةُ. فقالَ لي: وهَلْ رأيتَ منهَا شيئاً؟ فقلتُ له: نعَمْ؛ رأيتُ منهَا «دليلَ المسَافر»[1]، و«نهايَة الإحكَام»[2]، وذكرُكُم وشهرَتكُم في العالمِ، أشْهَر من نارٍ على علمٍ، فقالَ: جَزاكُم الله خيراً.

ثم قلتُ له: وإني من حَضْرموت، وفيهَا من العلماءِ كثيرٌ. فقالَ: تعرفُ السيدَ أحمد بن حسَنٍ العطاسَ؟[3] فقلتُ له: أعرفُه، وقد أخذْتُ عنه، والتمَسْتُ بركتَه، فقالَ: هذا السيِّدُ لا تزالُ المكاتبَةُ بيني وبينه[4]، وهو من العُلَماءِ. فقلتُ له: الأمر كذلك. ثمّ قالَ لي: تعرفُ السيدَ عليَّ بن محمدٍ الحبشيَّ؟ فقلتُ له: أعرفُه! وهو أخي من أبي، وشَيخي في جميعِ مرويّاتي ومُسْتنداتي. فقالَ: ما شاء الله!. وسَمِعتُ أن له مدرسةً كبيرةً، وفيها من طلبةِ العلمِ كثيرٌ، ويصْرفُ عليهم من تِلقَاء نفسِه، فقلتُ: نعَم؛ الأمرُ كذلكَ. فقالَ: جزاهُ الله [خيراً]، ومتَّع به، وكثَّر من أمثالِه، وهذا المطلوبُ من العلماءِ، [/ ١٣٦] لأجلِ حياةِ العلْمِ ودوامِه. فقلتُ له: إنه قائمٌ بوظيفَة الدَّعْوة إلىٰ الله، العامّةِ والخاصّة. فقالَ: هكذا هكَذا، وإلاَّ فلا، لا.



ثم انه حضَر الطعامُ، فقالَ: تفضّلُوا، فطَعِمْنا، وقُمْنا إلىٰ صَلاةِ الظهْر، وصلَّينَا، ثم عُدْنا إلىٰ محلِّ الجلوسِ، وأخذ يتكلَّمُ في أصْنافِ العلوم بلسانٍ طلقٍ، وقالَ: لا بدَّ قد بلغكُم أني أجتهِدُ في طبعِ كتابِ «الأمّ»، للإمامِ الشّافعيِّ[5]. فقلتُ له: نعَم. وقَدْ رأيتُ منها نسخاً متعدِّدةً في مكّة المشرفَة.

---

(١) طبع في بولاق سنة ١٣١٩هـ، ويقع في (١١٢ صفحة). «معجم المطبوعات»: ١/ ٣٨٤.

(٢) «في بيان ما للنية من الأحكام»، طبعَ في بولاق سنة ١٣٢٠هـ، في (١٩٢ صفحة). «معجم المطبوعات»: ١/ ٣٨٤.

(٣)كان السيد أحمد بك قد لقي الإمام العطاس سنة ١٣٠٨هـ، عندما زار مصر.

(٤)منها مكاتبة بيد السيد حسن الكاف، سنة ١٣٣٠هـ، «الطرف الشهية»: ص ٨٩.

(٥) طبع كتاب الأم في بولاق سنة ١٣٢١هـ، في (٧ أجزاء). «معجم المطبوعات»: ١/ ٤٦٩.

فقالَ: إني قد ابتدأتُ في شَرحٍ لها مُوفٍ بمقاصِدها إن شاء الله، وقد بلغتُ فيه إلىٰ صَلاة العيدين، والموجُودُ الآنَ سبعةَ عشَر مجلداً، والمجلدُ أربعونَ كراساً، والمقدِّمةُ للشّرحِ المذكُور مجلّدانِ؛ ترجمتُ فيها لفُقَهاء الشافعيةِ، وإن شاء الله عندَ عَودي إلىٰ مصْر تأتي إلىٰ بيتِي، وأطْلِعُك على «الشّرح» المذكُورِ. ثمّ إنّه أعْطَاني من مصَنفاتِه عدّةً، وودعْناه، ورجَعْنا إلىٰ مِصر.

ثم بعْدَ عَودِه إلىٰ مِصْر نادَاني، وحضَرتُ لديه، ووجَدتُ عندَه من العلماء جملةً، منهُم الشيخُ البُولاقيّ، والشيخ نِعْمةُ الله، وغيرهم، فجلسْتُ في المجلسِ، ثم انه دعَا بجزْءٍ من مقدِّمة «شرح الأم»[١]، فتصفّحتُه فإذا هو جزْءٌ حافلٌ، تكلَّمَ فيه على مناقبِ الإمامِ الشّافعيِّ وأصْحَابِه، ثم ترْجَم لجمْلَةٍ من فُقَهاء الشّافعيةِ.



[إجازَةُ أحمد بِكْ الحسَيني للمؤَلِّف]

ثم إني طلبتُ منه الإجازةَ[٢]، فأجَازَني لفظاً، ثم طلبتُ منه أن يرقُمَها لي في كراسَةٍ، ويثبتَ لي سندَه في الفِقْه إلىٰ الإمام الشافعيّ، وسَنده في «كتَابِ الأمّ»، فقالَ: إن شاء الله. وأوْعدَني بها. ثمّ رجَعتُ إلىٰ منزلي، وبعد أيامٍ جِئتُ إليهِ، فناولني الإجازةَ وقرأتُها بين يديهِ، وأجازني بها لفظاً، وهي هذه:

(١) واسم الشرح كاملا: «مرشِدُ الأنام لبِرِّ أمِّ الإمام».

(٢) وممن أخذ الإجازة عن السيد أحمد بك من أهل حضرموت أيضا: السيد حسن بن عبدالله الكاف (ت ١٣٤٦هـ)، والشيخ محمد بن عوض بافضل (ت ١٣٦٩هـ)، وهي مؤرخة في ٢ من ذي القعدة سنة ١٣٣٠هـ، ينظر نصها في «الطرف الشهية»: ص ٩٣.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

«الحمدُلله وحدَه، والصلاةُ والسلامُ على من لا نبيَّ بعدَه، وعلى آله الأطهار، وصَحابته الأخيار.

وبعدُ؛ فيقولُ الفقير إلىٰ رحمةِ رَبّه الغنيّ، أحمدُ بن أحمد الحسَينيّ، غفر الله ذنوبه، وستَر في الدارين عيُوبَه: قد منَّ الله عليَّ بصُحبةِ جماعةٍ من العُلَماء العظام، بقراءَتي عليهم الكتُبَ العديدَة، في العلُوم المفيدَة، من معقولٍ ومنقُولٍ، وفرُوعٍ وأصولٍ، من أجلِّهم قَدْراً، وأوسَعِهم فَهماً، وأغْزَرهم عِلْماً، مولانَا وشَيخُنا وقدْوتُنا، شَيخُ الإسْلام والمسلِمينَ، ووارثُ علومِ سيدِ المرْسَلين، الشيخُ محمدُ بن محمدِ بن الحسين الأنبابيُّ الشافعيّ[1]، رحمه الله تعالى، وقَدْ لازمته مدّةً مديدَة، وسنينَ عديدةً، حُضوراً وسَماعاً وبَحثاً، لاسيَّما فقْه الإمَامِ الشافعيِّ المطَّلبيّ، رضي الله عنه، وعلمُ الحديثِ روايةً ودرايةً.

والآن قد استجازَني الهمامُ الفاضِل، المجمَّلُ بفَرائد الفضائل والفواضل، والمتحلِّي بالصلاحِ والتقَى، خلاصة أهل العرفان والنهى، السيدُ شَيخُ ابنُ السيدِ محمّدِ بن حسينِ بن عبدالله بن شيخِ الحَبَشيّ، العلويّ الحسينيّ الحضرميّ، وطلبَ مني أن أجيزَه بما تلقيتُه عن مشَايخي لما أنا مجازٌ منهُم.

فقلتُ إجابةً لطلبِه: أجَزْتُ الفاضلَ المذكورَ، ضاعَف الله [/١٣٧] لنَا وله الأجُور، بفقْهِ الإمام الشافعيّ المطلبيّ، رضي الله عنه، فإني تلقيتُه عن شَيخي شيخِ الإسْلام، محمدٍ الأنبابيِّ المشَار إليه. فأنا أرويه عنه بسنَدِه المتصلِ إلىٰ الإمام الشافعيّ، كما يرويه عن شَيخه شيخِ الإسْلام العلامة إبراهيم الباجوري، عن شيخ الإسلام الشيخ حسنٍ القُوَيسِنيّ، عن شيخه العلامةِ أبي هُريرَةَ داود بن محمد القلعيِّ، عن الشيخ

---

(١) توفي سنة ١٣١٣هـ، تولى مشيخة الأزهر مرتين. «الأعلام»: ٧/ ٧٥.

عيسَى البرَاويّ، والشيخ أحمدَ البحيرمي وشيخِ الإسِلام الشيخِ عبدالله الشّبْراويّ.

فالأولُ؛ وهو الشيخُ عيسَى البراويّ، أخذَ عن الشيخ محمد الدفري، عن الشيخ سَالمٍ البصْريّ، عن أبيهِ الشيخ عبدالله بنِ سالمٍ البصريّ.

والثاني وهو الشيخُ أحمدُ جمعَة البُجَيرميّ، عن الشيخ مصْطَفى الإسكندرانيّ، عن الشيخِ عبدالله بن سالم البصريّ المذكُور، عن الشيخِ علاءِ الدينِ البابليّ، عن النور عليٍّ الزّيَاديّ، عن الشيخِ عُميرةَ البرلُّسي، وشِهاب الدينِ البُلقَينيّ، والعلامةِ ابن حجَرٍ الهيتَميّ، والشهابِ الرمليّ، وولده محمّد.

وهؤلاء الخمسَةُ كلهُم؛ عن شيخِ الإسلامِ زكريّا الأنصاريّ، عن الجلال المحَلّي، والجلالِ البُلقَينيّ، والحافظ ابن حجر العسقلاني.

وأخذ الثلاثةُ؛ عن وليِّ الدينِ أبي زُرْعةَ العراقيّ، عن أبيه الحافظ زين الدين العِراقيّ، عن علاءِ الدينِ العطّار، عن محرِّر المذهَب شيخ الإسلام محيي الدّينِ النوويِّ، عن جماعاتٍ، أولهم أبو إبراهيم إسحاقَ بنِ أحمدَ المغربيّ المقْدسي، ثُمّ أبو محمدٍ عبدُ الرحمن بن نوح المقدِسي الدمشقي، ثم أبو حفْصٍ عمرُ أبُو أسعد الرّبقي الإربلي، ثم أبو الحسن سلّارُ بنُ الحسَن الإربليّ.

والثلاثةُ الأولونَ؛ عن أبي عمْرٍو عُثمانَ المعروفِ بابنِ الصلاحِ، عن والدِه، **في طريقَة العرَاقيِّين**، عن أبي سعيدٍ عبدالله بن أبي عَصْرونٍ الموصِلي، عن أبي سعيدٍ علي الفارِقي، عن أبي اسحاقَ الشيرازيِّ، عن أبي الطيبِ الطبريّ، عن أبي الحسن الماسَرْجسيّ، عن أبي اسحاقَ المروزيّ، عن أبي العباس ابن سريجٍ، عن أبي القاسم الأنماطيّ، عن إبراهيمَ المزنيّ، وأبي محمدٍ الربيعِ بن سليمانَ المراديّ، كلاهما عن أبي عبدِ الله محمّدِ بن إدريسَ الشافعيّ، رضي الله عنه.

وأما طريقة الخراسانيين:

فأخذَها النوويُّ عن مشايخه الأربعةِ المتقدمين؛ والثلاثَةُ الأوَلُ أخذُوهَا عن



أبي عمرٍو، عن والدِه، عن أبي القاسم بن البَزْريّ الجزري، عن أبي الحسن إِلْكِيَا الهرّاسيّ، عن إمامِ الحرَمينِ أبي المعالي عبدالملكِ ابن أبي محمدٍ عبدِ الله بن يوسفَ الجوينيّ، عن والدِه الشيخِ أبي محمدٍ الجوَيـني، عن أبي بكرٍ عبدِ الله بن أحمدَ القفالِ المروزيّ الصّغير، وهو إمامُ طريقةِ خُراسَانَ، عن أبي زيدٍ المْرَوَزيّ، عن أبي إسحاقَ المروزيّ، عن ابن سُريج، كما سبقَ.

وأما سَلّار شيخُ النووي الرابع؛ فأخذَ عن الماَهاني عن ابنِ البزْريّ، بطريقهِ السابقِ.

وأما الشيخُ الثالثُ للشيخ داودَ القلعيِّ؛ وهو الشيخُ عبدالله الشّبراوي، فأخذ الفقْهَ عن شيخِه الشهابِ الخَليفيّ، عن الجمال منصُورٍ الطّوخي، عن محمدِ بن أحمدَ الشَّوبَريّ، عن الرمليّ، عن شيخِ الإسلام زكريَا الأنصاريّ، عن الحافظ ابنِ حجَرٍ [/ ١٣٨] العسقلانيّ، عن البرهانِ الأبناسيّ، وسراج الدين عمَر [ابن] الملقِّن، كلاهُما عن عبدِالرحيم الإسنويّ، صاحب «المهماتِ»، عن قاضي القُضَاة تقيِّ الدينِ السبْكيّ، عن نجْم الدينِ أحمدَ بن محمد بن علي الأنصاريّ، صاحب «المطلب العالي»، الشهير بابنِ الرِّفْعَة، عن تقي الدين ابن دقيقِ العيدِ، عن العزِّ ابن عبدِ السلام، عَن فخْرِ الدين ابنِ عسَاكرٍ، عن أبي المعالي مسْعُود النِّيسَابوريّ، عن عمر ابن إسماعيلَ الدامِغانيّ، عن حجةِ الإسلام أبي حامدٍ الغزاليّ، عن إمام الحرَمينِ، عن أبيه الشيخِ أبي محمّدٍ الجوَينيّ، عن أبي بكَر المروَزيّ القفَالِ الصّغير، شيخ الخراسانيينَ، بطَريقهِ السابقِ، إلىٰ إمامِ الأئمةِ ابي عبدالله محمدِ بن إدريسَ الشافعيّ، رضي الله عنه.

[أسانيدُ كتُبِ المذْهَب]

كما أروي كتُبَ المذهبِ إجازةً عن شَيخي العلامَة المغفُور له، الشيخ محمد الخضَريّ الأزهريّ، عن أخيه العلامةِ الشيخ محمدٍ الخُضَري الدمياطي، صاحب التآليف المشهورَة، عن شَيخه علامةِ الزمانِ، خَالِ والدي، المرحوم شَيخِ الإسلامِ،

الشيخ حسَنِ العَطّار، عن شَيخ الإسْلام عبدِ الله الشرقاويّ، صاحب التصانيف، عَن شهَابِ الدينِ أحمد بن عبدِ المنعِم الدّمَنْهُوريّ، عن الشهابِ الخلِيفي المذكُور، بسندِه، إلىٰ إمام الأئمةِ محمّدٍ بن إدريسَ الشافعي، رضي الله عنه.

[سندُ الحديثِ النبَويّ]

وأما سندُ الفقيرِ في الحديثِ النبويِّ؛ فعَن شَيخي وأستاذي شَيخ الإسلام محمد الأنبابيّ الشافعيّ، شيخ الجامعِ الأزهر، وهو أخذ عن رجالٍ صَالحينَ، أجلّهم الإمامانِ العالمانِ، شيخ الإسْلامِ الشيخ إبراهيمُ الباجُوريّ، والسيد مصْطفَى الذهبيّ، كلاهما عن شَيخِ الإسلام الشيخِ حسنٍ القوَيسِني.

وهو أخذ «صحيح البخاريِّ» عن الشيخِ داود القلعيّ، عن الشيخِ أحمد جمعةَ البجَيرميّ، عن الشيخ مصْطفى الإسكندراني، المعروف بابنِ الصّباغ، وهو عن الشيخ عبدالله بن سالم البصريّ، عن الشيخِ علاءِ الدينِ البابليّ، عن الشيخ سالم السنهوريّ، عن الشيخ نجْم الدينِ الغَيطيّ، عن شيخ الإسلام زكريا الأنصاريّ، عن ابن حجرٍ العسْقلانيّ، عن الشيخِ إبراهيمَ بن أحمدَ التنوخيّ، عن الشيخ أحمدَ بن أبي طالبٍ الحجّارِ، عن الحسَين ابن المباركِ الزبيدِي الحنبلي، عن أبي الوقْتِ عبدالأولِ بنِ عيسَى بن شُعَيبِ السّجْزي الهرويّ، عن ابي الحسين عبدِ الرحمن بن محمّدِ بن مظفّرِ ابن داودَ الداووديّ، عن أبي محمد عبدِ الله بن أحمد السرَخْسيّ، عن أبي عبدِ الله بن محمد بن يوسف بن مطَر بن صالح بن بشْر الفرَبْريّ، وهو عن الإمام أبي عبدِ الله محمّد بن إسماعيلَ البخاريّ، مؤلف «الجامع الصحيح».

وسمع الشيخ حسن القُوّيسنيُّ عن الأستاذِ الشيخِ سُلَيمانَ البجَيرميّ، وأجازَه ببقيّةِ الكتبِ الستّةِ، وبجميع مرويّاته، وهو أخذ أيضاً عن الأستاذ العَشْماويّ، عن أبي العز العجَميّ، عن الشّيخِ الشَّوبريّ، عن الأستاذِ الشيخِ الرمليِّ الصّغير، عن الشيخ زكريا الأنصاريّ، بسنده السابقِ.

وكما أجازني [/١٣٩] مشايخي؛ فقد أجزتُ الفاضلَ الهمامَ، بقيّةَ السّلفِ الصالح، السيدَ شَيخَ ابنَ السيدِ محمّدٍ الحبَشيّ، من بلد سَيُونَ، من مدن حضرموتَ، بما أخذتُه وتلقيتُه عَنهم، من معقولٍ ومنقولٍ، وفُروعٍ وأصُولٍ، وبجميعِ مؤلَّفاتي، إجازةً عامةً مطلَقةً، أسألُ الله تعالى أن يوفّقني وإيَّاهُ لصالح الإعمالِ، وأن يحسِنَ عاقبتَنا، ويلْطُفَ بنَا في جميعِ الأحْوالِ.

وأوصيهِ وإيايَ بالتقْوَى، فإنها هيَ السببُ الأقْوَى، وإن لا ينْسَاني من صالحِ دعَواته، لي ولجميعِ الأمّةِ على الدوام، وأفضَلُ الصّلاةِ والسّلامِ، على سيدنا ومولانا محمّد ﷺ وآله وصَحبهِ وسلم.

٢٠ شوال سنة ١٣٢٨؛ الفقير إلى الله تعالى

أحمدُ بنُ أحمدَ الحسينيّ الشافعيّ الأزْهَري.



[مع العَلاّمةِ أحمد فَريد وجْدِي]


رسم أحمد فريد وجدي

وقد رأيتُ سَابقاً «تفسير القرآنِ» للشيخِ الفَريدِ وَجْدي(١)، ورأيتُ له أيضاً «مجلةَ الحياة»، فأعجَبني كلامُه. وهو منْ أهالي مصْر. فسألتُ عنه، فدلّوني عليهِ في حَارةٍ من حَاراتِ مصْرَ. فتوجّهتُ إليهِ، فوجدتُه، ودخلتُ عليهِ، وسلمتُ، فردَّ السلامَ، وقابلَني كمالَ المقابلةِ، وهو في نَحْوِ (٣٠ سنةً)، فتباحثتُ معَه، فوجَدتُه عالماً.

ثم قالَ لي: ما الذي جاءِ بكَ إليَّ، ولم تكُنْ بيني وبينكَ معرفَةٌ سَابقةٌ؟ فقلتُ له: إني اطّلعْتُ على مصنفاتِكَ الحسنةِ، فأحببتُ لقاءَكَ. فقالَ: أحبَّ الله لقاءَكَ. فقَال: وما الذي اطلعتَ عليه من تآليفي؟ فقلتُ: اطّلعتُ على «تفسير القرآنِ»، وعلى «مجلّةِ الحياةِ»، وعلى «كَنزِ العُلومِ واللغة»(٢)، وأعْجَبني كلامُكَ في سيدِ الوجُودِ ﷺ.

فقالَ: كيفَ لا نُشْبِعُ الفضْلَ في مدْحِه وأوصَافهِ، وهو أصْلُ هِدايتِنا وفلاحِنَا

---

(١) محمد فريد بن مصطفى وجدي، مؤلف (دائرة المعارف) من الكتاب الفضلاء الباحثين، ولد سنة ١٢٩٥هـ، ونشأ بالاسكندرية. وأقام زمنا في (دمياط) وكان أبوه وكيل محافظ فيها. وانتقل معه إلىٰ السويس، فأصدر بها مجلة (الحياة) ونشر رسالة له سماها (الفلسفة الحقة في بدائع الاكوان) سنة ١٨٩٩ وكتاب (تطبيق الديانة الاسلامية على نواميس المدنية) كتبه أولا باللغة الفرنسية، وترجمه إلىٰ العربية بهذا الاسم، وسماه في طبعة أخرى (المدنية والاسلام) وسكن القاهرة، فعمل في وظيفة صغيرة بديوان الاوقاف، أنشأ بعدها مطبعة أصدر بها جريدة (الدستور) اليومية، مدة، ثم (الوجديات) وهي شبه مجلة أسبوعية، ونشر كتابه (دائرة معارف القرن الرابع عشر، العشرين) في أجزاء متتابعة اكتملت في عشرة مجلدات، وعكف على المطالعة والتأليف. وتولى تحرير مجلة (الازهر) نيفا وعشر سنين، واعتزلها قبل وفاته بنحو عامين، مخلدا إلىٰ الراحة. وكان مترفعا عن غشيان المجالس العامة، قلما يرى في حفل أو مجتمع، يأنس بزواره في بيته، وقل أن يزور أحدا أو يجيب دعوة. وتوفي بالقاهرة سنة ١٣٧٣هـ. عن «الأعلام»: ٦/ ٣٢٩.

(٢) قال عنه الزركلي: «وهو من أنفس كتبه». «الأعلام»: ٦/ ٣٣٠.

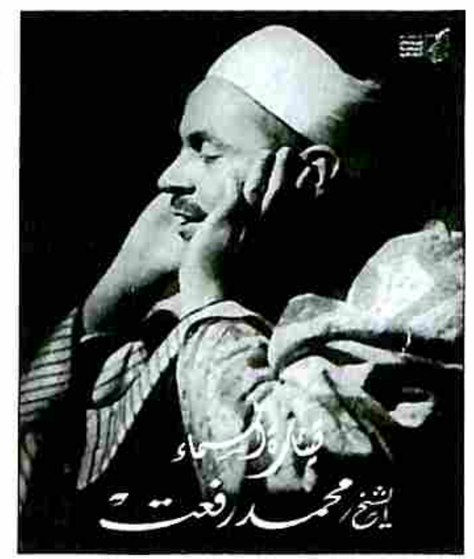
ونجَاحنا. ثُم إنّه سألَني عن اليمَنِ وحضْرموتَ، وعن عُلمائِها. وهو في غايةٍ من الذكَاءِ والفطْنةِ، ثمَّ إني ودّعتُه، ورجعَتُ إلىٰ مَنزلي.

[زيارةُ مقَام الإمام البُلقَينيّ]

وسمعتُ بالإمام البُلقَيني[1]؛ فتوجهت إلىٰ زيارة ضريحِه، فوافقتُ تلكَ الليلةَ ليلةَ حَولِه، فحضَر جمعٌ عَظيمٌ، وحضَرْنا زيارَته مع الجمْع، وقد عقَدُوا حلقةً للذّكْرِ والإنشادِ بإصْواتٍ حسنةٍ، ثم إنهم بعد ذلك فرقوا على الحاضرين شيئاً من الحلوى ثم انصرفنا.

[في حَضْرةِ القَارِئ الشَّيخ محمّد رِفْعَت]

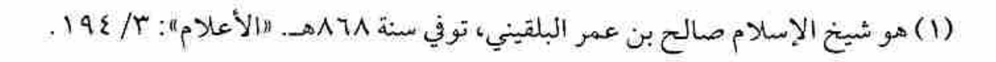
فمرَرْنا على بيتٍ يُقرَأ فيه القرآنُ بصَوتٍ حسَنٍ، فوقَفتُ، ولم أستطع المشْيَ من حُسنِ الصّوتِ، فقلتُ لمن معي: هَلْ من سبيلٍ من الدخولِ لاستماعِ القرآن؟





فقالَ لي: واحدٌ ممن معي: نعَم؛ تفضّلْ، فإنّ لي معرفةً بصاحبِ البيتِ، وأعتَقِدُ رضَاهُ. فدخَلنا، فقابلَنا صاحبُ المنزلِ وفرحَ بنا، وقالَ: حلَّتِ البركَةُ، فسألْنا عن المقْرئ فقيلَ: اسمُه **الشيخُ رِفْعَت**. ثمّ شرعَ في قراءة ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ﴾[النجم: ١]، بصَوتٍ حسنٍ يتحرّكُ منه الجمادُ، من حينِ ابتَدأَ إلىٰ أن ختَم السُّورَةَ لم ترْقَ لي دَمعةٌ.

وبعدَ الختم استأذنَّا في الخروجِ، وتوجّهنا، والقلبُ في غَايةٍ من الأسَفِ، ورجَعْتُ إلىٰ البيتِ.



(١) هو شيخ الإسلام صالح بن عمر البلقيني، توفي سنة ٨٦٨هـ. «الأعلام»: ٣/ ١٩٤.

[السَيِّد حسَنِ البار؛ يطْلبُ الإجَازَة]

ثُم إنّي في يومٍ من الأيام جالسٌ مع الولدِ المبارَكِ حسَنِ بن محمّدِ بنِ أحمدَ البَار[1]، فقالَ: مُرادي منكَ تكتُبَ لي إجازةً [/ ١٤٠] ووَصيةً، فاعتذَرتُ منه أولاً وثانياً، فلم يدَعْ لي عُذراً، فأسعفتُه بمَطلُوبه، لما له عليَّ من الحقُوق، فَإنَّ أغْلبَ مسيري في مصْرَ للزياراتِ جَميعِها، ومواضِع التنزُّهاتِ، أنا وهو، وقَد يصْحَبنا ناسٌ من أهالي مِصْر، مثلُ الشيخِ علي الوقّاد. وله حانوتٌ أمامَ سيدنا الحسين، وهو مِن الصالحينَ، ولم يزل المجاذيبُ من أهلِ مصْر يتردّدونَ إليه، وهو يكْرِمُهم ويحبهم، وهم يحبّونَه!.

[من أخْبارِ عَالم المجَاذِيب!]

وقد رأيتُ مرّةً عندَه مجذوباً جالساً في الدكّانِ، ولسانُه تتحرّكُ بالذكْر سرًّا، فقلتُ له: يا شيخُ عليّ، من هذا الرجلُ المجذوبُ؟ فقالَ: هذا الشيخُ علي اللوَّاح، وله مريدونَ مجاذيبُ مثلَه، يترقّونَ برؤيته، يجلِسُون قريباً منه ويلاحِظُونه، فلم أشْعُر إلا وقد أتَتْ امرأةٌ من المجَاذيبِ وجلسَتْ إلىٰ جانبِ المجذُوبِ، وأسرَّتْ إليهِ كلاماً ورجَعتْ.

ثم انه دعَا بكأسٍ من الماءِ، فناولوه إياه، فأخذَه نحْوَ سَاعةٍ قريباً من فَمِه، وهو يلْهَجُ بالذكرِ، غَائباً، وقد يكلّمُه الإنسانُ ولا يجيبه، ثم إنّه شربَ بعْض الماءِ، وأُخِذَ منه الكأسُ ولم يشعر. ورأيتُ الشيخَ مُرْسي؛ من المجاذيبِ، وهو لم يزل رافعاً طرْفَه إلىٰ السماءِ، ويتكلم على مصْرَ، ومن فيها، ويقُول: كلُّهُم من تحتي، وغيرَ ذلك. ورأينَا من السَّائحينَ والعلماءِ في مصْرَ كثيراً، نفعنَا الله بهم، وبأسرارهِم، آمينَ اللهم آمين.

---

(١) تقدم ذكره أول وصول المؤلف إلىٰ القاهرة، وهو من أهل الخريبة، كان والده السيد محمد بن أحمد بن عبدالله بن عيدروس البار قد هاجر إلىٰ مصر في حياة أبيه، وتوفي بها. وأتاه ابنه حسن المذكور، وحسين (قُرِض)، وأحمد. وللسيد حسن بن محمد خمسة من الأولاد، ذكروا في الشجرة العلوية، وهم: عبدالله، ومحمد الغزالي، وعبدالقادر، وحسين، وأحمد. ولهم ذرية في مصر وحضرموت والحجاز، والله أعلم.

[أديبٌ مسْتَوحِش]

وفي بعضِ الأيّامِ؛ لقيتُ رجلاً من الأدباءِ، وهو مُستَوحِشٌ من الناسِ، يكره الخِلطَة، فقلتُ له: مالي أراكَ بعيداً من الناسِ؟ فأجابني بهذين البيتين:

بُعْدي مِنَ الناسِ بُرْءٌ من سِقامِهِمُ ... وقُرْبهم للحِجَا والدِّينِ أدْواءُ
كالبيتِ أفْرِدَ لا إيْطاءَ يدرُكُه ... ولا سِنَادٌ ولا في اللفْظِ إقْواءُ

* * *

[إجازَةُ المؤلفِ للسيدِ حسَنِ البَار]

وهذه صُورَة الإجازةِ والوصيةِ التي طَلبها مني السيدُ حسنُ بن محمدٍ البارُ، أحببتُ إثباتَها هُنا، لعلي أنتفعُ بها أنا وأولادِي وغيرَهم، وهي هذهِ:



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

«الحمدُلله المحمُودِ بكلِّ لسانٍ، المشكُور على جميعِ نعَمه في كُلِّ آن، المنفَردِ بالألوهيةِ في كلِّ زمانٍ ومكانٍ، الذي جعلَ مظَاهِر أسْمائِه وصِفاته في جميعِ مخلوقاته من جمادٍ وحَيوان، حمداً يُفتَح به البابُ، ويُرفَع به الحجابُ، ويُسْمع به الخطابُ. والصلاة والسلام الأتمّانِ الأكْملانِ، على سيدِنا ومولانا محمّدٍ ﷺ، مركزِ دائرَةِ الحقائقِ الربانيةِ، وعين أعيَانِ الأسْرارِ العِرْفانيّة، ومجلَى التجلياتِ الرَّحمانيةِ، الساطعِ نورُها على جميعِ الذرّاتِ الكَونيةِ، وعلى آلِه الكرام، وأصْحابِه الأعْلام، وعَلى من اقتفَى أثرَهم، وسلك منْهجَهم، من الصادقين في السَّيرِ إلىٰ الله، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾.

والسائرونَ إلىٰ الله تعالى أصْنافٌ، فمنْ سَالكٍ طريقَ الاجتهادِ مشَمِّراً في الأعمالِ، من صلواتٍ وأذكارٍ وأورادٍ، ومن باسطٍ أيدِي الافتقارِ، نَاظراً بعَينِ التفكُّرِ والاعتبار، في مصنوعَاتِ الله الواحدِ القهّار، وما احتوَتْ عليه من حكَمٍ وأسرار، مستَدِلاً بالصّنعةِ على الصَانعِ الحكيمِ، والطّرقُ إلىٰ الله متنوعةٌ، والسالكُونَ [١٤١/]

فيها كلٌّ إلىٰ الله مرْجِعُه، وحديثُ: «اعملُوا، فَكُلٌّ ميسَّرٌ لما خُلقَ له»[(١)]، برَدَ عليه جأشُ المؤْمنِ الصّالح، واتّضحَ الحقُّ له. وسوابقُ العناية الربانية خصّصَتْ أربابَها بما خصصَتْ، وأتحفتهم بما أتحفَتْ، ﴿وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ١٠٥﴾ [البقرة: ١٠٥].

ثمّ إنه عندَما يسكنُ لاعِجُ الإرادةِ في قلبِ عبدٍ، بتنبيه إلهيٍّ، وإلهام ربّاني، فلا بدَّ له من السّعي في طلَبِ شيخٍ مرْشدٍ، يلقي نفْسَه بين يديه، ويعرض جميع حَالاتِه عليه، ويجعله مقتَداهُ وإمامَه في جميع ما يقولُه ويفعَله، فإذا فعلَ ذلك اهتدَى إلىٰ السبيلِ السويِّ، والمنهَجِ الواضحِ الجليِّ، فحينئذ لا يخافُ ظلماً ولا هَضْماً، قال سيدي عليٌّ، متع الله به، في بعْضِ كلامِه المنْظُوم:

ولا بـدَّ في سَيـرِ المهامِهِ من سَنـا ... نجُومِ الهدَى يَهديكَ أو لَامعُ البَرْقِ[(٢)]

أرادَ، رضي الله عنه، بـ«نجُوم الهدَى»: المشايخَ المرشدين، وبـ«لامع البرقِ»: النفحَاتِ الإلهيةَ. وقالَ سيدي عبدُ الله الحدادُ:

ولا بُدَّ من شَيخٍ تَسيرُ بسَيره ... إلىٰ الله منْ أهْلِ النفُوسِ الزّكيّة[(٣)]

وفي الحقيقةِ؛ لو صدَق العبدُ في طَلبه، لوجدَه ينادِي: هل من طالبٍ؟، هَلْ من راغبٍ؟ وإنما كما قالَ الحبيبُ عبدُ الله الحدادُ:

ولكنَّـا حُـجِبـنَـا بالأمَـاني ... وبالكَونِ الكَثيفِ مع النُّـزُوحِ[(٤)]

اللهُمَّ دُلَّنا على من يدُلّنا عليكَ، وأوصِلْنا إلىٰ مَن يوصلنا إليكَ، برحمتكَ يا أرحَم الراحمين. ولا يظنّ الإنسانُ أن المشايخَ المسَلِّكينَ لا يوجَدُونَ في هذا الزمانِ،

(١) متفق عليه، واللفظ لمسلم.
(٢) «الجوهر المصون»: ص ١٥٠.
(٣) «الدر المنظوم»: ص ١١٧.
(٤) «الدر المنظوم»: ص ١٤٢.

فمعَاذ الله، وكيفَ لا!، وهمُ الأمناءُ على الأسرار، والمتدَرِّكونَ بعَالم الشّهادةِ في جميعِ الأطْوَار، قال سيدنا الحبيب عبدالرحمن بلفقيه[١]:

يقـولُ قَـومٌ عـن هُداهُـم ضَلّوا ... قَـد عُدِمـوا في عَصْرنـا وقَلُّـوا

فقُـلْ لهـم كَلاَّ ولكِـنْ جَلُّـوا ... عَـن أن تَراهُـم أعـيُنُ الجهَّـالِ

فكيـفَ يخلُـو عَـالمُ الشَّـهادَةْ ... عَنهُـم وهـم فيـهِ الهـدَاةُ القَادَة

قَـدْ حفِـظَ الله بهِـمْ عِبَـادَهْ ... وصَانهـم في سَـائرِ الأحْـوالِ

اللهُمَّ لا تحرِمْنا خيرَ ما عندكَ لشَرِّ ما عندنا.

أما بعْدُ؛



فلما كنتُ في أثناءِ سياحَتي، عامَ ألف وثلاثمائة وثمانيةٍ وعشرين (١٣٢٨)، فاتحةَ شهْرِ رمضَانَ، دخلتُ إلىٰ مصْر القَاهرَةِ، وصُمْتُ بها رمضَانَ جميعَه، وكان أغلَبُ صَلواتي المفروضَة في مسْجدِ سيدِنا الحسَين بن عليِّ ابنِ أبي طالب رضيَ الله عنهما، وكان مستَقرُّ جلُوسي في بيتِ الشَّيخ المكرِّم عُمَر بن محمّدٍ باجُنَيد، فجمَعتْني الأقدارُ بأخٍ صادق، ورَفيقٍ موافق، وهو السيدُ حسَنُ بن محمّدِ بن أحمدَ البار، المتقدِّم ذكرُه، ولم يزلْ يصْحَبُني في جميعِ المجالسِ، هو [/١٤٢] وجماعةٌ من سكّانِ مصْر، وقد صَحِبني في جميعِ الزياراتِ لمَن في مِصْر من أهْلِ البيتِ النبويّ، وغيرهم، وسيّدنا الإمامِ الشافعيّ، وسَيدِنا عمَر ابنِ الفارضِ، وغيرهم من الأولياءِ العارفينَ.

وكان كثيراً يسمَعُ مني، هو ومَن معَه، بعْضَ المذاكراتِ العلميّةِ، وروايات أرويها عنِ السّادةِ الصُّوفيةِ، ورأيتُ منه حُسْنَ الإصغاءِ لما ألقيه، والتلهّفَ والتعطشَ لما أمليه، فائتَلفَتْ رُوحي بروحِه، فصَار لا يكادُ يفَارقُني.

ثمّ إنه في بعْضِ مجالسَ جلسْناهَا معه، طابَ فيهَا الحديثُ، في القديمِ والحديثِ، وسمِعَ من غُرَرِ الحكَمِ ومحاسن الكَلمِ، ما يبرزُ العزْمَ الجازمَ ويحركُ الهمَم، من واردٍ

---

(١) المتوفى سنة ١١٦٢هـ. في منظومته «الرشفات».

ورَد في الحالِ، أو كلامِ وعَتْه الأسماعُ من إملاءِ كمَّلِ الرجَال. فجذبَ مغناطيسُ التعَلّقِ الكامنِ في فؤادِه، بعْضَ أسرارِ ما سَمع، فحرّكَ منه ما حَرّكَ، وبه أدركَ ما أدرَك، فاشتاقَتْ روحُه إلىٰ الانْضِمامِ في مسْلكِ المريدينَ، الراغبينَ في سُلوك طريقِ الأوليَاءِ العارفينَ.

فطلبَ من الفَقيرِ الإجازةَ والوصيةَ، حُسْنَ ظنٍّ منْهُ، مع أني لسْت أهلاً للإجازَةِ والوصيّةِ، وأنا أولى بها من غَيري، ولكن لما كانَ عزيزاً عليَّ، وله محبةٌ صادقةٌ لديّ، أسعفتُه بالمرادِ، مستمدًّا من فَضْل ربِّ العبادِ، فيما أقولُه بلسَاني، وأرقمه ببناني؛ **فأقُولُ**:

أجزْتُ السيدَ الشريفَ، الأديب الأريبَ الفاضلَ، حسنَ بن محمّدِ ابنِ الولي الكاملِ، والعالمِ العامل، أحمد بن عبدِ الله بن عيدرُوس البار، في جميعَ ما تجوزُ لي روايتُه ودرايتُه، من معقولٍ ومنقولٍ، وفي قراءة كتُبِ الحديثِ، كما أرويها بالسّندِ عن مصَنّفيها، وأجزتُه في قراءَةِ كتُبِ الفقْه، مثْلَ «المنهَاج» للإمام النوويّ، وبعضِ شُروحِه، وفي علوم الآلَةِ، وعليه أن يجتهدَ في طلَبِ العلم بهمّةٍ ونشاطٍ، وتحقيقٍ وتدقيقٍ، وخصُوصاً في علْمِ الفقْه، فإنّ المشْكلَ فيه كثيرٌ، وعلى علم الفقْه مدارُ الدِّين كلّه. وأجزتُه في قراءةِ كتبِ التصوفِ، مثل كتاب «الإحياءِ»، وكتب الحبيب عبْدِالله الحداد، ولا بأس بالمطَالعةِ في كتُبِ القَوم الصوفيةِ، فإن فيها جلاءُ القلوبِ، والوقوفُ على حقائقِ العلومِ، وتكن بعد التبحُّرِ في علْمِ الفقْهِ، وبعض علوم الآلَةِ.

[شيوخُ المؤَلّفِ]

وسأبينُ لكَ المشايخَ الذينَ أخذْتُ عنهم.

فأولهم: أبي؛ وهو العالمُ العلامةُ، والحبر البحْرُ الفهامَة، محمّد بنُ حُسَين بن عبدِ الله بن شيخ الحبشيّ، فقد لَقّنني الذكْرَ، وألْبَسني الخرْقَةَ، وأجازني إجازةً خاصّةً وعامةً، وقرأتُ عليه عدّةً من الكتُبِ، مثْلَ: «الشّفا» للقاضي عياض، و«كشْفَ الغُمّة عن جميع الأمّة» للإمامِ الشعرانيّ، وحفظْتُ عليه بعْضَ «منْهَاج النوويّ»، وأسمعتُه

من حِفْظي بعْضَ أبوابِ «ألفيةِ ابن مالكٍ»، وغير ذلك من متونٍ متعدِّدةٍ.

وثانيهم: السيدُ الشريفُ، العالِمُ العاملُ، السيد أحمد بن زيني دحلان، أجازني إجازةً خاصّةً، وقرأتُ عليه في «الإحياءِ»، وفي «تفسير البيضَاويّ»، وفي بعْضِ كتُبِ النحْو [/ ١٤٣]، وأسمعتُه حفْظاً: «هديَّةَ الصديق» للإمام الحبيبِ عبدِ الله بن حُسَين بن طاهرٍ، وذلك بعد دَرْسه «الإحْياء» في الحرم الشريفِ بَعْدَ صَلاة كلِّ جُمُعةٍ.

وقد أخذتُ عن جدّكَ؛ سيدي الحبيبِ أحمدَ البار، وأجازَني بحَضْرة سيدي وشَيخِي عليِّ بن محمد الحبشي. وأخذْتُ عن جدِّكَ من أمّكَ، الحبيبِ أحمدَ بن محمدٍ المحضَار، فإنه لقّنني الذكْرَ، وألْبَسَني الخرقةَ، وأجَازَني بحضْرَةِ سيدي وشَيخي، علي بن محمد الحَبَشيّ.



وقد أخذْتُ عن الحبيبِ عيدَروس بن عُمَر الحبشيّ، وأجازني إجازاتٍ متعدّدةً، خاصّةً وعامةً، وألبسَني الخرْقَة، ولقّنني الذكْرَ، وأجازني بجَميع ما في كتابه «عقْد اليواقيتِ الجوهَرية». ولي عدُّة مشايخَ، أخذتُ عنهم، تركْتُ ذكرَهُم خوفَ الإطالةِ.

والذي عليهِ بعدَ الله المعوّلُ، في الآخِرِ والأولِ، هو شَيخي الأكبر، ونَجْمي الأزهر، بابُ دخولي في وصُولي، ومِعْراجُ روحي في إقبالي وقَبُولي، جمالُ الدينِ، العارفُ بالله، والدالّ عليه، الجامعُ بين الشّريعةِ والحقيقَة، الفرْدُ الجامعُ، القطبُ الغوثُ، سيدي وسندي، عليّ بن محمّدِ بن حُسَين بن عبدِ الله بن شيخٍ الحبَشيّ.

فهذا شَيخي الكَبيرُ، وسراجي المنيرُ، الذي ليسَ له شبيهٌ ولا نظير، ولا ينبئكَ مثلُ خبيرٍ، فهذا الذي عليه بعدَ الله معتمَدي، فإنه حفظَه الله ومتّعَ به، قدمَ إلىٰ مكّةَ، القدُومَ الأخيرَ، وذلك بعدَ وفاةِ الوالدِ رحمةُ الله عليهِ، عام ألفٍ ومائتينِ واثنينِ وثمانينَ (١٢٨٢)، وأنا في شَرْخِ الشبابِ، فقَرَّبني منْه، وأدْنَاني، وأتحفَني بنظَراته الإكسيريةِ وربّاني، فأسْرَعتُ إليهِ مُلبِّياً، وبها ألبَسني من الصفاتِ الحسَنةِ متحلِّياً،

وأقامَ مدَةً في مكّةَ، وأنا معه ملازِمُه. ثم إنّه عندَ خرُوجه من مكّةَ المشرفة، راجعاً إلىٰ بلَدِه سَيئونَ، طلَبني من إخواني: عبدِ الله، وأحمدَ، والحسَين، أن أخرُجَ معَه إلىٰ حضْرمَوتَ، فأسْعَفوه بذلكَ.

فخرجْتُ معه بأمرِه، وكانَ لي كمالُ الملاحَظةِ منه، حتى وصَلْنا إلىٰ سَيون، فلازمتُه ولازمتُ درُوسَه صباحاً ومساءً، وقرأت عليه جملةً من الكتُبِ في كلِّ فنٍّ، وأجازَني إجازاتٍ متعدّدةً، خاصةً وعامةً، وألبَسني إلباسَاتٍ متعددةً، ولقّنني الذكْرَ مراتٍ، وأجازني في أورادِ الحبيبِ عبْدِالله الحداد، وفي «ورد النوويّ»، وغيرِ ذلكَ من الأورادِ، وأجازَني في الصّلوات على النبيِّ ﷺ والأدعيةِ والمناجاةِ التي ورَدت عليهِ، وهي مَسطورَةٌ، ومدونَةٌ ومشهورَةٌ، بين أصحابه وأحبابه. فأنا أجزْتُ المذكورَ بما ذُكرَ، مما أجَازني به سيدي الوالدُ عليّ، وأجَزتُه بما أجازني به المشايخُ المتقدّم ذكرُهم.

وأجزتُه أيضاً، في الإتيانِ كلَّ يوم، صباحاً ومساءً، بهذا الدعاءِ، وهو: «رَبِّ اكْسِني من كمالِ جلالِ جمالِ سرِّ اسْمِكَ العَظيم الأعظَم، خلعَةً أتظاهر بها على من تظاهَر عليَّ، وخلعَةً تغْمُر بها باطني، حتى لا أعصيكَ طرْفةَ عينٍ (ثلاثاً).

وفي الإتيانِ كلَّ يوم، بمائةِ مرّةٍ، من [/ ١٤٤]: «لا الَهَ إلا الله الملِكُ الحقُّ المبينُ»، وبعد تمام المائةِ يقُولُ: «محمّدٌ رسُولُ الله الصَّادِقُ الأمينُ».

وأجزتُه أيضاً في وِرْدِ الحبيبِ عمر البار، المسمَّى «مفتاحَ الإجَابةِ»، كما أجازَني الحبيبُ صَافي الجفريّ، عن الحبيبِ عمَر الجفري، عن الحبيبِ عمُر البار.

ثم إني بعدَ هذا كلِّه؛ أُوصِيهِ ونفْسِيَ بالوَصيةِ العظْمَى، التي هي بابُ الدخولِ إلىٰ الله، وهي تقْوَى الله في السرِّ والعلَنِ، بامتثالِ ما به أمرَ، واجْتنابِ ما عنهُ نهَى إجمالاً وتفْصيلاً، وهي في السِّر: تصفيةُ البالِ، عن مذْمُوم الخصَالِ، وتحليتُه بمكَارم الخلالِ، وفي العلَنِ: استعمالُ الأركانِ في الإتيانِ بما عليهِ بنْيانُ الإسْلام والإيمانِ، من كلِّ ما يرضي الرّحمنَ. ومعاني التقْوَى تتفرّعُ وتتشَعّبُ بحسَبِ المشَاربِ.

وأوصيه أيضاً بالمرَاقبةِ لله في كلِّ حالٍ، قبلَ الدخُولِ فيه، حتى يكُونَ على بَصيرةٍ من أمْرِه، وربما معَ المراقبة الكليّة لله تعالى، يكُونُ ذلك سبباً للوصُولِ، فاعرف حق هذه الرتبةِ.

وأوصيه أيضاً؛ بأن يجعلَ له في كلِّ قولٍ يقولُه، وفعْلٍ يفعلُه، نيةً صَالحةً، فإنَّ لذلك نتائجَ عظيمَة، وفوائد جمة، يجدها من لازَم هذَا الأمْرَ، فاعرِفْ حقَّ هذا العملِ السهْلِ، وما احتوَى عليه مِن الربْحِ العَظيمِ.

وعليكَ؛ بمجَالسَةِ الصّالحينَ الصادقينَ، أهلِ التمْكينِ، واسْتماعِ مُذاكَراتهم التي فيها جلاءُ رَينِ القلوبِ، وجمعُ الهمَمِ على الله، فاسْعَ في طَلَبهِم، واسأل عنهُمْ، وزاحمهُمْ بالرُّكَبِ، فهُمْ محلُّ نظَرِ الله الخاصِّ.



وأحذّركَ كلَّ الحذَرِ، من صُحبةِ الجهّالِ أهْلِ الضلالِ، وأهل الفلْسَفةِ، وأهل العقائدِ الزائفَة، المخالفَة لعَقائدِ سلفِكَ السادَة العلَويينَ، الذين تعلّمُوا العلْمَ وأتْبَعُوه بالعمَلِ، ولم يُشْغِلوا أنفسَهُم بالخوضِ فيما لا طَائلَ تحته، مما لم ترِد السّنةُ النبويةُ به، ولم يؤوِّلُوا ما يسْمَعونه من الآياتِ والأحاديثِ على مقْتضَى أهْوائهم، بل يتبعُونَ الحقَّ، وبه يعمَلُونَ، فرحمهم الله ونفعَنا بهم. فأنتَ اليومَ في بلدَةِ مِصْر، فأشْفقْ على نفسِكَ من حملِ الإصْر، وورَدَ: «**المرء مِن جَليسِه**»، و«**علَى دينِ خَليلِه، فلينظُرْ أحدُكم من يخَالِل**»[1]، هذه ألفاظُ الحديثِ، أو مَا هذا معناهُ.

وإذا اجتهدْتَ في طلبِ العِلمِ كما أرشَدتُكَ إليهِ سابقاً، فاطلُبْه من العاملينَ به، فهذَا الذي عليهِ المعوَّلُ، عندَ أهلِ الصّدْرِ الأوّلِ، ومنه تكُونُ النتيجَةُ.

وعليكَ بالمطالعَةِ للدّرسِ الذي تكونُ القراءَةُ فيه عندَ الشّيخِ، وكرّرهَا مراراً، وانتبه لعَودِ الضّمائرِ، ولا بأسَ بالمطالعَةِ والقراءَةِ عندَ من هو أصْغَرُ منكَ سِنًّا، إذا

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٧٨)، وأبوداود (٤٨٣٣)، بإسناد صحيح، وأوله: «الرجل على دين خليله».

كان أذكى منكَ، وأجْودَ فطْنةً، فالعِلمُ لا ينالُ إلا بهَضْم النفْسِ، وشُهودِ الفَضل لمن كَان فوقَك في العلمِ. واجتهِدْ في حفْظِ المتونِ، التي يسْهُل بها الاستِشْهاد في فنِّها، مثل «الإرشادِ»، و«الزُّبَد» في الفقه، و«الألفيةُ» و«الملحَةُ»، وغير ذلكَ، واجتهِدْ وشَمِّر، [/ ١٤٥] فمَن جَدَّ وجَد.

واذكُرْ جَدّيك؛ الحبيبَ أحمدَ البار، والحبيبَ أحمدَ المحضار فإنك نسيبُ الجدَّينِ، والذي يحسُنُ منكَ أن تأخُذَك الأرْيحيةُ، وتسلُكَ طريقَهما، حتى تَلْحقَ بهما، والسَّاقي باقي، واني أراكَ قائماً في بعْضِ أسبابِ الدنيا، فلا بأسَ، إذا لم يكُن انقطاعٌ معَها بالكليّةِ، فإنه مذْمومٌ، وأما الدخُولُ في الأسْبابِ مع ترتيبِ الأوقاتِ، وتَوزيعِها، وعدَمِ النظَرِ إلىٰ الخلْقِ، فلا بأسَ به، بَل هُو مطْلوبٌ.

ويعجِبني قولُ الشاعرِ:

إن رُمْـتَ علْماً فاتخِذْ حرْفَةً	تصُونُ مَـاء الـوَجْـهِ لا يبذَلُ
ولا تهِـنْـهُ أنْ تُـرَى سَـائِـلاً	فحـقُّ أهْـلِ العِلْـمِ أن يُسْـئَلُوا

وقـد قسّمَ الله الـرزْقَ بين عبادِه في سابقِ علمه، وآياتُ: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا﴾، ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا﴾، وما شابهَها؛ ناطقةٌ بالحقِّ الصريحِ الذي لا مريةَ فيه، **اللهُمَّ** قنّعْنا بما رزقتَنا، ولا تفتنّا بما زَويتَ عنَّا.

واجعَلْ لكَ ورداً من قِراءةِ القرآنِ العظيم، ولو جزْءًا، فإن قراءةَ القرآنِ من أسبابِ الفتُوحِ، واجعلْ لكَ ورْدًا من قيامِ الليلِ، فإن به شرَفُ المؤمنِ هُنا ويومَ القيامِ، كما ورد في الحديثِ الذي أورَده الإمام السيوطيُّ في «الجامعِ الصغير»، وهو: «**عِشْ ما شِئتَ فإنكَ ميتٌ، وأحْبِبْ من أحببْتَ فإنكَ مفارِقُه، واعْمَلْ ما شِئْتَ فإنكَ مجزيٌّ**

بِهِ»[1]. **واعلَمْ**؛ أن شرَفَ المؤمنِ قيامُه بالليلِ، وعزُّه استغناؤُه عنِ النّاسِ، فتأمَّلْ هذا الحديثَ واعمَل بما فيه، تسلم وتغنَمْ.

فلقد كانَ الوالدُ محمدُ بن حسين، رحمةُ الله عليه، يقرأ هذا الحديث وقد كتَبه أَحَدُ أولادِه بأمْرِه، بخَطٍّ فصيحٍ في جدارٍ، كانَ الوالدُ يجلِسُ إلىٰ جانبِه، فهكَذا كانوا العلماءُ بالله، يجعلونَ التذكُّر لهمْ ديدناً.

وعليكَ بحُسْنِ الأخلاقِ، والمعامَلةِ بالجميلِ مع جميعِ المسلمينَ، وعَوِّدْ نفسكَ الصدْقَ في القَولِ والفعْلِ حتى تُكْتَبَ عندَ الله من الصّادقينَ.

وهذا آخِرُ ما رقمَه القلَمُ، والوَصيّةُ شاملةٌ لكَ ولأصْحابكَ، ولي ولأولادِي ومَن أحبّني، ونسْألُ الله تعالى أن يجعلَنا وإياكَ ممن تواصَوا بالحقِّ، وتواصَوا بالصّبرِ، ولا تنسَاني من صَالحِ الدعَواتِ، خصوصا عند صفاء الأوقات وعند حضرات العارفين بالله وضرائحهم كما أني لا أنساك .



ونسأل الله أن يجعلنا واياك من المتحابين في الله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

حرِّر ذلك في مصْر المحروسة ٢٠ شوا سنة ١٣٢٨

قال ذلك وكتبه الفقير إلىٰ الله

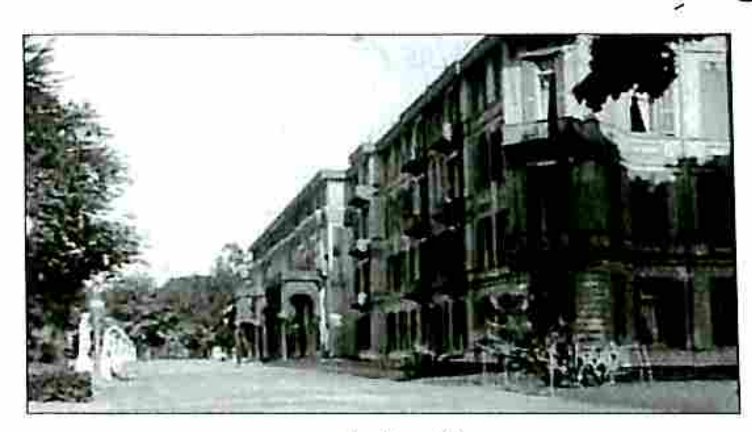
شيخُ بن محمّدِ بن حُسَينٍ الحبشي.

---

(١) أخرجه الحاكمُ في «المستدرك» (٧٩٢١)، وصححه الذهبي، والبيهقي في «الشعب»: ١٣/ ١٢٥.
وهو في «الجامع الصغير» بشرح المناوي «فيض القدير»: ٤/ ٦٥٥.

[المؤلفُ يسْعَى في طَبعِ بعْضِ المؤَلَّفاتِ]

ثمّ في يوم من الأيام توَجّهتُ إلىٰ شَارِعِ الخرَنْفَشِ، إلىٰ حَضْرَةِ حُسين أفَنِدي شرَف، لطَبعِ بعْضِ الكتُب.



شارع الخرنفش

فأجزتُه عَلى طبْعِ (٣٠٠٠) نسخَةٍ من «مَولِد» الوالدِ عليٍّ بن محمدٍ الحبَشيّ، وعلى طبعِ (٣٠٠٠) من «فَتْحِ الإلهِ»[١] لسيدي الوالدِ محمد بن حسين الحبْشي، و(٣٠٠٠) من «العقُودِ اللؤلؤيّةِ» لسيدي الوالدِ أيضاً. و(٣٠٠٠) من «الدوائر»، و«الرشفاتِ»، للسيدِ عبدِ الرحمن بن عبدالله بلْفَقيه، وهذه الثلاثةُ في مجمُوعٍ، وقد تمّ طبعُها علَى أحسَنِ أسلُوبٍ.

وأخذتُ منهَا مَعيَ إلىٰ مكّةَ، وأرسلْتُ [/ ١٤٦] منهَا إلىٰ جَاوةَ، وإلىٰ عدَن، وانتفع الناس بها. وأما «فتْحُ الإله» فأعجَبَ أهلَ العلْمِ في مصْر، من حيثُ كونُه حاوياً للدّعْوةِ إلىٰ اللهَ، فلخَّصَ بعضُهم منه خطبةً، وخطَب بها يومَ الجُمُعةِ في بعْضِ الجوامعِ.

بحمدالله الذى لاتحصى مواهبه ولا تنفذ عجايبه ولا تحصرله منن ولا تختص بزمن دون زمن تم طبع هذا المجموع اللطيف المحتوى على الرسائل المهمة فى الدين وهى خمس رسائل كما هى مذكورة فى الفهرست فرحم الله مؤلفيها ونفع بهم طبع هذا المجموع بمصر المحروسة بالمطبعة الشرفيه بشارع الخرنفش على ذمة ملتزمه الماجد السيد شيخ بن محمد بن حسين الحبشى لتسع وعشرين خلت من شهر شوال عام ألف وثلاثمائة وثمانية وعشرين ونسأل الله حسن الختام

﴿ فهرست المجموع المشار اليه ﴾

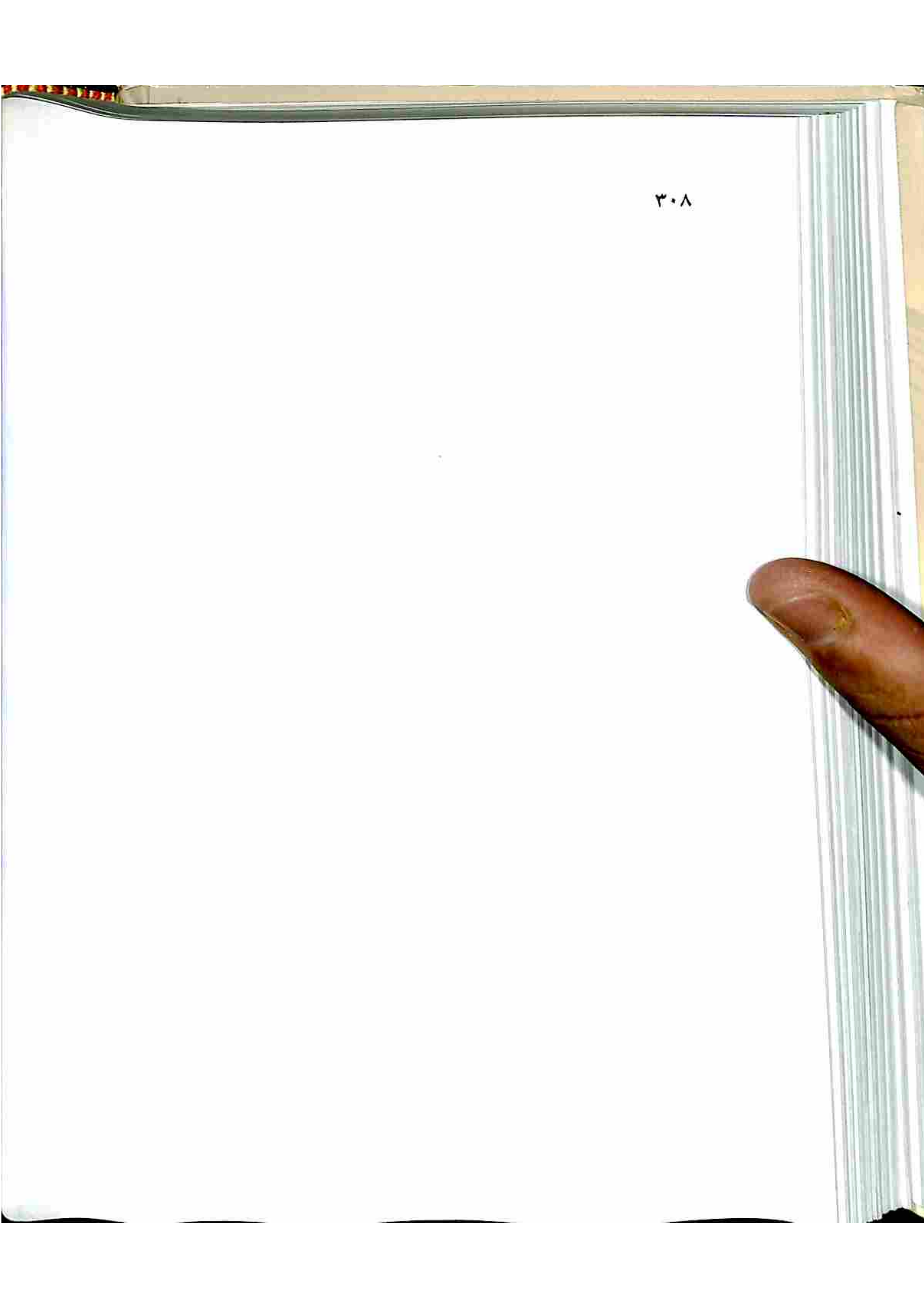
﴿ تمت ﴾

---

(١) حول هذا الكتاب ينظر: محمد باذيب، «جهود فقهاء حضرموت»: ٢/ ٩٥٠.

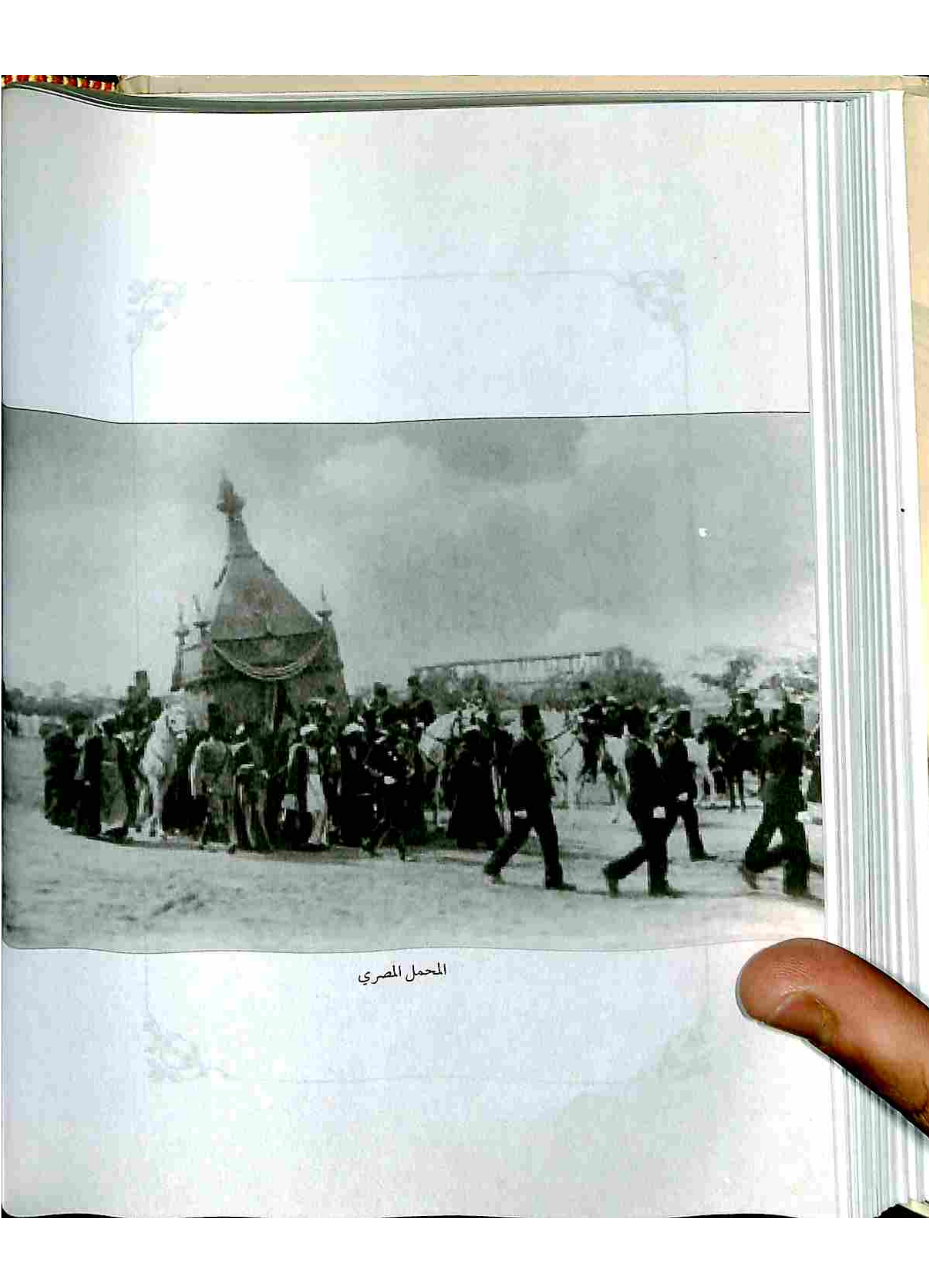
كتاب فتح بصائر الاخوان في شرح دوائر الاسلام والايمان
والاحسان والعرفان تأليف سيدنا السيد الشريف الامام
الهمام العالم العلامة موجيه الدين عبد الرحمن بن
عبد الله بن أحمد بن الفقيه محمد باعلوى
وقد يوجد موسوما كتاب فتح بصائر
المسترشدين وشرح دوائر
الفضل والدين وصلى
الله على سيدنا محمد
وآله وصحبه
وسلم

﴿ طبع ﴾
على نفقة السيد شيخ بن محمد بن حسين الحبشي





نِهايَةُ الرِّحْلَةِ
والعَودَةُ إلىٰ الحجَازِ



المحمل المصري

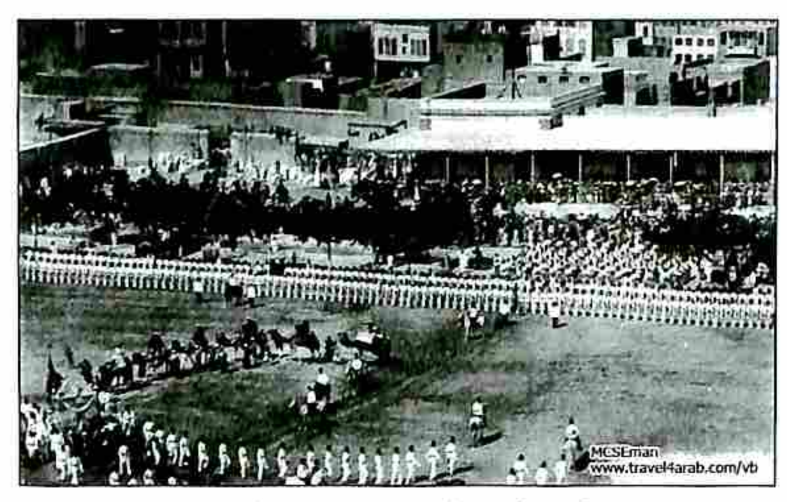
[العَودَةُ إلىٰ الحجَازِ]

ثم إني في فاتحةِ شَهْر القَعدَةِ؛ عزمْتُ على التوجّهِ إلىٰ مكّةَ، فقالَ لي بعْضُ الأحبابِ: الأولى أن تنتظِرَ خرُوجَ المحمَلِ المصْريّ، حتى يتوجّهَ إلىٰ مكّةَ، فإنه يحملُ أثوابَ الكَعبةِ، ويخرجُ معه خلقٌ كثيرٌ.

فلما كانَ بعْدَ أيام، ضُربَت الخاناتُ، وتحركَتِ الناسُ للتفَرّج، فخرَجَ المحمَلُ في جمع عظيم، يمرُّونَ أفواجاً أفواجاً، من السّاعةِ واحدَة صَباحاً، إلىٰ الساعة أربعَة، والمشايخُ أهلُ الطرائقِ، وكلُّ شيخِ طريقَةٍ يمُرّ هُو وأتباعُه، وأمَامَهُم البيارِقُ والطِّيرانُ، ويمرّونَ العسَاكرُ، والمدافعُ، والخَيّالةُ.

والخلْقُ في غَايةٍ من الازدِحام للتفرُّج، حتى أوصَلوهُ إلىٰ محطّةِ سكّةِ الحديد، وتوجّه إلىٰ السُّويس، ومنها إلىٰ جُدّةَ، في بابُور البحْرِ، ثمَّ إلىٰ مكّةَ على الجمالِ، وجمالُ المحْمَلِ الخاصّةُ طلعَتْ معه في البابُور إلىٰ جُدّةَ.





الاحتفالات بالمحمل قبل مغادرته القاهرة

[الطريقُ إلىٰ الحجَازِ]

ولِعَشْرٍ في شهر القَعدَةِ، سنة ١٣٢٨؛ عزمْتُ على التوَجّهِ إلىٰ جُدّةَ، ثم إلىٰ مكّةَ لأداءِ الحجِّ والعُمْرةِ، فاستودَعْتُ ممن عرفْتُهم من أهلِ مِصْر وعرَفوني، فأبَوا

إلا تشْيِيعِي إلىٰ سكَّةِ الحديدِ. فَفي اليوم المعلُوم، صباحاً، توجهْتُ إلىٰ سِكّة الحديدِ، وخرجَ معي جملةٌ من أهل مصْرَ، منَ طلبةِ العلْم وغَيرهم، فاسْتودَعْتُ منهم، وركبتُ في البَابُورِ البَرِّي إلىٰ السُّوَيسِ، وفي صُحْبتي الشيخُ سالم ابنُ عمَر باجُنَيد وغيره، ومشَى البابورُ في حِفْظِ الله.

ثم إني في أثناءِ الطريقِ قمْتُ أمْشي في البَابور المذكُور إلىٰ بعْض البناقِلِ، فلمَحتْ عيني رَجُلاً من المغَاربةِ، فتوسَّمْتُ فيه العلْمَ والولايةَ، فسألتُ بعْضَ خدَمِه: من هذا الشيخُ؟ فقالَ: هذا الشيخُ أحمدُ البغْتينيّ المغربيّ[1].

فلما وصلتُ إلىٰ (السُّوَيسِ)، نزلْنا عند الشّيخ عبدِ الفتاح العَسْكريّ، وهو من وكلاء أهالي مِصْر التجار، ومن جملتِهم الشيخُ عمَر باجنيد، فأنزلَنا خيرَ منزلٍ، وجَلسْنا عندَه يومينِ، وسألتُ عن الشيخِ الذي نظرته في البابور فلم أجِدْه.

ثم إني نزلتُ في البابُور وطلعْتُ وحْدِي، ولم يكن معيَ من أعْرفُه، بل خلقٌ كثيرٌ من أهلِ مصْر، لم أعرفْ منهُم أحداً، لأن الشيخَ سالم الذي صَحِبني رجَع.

فطلعتُ البابورَ وأنا مسْتوْحِشٌ من عدَمِ الجليسِ الذي أعرفُه، فأخذتُ ما معيَ من أمتعَةٍ، ودخلْتُ إلىٰ مؤَخّر البابُورِ الذي فيه المخازنِ نمُور، لأني استكريْتُ فيها، فقابلَني القائمُ عليهَا، وأخذ ما مَعيَ من أمتعةٍ، ووضَعَني في أحدِ المخازنِ، وهو في غايةٍ من النّظافةِ، والتفتُّ يميناً وشمالاً في المخَازنِ التي إلىٰ جانبي، فلم أجدْ أحداً أعرِفُه من الجالسين فيهَا.

ثم إني تقدمتُ إلىٰ مقدَّمِ البابور، وأنا مكروبٌ من عدَمِ المؤانسِ والمجَالسِ،

---

(١) أرى أنه الشيخ أحمد بن المأمون البلغيثي، وإنما كتب المؤلفُ اسمه حسبما سمعَه من مرافقه باللهجة المغاربية، وهم ينطقون الثاء تاءً، وهو العلامة أحمد بن المأمون البلغيثي العلوي الحسني، قاض، من أدباء المالكية من أهل فاس، مولدا ووفاةً. ولي قضاء (الصويرة) و(الدار البيضاء) و(مكناسة الزيتون) ورحل إلىٰ المشرق ثلاث مرات، توفي سنة ١٣٤٨هـ. «الأعلام»: ١/ ٢٠١. وتوفي ابنه المعمر الشيخ عبدالمالك في ٧ رجب سنة ١٤٣١هـ، عن (١٠٩ سنوات).

فلم أشْعُر إلا والشيخُ حسَنٌ الأسْطوانيّ أمَامي، ففرِحْتُ كثيراً، فعانقني وعانقتُه من شدَةِ الفرحِ، لأنه من أخصِّ أصْحَابي الذينَ صَحِبتُهم في (دمشق الشام)، فالحمْدُلله على ذلكَ، فكانَتْ سفرَةً جميلةً، حوَتْ من الأنْسِ والانبسَاطِ والمذاكراتِ العلميةِ ما تقَرُّ به العينُ [/ ١٤٧].

[مع الشَّيخِ البلْغِيثيّ]



الشيخ المأمون البلغيثي

ثم إني بعْدَ مضيٍّ يوم من سَفرِ البَابُورِ، ونحْنُ في البحْرِ، سألتُ عن الشيخ أحمد البغْتِينيّ المغربيّ، الذي رأيتُه في بابُور البَرِّ، فدلّوني عليه ، فأخذتُ معي الشيخَ حسَن الأسطوانيَّ، وتوجهنا إليهِ، فوجدناه في موضع من البابُورِ، في مخزنٍ، فسلّمْنا عليهِ، فردَّ علَينا السلامَ، وقابلنا كمالَ المقابلَة. ثمّ سألنَا وسألناهُ، عن أوطانِ بعضْنا البعْضِ، فأخبرَنا بأنه مغربيُّ الأصْلِ، من تونُسَ، من بيتِ علْمٍ.

فتباحثْنا معَه، فوجَدْناهُ عالماً عاملاً، وله من الأذكارِ والأورادِ شيءٌ كثيرٌ، وهو مالكيُّ المذهَبِ، وله سندٌ في الحديثِ، فسَألني عن علماءِ جهَتي، وبلدي، فأخبرتُه بهم، وأخبرتُه بسيدي عليٍّ، وأسمعتُه شيئاً من كلامِه وأدعيَتِه، فطرب طرباً شديداً، ونقلَ منها بعْضَ أشياءَ.

ثم قالَ لي: إني أدخلُ في أسبابِ التجارةِ، وأحِبُّ ذلك صَوناً لشَرفِ العلمِ، وقلتُ له: وأنا كذلكَ، أحِبُّ الدخولَ في الأسبابِ. فقالَ: لقد أحسنْتَ.

ثُمّ إني أسْمعتُه البيتينِ المتقدِّم ذكرُهما، التي أولها:

إن رُمْـتَ عِلْـماً فاتخِـذْ حرْفَـةً تصُـونُ مَـاء الوَجْـهِ لا يبـذَلُ

إلىٰ آخرِها، فَاستحسنَها وكَتبها، وكتَب اسْمي عندَه، وكتبتُ اسْمه عندي، لأجْلِ الذّكرِ.

[النزولُ في جُدّة]

ثم إنا لم نزلْ نجتمعُ معَه مدّةَ السفرِ، حتّى وصَلْنا إلىٰ جُدّةَ، ففارَقْناهُ، والكُلُّ منا حزينٌ على فراقِ صَاحبه، فنزلْنا في جُدّةَ، عند الشيخِ المكرَّم، سالم بن محفوظ بلْخُيور، وأقَمْنا بجُدّةَ نَحْو يومَينِ فقطْ.

[العَودُ الحميدُ؛ إلىٰ مكّةَ المكرَّمة]

وتوجّهْنا إلىٰ مكّةَ، فقابلُونَا أولادَ سيدي الأخِ حسينٍ، وجملةٌ منَ الأحبابِ من أهل مكةَ، إلىٰ قَهْوةِ سَالم. وجلسْنا نحْوَ ساعتينِ، ودخَلْنا إلىٰ مكّةَ، وقصَدْنا بيتَ سيدي الأخِ حسينٍ وأولادِه الميامين: محمّد وأحمدَ وإخوانهم.

وفعلَ ضيافةً سيدي الأخُ حسينٌ لنَا، ودعا جملةً من أهالي مكّةَ، منهم آلُ شَطا، وآلُ دَحْلانَ، وجملةً. وفرِحَ بي، وفرحْتُ به، وانْعَقدَ مجلسٌ حَالَ الوصُولِ، وأنْشدَ المنشِدُ بقصائِدَ، وكان المجلسُ في محلِّ الوالدِ.



الكعبة المشرفة

وكانَ إحْرامي في الدّخول إلىٰ مكّةَ بعمْرةٍ، ثم رجَعتُ، وبتُّ على أنسٍ كاملٍ، وصَفاءٍ تامٍّ، ومحادثَةٍ حسنةٍ، مع سيدي الأخِ حسينٍ وأولادِه، فالحمْدُلله على ذلكَ.

* * *

[خاتمة الأصل:]

«الحمدُ لله؛

وبتاريخ ٣ صفَر سنة ٧٠ [١٣هـ]، و١٣/ ١١/ ٥٠[١٩م]؛

فقَد تمَّ نسخُ هذِه الرِّحْلةِ المبَاركَةِ

بقَلَمَ الفَقيرِ إلىٰ ربّه المنشي

حُسَينِ ابن مؤلِفِها شيخ بنِ محمدٍ الحبشيِّ

سَامحهُ الله آمينَ».



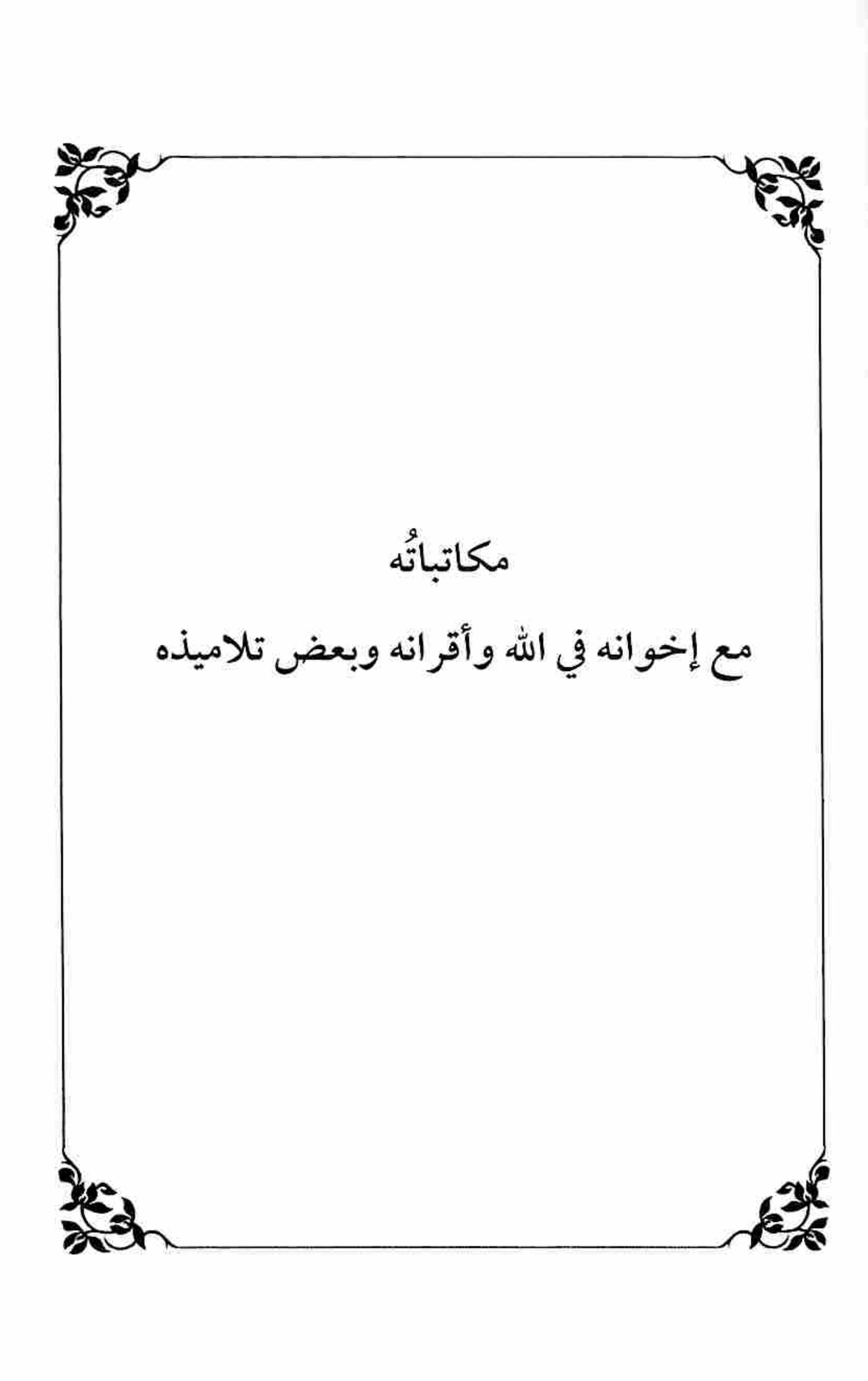
الفاتحة إلىٰ روح صاحب الرحلة
للحبيب عبدالقادر بن أحمد السقاف
(١٣٣١-١٤٣١هـ)

قرأ هذه الرحلة عليه في مجلس درسه بجدة، السيدُ علوي بن شَيخ، بدأها في شهر صفر سنة ١٤٠٢هـ وختمها يوم السبت ٢٥ جماد الأولى سنة ١٤٠٢هـ، ورتب الحبيبُ في ختمِ الرحلةِ هذه الفاتحة:

«إلىٰ رُوحِ سيدنا وشيخنا وحبيبنا شَيخِ بن محمّدٍ الحَبَشي، وشَيخِنا الكبير عليّ بن محمد الحبشي، وحبيبنا حُسَين بن محمد، وجميعِ سَاداتنا الحبشية والعلوية أينما كانوا، أنّ الله ينفعنا بهم وبهذه الرحلة، وبحَبيبنا شيخٍ، وبحبيبنا علي، وبأجدادنا نفعاً تاماً، يظهَر أثرُه في الأجسامِ والأرواحِ والقلُوبِ، وإلىٰ حضرَةِ النبيّ ﷺ»[١].

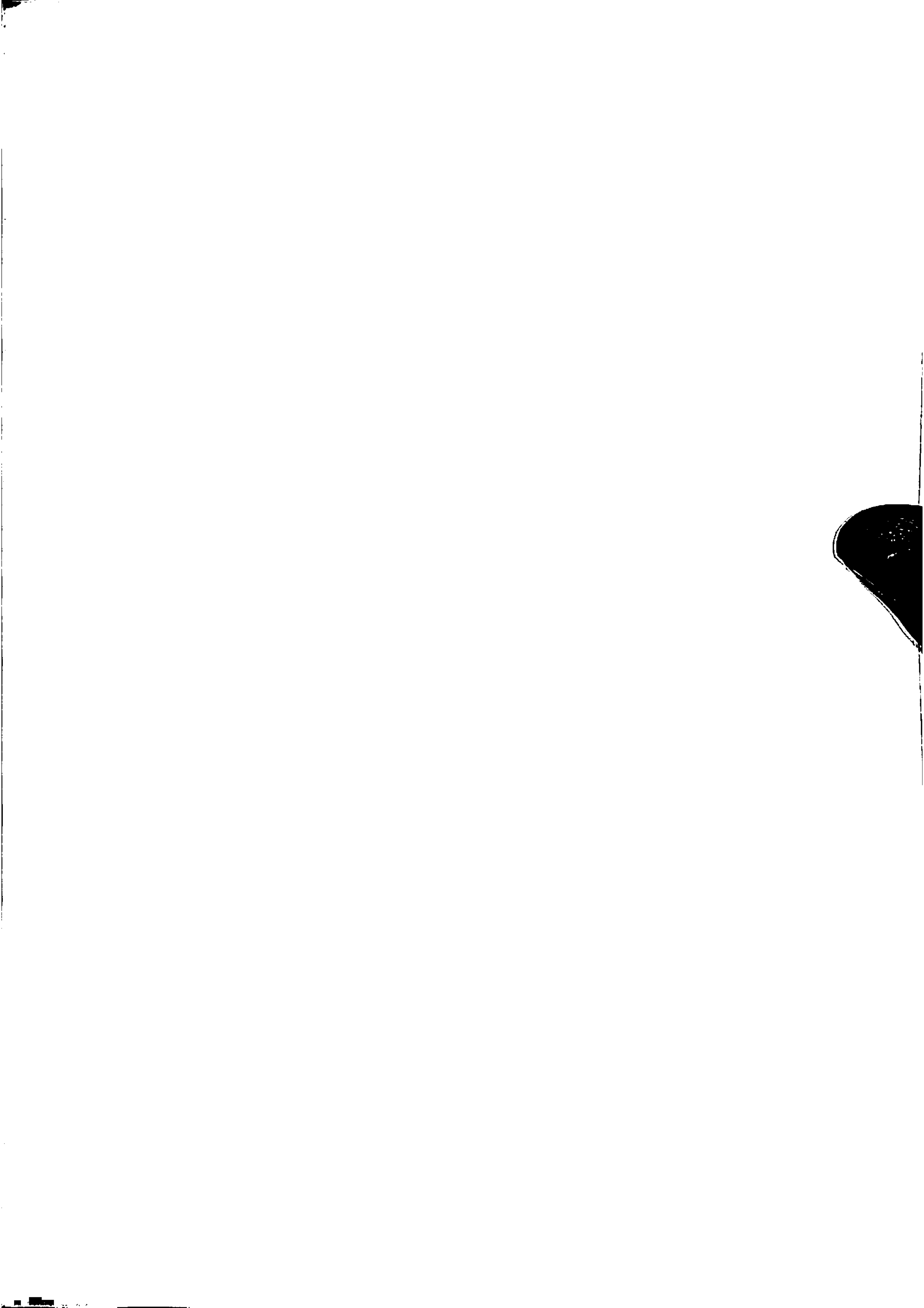
* * *

(١) عن كتاب «جنْي القطاف»: ص ١٠١.



مكاتباتُه

مع إخوانه في الله وأقرانه وبعض تلاميذه



(أ)
مكاتباتُه مع أخيهِ الحبيبِ عليِّ بن محمّدٍ الحبَشي

(١) إجازتُه منه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

«الحمْدُلله الذي اتسعَتْ دوائرُ علمِه، فانبسطَت في الوجُودِ آثارُها، فظهرَتْ حقائقُها في مراكزِها، وتعدّدتْ أطوارُها، وعلى القلوبِ المنيبة تشرقُ أنوارُها، وتلوحُ أسرارُها، برعايةٍ سبقَتْ لمن جمعتْه دائرَةُ الائتلافِ الروحي، فاستمدَّ لطائفَ الجودِ الامتنانيّ، وغرائبَ الفضْلِ الفتُوحي، ودائرةُ الأرواحِ دائرةٌ واسعَة، وحفظَتْ على أهلها منافعَها، فأقامتْهُم فيهَا على صورةٍ مختلفَة وطرائقَ جامعَة، بسَاطٌ ممدود، برزَ من حضْرةِ الجود، عرَف منه العبدُ حقَّ المعبُود، فأذعنَ لله بالسجُود، واتصلَ من معْنَى الشهادة بالمشْهُود، ومقتضياتُ الشؤون أبرزَتْ في الكَون ما يكُون، وأظهرَتْ من نقطة نُون، سرَّ القلم وما يسطُرون.

ولعَمْري؛ إن مجالَ الذوقِ في هذا المقامِ واسِعٌ، يضُمّ من الذكْرِ الخفيِّ كل قريبٍ وشاسِع، وعليه تَدُور دوائرُ الائتلافِ الصّوريّ، في المعنَى الخفيّ والمجْلَى الظهوريّ، إذا صحّت المقابلةُ وثبتَت قواعدُ الاتّصال، بينَ المتواردينَ على مناهلِ الأذواقِ وصَفاءِ الأحْوال، وقد شرعَت المشارعُ وأقيمَت الموازين، فاتصلَ العالمُ بعلمِه من حيثُ معلومُه، وانفتح بابٌ من اليقين، دخل منه الموقنون على الحقّ المبين، بدلالة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

وإلىٰ الله أضرَعُ ضراعةَ المضْطّر، أن يوقفَني من هذا البحر الغزيرِ على البَرّ،

فيظهَر لي سرَّ ما خفيَ فيما ظهَر، ولَذكْرُ الله أكبر، أدعُوه وأرجُوه، وهو الحيُّ القيومُ، الذي عنَتْ له الوجوه، من الذين عرَفوا من برِّه ما عرَفُوه، ووصَفُوه على مقدارِ علمهم بما وصَفُوه، وهو أجلُّ من أن تحيطَ به صفاتُ واصفٍ، أو تعربَ عنه معرفَةُ عارف.

إلا أن من أدركته العنايةُ بنصيبٍ من تعرّفاته، جمعتْه على ما قُسِم له من تنزُّلاته في منازلاتِه، بواسطةِ سَفير الحضْرةِ الكريمة، ورعايَة تلك العينِ الرحيمَة، داعي الحقِّ بالحقِّ، فيما لحقَ وما سبَق، الباطنِ في ظهورِه، والظاهر في بطُونه، في عجائبِ توجّهاته وغرائبِ شُؤونه، العبدِ الذي بلغَ من العبودية أعلى مراتبها، فأتحفته الحضْرَة الإلهيةُ بلطائفِ برِّه وحالياتِ مشَاربها. السيدِ المعصُوم، الذي اتصلَ من العلم الأكبر بالمعْلُوم، وبلغَ من الرزْقِ المقسُوم فوقَ ما يَروم، سيدِ الأولينَ والآخرينَ، وأشرفِ النبيينَ والمرسَلين، سيدِنا وحبيبنا محمّدٍ ﷺ رسُولِ الله الصّادقِ الأمينِ.



اللهم صلِّ وسلّمْ عليه صلاةً مضَاعَفة التكرار، متواصلةَ الأنْوار، لا تنتَهي إلىٰ عددٍ محصُور، تتكرّر بتكرُّر الساعاتِ والأيام والأعْوامِ والشّهور، يتصِلُ من سرِّها الحبيبُ بغاية آمالِه، فتنعطِفُ بركَاتها العظيمَة على أصْحابه وآلِه، ثمّ تسْري في التابعين في نياتِه وأقوالِه وأفعَاله.

ومنَ الله أسألُ أن يمْطِر علَينا من تلكَ السحُبِ الثقَال، ما يلحِقُنا بالكُمَّلِ من الرّجالِ، الذين سلكُوا مع الحبيبِ مسَالكَ الصدْقِ في النيَاتِ والأعْمالِ، فبلغُوا من متابعَته وحبِّه رُتَبَ الكمال، آمينَ.

أما بَعدُ؛

لما كانتْ دائرَةُ الإخْوانِ في الله متسِعةَ الأطرافِ، متباعِدةَ الأكْنافِ، سَائقُها القدَر المعلُوم، وحَاديها الرزقُ المقْسوم، ظهَر فيها الخلقُ على طرَائق، بحسَب ما رُسِمَ لهم في السّوابق، وكنتُ مما شَمِلتْه تلكَ الدّائرة، أتقلبُ في نعَمِها الغَامرة، وأمْدادِها المتكاثرَة، ولي عيونٌ ناظِرة، تبصِرُ في مشاهِدها لطائفَ باطنةً وظَاهِرة، اتصلتْ بها

ذواتُ طاهِرة، في مراكزَ عامرة، وكنتُ مع تلمُّحي تلكَ المَظاهر وتأمُّلي في ذَلك المركَز العَامر، تتراءَى لي فيمَنْ صدَق في وِدادي حَالاتٌ، تجمَعني على صفاتٍ ظَاهِراتٍ، في ذوات متعَدّداتٍ. وأجدُني في تلمّحي متصِلاً بسرٍّ تعرفٍ رُوحيّ، قابلَ مشَاعري بكتابةٍ مرقُومةٍ في لَوحي، فاستخرَجتُ من تلكَ الكتابةِ ما كَشَفَ لي عن سرِّ الائتلافِ حجَابه، فولجتُ بمعُونة الله بابَه، وأقمْتُ بتوفيقِ الله أسْبابه، ورميتُ سهْمَ توجُّهي غرض المعروفَ فأصابَه.

وقد يعرِضُ لي في بعضِ منَازلاتي، في شُؤوني وتقلبَاتي، ما يجمعُ مفْرداتي، ويحيي رميمَ رفاتي، فأعرفَ من غريبِ صِفاتي معنَى ذاتي، وتلك مشَاهدُ للروحِ الكليّ، محا علمُها جَهلي، ووصل سرُّها فرْعي بأصْلي، فوجدتُ من تلك الفروع النابِتة، شجرةً أصُولها ثابتةٌ، تؤتي أكلَها كلَّ حينٍ، فأتصِلُ بصِدقي في حبِّها بالصّادقين، وأرَى في دائرةِ المحبّةِ الواسعةِ محبِّينَ ومحبُوبين، وخَاطبينَ ومخطُوبين، وطالبينَ ومطْلوبين، متنوعةً حَالاتُهم، متفرقةً مقاصِدُهم ونياتهم.

فظهَر لعيني أخٌ عرفتُ منه الصدْقَ فيما طلَب، والإقبالَ على تحصيلِ المطلَب بوصْف الأدَب، وهو أليفِي في الذَّوقِ، وشَريكي في النسَب، أخٌ صَحِبني مع الوفاءِ بحقِّ الصّحْبة مدّةً طويلَة، عرفتُ فيها صَنيعه الكاملَ معي وجميلَه، وقد ضمَّني معه صُلبُ أبٍ كَريم، وهو جمعٌ قضَى باجتماعٍ متلقّى عن شفيقٍ رحيم، انتشَر منه في المعاني والصّوَر، ما برَز على هياكِلنا من المودّةِ والائتلافِ وظهَر، وهو جمعٌ لا نخشَى، إن شاء الله، بعدَه فُرقَة، ولا نخافُ فيه بُعدَ شُقّة.

وهو أخي الكَريم، السالكُ على المسْلكِ القَويم، والظّاهر عليه من سرِّ الذوقِ السّليم، ما يشهدُ له أنه حَفيظٌ عَليم، أخِي ونَديمي، والمشَارك لي في رَوحي ونَعيمي، وله بحمْدِ الله التوجّهُ الصّادقُ في طلبِ المعالي، والرّوح المتلهفَة إلىٰ الرتَبِ العوالي، أخي شيخُ بن محمدِ بن حُسَين بنِ عبدالله بن شَيخ الحبَشي، حقق الله له

وصْفَ الاتصالِ الكاملِ بالسّر القُدْسي، والمظهَر العرْشي، فيحيَى حياةً طيبةً بنورِها في الناسِ يمشي.

وكثيراً ما يجَمَعُني معه مجلسٌ جامعٌ، نَنشُر فيه من علُومِ الذّوق ما يلذُّ السامعَ، وندخُلُ منه بالفَهْم فيه إلىٰ بحْرٍ غزيرٍ من العلْم واسِع، فيسْري الطربُ في أجسَامنا وأرواحِنا، فيفتحَ لنا بابَ مسراتنا وأفراحِنا، وعلى مثلِ هذا الصّفاء تدورُ علينا الأوقاتُ، نجْتني فيها من العلْم أحلَى الثمَراتِ، فرَصاً اغتنمْناها من دهْرٍ كثيرةٍ غصَصُه، قليلةٍ من الصّفاء فرَصُه، أتحفَتْنا بها أيدي الأقضِية والأقدَار، فعشْنا بها في إقبالٍ، وإن كان الدهرُ دهْر إدْبار.



ولأخي هذا مطلبٌ حثِيث، في قديمِ أمْره والحدِيث، إلىٰ تحرير إجَازةٍ مني ووَصية، يحبّ أن يكتبَ بها في ديوانِ المتواصِين بالحقّ والصبر من البريّة، ويرغبُ في تحقيقِ الوُصْلة بطريق الاتصالِ بكُمّلِ الرجال، ممن ثبتَ قدمُه في الطريق المحمديّة، ولهذا الأخِ عليَّ حقٌ هو عندي من أعْظَم الحقُوق، ويوجِبُ لي إسعافَه بمطْلوبه وهو بحَمد الله تعالى ممن يدرِكُ ويذُوق.

فالوصِية الجامعة التي بها أوصِيه، التزامُ تقوَى الله الذي غمَرتْنا أياديه، وهي البابُ الأعظَم في الدخُول على الله، والسرُّ الجامع على الوصُول إليه، ولأهْلِ العلْم في الإعرابِ عنها عبارَاتٌ، كلٌ يعرب فيها عن ذوقِه السّليم، ويقرّر فيها ما وصلَ إليها من علمِه، ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾.

وأجمع العباراتِ في تحقيقِ معناهَا: هو امتثالُ ما أمرَ الله به، واجتناب ما نهى عنه، وللناظرِ بعَين البصِيرة في فهْمها مجالٌ رحْب، يتصِلُ فيه بفهْمِه إلىٰ معنى واسعٍ يجري فيه بحسَب ما قُسِم له، من الطريقِ الوهبيّ أو الكسْب.

وإذا أمعنَ الناظرُ النظَر في الأوامِر والنواهي، وجدَها شُعباً كثيرة، وأفراداً متعدّدة، وبتوفيقِ الله للعبدِ يأتي على العمَل بها بسُرعة، فإن الأوامِر والنواهي كما هي

بين العبدِ وربّه، هي بين العبدِ والخلق، وهي برزَتْ من الحضْرة العظيمة التي لا يسَعُ الإنسانَ التخلفُ عن إجابَتها، ولا التكاسلُ عن أداء حقّ دعوتها، فليقفِ العبدُ عند توجّهه لحملِ هذا العبْءِ الثقيل، على بسَاط الأدبِ للمَلك الجليل، ويوجّه أمرَه في ذلك إلىٰ الاستعانةِ بالله الوكيلِ، وقد درجَ على العَمل بها أقوامٌ ثبتَت منهم الأقدَام، على حفظِ حقّها، والوفاء بعَهْدها، فبلَغُوا فيه الغايةَ وأتوا بهِ على التمام، ولكلٍّ مقامٍ رجالٌ، ولكلّ رجالٍ مقامٌ.

وأنتَ يا أخي؛ صوِّبْ نظرَك،ووجّه همتك، إلىٰ ما درجَ عليه كمَّل الخواصّ من العبَاد، الذين لم يزلْ إقبالُهم على الله بوصف التقوَى في ازدِياد، ولا يمنعْك ضعفُ حالك، وعدمُ مسَاعدة زمانك، عن التخلفِ عن أولئك الجيل، في تلكَ السبيل، إنّه ما ظفِر بالغَنائم، إلا من ارتكبَ في طلبِ المقصُود العَظائم، وعند التلبّس بالأسباب، ينفتحُ الباب، ويحصُل من معونَة الله ما ليسَ للعبدِ فيه حسابٌ. ويكفيكَ أن مولاك سمّى نفسَه الوهّاب.

فأنزلِ حاجتك به، فإنه كما وهبَ لغيرك مواهبَه العَظيمة، يلاحظْك بعينِه الرحِيمة، ويدخِلك في هذه الدائرة الكَريمة، وحاشَ لله أن يردَّ المولى من صدَق في طلبه خَائباً، فإنّه المولى الذي لا تتخَطّاه الآمالُ. وقد أقامكَ في أسبابِ معاشِك على منهَاجٍ حسَن، وألهمَك فيه قسْطاساً مستقيماً، أجراكَ فيه على أقوم سَنن، فاستعطفِ الرءوفَ يتعطفْ عليك بفضْله، ويجعلْكَ ممن لاحظَته عينُ عنايته، فتوجّهَ إلىٰ السرِّ وكان من أهله.

وإنما يدور أمرُ الإنسانِ في الدخولِ مع أهل هذا الشأن، على حفْظ الجنَانِ والأركَان واللسانِ، حفظُ الجنان من مساكَنة الأغْيَار، وحفظُ الأركانِ من ارتكابِ الآثام الموقعة في سخَط الجبار، وحفظُ اللسانِ من اقتحَام لجةِ العصْيانِ، والوقوعِ فيما يوَجبُ العارَ والنار، وضبطُ ذلك على الضّعفاء من أهل الإرادة عَسير، ولكن إذا أنزلَ العبدُ حاجاتِه على مولاه، واستعان به فيها، كان العَسيرُ عليه يسير.

وأراني يا أخي؛ في زمانٍ كثُرتْ أغاليطُ أهليه، وقلَّ احتفالهم بجنَابِ الحقّ، فتسَاهلوا بحفْظ الآدابِ الشرعيةِ، وما ألزم الله به العبدَ، ودعاه إليهِ وطلبه منه مما يرضيه، وما ذلكَ إلا بسبَبِ خُذلانٍ، أوجبَه فسادُ الزمَان، لعدَم الأعوانِ على طاعة الرحْمن، وليسَ أعظَمُ من هذا الخطْبِ الذي حلَّ بهذا الزمَان، الذي لم نجدْ فيه مُعين، على سلُوك سبيلِ العارفين، من خواصّ أهلِ الإيمان والإحسانِ، والله المستعانُ على هذا التنكّر، الذي لا تحتمله القلوبُ ولا تقبلُه الأذهَان.

فاسلك يا أخي في طريقِكَ على نهجِ من سبَق، من الفريقِ الذي عرفَ الحقّ وعمِلَ بالحق، ولابدَّ وأن تجمَعك الأعمالُ بأربابها، فتدخلَ على الطريقة السَوية من بابها، مع أصحابها، فإنه كما ظهرتْ في زماننا شَقائقُ الإدبار، وخفيتْ دقَائق الأسْرار، وعندَ البحث عن الرجَال أهلِ الكمال، يدركُ الطالبُ جميعَ الآمال، ويقفُ من المحلِّ على الحالّ.



وعيونُ البصيرة إذا زالَ غِشاها، رأى الإنسانُ في عجائبِ الملك والملكُوتِ ما يجمعُ النفوسَ على مولاها، وقد قالَ الله لحبيبِه المصطفى ﷺ: ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَاۚ﴾، وهذه دلالةٌ مني وجّهتُها إليك، وأحلتُ فهْمَ معانيها وتدبُّر حقائقها علَيك، فإن أوقفتْكَ الأقدارُ على حقائق معناها، فإلىٰ ربكَ منتهاها.

وهذه يا أخي طريقٌ رغبتَ في سلوكها، وعوّلتَ على الدخولِ تحتَ دائرةِ ملُوكها، فأعطِ المقامَ حقّه، واستفرغْ جهدكَ في بذلِكَ الطاعةَ لمن لا يزالُ يوليك رزْقَه، واجعل الحضْرةَ العلية نَصْبَ عينك، أينما توجّهتَ توجّهت إليها، وعندما تنزل بكَ النازلةُ عولتَ في كشْفها عليها، واكتسبْ من الأعمالِ الصالحة ما يجمعُك على مرْضَاة مولاك، فتربحَ به دنياكَ وأخراك، والأعمالُ الصالحةُ وإن كانتْ ثقيلةً على النفوسِ، فبالشّروع فيهَا، والاسْتعانةِ بالله تهونُ مشقاتها، وتسهلُ صعُوباتها، وتجدُ بعد مرارَة كلفَتها، حلاوةَ لذّاتها.

وأحرّضُك تحريضاً شديداً على ملازَمة تلاوةِ كتابِ الله وتدبّر معانيه، وتلمّح أسرارِه والغَوصِ على دقائقه، فإن فيه الراحةَ المعجّلة، والسُرور الدائمَ، والأنسَ الكامِل. فلعلّك يا ولدي تجعلُ لك وِرْداً منه كلَّ يوم وليلةٍ، يجمعك على ما يطيبُ به عيشُك، ويكثُر به مدَدك، فإنه السرُّ الذي جمعَ أربابَّ القلوب، على ما أوصَلهم إلىٰ المحبوب، ولو عمَر الإنسانُ وقتَه بتلاوته، لأدركَ في حياتِه الفانيةِ نعيمَ آخرته، وقد تنعَّم به من العاكفين على تلاوته رجَالٌ، نازلهم عند تلاوتِه من عواطفِ الجمال، ما لا يخطُر من النعيم على بال، علمُ حقٍّ سمِعُوه من الحقّ، جمعَ لهم من السرّ ما تفرّق، وأنطقَ الله عنه أربَابه بها أنطقَ، وفتحُوا به من المعاني كلّ مغلَق، فعسَى المتشبّه بهم في الصّورةِ يدركُهم فيلحَق.

وأراكَ يا أخي إن عكفْتَ على هذا الكنزِ، ظفرتَ بجواهِره ودراريّه، وعلمتَ من سرّ الله في القرآنِ ما أودعَه فيه، فتلقّ السفارةَ يا أخي من سَفير، ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾. وقد وددتُ يا أخي أن أطيلَ الكلامَ في هذه الوصية، وأحثّكَ الحثَّ الشديدَ على تصحيحِ العمل والنية، وبذلِ الجهْد والطاقَة في جمعِ الموادّ القلبية، على تصحيح حقِّ المعيّة، حتى تنالَ من الرتَبِ القُرْبيّة، ما تستغرقك به حضْرةُ الجمعية، ولكن وقعتْ كتابتُها مع ضيقٍ من الزمان، وعدم اجتماعِ بالٍ وطمأنينةِ جَنان، وفيما أوردتُه فيها كفاية لك عند التأمل، ووَسيلة للمقصُود عند التوسل.



والله يلهمُكَ الرشْدَ في جميعِ أحوالِك، ويقابلك بالقبول مع إقبالِك، ويجمعكَ من العلُوم على مثْراتها، فتدخلَ مع أربابها جنَاتها، ويعمَّك من النظراتِ الإلهيةِ شريفُ ملاحظاتها، وميقاتُ الوصولِ له حدٌّ محدود، عند إبَّانه تنحلُّ القيود، وتظهَر أسرارُ السّعادةِ في جبينِ المسْعُود، ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾، فعسَى عنايةُ الله تحفّنا أجمعين، حتى ندركَ بها منازلَ السابقين من المقرّبين، في أقربِ حين. يا أرحمَ الرحمين، ارحمْنا والمتعلقينَ بالنورِ المبين، من الصّادقين في حبكَ، وحبِ سيدِ المرسلينَ، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه والتابعين.

[ذكر سلسلةِ الشيوخ]

وأما سلسلةُ اتصالي بالأئمة المهتدين، من العلماء العارفين، فهي سلسلةٌ طويلةُ الأطْرافِ، تمتدّ أرسَانها إلىٰ قاف، فإنّ شَيخي الذي عليه مدارُ رحَى طريقي، القطبَ أبابكر بن عبدالله العطاس، أخبَرني مشافهةً أنه أخذَ عن جميع أهلِ عصْره الموجودينَ على ظهر البسيطةِ، في جميع أطرافِ الأرضِ، رضي الله عنه. وقد تعددت طرقُ أخذي عن كثير من أهل عصْري، صحبتُ منهم العددَ الوافر، وغمَرني منهم النظرُ الكاملُ والمدَد المتكاثر، صحبةَ استمدادٍ، وإن قلَّ الاستعدادُ، فقرأتُ عندَهم من «فتح الجواد»، مسطور «الإسْعادِ» و«الإمدادِ».



وأعظَمُ أركان طريقي المسلُوكة، الحضْرةُ العظيمَة، التي هي بالأنوار محفُوفة، وعلى الداخلين في دائرتِها مبروكَة، حضرةُ مولاي القطبِ الرباني، والعارفِ الصمداني، الذي رعَاني وراعاني، وإلىٰ طريق الرشْد دعَاني، وتلا عليَّ آياتِ فُرقاني، بتعليمِ إيقَاني، وتفهيم امتناني، قرأتُه بلسَاني، بعدَما ثبَت في جناني.

الشيخُ المرشدُ الكامل، الجامعُ لمحاسنِ الكمالاتِ، وشرائفِ الشّمائل، والشاربُ من المعرِفة بأوسع كأس، أبوبكر بن عبدالله بن طالب العطاس، رضيَ الله عنه وأرضَاه، وأبقاني ومَن أحبّني دائمينَ في حماه.

صحبتُ هذا الإمامَ مدّة، وهي وإن كانت في العِدّة يسيرةً، هي عندي في طريقي من أقوى عُدّة، وقعَ لي فيها من المدَد والاتصَال، ما لا يضبطُه العدَد، ولا تحصرُه الأقوال، فالله يجزيه عنيَ الجزاء التامّ، ويبقيني ومن شمِلتْه عنايتي تحت رعاية ذلك الإمام.

وهو رحمه الله ممن جمعَ من العلُوم والمعارفِ، ما يدلّ على أنه من أعظَم الورثة للمصْطَفى ﷺ في الأسرار والعلُومِ والعَوارفِ، وله دائرةٌ في الأخذِ واسعةٌ، كما أسلفتُ ذكرَّها قريباً، إنما جلّ انتسابَه في الطريقِ إلىٰ مشَايخ عصره، وعلماء دهره،

كسيدي القطبِ الرباني الحسَنِ بن صَالح البحْر، وسيدي العَارف بالله عبدالله بن حُسَين بن طاهر، وسيدي العارفِ بالله عبْدالله بن حُسين بلفقيه، وغيرهم ممن ضمّه ذلك العصر، وافتخر به الوقتُ والقطر.

ولي بحَمد الله أخذٌ تامٌ، عن غيرِ هذا الإمَام، من أئمّة في الدينِ أعْلام، كسيدي الوالدِ العارف بالله، والدّاعي إليه بصُورته ومعْنَاه، مفتي الحرمين، وشيخِ الطريقين، الإمامِ الحجّة، من هو على طريق الصّدقِ يمْشي، محمدِ بن حسين بن عبدالله بن شيخ الحبْشي، فقد ربّتني رعايةُ هذا الإمَام تربيةً بالغَة، كانتْ لي بها النعمة السابغة، والحجة البالغة، حضرتُ معه بين يديه في بلَد الله الحرام، أياماً وشهوراً وأعْواماً، أتمتعُ من محاسِن علومه، بما يقضي بتقدّمه في سعَة علمِه وإدراك فهُومه، وقد حصلتْ لي منه الإجازاتُ، ونالتني من شَريف وُجْهته وافرُ البركَات، وغامرُ النفَحات، ومقبولُ الدعوات، ولك يا أخي مِنه العناية التامة، والنظرُ الكامل، وهو رَحمه الله ونفعَ به له تحننٌ كاملٌ على أولادِه، ووجْهةٌ قويةٌ في تربيتهِم ورعَايتهم، فالحمدُلله على ذلك.

ومشايخُ سيدِي الوالدِ كَثيرٌ، وأعظم من ينتَسِبُ إليه، سيدي العارفُ بالله عبدُالله بن حُسَين بن طاهر، وقد كانَ له الإقبالُ التامُّ عليه، والانقيادُ العظيم له، وصدَق رضيَ الله عنه في حبّه، فنال الحظَّ الوافرَ من وراثته وقربِه، وهو إمامٌ تفاخرت بوجُوده الليالي والأيام، وانتشرَت دعوتُه في الأنام، وهدَى الله به كثيراً، ونفع به جمعاً غفيراً، وسلسلةُ اتصالِه بمشايخه مدوّنة في كتبِه، رضي الله عنه وأرضَاه، وأفاضَ علينا من بركاتِه وأسْراره، ما يجمعنا معَه ومع غيرِه على صدْقِ الموالاة.

ولي غيرُ هذين الشيخينِ من الأئمّةِ، أعدادٌ كثيرة، تلقيتُ منهم علومَهم، وحضرتُ بين أيديهم، واستمدَّيتُ منهم، وكان لي منهُم إجازاتٌ، ووصَايا جامِعاتٌ، لو سمحَ الدهرُ بفرصَةٍ لدوّنتُ بعضَ كيفية اتصَالي بهم، وانتسَابي إليهم، وبمثلِ ما أجازَني هؤلاءِ وأوصَوني، أجيزُ وأوصي أخي شَيخاً بنَ محمّد المذكور،

وأولادِي وأولادَه، وأولادَ أخي حُسَين بن محمّد، وأطلبُ من مَولاي أن يجعلَني وإياهم أجمعينَ، ممن يستمعونَ القولَ فيتبعُون أحسَنه، ويريَنا فيهم أجمعين، ما تقرّ به عيونُ سيد المرسلين ﷺ، وعيونُنا وعيونُ أسلافنا الصالحين.

وأؤملُ من أخِي حفظَه الله أنْ لا ينسَاني من صَالح دعواته في جميع توجّهاته، وقد أجزْتهم الجميع أيضاً فيما تلقيتُه عن مشَايخي أيضاً من حُزوب وأذكار، وما فتحَ الله به عليَّ من دعواتٍ، وصِيغ صَلواتٍ على سيد البريات ﷺ، والله أسألُ أن لا يخيّبَ آمالنا ويجعلَنا من الصادقين في محبتهِ، والرّاغبين في قربه، ويوفّر حظّنا من الاتباعِ التام لسيد المرسلين ﷺ.

وأتوجه إلىٰ الله بخالصِ دعَواتي، أن لا يطيل غيبةَ أخي شيخ عنّي، ويعَجّل بلقائه في عافية، فقد حصَلَ معي منَ الشجَنِ على فراقِه ما يعلمُه الله، والرجَاء في الله أن لا يجعلَه آخر العَهدِ منّا ومنه، ويجمعَ شملنا به في عافيةٍ عن قريبٍ في الأوطانِ، اللهُمّ هذا الدعاءُ وعليكَ الإجابة، وهذا الجهْدُ وعليكَ التكلان، وأنت المستعانُ في كل شأن.

وعند نزولكَ بالبلدِ الأمين، وتشرفكَ بتقبيلِ أعتاب سيد المرسلين ﷺ، لاحظِ المنازلَ والنازلين، وتعرّفْ إلىٰ الحقّ المبين، بالتوجّهِ القلبيّ في ذلك المكان المكين، الذي هو مجمَعُ العَارفين، ومحطّ آمالِ المؤملين، واستفرغِ الوسْعَ والطاقةَ في التوجهاتِ القلبية والسرّية، إلىٰ الحضْرة العلية، متوسّلاً بعظيمِ قدْر ذاتِ الحضْرة المحمديّة، مستشْفعاً به في كلّ خفيّة وجليّةٍ، من أمُورك الدنيويّة والأخروية.

وعندَما تهمي عليكَ سحبُ الإمدادِ الثقّال، أشركْني في فَوائد ثمراتِ ذلك الاتصَال، وادخُلْ بي على حبيبي الكريم ﷺ، من بابِ الإجلالِ والتعظيم، فلعلّ أن تغمُرَني وتغمُرك من بركاتِ تلك الحضرة غوامرُ نفحَاتها، فنعيشَ أجمعين في فوائدها وبركَاتها، وتلمّحْ وجوهاً في تلك الجهاتِ، مشرقَةً أنوارُها، على ذواتِ ظاهرةٍ أسرارُها في المعاني والصّفات.

فإذا ظفرتَ بمن أرشدتُك إلىٰ لقَاه، ممنْ في المعرفة بالله مُرْتقاه، افتحْ معه بابَ المؤاخَاة، واطلبْ منه لي ولك مستجابَ دعاه، فلعلّ الله أن يجمعَك بأهل القربِ منه والحضُورِ بين يديه، فتصِلَ بسرْعةٍ في توجّهاتك إليه، وواصلِ الصلاة والتسليمَ على الحبيب الكريم ﷺ، منّي ومن أولادي، ومن هو على ودي مقِيم، وصلّى الله على سيدنا محمد ﷺ أشرفِ المرسَلين، وعلى آله وصحبه والتابعين، وآخرُ دعْوانا أن الحمدُلله ربّ العالمين.

قال ذلكَ وأملاهُ الفقيرِ إلىٰ الله
«علي بن محمد بن حسين بن عبدالله بن شيخ الحبشي، عفا الله عنه، آمينَ.
حرِّر بكْرةَ الجمُعة ١٥ شوال ١٣٢٧هـ».

(٢) وصيةٌ أخرَى

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾

«الحمدُلله باعثِ همَم أولي الهمَمِ الأبيّة، إلىٰ طلبِ المطالبِ العليّة، ومُورِي زنادِ أولي الرغْبةِ في المعالي العلْويّة، بقبسِ عنايته الأزليّة، ومُطلقِ قيودِ ذوي القيود، لتفوزَ بالمقصُود، في حضَرات الشّهود، وما هناكَ إلا فاقدٌ ومفْقُود، وشاهدٌ ومشهود، حمداً نفوز به بتلكَ المطالب، ونشربَ به بتلك المشَارب، ونحثُّ ركائبَ عزْمِنا بسرْعةٍ إليه، ونعتمِدَ في جميع أحْوالنا علَيه، غير ناظِرين إلىٰ سِواه، ولا متعشّقين إلا لرؤْياه.

والصلاةُ والسلام على خَيرِ الأنام ﷺ، سيدِ ولد عدنانَ، وعلى آله وصحبه والتابعين له بإحسَان، ما توجهّتْ عزيمَةُ ذوي العزيمَة، إلىٰ مواطن الفَوز والغنيمَة، وما تُليتْ في منبرِ العجِّ والثجِّ آيةُ ﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ﴾، فسمعها السامعُون، وسارعوا إلىٰ ما اشتملَتْ عليه من السرِّ المكنون، المشَار إليه بآيةِ: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾.

وبعدُ؛

فإن ممن قرعَ سمْعَه ذلك الخطابُ، وسكِرتْ روحُه من ذلك الشّراب، واشتاقَ سرُّه إلىٰ ذلك الجناب، أخِي الحقيقُ، وصَديقي في السعةِ والضّيق، رضيعُ لباني، وفرَسُ رهاني، المحفوظُ بحفْظ الله، والمرعيُّ بعينِ عناية مولاه، شيخُ بنُ سيدي الوالدِ محمد بن حسين بن عبدالله الحبشي.

فعند عزْمِه على ذلكَ المطلب، وشرْبه من ذلكَ المشرَب، طلبَ مني الوصية، وإن كانتْ لا تطلَبُ مني، لكوني عريًّا عما يذكَر عنّي، فساعدتُه على ذلك المطلبِ الشريف، لأدخلَ في دعواته في ذلك المحلّ المنيف.

فأوصي أخِي ووليّي بتقوَى الله، الذي ما جنحَ إلىٰ جادّتها سائرٌ إلا وصَل، ولا تنزه في رياضِها متعسرٌ عليه مطلبٌ إلا وله حصَل، وهي الامتثالُ لما به الله أمر، والانزِجَار عن ما عنه نهى وزجَر. **وأوصيكَ** بالإقبالِ على الله، ومعانقة الطاعَة والعبادة، وسلوكِ طريقِ القَوم التي من سلكَها سَلِم، ومن سافر بها وصلَ وغَنم. **وعليك** بالزهد في الدنيا، التي من وقعَ في شبكة محبّتها هلَك، ولو ملكَ ما ملك، فهي السمُّ القاتِل، والأمرُ الذي يرجع الأعالي أسَافل، فاحْذر هذه العَدْوّة، تكُنْ من أهل الفتُوّة. إذ الفتَى في الحقيقَة من رفعَ نظَره عن الخليقَة، واشتغلَ بما يقرّبه إلىٰ الخالقِ بفعْل ما يرضِيه، وترْكِ ما يسْخِطه. **وإياكَ** ثم إياكَ مما يسخِطُه، فالسخط يوجِب المقْتَ، والرضَا يوجبُ الرضا.

وأوصيهِ بما أوصَاني به شيخي القطبُ أبوبكر بن عبدالله العطاسِ، في بعض خلَواتي معه، وهو حفظُ السرّ مع الله، وأن يجعلَ له في كلِّ قولٍ يقولُه، وعمل يعمَله، وفعلٍ يفعله، نيةً صالحةً، وأن يواظِبَ على رواتبِ الفرائضِ، والوتْر إحدى عشْرةَ ركعةً، آخر الليل.

وأوصيه أيضاً بحفْظ أوقاته في الطاعة، والاجتهادِ في طلبِ العلم بما أمكَن، وكيف أمكَن، والأدبِ مع أوليَاء الله، وحسْنِ الظنِّ بهم، وجميعِ عبَاد الله الصالحين، والتطلّبِ للمستورينَ من الأولياءِ، لاسّيما في الحرَم الشريفِ، فإن به منهُم كثيراً، فاجتهد في طلَبهم، واسْأل لي الدعاء منهم. وإن زرتَ سيدي رسول الله ﷺ سَلّمْ عليه، واشرحْ حَالي لديه، وصِفْ فقري إليه، وترقّبْ ما يشير به عليَّ في المنام.

وقد أجزتُكَ في جميعِ ما أجَازني به مشايخي، من الأورادِ، لاسيّما في الإتيانِ كلَّ يوم بـ(مائة مرةٍ) من ﴿رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي * وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي﴾. وأكثِرْ من ذكْر الله في سَيرك وترْحَالك، وقعُودك وقيامك.

وهَذا مع عجلٍ وخجل، والدعاءَ الدعاءَ لأخيك، لا تنساني كما أني لا أنسَاك. وسلّمْ لي على إخواني، ومن بذلك النادِ من الأسْياد، والسلام.

قال ذلكَ وأملاهُ، الفقير إلىٰ الله

«عليُّ بن محمّدِ بن حُسَين بن عبدالله بن شيخ الحبشي،

عفا الله عنه، آمين».

(٣) وصية أخرى

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ﴾

«الحمدُلله الذي كشفَ عن قلُوبِ أولي البصَائرِ حجُبَ الأغيار، فرَأوا الحقيقةَ كما هي فسَعوا إليها، وأوقدَ نار الشّوقِ في ألْبابِ من أحبّه فرغِبَ في المجالس العنديّة وفدَى بالأرواحِ عليهَا، حمداً نكتسِبُ به من تلكَ الفضائلِ نصيباً وافراً، ونرقَى به في دَرجاتِ العرفانَ مرقًى باهراً.

والصلاةُ والسلامَ على أولِ قابلٍ للتجلّي من الحقيقَة، أشرفِ الخليقة ﷺ، وعلى آله وصحبه وتابعيه وحِزبه. وبعدُ؛

فإن مما أذكّرُ به أخي وقرةَ عيني، شيخَ بنَ محمّدِ بن حسين الحبْشيّ، المسارعة إلىٰ مرضَاة الله بغَاية الاجتِهاد، والانحيازَ عن معْصيةِ الله بغاية جَهده، وسلوكِ سبيل من فرَّ إلىٰ الله، وأقبلَ بكليّته على مولاه، واتخذَ الحيَاة مطيّةً إلىٰ الدارِ الآخِرة، وسُلّماً إلىٰ المنازل الفاخِرة.

وأجزتُه في جميعِ ما تجوزُ لي روايتُه ودرايتُه عموماً، وأجزتُه خصوصاً أن يدعوَ في كل مقامٍ ومحلٍّ من مواضعِ الإجابة بهذا الدّعَاء، وهو:

«الحمدُلله ربّ العالمين، **اللهمَّ** صلِّ وسلم وبارك على سيدِنا محمد ﷺ أولِ متلقٍّ لفيضِك الأوّل، وأكرمِ حبيبٍ تفضّلتَ عليه فتفضّل، وعلى آله وصَحبه، وتابعيه وحزبه، ما دامَ تلقيه منكَ وترقّيه إليكَ، وإقبالُك عليه وإقبالُه عليكَ، وشهودُه لكَ وانطراحُه لدَيك، صلاةً نشْهَدكَ بها من مرآته، ونصِلُ بها إلىٰ حضْرتكَ من حضْرة ذاتِه، قائمينَ لكَ وله بالأدبِ الوافر، مغمُورينَ منكَ ومنه بالمدَد الباطنِ والظاهر، آمينَ.

اللهُمّ إنا قدْ وفَدنا إلىٰ مشَاهِدك العظَام، وبيتِك الحرام، وقَبرِ نبيك سيدِنا محمد عليه أفضَلُ الصّلاة والسلام، ولنا آمالٌ أملناهَا من واسعِ فضْلكَ، ومطالبُ كمُنَتْ في صُدورنَا وليسَتْ خافيةً عنك، وأنتَ أجَلُّ مقصُودٍ، وأكبرُ من عُهدَ منه الجودُ، وفي حسْنِ ظنّنا بكَ ما تحقّقْنا به إجابةَ سُؤالنا، ونُجْح مطَالبنا.

فبحقِّ حبيبكَ وصَفيّكَ، سيدِنا وحَبيبنا وشَفيعِنا محمدِ بن عبدالله ﷺ، وبحقّ جميعِ أنبيائك ورسُلك، والصالحينَ من عبَادك، لا تردَّنا **اللهُمَّ**

عن هذا الموقفِ صُفْرَ الأيدي، وأقبلْ على مُقْبلنا بما أمّل، وعلى مُدْبرنا بواسعِ رحمتك الشّاملة.

اللهم قرّب بعيدَنا، واشْفِ مريضَنا، ويسّر عَسيرَنا، وافكُكْ أسِيرَنا، وهبْ لنا عِلماً يصْحبُه النفْعُ، وعمَلاً يصْحبَه القَبولُ، ومعرفةً يصْحبها الأدَبُ، ووفقْنا للقيام بآدابِ العبوديةِ لكَ في كلّ نفَسٍ.

اللهم أقبلْ بكليّتي عليكَ، واجعلْ جميعَ توجّهاتي إليكَ، واصْرِفْ عني كلّ همّ دونَك، واجعلني في ديوانِ من تحبّهم ويحبونَك. اللهم اكشِفْ عني حجُبَ الأغيار، وخُذْ بي جادّة أصْفيائكَ الأخيار.

اللهُمّ أفِضْ على روحي ما أفضْتَه على روحِ الكاملِ من هذه الأمّة، واكشِفْ عني كلّ مدلهمّة وظُلمَة، واغفِر لي ما جنيتُ، وسامحني فيما أتيتُ، ولا تعاقبني بما نَويتُ، واقبَلْني على ما فيَّ، وأدخِلني تحتَ وريفِ ظلّ لطفِك الخفيّ، واستُر عَيبي، وأزِلْ رَيبي، ونقّ جَيبي، وأذْهب غَيني، وأجْلِ رَيني، وأقرَّ بما تحبه وترضَاه عَيني، وهبْ لي زُهداً كزهْدِ الكاملِ، وورعاً كورَعه، وعلماً كعلمه وفهماً كفَهْمه، وإقبالاً كإقباله، ونوراً كنُوره، واجعلْ عينَ العنايةِ ناظرة إليَّ، وجودَك الكامل وعطاءَك الشامل مقبلَين عليَّ. **اللهُمّ** اطْو مسَافاتِ البعْد بيني وبينَ حبيبك المصطَفى ﷺ، واجمعْ بيني وبينَه في هذه الدارِ، وفي تلك الدارِ، جَهْراً وخَفا.

اللهم اجعَلْ لي حَظاً وافراً من حبّكَ وحبِّه، وسَهماً كَاملاً من قربكَ وقُربه. **اللهُمّ** إن قَلبي يدَّعي حبّك، ورُوحي تشْتاقُ قربَك، فاجْعَل للدّعْوى حقيقةً، واسلُكْ بي في قربكَ أقومَ طَريقة.

اللهُمّ إنك جعلْتَ العلامةَ على حبّك اتباعَ حبيبك ﷺ، ولا طاقةَ لي على ذلكَ إلا بتوفيقِكَ لي، فوفقني **اللهُمّ** لذلك لأكونَ من المحِبّين لكَ

حقيقَة، يا أرحمَ الراحمين (ثلاثاً)، آمينَ يا ربَّ العالمين. وصلى الله على سيدنا محمدٍ، وآله وصحبه وسلم».

قالَ ذلك وأملاهُ، الفقير إلىٰ الله

«عليّ بن محمدٍ بن حسين بن عبدالله بن شيخ الحبشي

عفا الله عنه آمين».

(٤) مكاتبةٌ

«الحمدُلله الذي إليه تُرفَع حاجاتُ المحتاجين فيقْضيها، وتتوجّه إليه همَمُ المتوجهين على اختلاف وجهتِها ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾، والصّلاةُ والسلامُ على سيدنا محمّد ﷺ مرشدِ الأمةِ وهَاديها، وعلى آلِه وصَحْبه، ومن سلكَ طريقتَه وتبِعَه فيها.

من الفَقير إلىٰ الله؛ علي بن محمد حسين الحبشيّ، عفَا الله عنه آمين.

إلىٰ أعزِّ إخْوانه الصادقينَ، وأجلِّ أصْحَابه المخلصِينَ، الذي تحِنُّ القلوبُ إلىٰ ملاقَاته، وتشْتاقُ الألبابُ إلىٰ مناجَاته، أخِي وصَديقي، الشاربِ من رحيقي، والسالكِ معي في طريقي، شَيخ بن محمّد بن حُسَين بن عبدالله بن شيخ الحبَشي، قرّبَ الله ليالي وِصَاله، في صَفاءِ الوقْتِ وإقباله، وكلٌّ منّا مسرورٌ بحَاله، في فوائد حظِّه وتَرْحاله، آمين.

صدورُها من سيؤونَ، البلادِ التي سكنّاها، والمنزلةِ التي تخيّرناها، والقلوبُ معمورةٌ بها نازَلها، والأرواحُ مسرورَةٌ من حبيبِها بها قابلها، ومن عاشَ بمثْلِ هذا العيشِ الهنيّ، تسنّم ذِرْوةَ المجْد السنيّ، وكفَى بالاستظلالِ بهذا الظلّ الممدودِ، راحةً لأهل الشهُودِ، في سدْرٍ مخضُودٍ، وطَلحٍ منضُودٍ، وفاكهةٍ كثيرةٍ، لا مقطوعة ولا ممنوعةٍ، على أهل البصيرةِ.

ونرفعُ إليكَ يا أخي من أخبارِنا، في تقَلّباتنا وأطوارِنا، ما يحرّك همتَك إلىٰ النزول لنادينا، ويبعث عزيمَتك على الوصُول إلىٰ وَادينا، ونحْنُ من الشَّوق إليكَ على ما لا تستطيعُ الأقلامُ تسطيرُه، ولا الألسنُ تَعبيرُه، فإن حداكَ الحادي، وانبعثَ منك العزْمُ الجازمُ إلىٰ العَودِ إلىٰ النادي، فالعود أحمَدُ، والرزقُ الذي سبقَ في الأزلِ تقديرُه، سَوف يأتي بلا كَدٍّ.

وقد تعطلتْ عليَّ بعدَ غيبتِك عنِّي، وظائفُ من الذّوقِ كُنْتُ قائماً بمحْرابها، وتفرقَتْ عليَّ همٌّ عليةٌ قد دخلتُ عليها من بابِها، بعدَ قيامي بأسْبابها، فصرْتُ وحيداً في كثْرةٍ، وغريباً في أهلٍ!، والمشتكَى إلىٰ الله عزّ وجلَّ، فيما أحاولُ من أملٍ، والضّراعةُ إليه في أن يجمَع لكَ المتفرّقَ في أقرَبِ زمنٍ وأوفقِ محلٍّ.

وقد وردَتْ عليَّ كتبُكَ يا أخي، من الشّام والآستانةِ ومصْر، وفيهَا من شَرح أخبارِكَ، ما تقضي بانشراحِ بالِك في أطْوارِك، وفي الوجُودِ من المتعلّقينَ بالحبْلِ المتين أصنافٌ، وكلُّهم للحَضْرة الكريمةِ أضْيافٌ، نازلونَ على من يحسِنُ الضّيافةِ والقِرَى، متوثقون من حسْنِ الظنِّ في تلكَ الحفْرةِ بأوثَقِ العُرَى، ومَن صدقَ في الطّلبِ أدركَ المطلوبَ، ومن أحبَّ المحبوبَ كانَ محبُوب.



وكنتُ أحسِبكَ تطيلُ الإخبَار في شرْحِ من لقيتَ من الأخيارِ، في تلك الأسْفار، فاقتَصرْتَ من الشّرحِ على القليلِ، والظّمآنُ يزيدُ بقَليلِ الشراب ظمأً، لاسيما في زمانٍ غلَبَ أهلَه العمَى، ولكن لعلَّ الله يكرِمُنا بالتلاقي من قريبٍ، فتُستَمْلى أخبارُك في زمَنٍ رَحيبٍ. وقد ذكرْتَ في كتبكَ أنكَ حرّرتَ «رِحْلَةً»، وفيها شرَحْتَ من لاقيتَ وما لاقيتَ، وما سمعْتَ وما رأيتَ، وفي كلّ وقْتٍ نترقّبُ وصُولها إلينا، فتدْخِلُ أخبارُها أنواعَ المسرَّة علَينا.

ونحنُ والأولاد وأهل دوائرنا، الجميعُ، على الحالِ المعهودِ، عبيدُ معبودٍ، رحيمٍ ودُود، نتقلّبُ في نعَمٍ لا نَستحقها، ونمسي ونصْبحُ في منَنٍ لا نفي من شكرها

بحقّها، وصَفانا على ما تعهد، وأنسنا كل حين يتجدّد، والزمان وأغلاطُه ما اعتبرنَاه، والهدَى وصراطُه سلكْناه ولا فَارقناه، ومن جهِلَ كفَاهُ جهلُه تعذيبْ، ورحمةُ الله من المحسِنينَ قريبْ.

وطبعُكَ «المولِد» وغيره من الكتبِ الذي ذكرتَ، لا بأس في ذلك، ونسأل الله أن يهيئ لك فيها الربحَ الوافر، في الباطنِ والظاهر، فتبلغ من ذلكَ، ما هو ببالِكَ، وعند كمال الطبع اجعلوا لنا من ذلك نُسَخ، وعند فراغ المناسِك بادِرْ بأداء الفرْصَة، وتوجّه إلينا، فإنا على غاية الاشتياق إليك والسفرة إن الله رابحة والأمور بحول الله صالحة، والولد أحمد بن شيخ وإخوانه في حال جميل وسبيل ما خير سبيل ملازمون مجلسنا ومجتنون غرائسنا وثمرات دعاء الوالد لأولاده ظاهرة في الجميع، الحمد لله.

وأخي حسَينُ بن محمّد؛ كتبتُ له كتاباً صُحبةَ الحجّاج المتوجهينَ من طَرفنَا، وحرضتُ عليه غايةَ التحريضِ في الخرُوج إلينَا، لكي نغتَنِم بَقيةَ العمْرِ في الاجتماع، الله يشرَح صدْره لذلكَ، ويهيئ له الأسبابَ، فلعل أن يكون خروجُكم أنتم وإياه معاً، ونجتمعُ في الوطَن، على حالٍ حسَنٍ، وما ذلك على الله بعزيز، والدعاءُ لكم مبذولٌ، بنيلِ كلّ سؤلٍ، وتحقيق كلّ مأمولٍ، والله يعجّل بالوصُول، ويأذن باجتماعِ الفروع والأصُول، ويظهر فينا سرَّ المصْطفى والوصيّ والبتولِ، والسلام.

«حرّر سلْخَ شَوال عام ١٣٢٨».

(٥) مكاتبةٌ

«الحمدُلله المتولي أمرَ عبدِه، في شأنه وفعله وقصْده، بتدبيرِ حسَنٍ وتصْريفٍ كاملٍ، يجري به العبدُ في حالاتِه، على منهجَ سديدٍ، بتأييدٍ ظهَر سرُّه في الفعلِ والفاعلِ، اتسع العلم فبرز معناه على التمام في المعلوم، فكلٌ فيه على حسبِ ما قدّر له من الرزقِ المقْسُوم، وهنا تقِفُ الأفكَار، ويذهَبُ الاختيار، ويقفُ العبْد على بساطِ

الذلّةِ والافتقَار، ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾.

والحيلةُ في تركِ الحيلة، وفي الظنون الجميلة، شفاءُ القلوبِ العليلة، أظهر الحقّ في أطوارِها من تأثيرِ قدْرته دليلَه، ودَعا داعي الرشْدِ بلسان دلالته، بنداءِ ﴿وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾.

وليسَ ثَمَّ من يُتَوَسَّلُ به في جميعِ الحاجاتِ، إلا أكرَمُ الخلقِ وأشرَفُ البرياتِ، وأعظم من تقبلُ منه الشفاعاتُ، أجَلُّ مخلوقٍ برَزَ في العالمِ بوَصْفِ الرحمةِ، فانتفع به وشفاعاته ووجاهته جميعُ الأمّة، سيدُ المرسَلينِ، وأكرم عبدٍ في العالمين، سيدي رسُولُ الله محمدُ بن عبدِالله صلى الله عليه وعلى آله وصَحبه ومَن والاه، ما تشرّفَتْ بذكره المَسَامعُ والأفْواه، واتّصلَتْ أرواحُ المتعلقِينَ به في عالمِ اليقظَةِ والانتباهِ، مستضيئينَ بنُورِ سَناه، مستَمدِّين من واسعِ عطَاه.

وأسْأَلُ الله سبحانَه وتعالى، بواسعِ وجَاهته، وجميلِ رعايته، أن يأذن بطيِّ شُقّةِ البعاد، بين المخلصِينَ في الودادِ، من إخوانٍ وأولاد، على وجْهٍ يقضي بحصُولِ كلِّ مرادٍ، لنا ولأخينَا وأليفِنا، ومحبوبِ قلوبِنا، السارِّ البار، الذي يسُرّ قلوبَنا منه جميلُ الأخبَار، ونرتجي من الله عودَه إلىٰ الدار، مع حصُول جميعِ المسَارّ، وقَضاءِ جميعِ الأوطار، أخي وقرّة عَيني، وسرور فؤادي، شيخُ ابنُ سيدِي الوالدِ محمدِ بن حسين بن عبد الله بن شيخ الحبَشيّ.



اللهُمَّ باركْ في هذا الولدِ، ووفر له من المَدَد، وعجّلْ برجُوعِه إلىٰ البلَد، تتمتّعُ العيونُ بمشاهدَته، والقلوبُ بمذاكرتِه، والأوقاتُ بمسَامرَتِه، يا مجيبُ استجِبْ، وبلغْ كلًّا منّا ما يحبّ، على ما يجب، فيما ترضى وتحب، آمين.

صدُورها من سيون، لإهداءِ التحية، ولا أشْتكي في نفسي ولا في أهلي ولا في أولادي ولا في إخواني ولا في أصحابي من أذيّة، بلْ نحمَدُ الله بجميعِ أوصافِ الحمدِ، على ما والَى علَينا من هبةٍ وعطيةٍ، وراحَة جسْمية وقلبية، وعيشَةٍ هنية، إلا

أنه ينغّصُ ذلـك العيشَ الهنيَّ ألمُ الفراقِ، بين الأخلاءِ والرّفاق، ولكل أجلٍ كتابٌ، ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾.

وقد سبقَتْ مني إلىٰ أخي كتبٌ متعدّدةٌ، شرَحْنا منهَا من الأخبارِ، ما تفيدُ أخي مِن الأحوالِ المتجدّدَة، ولعلَّ بذلك يبرُدُ الغَليلُ:

قليـلٌ منـكَ يكفِينـي ولكِـنْ   قليلُـكَ لا يقَـالُ لـه قَليـلُ

وهذا كتبتُه لزيادةِ التجديد، للعَهْد الأكيد، ينبئُ أخي بما انطَوى عليه البالُ، وتداولته الأحوالُ على سبيلِ الإجمالِ، بعد ورودِ كتاب منكَ يا أخي من (سُرَباية)، فيه الإعلام بوصُولك إلىٰ (بتاوي) ثمّ إليها، وفيه شرْحٌ بعضِ أحوالك، وتذكر فيه أنكَ على عزمِ العَود إلىٰ (بتاوي) لحضُور مولد ولدِنا محمّد بن عيدروس، ثم في نيتك الوصُولُ إلىٰ (سنغافورا).

خواطر تخطُر، يبدُر منها ما يبدُر، والعِلْمُ القديم، حيَّر الفهيم، والجأَ إلىٰ التسليم، «وما أخطأكَ لم يكُنْ ليصِيبكَ، وما أصابكَ لم يكُن ليخْطِئك»، وزادُ الثقَةِ بالله، أوصَل أهلَه إلىٰ نعيم الحياة، وأراحَهم من هَمِّ الرزْقِ وعَناه، وجلوسُكَ معي، وجُلوسي معكَ ساعةً، لَا يعادله جميع ما في (جَاوَا) من بضَاعةْ ،ولكنّ النواصي والقلوبَ بيدِ مولاها، ولكُلٍّ وجهةٌ هو مُولّاها، الله يملأ قلبَكَ يا أخي من اليقينِ، حتى تعيشَ في هذه الحياة عيشَ الصّالحين، وما أرَى ذلك على الله ببعيدٍ، إذا شاءَ هوَّن الشدائِد وقربَ البعيد، وأوصَل المريدَ إلىٰ ما يُريد.

ولعلكَ اتصلْتَ في (جَاوَا) بشيءٍ من أخبارِنا المكنونة، واجتمعْتَ بأحدٍ من أهل الأسرارِ المصُونة، فإنّ في بقَاعِ الأرضِ أعدادٌ، من خواصِّ العباد، تبدُو أسرارُهم، على السّائلينَ عن أخبارهم.

وحَالاتُ أهلِ تلكَ الجهاتِ، من إشاعَتهم فيما يوجبُ الشتات، من جميعِ الفانياتِ بغير نيّاتٍ صالحاتٍ، ولا صَرْف في قرُباتٍ، فما لنَا حاجةٌ في السّؤالِ عنه،

والمذاكَرة فيه، ومعنا للجميعِ الدعاءُ بالتوفيقِ، إلىٰ سلوك أَقْوَمِ طريقٍ، وأراك قد أنكَرْتَ شيئاً من تلك الحالاتِ، واطلعْتَ في تلك الجهاتِ، على ما يحزن قلبَ خيرِ البريّاتِ ﷺ، من صَرْفِ الوُجْهةِ بتَمامِها، إلىٰ جمع الدنيا وحُطَامها، وعدَم المبالاةِ بآثامِها، والتّمييزِ بين حلالها وحرامِها، فالله يهدي إخوانَنا الساكنينَ بتلكَ الأقْطار، المختارينَ غيرَ ما اخْتارَ سلفُهم الأخيار، من القناعَة من هذه الدار بالقليلِ، والسُّلوكِ في أقومِ سبيلٍ، والاستعداد الكاملِ من الزّادِ للرَّحيلِ، هدايةً تردُّهم إليه رَداً جميل، فإن جلَسْتَ معَهم يا أخي، مجالسَ خاصَّةً، حبِّبْ إليهِم أخلاقَ أسْلافِهم وأعمالِهم، فلعلَّهم يرغَبونَ في مواهِبهم ومآلهم.

وأرجُوكَ يا أخِي؛ قد جمعَتْك الأقْدارُ علَى وَطرِكَ وتحركْتَ في تهيئة أسبابِ سَفرك، فأنا في غايةِ الاحْتياج إلىٰ لقَاك، وقد مضَتْ علينَا سنةٌ تعطّلتْ علينا فيها وظَائفُ، بسَبب بِعَادك، ولعلَّك وجدتَ ما وجدْناهُ منهَا، والأملُ في الله سبحانه وتعَالى، أن يجمعَ الشمْلَ في أقربِ الأوقاتِ، وتعودُ تلك الأوقاتُ والمذاكراتُ، في أبركِ الساعاتِ.

وقَد تكرّم الله تعالى علَينا بزيارة الغَنّاءِ تريم، ومن فيهَا مقيم، في آخر رَبيع الثاني، وصحِبَنا في تلك الزيارَة جماعةٌ من أهلِ بيتنا، وأولادنا وأولادِكُم، تحركَتْ همة غالبِ أهل بلدِنا، بل وغالبِ بلدان الجهَة، حضَر بحضُورنا جمعٌ غفير، اشتمل على مددٍ كثير، وطالت مدّةُ الإقامةِ بتريم، وفي كلِّ ليلةِ جمعةٍ ويومِها يعودُ الوافدونَ، وكلّ زيارةٍ تكونُ أكثر مما قبلها، ومضت علينا في تلك البلاد ليالي وأيامٌ في مذاكراتٍ، أحْيَتِ الأرواح والأجسام.

ورُبما يرفَع إليكَ أخبارُ تلك الزيارَةِ الواصِلون، وقد ذكرْناكَ في تلك الزيَاراتِ بالخصُوص، وذكَرنا معَك ولدَنا الخاصّ، محمد بن عيدروس، وذكرْنا محبينا وخلاصَتنا آل عبد الله سعيد باسَلامة، ووددْنا لو حضرتُم الجميع، وقاسَمتم في هذا

الغيثِ المريع، ولكنا أسهَمْنا لكم من ذلك المَدَدِ الغامر، بالسّهم الوافر، وقد حصلتْ مبشراتٌ ومرائي صالحاتٌ، من كثير من خواص البرياتِ.

وفي عَودِنا من تلكَ الزيارَة زرْنا سيدنا علوي بن عبيدالله، وسيدنا المهَاجِر إلىٰ الله، والشيخَة سُلطانة، وفي كلّ زيارةٍ يتجدّد سرورٌ بهِ القلبُ مشعر، وما أحلى الوقُوفَ على الآثار، والاتصالَ بالأسرار، من السّادة الأبرار، وسَاعاتُ العمرِ خزائنُ للإنسان، تشتمل على أنواعٍ وأفنان، إذا أمعنَ الإنسانُ النظرَ فيها، وتلمح أسرارَها المودَعة في أيامِها ولياليها، ونحنُ وفي أيامنا وليالينا، مع إخواننا وأولادِنا وأهْلينا، على حالٍ يسِر الصديقِ ويكبتُ الحاسد، فللّه أكملُ الحمدِ على ما أولانا، ونسأله أن يديمَ نعمته علينَا، ويوفقنا لشكرها.

والمحلة قربَت أوقاتها، وسرورها وراحَاتها، نترقب فيها إمداد تتنزّل علينَا، وكأسات صفاءٍ تدارُ بين أيدِينا، على الحالة المعتادة وزيادة، ويهُمّنا عدم حضورِكم لدينا، وإن كنتم إن شاء الله تعالى حاضرين، ورجاؤنا في الله سبحانه وتعالى أن تعُودَ علينا أجمعينَ، سنين في عيشٍ هنيء يتجدّد في كل حين، والولدُ الفاضل محمّد بن عيدروس، إن أسعفتكم الأيّام بوقتٍ خاصّ، تغانَموا مجالسَته ومدارسته، واستفيدوا من مذاكرته، فلنا نزوعٌ واشتياقٌ إلىٰ لقاه، ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾. ومن نكدِ الدنيا على الأحبابِ، تعذيبهم بالفرْقَة التي هي أشد عذاب، ولا بد للفراق من غايةٍ تنتَهي إليهَا، ونرجُو من الله تعجيلَ أمدِها، والظفر من الملاقاةِ بمدَدِها، بلغه عني السّلامَ الكثير، وعسى ينشرح صدره بتحريرِ كتابٍ لي، أتسلّى بخطابه، يدخلُ عليّ به السرورُ من جميع أبوابِه».

تم الموجود من هذه المكاتبات

(ب)
مكاتباتُه مع بعضِ إخوانه في الله وأقرانه وإجازاتُه لبعْضِ الآخذينَ عنه

(١) مكاتبةٌ للسيد عمر بن أحمد بافقيه(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾

«الحمدُلله الذي أقامَ العباد فيما أرادَ، فمن كانَ منهم ذا شهودٍ سكَن جأشُه وفازَ بالمراد، ومن اضطربَ وانتصب، وشرَّقَ في الفهم وغرَّب، ولم يفْهَم معنى ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب﴾، فهذا هو الجاهلُ الجهلَ المركّب، ومن فتحَ الله منه عينَ البصِيرة، ونوّرَ منهُ الفؤاد والسريرة، أصبحَتْ عينُه بما فيه قريرَة، فالمراقبةُ لمولاه شِعارُه، والإنصاتُ لما يمْليه ملَكُ الإلهامِ دثارُه.



فهنيئاً لمن أصبحَتْ لسَانه تترجِمُ عما سكنَ في خلَدِه من الفُيوضاتِ الإلهية، وقابلَها أهلُ الاستِعْداد بالانتفَاعِ، ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾، والتطلع والتشمّم لما عليه السلَفُ من الأخلاقِ وآداب، ومن علُومٍ ومعَارف، وهو مبشّرٌ بالعثُور على ذلكَ المطلبِ الأسْنى، والواسِطةُ لابدّ منه، وإخلاصُ الوجْهَة إليه من غير ميلٍ. قالَ سيدنا عليُّ بن محمدٍ في بعْضِ قصَائده:

ولابـدَّ في سَـير المَهامِـهِ مـن سَـنَا ... نجومِ الهدَى يهْديـك أو لامعُ البرقِ

---

(١) صلة الأخيار، للسيد عمر بافقيه: ص ٥٣، توفي السيد عمر في الشحر سنة ١٣٥٥هـ.

اللهُمّ دلنا على من يدلّنا عليكَ، وأوصِلنا إلىٰ من يوصلنا إليك. **نعم**؛ هو ينادي في كلِّ وادي، هَلْ من طالبٍ، هل من راغبٍ؟:

فيكفَ يخلُو عَالم الشّهادة　　　عَنهم وهُم فيهِ الهداةُ القادَةْ

إلخ.

والصلاةُ والسلامُ على الواسِطة العُظْمَى، في الإمداداتِ السابقَة واللاحقة، الساري سرُّه في جميعِ الذراتِ الكَونية، فهو روحُ الوجُود، والسببُ في كل موجود، سَيدُنا محمدٍ بن عبدالله، صلى الله عليه وعلى آله عَيبةِ سرِّه، والجداولُ الممدَّة من بحرِه، وعلى أصحابِه الأعلام الذين فازُوا بمشَاهدة طلعتِه البهيّة، وسمعُوا منه، وأخذوا عنه أحاديثَه النبويّة، وفَدوه بالأرواحِ في كلّ مسْرحٍ ورواحٍ، رضيَ الله عنهم ورضُوا عنه.

ثم إني أبعثُ بكتابي، ولذيذِ خطَابي إلىٰ أخي على التحْقيقِ، الضّارب القدْحَ المعلَّى مع خَير فريق، ذي المجدِ الأثيلِ، والباع الطّويل، السيدِ الشريف، من فَقِه عن الله فاستحقَّ أن يلقّبَ بالفَقيه، الحبيب عُمر بافَقِيه، حفظَه الله وتَولاه، وبعينِ العناية رعاهُ، آمين اللهم آمين.

صدورها من سُرَبايه، بعْدَ ورودِ كتابكم المبسُوط، المشتملِ على المهمَل والمنقُوط، فلقدْ حوَى من الإفادَة ما يبشّر بالحسْنى وزيادة، وأسرّني وصُوله، وتحقّق لديّ قبولُه، وشهدتْ بذلك أبوابُه وفصولُه.

والسلامُ التامّ أهديه إليكُم، وإلىٰ من حلّ بناديكم، من أهل واديكم، أو ممن يواليكم، ورحمة الله وبركاته

وانشرحَ الخاطِر، وقرَّ الناظر، بما شرحتُوه من مقتَضَيات الزمَانِ، التي ترجمتْ عن لسَان حالِ الوقت، وهو آخرُ الزمانِ الموعُود، بما هو واقعٌ وحاصلٌ فيه مما سمعْناه ورأينَاه، وهو تنكّرٌ يوجبُ الانقبَاضَ والاعتزالَ، وصَريحُ الحديثِ كما في: «إذا رأيت شحاً مطاعًا»[1]، إلخ. ونظرُ الإنسَانِ بنفسِه إلىٰ نفسِه، بوضْعها تحتَ حركاتِ الأقضيةِ والأقْدار، وهو الذي عليه المدارُ في هذه الدّار، حتّى يتبين له الخيطُ الأبيضُ من الخيطِ الأسْود من الفَجْر، قِفْ وتأمل، والله يتولّى السّرائر.

ولقد أنطَقني الله بما أنطَق: ما أقامكَ الحقُّ حيثُ أقامكَ إلا ليظْهِر معنى سابقِ علمِه فيكَ، فقِفْ على بسَاط الأدَب، واعرفْ ما يرادُ منكَ، فهذه الحكمَةُ من مخدَّراتِ الفؤاد، رقِمَت فيه من حسْن معامَلةٍ، أو صَفاءِ مقابلة، وما في الصّدور لا يسَعُه المسطُور، والسّائرون متفرقونَ في المطالبِ والمشارب، ولكلٍّ وجهةٌ هو مولّيها.

وما أشرتُم إليه في الكتابِ، عن شَأن سيدِنا وأخِينا، فما هناكَ شيءٌ ثابتٌ يخشَى منه، إنما نرَى بعضَ مكالماتٍ ومخاطَبات، مع من تعرفُ أنتَ، ويعرفُ هو، ولكنّها إن شاءَ الله ما تكدِّر المرآة. ونرجُو الله حسْم المادّة من الجانبينِ، حساً ومعنًى، في عافية، وهو الأليقُ بالمقَام، ولا ينبئكَ مثلُ خبير.



وهذا بعجَلٍ، لا مؤاخَذة إن شطحَ القلمُ بما لا يليق، وعفوكُم شَامل، والدعاءُ لكم مبذولٌ، ومنكُم مسئولٌ، وسلِّموا على كافة الأحبابِ، والسلام.

«شيخ بن محمد بن حسين
الحبشي
١٠ شوال سنة ١٣٢٩».

---

(١) رواه أبوداود (٤٣٤٣)، والترمذي (٣٠٥٨).

(٢) مكاتبةٌ مع الحبيب علي بن عبدالرحمن الحبشي[١]

بسم الله الرحمن الرحيم

«الحمدُلله الذي جعلَ المواصَلة بين الأحبَابِ من أقْربِ الوسائلِ إلىٰ نيل المطَالبِ، وسهّلَ الطريقَ على من سَلكها بصِدْقِ العزْم ورفْضِ الشّواغب، واستقبلَ من أقبلَ بالإخلاصِ وبشّره بنيلِ الرغَائبِ، وطوّلَ المسافاتِ لأهل الصدق في السير حتى وصَلُوا إلىٰ أعلى المراتب. واستصْحابُ النياتِ الصّالحة في جميعِ الأقوالِ والأفعالِ، والحركَاتِ والسكَناتِ، عليه المدارُ في كلّ حاضرٍ وغائب. والصّلاةُ والسلامُ على سيدنا محمّدٍ الممنُوحِ من مَولاه بأشْرفِ المناصِب، المرسَلِ رحمةً للعالمينَ، بالحقّ المبينِ، والمقالِ الصائبِ، وعلى آله وأصْحابه الكرامِ أولي الفضَائل والمناقبِ.

أما بعدُ؛

فإني أهدي أكملَ سلامٍ يضُوع نشْرُه، ويشرِقُ في الخافقين فجْره، إلىٰ حضْرة السيدِ السند، والعلَم الأوحَد، الصادقِ في طلبِ المعالي، والداعي إلىٰ الله على بصِيرة، أخينَا في الله، الفاضلِ عليِّ بن عبدالرحمن بن عبدالله الحبشي، حفظَه الله الملك المنشِي، ووقاهُ وكفَاه وتولّاه، وبعينِ عنايته رعَاه، آمينَ اللهُم آمين.

صدورُ المسطور من (منزلِ الرّحمة) في بلدِ سَيئون، وإن سَألتم عنّا وعن سيدي الوالدِ عليّ، فالجميعُ بعافية ضَافية. وكتابكُم العزيز وصَل، وبه كمالُ الأنسِ حصَل، وفرِحْنا بعافيتكم وسلامتكم، وحمِدْنا الله حيثُ كنّا منكم على بالٍ، ونحنُ كذلكَ، لم تزالوا منّا على بال، ونذكركُم بالدعاء في مجالسِ الحبيبِ.

وذكرناكم بالخصُوص للحبيبِ، وأعلمْناه بما أنتم قَائمين فيه وعليه، من الدعْوة إلىٰ الله، وتعليمِ الجاهلين، وإرشَاد الضالين، ففرحَ ودعَا لكُم بالزيادةِ.

---

(١) نقلنا هذه المكاتبة عن نسخة بقلم السيد محمد بن سقاف الهادي.

والحبيبُ حسبما بلغكُم، أنه متأثر بأثرٍ غَريب، ويشتكي من ضِيق الصّدر، ولا يحبُّ الكلام إلا فيما يلزَم، وفي هذه الأيامِ منعَ الناسُ من الدّخولِ عليه، وقد أفهمناهُ سابقاً أنكم قصدكُم بإجازةٍ ووصية، فأوعدَ بذلك، ربّنا يقدّر ذلك. وخصُوص هذه الأيام ما عرَفْنا نكلمُه، ادعوا له بالعافية.

وما أرسلتموه لنا سابقاً، قصْعة (الزنجبيل) وصَلتْ، وفرِحْنا بذلك غاية، أطعمَكم الله من ثمارِ الجنة، والشّوق إليكُم كثير، ونحنُ إن قدّر الله، إن شاء الله، نكتُب لكم بعضَ الأدعية حقّ الحبيبِ ونرسِلها لكم. ونعْظِم لكُم الأجرَ فيمن قدَّس الله روحَه في الجنة، سيدِنا الوالدِ عثمان بن عبدالله بن عقيل، رحمَه الله رحمة الأبرار، وأسكنه بُحبوحَ جنته، فلقد شقَّ علينَا انتقالُ هذا العالم الفاضلِ، ولكنْ هذا سنّة الله في خلقه، وموتُ العلماء من المصائبِ العظمَى في الدين، ولله در القائل:

إذا ما ماتَ ذو علمٍ وتقوَى — فقد ثلِمتْ من الإسلامِ ثلمَة

اللهُمّ اخلفْه في أهله وفي أهلِ عصره مثلَه، لأنه كان رحمه الله تعالى مناضِلا عن الدين، وسهماً مصيباً في أعينِ الملحدينَ، رحمه الله تعالى ونفع به، وخصوا سَلامي أولادَه، وعزُّوهم عني في أبيهم. وخصُّوا بسلامي طلبةَ العلمِ اللائذين بكُم، واطلبوا لي منهم الدعاء.

وأسألُ الله العظيم أن يفتحَ عليكُم وعليهِم فتوحَ العارفين، ويفقهَكُم في الدين، وأولادكم الكرام، وآل باسَلامة، والولد أحمد بن شيخ، خصوهم السلام، ومن سَأل عنّا، والسلام.

حرر شهر ربيع الآخر ١٣٣٣

«شيخ بن محمد بن حسين الحبشي».

(٣) مكاتبةٌ معَ الحبيبِ أحمد بن طالب العطاس[1]:

«الحمدلله، قضى الله بانثِلامِ الدين، والنقْصَ على الإسلام والمسلمين، بانتقاءِ الروحِ الزكية إلىٰ ربّ البرية، رُوحِ أخينا وحبيبنا العَارف بالله، الإنسانِ الكامل، نورِ الدين، وبركَةِ الإسلام والمسلمين، سيدِنا عليٍّ بن محمدِ بن حسين الحبشي، أعلى الله روحَه في عليّين، في درجةِ سيد المرسلين ﷺ، أعظمَ الله أجركم وأجرنا فيه، ونفعَ به المسلمين. عظُم بموتِه الخطبُ، وجلَّ به الرُّزْء، ولا نقولُ إلا ما قالَه الصابرون، ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾.

وهذا إعلامٌ وتعزيةٌ لأخينا وأبينا، السيدِ الجليل الفاضل أحمد بن عبدالله بن طالب العطاس، حفظَه الله آمين، ليصليَ عليه، ويدعو له بالمغفرة. وكانت وفاته ظهرَ يوم الأحدِ، عشرين في ربيع ثاني سنة 1333، ودفن ظهْر يوم الاثنين، والسلام.

حرر ٢١ ربيع ثاني سنة ١٣٣٣

«شيخ بن محمد، وعبدالله ومحمد ابنَا علي بن محمد الحبشي، عفا الله عنهم».

(*) جوابُ الحبيبِ أحمدَ بن طالب العطاس

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

«الحمدُلله على كلِّ حال، ليدِ السّادة الأعزَة، أخينَا الحبيبِ شَيخ بن محمد، والولَدَين الميمونَين عبدالله ومحمد ابني المرحُومِ الحبيبِ علي بن محمد الحبشي، حفظَهم الله وتولاهم بما تولى عبادَه الصالحين، وحِزْبه المفلحين، وكان لهم عوناً ومُعِين، بجاه سيدِ المرسلين ﷺ.

---

(١) من مجموع مكاتباته، جمع حفيده السيد أحمد بن عمر العطاس: ص ١٠٤-١٠٥.

السلامُ عليكم ورحمة الله وبركاته

كتابكم الإعْلامُ والعزاءُ، في خليفة الله في عبَاده وبلاده، من اختَاره الله لأحسَنِ ما عنده، الحبيبِ عليِّ بن محمّد، وصَل. أعظم الله أجْرَنا وأجركم، وأحسَن عزانَا وعَزاكم، وهو المسْئول، كما ألحقَه بصالحِ السلف، أن يخلفَه بأحسَنِ خلفٍ، والسّلام.

حرر في رجب سنة ١٣٣٣ (١)

«أحمد بن عبدالله بن طالب العطاس».

(٤) إجازتُه للحبيب عمَر بن أحمد بن سُمَيط(٢)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ



«الحمدُلله، نستفتحُ بِه البابَ، وندخلُ في زمرة الأحبَابِ، الذين رعَتْهم العنايةُ، في البداية والنهايَة، فسلكُوا الطريقَ على التحقيق، معَ خير فَريق، فغمرَتْهم العطايا الربّانية، والفيوضَاتُ الرحمانية، حتى وصَلوا إلىٰ أعلَى فريق، فاقتعَدُوا صَهْوة الشرفِ الرفيع، والمجدِ المنيع، ﴿أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ۚ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

والصلاةُ والسلام على سيدِنا محمّد ﷺ سيدِ الآخر والأوّل، والمقصُود الذي عليه المعوّل، الذي اختارَه الله من بينِ عبَاده، وسقَاه شرابَ كأسِ وداده، الحبيبِ الأعظم، والسيد الأكرَم، صلى الله عليه وسلم، وعلى آله وأصحابه.

---

(١) يؤخذ من هذا التاريخ: أن رسالة التعزية التي أرسلت من سيون في ٢٠ ربيع الثاني، لم تصل إلىٰ باكلونقان في شرق جاوة إلا بعد ثلاثة أشهر!.

(٢) من كتابه «النفحة الشذية»: ص ١٠٠-١٠١.

أما بعدُ؛

فقد طلبَ مني الإجازَة والوصيةَ، المتداولة بين سَالكي الطريقِ السويّة، الموصِلة إلىٰ ربّ البرية، السيدُ الشريف، العالم المنيف، الأديبُ النجيب، الصادق المنيب، عمَرُ ابن السيد الشريفِ الفاضلِ، العالم العلامةِ، أحمدَ بن أبي بكرِ بن سُمَيطٍ، ظناً منه أني في أهل هذا لشأن، ومن فرسَانِ ذلك الميدان، وإني والله بخِلاف ذلك، لكني سَاعدتُه على طلبه، رجاء دعوةٍ صَالحة، وأقولُ:

أول ما أوصي به ولَدي المباركَ، تقوى الله تعالى، التي من سَلك جادّتها وصلَ، وفاز بالقدْحِ المعلّى، في الآخرةِ والأولى، ومعنَاها: امتثالُ ما أمَر الله به، واجتنابُ ما نَهى عنه. ومعناها الباطنيُّ باختلافِ المشاربِ والأذواق، ولكل وجهةٍ هو مُوليها، سلك الله بنا وبكم مسالكَ المتقينَ، حتى نقفَ على حقِّ اليقين.

وأوصيه أيضاً بالدّعوة إلىٰ الله تعالى، وهيَ التي بُعثَ بها سيدُنا محمد ﷺ، وتبعَه عليها بعدَه كمّلُ ورثته، من الصحابة والتابعينَ، رضي الله عنهم أجمعين.

وأوصيه بالإخلاصِ التّام في جميع الأعمال، وصِدْق الوُجهَة، والملاحظَة التامة، والمراقَبة الكاملة، لتنزّل العطَاء الربّاني بحسْنِ الاسْتعدادِ، وصَفاء الباطنِ من كَون الأغيار، فعلَى قدْر الاستعدادِ يكونُ الإمدادُ، من الربّ الجواد، ويعجبني قولُ من قالَ، ممن سقَتْهم الحقائقُ الربانية رحيقَها المختوم، شعراً:

على قدرك الصّهباءُ تعطيكَ نشْوةً   وليسَ على قدْرِ السُّلاف تصابُ
ولو أنها تعْطيكَ يوماً بقَدْرها   لضاقَت بكَ الأكوانُ وهي رِحَابُ

فنسأل الله الكريم الربَّ الرحيم، أن يوفقَنا لما ندبَنا إليه، ويأخذَ بنواصِينا إليه، أخْذَ الكرام عليه، ويجعلَ لنا واعظاً من قلوبِنا ينهانا عما لا يُرضيه.

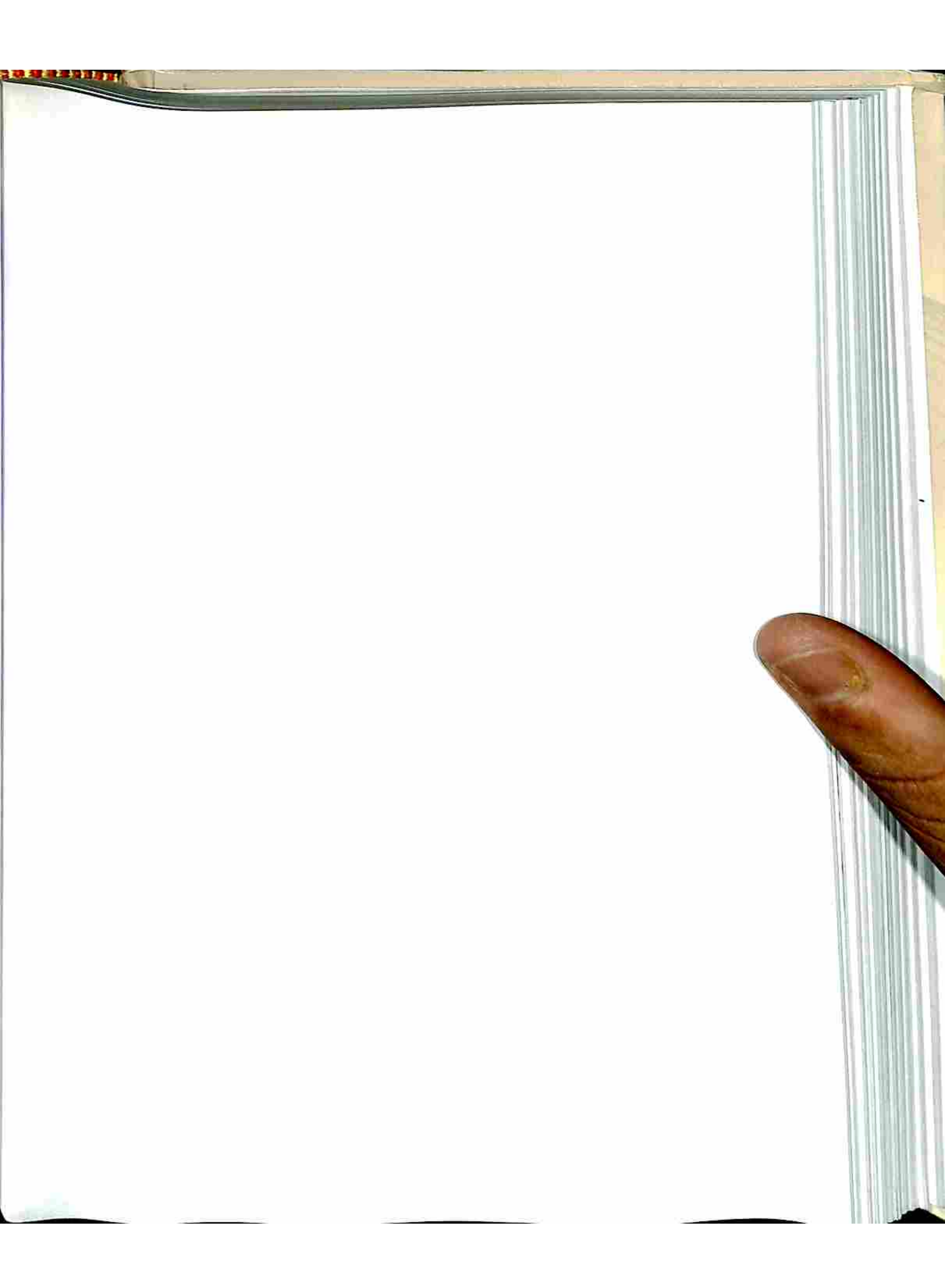
وأما الإجَازةُ؛ فقد أجزْتُ الولدَ المباركَ، في جميع ما تصحّ لي روايتُه ودرايته، من عملٍ وعلْم وأذكارٍ وأورادٍ، وصلواتٍ على النبيِّ ﷺ، وأدعيةِ سيدي وشَيخ

فتحي، وباب صُلحي ونُجْحي، العَارفِ بالله، عليّ بن محمد الحبَشي، وفيها أجازَني فيه سيدي ووالدي عالمُ الحجاز، ومفْتي مكة المشرفة، من أوراد الحبيبِ عبدالله بن علوي الحدادِ، وغيرهما من الأوراد، ولي عدّةُ مشايخَ أخذْتُ عنهم وأجازوني، فقد **أجزتُكَ** كما أجَازوني.

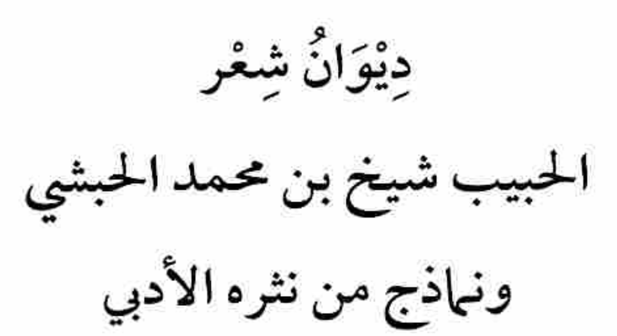
وأسألُ الله أن يوفقَنا لصالحِ الأعمال، ويسلكَ بي وبكَ مسالكَ الرجالِ أهل الكمال. وأطلبُ منك ألا تنسَاني من صالحِ دعواتك، في خلواتِك وجلواتِك. وخصَّ بسلامي الجزيلِ، والدَك العلامة، واطلُبْ لي منه الدعاء. هذا ما رقمَه القلمُ، ونطقَ به الفم، ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ﴾ ، وصلى الله على سيدنا محمّد وآله وصَحْبه وسلم، والحمدُلله ربّ العالمين.

«أملاه الفقير إلىٰ الله، شيخ بن محمد بن حسين الحبشي
حرر ١٩ محرم سنة ١٣٤١».









دِيْوَانُ شِعْر
الحبيب شيخ بن محمد الحبشي
ونماذج من نثره الأدبي

جمعَه

ابنه السيد حسين بن شيخ الحبشي

«وهو شاعرٌ مقِلٌّ، وشعرُه دونَ مقامِه الأدبيّ، ودون شعُوره الذهبيّ، ولو كَان شعرُه بمقْدارِ شعُوره القَويّ، وذَوقِه السّليم، لارتَقى في الشّعرِ إلىٰ سَماءٍ ما طاوَلتْها سَماءٌ».

علي أحمد باكثير.







هذا الديوان

إن الذي قَام بجَمْع أصلِ هذا الديوان، هو السيد حسينُ بن شيخ، ابن الشاعر نفسه، وقد أحسن رحمه الله، صنعاً بجمع ما تفرق من شعر أبيه، وما له من أدبيات نثرية، ومكاتبات.

وكان دوري في هذا الديوان أن أعدْتُ ترتيبه وتنسيقَه، وراجعتُ القصائد من مصادر أخرى، أهمها ما وجدته منها مكتوباً بقلمِ الأديب الكبير الأستاذِ علي أحمدَ باكثير، وما ورد في كتاب «تاريخ الشعراء الحضرميين»، فأرجو أن يكون ما قمتُ به في التصحيحِ والضبطِ قد أتى على وفْقِ مُرادِ منشئها.

والله الموفق.



وكتبه، محمد باذيب
جدة في ٢٧ ذي القعدة ١٤٣١هـ

قصيدةُ «الدرَر البهِية في مدْح خيرِ البريّة»
عليه أفضَلُ الصلاةِ وأزكى التحية[1]

قالَ رحمه الله:

قفْ بالعَقيقِ وقُوفَ صَبٍّ واله ... وانشُدْ فؤاداً ضَاعَ في أطلالِهِ

وتوقَّ من لفتَاتِ أجفَانِ المهَا ... فلكَمْ تمشّتْ في كثيبِ رمَالهِ

وبأيمنِ العلَمينِ ربعٌ دونه الآ ... سَادُ صَرعَى من جفُونِ غزالهِ

وبسفْحِ وادي المنحَنى من ضارحٍ ... غيدٌ أوانِسُ في وَريفِ ظِلالهِ

من كلِّ غانٍ بالجمالِ مبرْقَعٍ ... يختالُ مفتخِراً بتيهِ دَلالهِ

ويميلُ لا مِن شُربِ كاسَاتِ الطِّلا ... بلْ خمْرُ ريقَتِه قضَتْ بمَيالهِ

وبربْعِ وادي الرّقْمتينِ عصَابةٌ ... في العشْقِ قد ذبِحُوا بحدِّ نصَالهِ

لا يسْمعُونَ لمن يفنّدُ في الهَوى ... وغدَوا سُكارَى من صَفا جِرْيالهِ

بالسفْحِ من وادي زَرودَ وحَاجرٍ ... للعبْدِ حاجاتٌ سَكنَّ ببالهِ

فلعلَّ أن تقْضَى ويحظَى بالذي ... يرجُوه حقًّا من قبُولِ سؤالهِ

يا راكبَ الوجْناءِ نحْو منازلٍ ... فيهَا يحطُّ الوزرُ عن حُمّالهِ

أعني حمَى طهَ الحبيبِ فلذْ به ... واعكُفْ معَ الآدابِ حولَ حِجَاله

واعقِلْ قلوصَك في ربُوعٍ طالما ... يهمِي بها الوسْميُّ من هَطالهِ

جبريلُ في زمَنِ الرسُولِ غَدا بها ... متردِّداً بالوحي في إنْزالهِ

وادخُلْ إلىٰ حرَم الحبيب بحرْمةٍ ... وتأدّبِ تحظَى بنُورِ جمالهِ

---

(١) هذه القصيدة العصماء، نقلناها عن طبعتها الأصلية سنة ١٣٢٨هـ، وعن خط حسين بن شيخ، ونقلها مصنف فيوضات البحر الملي: ص ٢٦١.

واستقبلِ القبْرَ الشّريفَ وقلْ لَه ... يَا أشرفَ الثقلينِ في أفعَالهِ
مني السلامُ عليكَ يا مَن قد رَقى ... رتَبَ الكمالِ فأشْعرتْ بكمالهِ
منّي السلامُ عليكَ يا قمراً سما ... فوقَ الوجُودِ بنُورهِ وجَلالهِ
منّي السلامُ عليكَ يا غَيثاً همَى ... فوقَ الخلائقِ عمّهم بنوالهِ

* * *

فانزلْ على الأعتابِ حولَ ضريحهِ ... راجي القبُولِ يفُوزُ في إقبالهِ
فهو الذي لَولاه ما خلِقَ امرؤٌ ... وهو الذي حسنَتْ جميعُ خصالهِ
وهو الذي نطَق الكتابُ بفضْله ... وكفَى بهِ فخْراً على أمثالهِ
فهو الذي لولاه ما حج امرؤ ... للمروتين وتاب من أخطالهِ
نَاداه مَولاه المهيمنُ ربّه ... من فَوقِ سبعٍ طَالباً لوصالهِ
فأتَاه جبريلُ الأمينُ وقالَ قُمْ ... يَا سيداً سَاد الورَى بكمالهِ
فدَنا فأدْنيَ للخِطَاب وشَاهدَتْ ... عينَاه رَبّاً في نعُوتِ جلالهِ
موسَى يردّده ليشْهدَ نُورَه ... عندَ التجلّي من شُهودِ جمالهِ
شرُفَتْ بمَقدَمِه السماواتُ العلا ... وتعبّقتْ بالطِّيبِ من أذْيالهِ
فسَل الصّبا والحِجْر والحُجَر الذي ... قد كانَ يعمُرُها بحُسْن فعالهِ
مستودَعُ الأسْرار والأنْوارِ بلْ ... سرُّ النبوةِ في فَصيحِ مقَالهِ
مستودَعُ البركاتِ والفضْلِ الذي ... شَهدَتْ بمفخَرهِ ثقَاتُ رجالهِ
أصْلُ الكمالِ وضِئْضئُ المجْدِ الذي ... قد جاءَ فضْلُ الخلقِ من أفْضالهِ
رُتَبُ الفخَار تطَاولتْ زهْواً به ... وتشرّفتْ حَقاً بوَطءِ نعَالهِ
ولَه لواءُ الحمْدِ منشُورٌ غَداً ... وطوائفُ الإسْلامِ تحت ظلالهِ



وله الشفاعَة حينَ يدْعَى من لها؟ يدعُو بها فيجَابُ عند سؤالهِ
والخلُق أبـدلَه برشْدٍ بعدَ ما قد كانَ في غيِّ الردَى وضَلالهِ
والوحشُ في الفلواتِ نادَتْ باسْمِه والجِذْعُ حنَّ له حنينَ الوالهِ
والعنكبوتُ بنَتْ عليه نسيجَها في غارِ ثَورٍ من سُفوح جبالهِ
صمُّ الحصَى قدْ سبّحَتْ في كفِّه والضبُّ خاطبَه بلفْظِ مقالهِ
ولطالما عبَد الإلهَ بمكّةٍ بحِرَا يسبّحُه بوصْفِ جلالهِ
وهُو المظلّلُ بالغمامَةِ والذي بالرعْبِ نصْرتُه على عُذّالهِ
وانشَقّ بدْرُ التّمِّ معجزةً له وهو الدليلُ لهمْ على إرسَالهِ
ومظفّرٌ في الحربِ يصْدعُ عزْمُه صمَّ الجبَالِ الشمِّ عنْدَ نزالهِ
وأبٌ على الفقَراء والأيتَامِ في الـ ـمَحْلِ الشديدِ يعينُهم من مالهِ

❋ ❋ ❋

يا سيدَ الساداتِ عبدُكَ واقفٌ بالبابِ يرجُو الصدْقَ في إقبالهِ
ويرومُ منْكَ شَفاعةً مقبولةً يوم المعَادِ بها صَلاحُ مآلهِ
وبكُم يؤمّلُ أن ينالَ عنَايةً يصْفُو له الإخلاصُ في أعمالهِ
ويفوزَ منكَ بنظرةٍ في وجْهكَ الـ ـميْمُونِ أو يلقَى خيَالَ خيالهِ
وعليكَ صَلّى الله يا خَير الورَى من حَسَنَ المولى جميعَ خلالهِ
والآلِ والأصْحابِ أربَابِ الوَفا ما حنّ مشتاقٌ إلىٰ أطلالهِ

❋ ❋ ❋

وقالَ في شَيخه وأخيه الحبيبِ عليِّ بن محمّدِ الحَبَشي:

قِـفْ بالحِـمَى وانـزِلْ بـرَبعِ الخرَّدِ ... بالسَّـفْحِ مـن وادي العَـقيـقِ وثَهْمَدِ
في روضَـةٍ ضـحـكَتْ كمائمُ زهْرِها ... عـن أحمـرٍ ومفَـضَّضٍ ومُعَسْجَدِ
تـلـقَ الجـآذِرَ والمهَـا يـرتعْـنَ في ... أفيـائِهَا بيـنَ الغُصـونِ الميَّـدِ
ولكَم بهـا مـنْ غَـادةٍ رُعبوبَةٍ ... تفْـري القـلُوبَ بأسْـمَرٍ ومـهَنّدِ
وتَسلُّ من غِمْدِ الجفُونِ صَوارماً ... تسْطُو بهَـا في ذائبَـاتِ الأكبُدِ
خطرَتْ كغُصْنِ البَانِ تسْحَبُ ذيلَها ... تِيهـاً بلَـونِ قوامِهَـا المتَـأوِّدِ
سفرَتْ عن الوجْهِ الجميلِ فخلتُها ... شـمْسـاً تجلّتْ تحتَ ليـلٍ أسْـودِ
إني فُتِنتُ بنُورِ ضَـوءِ جَبينِهَا ... وبـلَـونِ حمـرَةِ خَـدِّهـا المتـورِّدِ
نطقتْ بحُبّي كـلُّ جـارِحَـةٍ فلي ... قلبٌ على السُّلوانِ ليس بمُسْعِدي
ولقَـدْ غـدَوتُ متيـماً ومُتولّـعـاً ... بجـمالها الحسَـنِ البـدِيعِ المفْرَدِ
إن الجـتوَى مـا حَـتلّ في قـلـبِ امْرِئٍ ... إلا وأمْـسَى ليلَـته لم يرْقُـدِ
مـا نَـاح طـيرٌ أو تـبَـسّـمَ بـارِقٌ ... إلا وخِـلـتُـهـا بـذاكَ المـعْـهَـدِ
ناديتُها يـا ربّـةَ الحسْـنِ الـذي ... بجمـالهَا أضْـحَت تعيـدُ وتَبتَدِي
هيّـا اعْطـفي هيَّـا ارحَمِي قلبي فقَدْ ... هجَر الكـرَى جفْنـي وزادَ تنهُّدي
قالتْ معَاذ الله قلتُ فلي غِنًى ... بمَـديح سـيدِنا الهمـام الأمجـدِ
أعْنـي الإمَـامَ علـياً الحبَـشيَّ مَن ... ورِثَ الخـلافَة بالحـديثِ المسنـدِ
أخـذَ الطـريقَة عن مشَـايخ عصْرِه ... وهُـو ابنُ مُفـتِي الشّـافعيِّ محمّدِ
فهُو الإمَـامُ القطْـبُ حـقًّا مَنْ له ... رتبٌ سـمَتْ فـوقَ السّهَا والفرْقَدِ
بحرُ الشّريعة والحقيقَةِ والهدَى ... شَيخُ المشَايخ في المَقام الأحمدِ
هو مفْردٌ في عَصره فلقَدْ غَدا ... يُملي علُوماً كالعُبَابِ المزْيَـدِ
هُـو سـيـدٌ بَـرٌّ تـقـيٌّ أورَعٌ ... ولـغَـير فـضْـل إلهـهِ لم يشهدِ
أبدَى من العلْمِ الغريبِ عوارِفاً ... ومعَـارفاً فيهَـا الهـدَى للمهْتَدي



هذا عَشيقُ حَضيرة التقْريبِ بلْ ... هَذا الذي من أهْلِ صِدْقِ المقْعَدِ
من يوم أشْهَدهم هو المقْدامُ في ... حضَراته أعظِمْ به من مشْهَدِ
قرعَ الخطَّابُ لسَمْعه فأجابَ مَن ... نَاداه بالمستَفْهِم المستَنْشِدِ
عما أفيضَ ومَا أديْرَ من الذي ... هو في كؤوسِ الحبّ عذبُ الموردِ
حتى سَقاهُ الكأسَ كأسَ ودادِه ... ودعَاهُ أنتَ المنتهِي والمبتَدِي
سمع النداءَ من المنَادي بالفِناء ... ياهاشمي صلّ لربِّكَ واسْجُدِ
فلقَدْ رعتْه من العنايَة أعَينٌ ... وحمتْه في حِجْرِ الصِّبا والمولِدِ
ما رَام أمراً أو تيمّم مطْلباً ... إلا انقضَى بقضَا الإلهِ المسْعدِ
نطقَتْ جميعُ الكائنَاتِ بفضْلِه ... وغدَتْ تُشِير بإصْبع المتَشَهّدِ
فاقَ الأولى بمكَارمٍ ومحامِدٍ ... حتّى تفرّدَ بالعُلا والسُّؤْددِ
يهدِي إلينَا كلَّ يوم منحَةً ... من فيضِ فضْلِ الواحِد المتفرّدِ
نُشرَتْ له الراياتُ في أفُقِ العُلا ... فهو الإمَامُ لكلّ حبرٍ مقْتَدي
ملأ الوجُودَ بجُودِه فهو الذِي ... فوق البَسيطة مثلُه لم يوجَدِ
عمَّ الأنَام نوالُه وعطَاؤه ... كهفُ اليتامى في الزّمان الأنكدِ
هو ملجَأ الغُرَباء بل كنزُ الورَى ... والغَوثُ للّهْفَانِ والمسْتنجدِ
تأتي الوفودُ تؤمُّ رحْبَ فِنَائه ... ما بَين حافتِه تَرُوح وتغْتدي
فتعودُ ظَافرةً بما رامَتْه من ... إفْضَاله والرفدِ للمسْترفدِ
برباطِه ارتبطَتْ شريعَةُ أحمد ... قَوّى عُراها حسْنُ ذاك المقْصدِ
قمَرٌ سَما بحْرٌ طَمَى غيثٌ همَى ... مُعطِي الجزيلِ وقامعُ للمعْتَدي
يا سَيداً يَا ذا المقامَاتِ التي ... شهدَتْ برفعتِها جميعُ الحسّدِ
جُدْ للفَقير بدعْوةٍ مقبولَةٍ ... ينجُو بها من حَرّ نَارِ المشْهدِ
بقرابتي منكُم بصِحّة نِسْبتي ... فيكم بقُوّة ودّيَ المتأكّدِ
إلا نظَرتُم لي وقلتُم أنتَ من ... أبنائِنَا فانزِلْ بهَذا المعْهَدِ

وإليك تُهدَى بنْتُ فكْرٍ قُلّدَتْ ... بقلائدٍ من عَسجَدٍ وزمُرُّدِ

منُّوا علَيها بالقَبولِ فإنني ... قد قلتُها والفكْر ليسَ بمُسعِدي

صلّى عليكَ الله بعْدَ محمّدِ ... يا سَيداً سادَ الورَى بالسُّؤدُدِ

والآلِ والأصحابِ والأشْيَاع ما ... ناحَ المطوّقُ فوقَ غصْن أمْلَدِ

وقالَ في الحبيبِ العلامة هاشِم بن عبد الله بن عقيل بن يحيى[1]

هبّ الصبا سَحراً على الأغْصانِ ... فتمايلَتْ طَرباً على الكُثْبانِ

والعندَليبُ سرَى يردِّدُ سمْعَه ... فأجابَه الشُّحرور بالألحانِ

في رَوضةٍ فيها الزُّهورُ تبسّمَتْ ... عن أبْيضٍ يقَقٍ وأحمرَ قَاني

وبها من الغِيد الأوانِس غَادةٌ ... قطعتْ عُرَى كبدِي بغيرِ سِنانِ

هيفَاءُ بارِعةُ الجمالِ كأنّها ... حوريةٌ سُرِقَتْ على رِضْوانِ

مياسَةُ الأعطَافِ لِينُ قوامِها ... أزْرَى بغصْنِ الباقة المتَداني

برزَتْ فأخْفَى ضَوءُها شمس الضحى ... ورَنَتْ بطَرفٍ أحْورٍ فتّانِ

تركَتْ أُهيلَ العشْقِ صرْعَى حَولها ... قَد أخرِسُوا لا ينطقُوا بلِسَانِ

يا بدْرَ تمٍّ هَل بوصْلٍ ترْحَمي ... تسْتنقِذيني من لظَى الهجْرانِ

فالبعْدُ أنحَلني وأتلفَ مهْجَتي ... حتى خفيتُ ضَنًى عنِ الخلانِ

إن تُسْعفي بالوَصْلِ لي يَا حبّذا ... ما قَدْ مننْتِ به على الولهانِ

مَا لم وإلا لي غِنًى بمَديح من ... شاعَتْ فضَائلُه بكلِّ مكَانِ

هو هاشِمُ ابنُ وجيهِ دينٍ بعدَ مَن ... سُمّي بعبْدِالله ذي العِرفَانِ

نجلُ الكرامِ بني عَقيلٍ سَادةٍ ... نَالوا العُلا وسَموا على الأقْرانِ

هو سيدٌ متواضِعٌ متَأدبٌ ... في العلمِ لا يقَاسُ بشَان

ملأتْ فضَائلُه الزمانَ فأهلُه ... لا يقصِدون سِواهُ من إنسَانِ



---

(١) توفي بسورابايا.

هــو بهجَـةُ الـدّنيـا وزينَـةُ أهلِها ... ومـلاذُهـا لـنَـوائـبِ الحـدَثـانِ
بحرٌ طَما قمـرٌ سَـما غيـثٌ همَى ... حقـــاً وللضّعفـاء سيـفُ أمـانِ
هو ملجأ الفُقَراء إن حَـلّ البّلا ... هــو راحــمُ الشّيبان والشّبــانِ
فتراهُ في الهيجَا إذا استدْعَى الوغى ... قَرْماً يصُول بصَـــارم وسِنانِ
يا ابنَ الكريمِ ويا ابنَ من سَاد الورى ... في العلْم والـعـرفَـانِ والإيـقـانِ
يا مَن له الفصَحاءُ حقاً أذْعَنتْ ... وغــدتْ تشيرُ بسَاعدٍ وبـنَـانِ
يا من إذا تُلـيَ القـريضُ بمَدْحه ... من حُسْنـــه يتــلَى كسبــعِ مثَاني
يا مَنْ لــه حســنُ الطباعِ وخلقُه ... حسَنٌ ومن هــو بهجَةُ الأكوانِ
يا من جميــعُ النـــاسِ تشكُر سعْيَه ... وجميـلَـه في الـسّر والإعْـــلانِ
يا صاحبَ الكرَم الوسيعِ وصاحب ... الجـاهِ الرفيعِ ومعْدنَ الإحْسَانِ
أنتَ الذي فقْتَ النهَى بمكَارم الأ ... خْــلاقِ بـل بـمَـعـارفٍ ومَـعـانِ
فلقَد رقَيت مرَاقياً شرُفَـتْ عُلى ... وسـمَـتْ مراتبُها عـلَى كِـيْـوانِ
يَـا سيـدي إني أحـبكُـم لكَمْ ... وهـواكـمُ ما زالَ جـوفَ جنَاني
أشكُـو لكم حَـالي فـإني مذنبٌ ... ومـقـصّرٌ في طـاعَـةِ الـرّحمـنِ
جُــودوا عـليَّ بـدعْـوةٍ أنجُو بها ... من ربْقَـــة التـخلِيطِ والعِصْيانِ
فعسَى إلـهُ العرْشِ يجمَعُنا معاً ... في بـلـدَة الله العَظيم الـشّـانِ
ونشَاهدُ البـلدَ الحــــرامَ وكـعبَة ... الإحْـرام ذاتِ الحجْر والأرْكَـانِ
ونَـــرى إخْــوانــاً لـنـا وأحـبّـةً ... قطَنُــوا بها مــن سَــابقِ الأزْمَـانِ
وإليــكَ زُفّت بنــتُ فـكْرٍ قلِّدَتْ ... بـقـلائـدِ المـرجَـانِ والـعِـقْـيـانِ
جُـــودُوا عليــــهَا بالقَبـولِ فَإنني ... قَــد قـلـتُـهـا مـتـيـقّـنـاً إنـسـاني
فعليــكَ صلّى الله بعْــدَ محمّدٍ ... مـا انهــلّ مــزنُ الـراعـدِ الحـنّـانِ
والآلِ والأصْحـــابِ ما هبّ الصّبا ... سحَــراً فعـــانقَ نــاعِـمَ الأغْصَـانِ

* * *

وقالَ في الإمامِ الحبيب أبي بكْرٍ بن عبدِالله العطّاس(١):

سرَتْ نسْمةُ الأسْحارِ نحْو الأحبّة … فأودعتُهـــا منّي تـــأتيني التــحيّة
مع الفَجْر مرّتْ تقصِدُ الموضع الذي … بِهِ سـكَنَ السـلطانُ حَبر الأئمّةِ
إمامُ الورَى شيخُ الشّيوخِ ونخبة … الورَى من خَيـــر العبَـــادِ الأحبّةِ
أبوبكرٍ العطاسُ حاملُ رايَـة الـ … ـولايـةِ والمقْـدامُ في خَـير حلبَةِ
هو البحرُ بل والبحْرُ يلفظُ جَوهراً … هو البطَلُ المحضَارُ عندَ الملمّة
فبِالله يا غَـادي إذا جيت ربْعَه … ونـزلْتَ من أفيـــائه خيرَ رَوضَةِ
فسلّمْ على ذاك الحبيبِ وقُل لَه … عُبَيدكم يشْـكو لـكُم حـرَّ فرْقة
يبيتُ معَادٍ للكَرَى زائد الجوَى … كـأنّ بـه أمـــراضَ كـلّ الـبريّـةِ
فهل عطفـةٌ منـكم وهَـل قطْرةٌ بها … يزولُ صـدَى مـرآةِ قـلبي المشَتّتِ
وإني مشتاقٌ إليكُم وقَصدي الـ … ـوِصَالُ ولَو مقــدارَ لمحــةِ نظْرةِ
وعندِي أخَيْوانٌ يريدونَ فضْلكم … فمنّوا عــليهِم بالعطـــايَا الجزيلَةِ
وصلّى إلهـــي كـلّما هبّـتِ الصّبا … وما مـــالَ غصــنٌ وانثَنى في حديقَةِ
على أحمَـد المختَارِ من آل هاشمٍ … وآلٍ وأصـحـابٍ لَـه ثـم عِـترَةِ





وقال يرثي السيدةَ العارفة بالله، علوية بنت الحسَينِ الجفْري، والدة أخيه الحبيب علي بن محمدٍ الحبشي(٢) :

خـطْـبٌ ألم بـرَبـعِـنَا والـنّـادي … فتقطّعتْ منـــه عُــرَى الأكبَاد
وتكدّرتْ منه القلوبُ فأصبحَتْ … ممـــا بهـــا لا تهـتَـدي لمـــرادِ

(١) توفي بحريضة سنة ١٢٨١هـ.

(٢) توفيت بسيئون في ربيع الثاني سنة ١٣٠٩هـ. «فيوضات البحر الملي»: ص ١٩-٢٠.

والجوّ أظلـــم منـــهُ بعْـــد ضِيائه   فـكَـأنّـما في الجـــوِّ نَـقْـــعُ رمَـــادِ
واستوحشَتْ تلك الربوعُ وأهلُها   حزْناً لقدْ لبِسُـــوا ثيـــابَ حِدادِ
مما طما ودهَى هـــمَتْ عينِي على   خدّي بدَمْع مثْلَ صَـــوبِ عُهَادِ
أسفاً على فقْد التي رحـــلَـتْ عن   الحي الأهيلِ ومَوطنِ الأجْـداد
الدّرةُ العصْمـــاءُ والشـمْسُ التي   غـربَـتْ ببطْنِ جـنَـادلِ الألحـادِ
عـــلويةٌ بنــتُ الحسينِ أبي النّدى   هو نجْـــلُ أحمدَ من أبُوه الهادِي
للسيـــدِ الجفْـــريِّ نسبتُها أتَتْ   هـو عـابـدُ الـرحمـنِ ذي الأمجـادِ
فـدَعـا بهـا داعـي المـنُـونِ يزفُّها   جمـعٌ مـن الأبـــدالِ والأوتَـــادِ
رحلَتْ وأبقَتْ حـسرَةً وتوجُّعاً   في القلبِ في الأهْلينَ والأولادِ
آهٍ على تـلــكَ الشــريفةِ كَم لها   مـن مجـــلسٍ في حضْرةِ العبّـــادِ
آهٍ علَى تـلـكَ الحـبيبَةِ كَم لها   دعَـــواتُ صـــدْقٍ للإله تنَادي
آهٍ على تـلـكَ الكريمَـــةِ كَم لها   صـــدقاتُ ســـــرٍّ للفَقيرِ الصّادي
تبكِـــي عليـها حيـــن فـارقَتِ الدّنا   حضراتُ صدقٍ تحتَ سِتْرِ جوادِ
يبـكِـي عليـــهَا معبـــدٌ فلـطَالمـا   عمـــــرتْه بالأذكَـــــار والأورادِ
يبكـــِي عليهَـــا محفـــلٌ يَا طالمـــا   عمرَتْه بالتّـــذكـيرِ والإرشَـــــادِ
تبكي عليهَا الصالحاتُ من النسَاء   كانَت تعرّفُهم بهـــدْيِ الهـــادِي
يبكِي عليها المْلقُونَ من الورَى   أسَـفـاً عـلى مـا كـانَ مـن إرفـادِ
فلقـد تلقّـــتْ عن مشَايخ عصْرها   سرَّ الرجَالِ الكمّـــلِ الزهّـــادِ
مثلِ الإمَـــام القُطْبِ أحمـدَ بن   سُمَيطِ السيدِ المفضَالِ ذي الإمْداد
وكـــذاكَ عـبـدِالله مـولانَـا الـذي   سكنَ **المسيلةَ** من سُفُوح الوَادي
وكذاكَ عـن بعْـــلٍ لهــــا أعـــنِي به   الحـبَـشيَّ قطْبَ الـسـادةِ الأمجـادِ
ودعَـــــــتْ إلىٰ الله الكــريم بحَالها   ومـقـالهـا بـالـوَعـظِ والإنْــشَـــاد
قد قال قطبُ الوقتِ ليلةَ عرْسِها   حـضَرتْ ملائكةٌ بـذاك النّادي

لـكـنّ لي مـن بـعْـدهـا ابــنٌ لها … هو عُــدّتي هو بغيَتي ومُـــرادِي

أعني الإمــامَ عليًا الحبشيَّ من … أضحَى بهــذا العصْــرِ ركنَ عِمادي

يا رب عطّـــرْ بالمــرَاحـمِ والرضَا … جَـســداً لها في بـاطـنِ الألحَـاد

واجعـلْ مقــرَّ الـرّوحِ منهَا جنّةَ الـ … ـفِرْدَوس في غُـرَفٍ مدَى الآمادِ

بجــوارِ خَير الخلقِ سَيّدنا الذي … مــن يقتَفيهِ ينــالُ كـلَّ مُـرادِ

صـلّى عليهِ الله مـا هـبَّ الصَّبا … سَحَـــراً وما داعِي الحجيجِ ينَادي

والآلِ والأصْحَابِ والأشياخِ ما … قَــد حــنَّ مـشـتـاقٌ لخـيرِ بـلادِ

* * *

وقال في السيدِ العلّامةِ علَويّ بن عبدِالرّحمنِ المشْهُور[1]:



خطرَتْ فأزرَتْ بالغصُونِ الميَّسِ … رُعبـــوبَةٌ بـــرزَتْ بأفْخَــرِ ملبَسِ

هيفَا خَــرودٌ إن تـبَـدّتْ خِلتَها … شمســـاً تجلّتْ في ظَـلامِ الحندِسِ

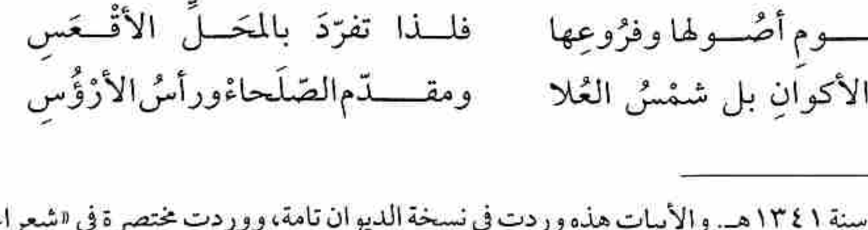
وإذا رَنتْ بالطّرْفِ سلّتْ صَارماً … جزّتْ به هَـــامَ الشــجاعِ الكيِّسِ

ضحِكَتْ فأبدَتْ عن ثنايَا نظِّمَتْ … فـــاقَتْ على دُرِّ الــلآلي الأنفَسِ

وبثَغْــرها شَـــهْدٌ يفـــوقُ مُـدامَةً … في كأسِـــها دارتْ بها في المجلِسِ

فكَأنّ ما في كـــأسِها في ثـــغرِها … وكَأنّ مَا في ثـــغْرِها في الأكْؤُسِ

وجيدُهَا يُزرِي الغَـــزالَ وخَـصْرُها … كالغُصنِ مَال على الكَثيبِ الأوْعَسِ



غَـزلي لها والمـدْحُ يعلُو في الّذي … قد فَــاق في العُـــلَماء كــلَّ مدَرِّسِ

علويُّنا المشْــهورُ حقـــاً مَن غدَا … ربُّ الفصَـــاحةِ عندَه كالأخْرَسِ

ربُّ العلـــوم أصُــولها وفرُوعِها … فلــذا تفرّدَ بالمحَـلِّ الأقْـعَسِ

هو بهجَةُ الأكوانِ بل شمْسُ العُلا … ومقـــدّم الصّلَحاءِ ورأسُ الأرْؤُسِ

---

(١) توفي بتريم سنة ١٣٤١هـ. والأبيات هذه وردت في نسخة الديوان تامة، ووردت مختصرة في «شعراء حضرموت» بقلم باكثير، وفي «تاريخ الشعراء»: ٤/ ٢١٥، وعنه: «لوامع النور»: ١/ ٣٤٨.

خـلُـقٌ لـه مثلُ النسيم لطَافةً ... من لم يـزَلْ بـرُدَ البشاشَة مُكْتَسِ
هو نـــورُ فضـــلٍ قدْ تسَامى رفْعةً ... فمحلّه كالتّـــاجِ فَـوق الأرْؤُس
أضحَتْ به الغناءُ تضْحكُ بَهجةً ... بنــزولِه فيهَـــا بصَدْر المجْلِس
خِدنُ الصّلاحِ أبو الفَلاحِ فلُذ بِه ... يا صَـاحِ وانـزِلْ في حماهُ وعَـرِّسِ
فهو الأبـرُّ الفاضِلُ البدَلُ الذي ... ما زالَ من خمرِ المعَارف يحتَسي
وهو الإمـامُ على الـدّوام بلا مِرا ... وهو الذي في الأصْل زاكِي المغْرَسِ
فلقَد رقَـى حقاً إلىٰ أفُـقِ العُلا ... فمحلّه فـوقَ الجـواري الكنَّسِ
عـلَـمٌ تفيّأ ظلَّـه كـلُّ الـورَى ... ودعَوه بالبطَـلِ الهمـــام الريِّسِ
هـذا هُـو المـقـدامُ قـد قـرَّتْ له ... بالسّبْق في الحلباتِ كـــل الأنفُسِ
يا أيها المفضــالُ جـدْ لي باللقَا ... فعسَى أفُـوزَ بِوَصْلكم يا مؤنِسي
وإليـكَ يا بحـر السّـــاح خريدةً ... بكْراً قد اتّشحَـتْ ببُردٍ أطلَسِ
هي بنتُ فكرٍ قـد زهَتْ تيهاً على ... البيضِ الحسَـــانِ الغـانياتِ النعَّسِ
صـلّى عـليـكَ الله بـعـدَ محمد ... ما مالَ غصنٌ في كـثيبٍ أوعَسِ
والآلِ والأصحابِ ما قـالَ امرؤٌ ... خطرتْ فأزْرَت بالغـــصُون الميّسِ

* * *

وقال في العلامة أحمد بن حمزة العطاس(١):

أدِرْ ذكْرَ من أهْوى دَواماً على قَلبِي ... وصرّحْ به كَي تشْتفي لوعَةُ الصّبِّ
فإني بذكرَاهُم أتيـه عـلى الـوَرى ... لما لهمُ عنـدي من الـودِّ والحبِّ
إذا أنشَد الحادِي بذكرِهمُ ضحًى ... يهيّج ما عنـدي من الهمّ والكرْبِ
وإني إذا نـاحَـتْ حمـــائمُ شِعْبهم ... همتْ مقلتي بالدمعِ شَوقاً إلىٰ العذْبِ

---

(١) توفي ببلدة عمد سنة ١٣١٢هـ.

خلُقٌ له مثلُ النسيم لطَافةً ... من لم يزَلْ برُدَ البشاشَة مُكْتَسِ
هو نورُ فضلٍ قدْ تسَامى رفْعةً ... فمحلّه كالتّاجِ فَوق الأرْؤُس
أضحَتْ به الغناءُ تضْحكُ بَهجةً ... بنزولِه فيهَا بصَدْر المجْلِس
خِدنُ الصّلاحِ أبو الفَلاحِ فلُذ بِهِ ... يا صَاحِ وانزِلْ في حماهُ وعَرِّسِ
فهو الأبرُّ الفاضِلُ البدَلُ الذي ... ما زالَ من خمرِ المعَارف يحتَسي
وهو الإمامُ على الدّوام بلا مِرا ... وهو الذي في الأصْل زاكِي المغْرَسِ
فلقَد رقَى حقاً إلىٰ أفُقِ العُلا ... فمحلّه فوقَ الجواري الكنَّسِ
علَمٌ تفيّأ ظلَّه كلُّ الورَى ... ودعَوه بالبطَلِ الهمام الريِّسِ
هذا هُو المقدامُ قد قرَّتْ له ... بالسّبْق في الحلباتِ كل الأنفُسِ
يا أيها المفضالُ جدْ لي باللقَا ... فعسَى أفُوزَ بِوَصْلكم يا مؤنِسي
وإليكَ يا بحرَ السّماح خريدةً ... بكْراً قد اتّشحَتْ ببُردٍ أطلَسِ
هي بنتُ فكرٍ قد زهَتْ تيهاً على ... البيضِ الحسَانِ الغانياتِ النعَّسِ
صلّى عليكَ الله بعدَ محمد ... ما مالَ غصنٌ في كثيبٍ أوعَسِ
والآلِ والأصحابِ ما قالَ امرؤٌ ... خطرتْ فأزْرَت بالغصُون الميّسِ



❊ ❊ ❊

وقال في العلامة أحمد بن حمزة العطاس[١]:

أدِرْ ذكْرَ من أهْوى دَواماً على قَلبي ... وصرّحْ به كَي تشْتفي لوعَةُ الصّبِّ
فإني بذكرَاهُم أتيهُ على الورَى ... لما لهُم عندي من الودِّ والحبِّ
إذا أنشَد الحادِي بذكرِهمُ ضحًى ... يهيّج ما عندي من الهمّ والكرْبِ
وإني إذا ناحَتْ حمائمُ شِعْبهم ... همتْ مقلتي بالدمعِ شَوقاً إلىٰ العذْبِ

---

(١) توفي ببلدة عمد سنة ١٣١٢هـ.

وإن صدَحتْ وَرْقَا على غصَنِ دوحَة | وأنشدَ حادي الركبِ يوماً على النجبِ
تذكرْتُ ما قد مرَّ من زمنِ الصّفا | مع السيدِ المفضَال يا لكَ من ندْبِ
سُمي أحمدَ العطاسَ أنعِمْ به فتًى | لقد خُصّ بالتقريبِ في مقعَدِ القرْبِ
له قَرّ أهلُ العلم في كلّ محفَلٍ | وأمسَوا حيارَى ذاهلينَ عن اللبِّ
إمامٌ همامٌ شيخُ كلِّ طريقَةٍ | ومقدامُ أهلِ الفضْل في الشرْقِ والغربِ
تَقيٌ نقيٌ أريحيٌ مهذّبٌ | ظريفٌ لطيفٌ صَافي السرّ والقلْبِ
إذا ذُكِروا أهلُ المعارفِ في الملا | فهذا هو المختَار منهم بلا رَيبِ
يغاثُ به إن حلّ خطبٌ وهائلٌ | ويحضُر في وقْتِ الملمّة والصعْبِ
لقد حلّ في برْجِ السعادَة وارتقَى | على منبرِ الإجلالِ في عالم الغيبِ
لقد خصّ من ربِّ السماء بخصَائصٍ | تعرفْكَ أن تدعيه بالغَوث والقطْبِ
حبَاهُ إلهُ العالمينَ بقُربِه | وخوطِبَ خذ هذا المقامَ بلا كَسْبِ
سَوابقُ في أم الكتَابِ تقدمَتْ | على وَفْق ما تجري به قدرَةُ الرّبِّ
ألا يا حُوَيدي العيسِ إن جئْتَ حيَّهُ | وأنزلتَ من أفيائِه المنزلِ الرحْبِ
فقبّلْ ثرَى آثارِه ثمّ قُل لَه | تركتَ صريعَ العشْقِ ملقًى على التربِ
يبيتُ سميرَ الجاهِ من عظْمِ ما به | فهل عطفَةٌ للعاشقِ المدنفِ الصبِّ
عبيدٌ لكمْ يشكُو البعادَ وطالما | يجدّدُ أحزاناً شهودٌ لها تُنبي
نحولٌ وفقْدٌ والسّهادُ ولوعَةٌ | علاماتُ من قد كانَ عند انقضَا النحْبِ
فجودُوا على المشتاقِ بالوصْل سادتي | لكي ينتفي ما حلّ بي من لظَى الحبِّ
فأنتم أهيلُ الجودِ والفضلِ دائماً | سلكتّم طريقَ المصطَفى خيرَ من نُبِّي
عليه صلاةُ الله ما فاهَ منشدٌ | وأومضَ برقٌ بالغُوَير على الشّعبِ
كذا الآلِ والأصحابِ ما انهلّ ماطِرٌ | فأحيَى الأراضي المسْنتاتِ من الجدْبِ



❊ ❊ ❊

وقال مشجراً في أخٍ له اسمه حسَن(١):

ح حَـار فكْـري في أغيـدٍ قَـد تثنّـى   يشـبهُ الغصْـنَ حين مَـاسَ ومَالا
س سِـحْر ألحاظِـه تمكّـن منّـي   مذ رَمَـاني بالسّـهم منهَـا وَصَالا
ن نـارُ وجْـدي بـه أذابـتْ فُـؤادي   وكـذا مدْمَعـي عـلى الخـدّ سَـالا

❋ ❋ ❋

وقالَ في السيد العلامة أحمد بن حمزة العطاسِ(٢):

خطرَتْ كغُصنِ البَانِ مائسَةَ القَوامْ   فتانـة بهنانَـةٌ تَسْـبي الأنَـامْ
غيداءُ تخفَى الشمسُ عند ظهُورِها   بجمالهـا قـد أخجَلـتْ بـدْرَ التمامْ
ورْديَـةُ الخديـنِ في لهواتهـا   شـهْدٌ ومن ألحاظِها ترمِي السّهامْ
باتَـتْ تسَـامِرُني وبـتُّ سـميرَها   بنـدَى أحاديـثِ المحبّـةِ والغـرَامْ
في روضَـةٍ فيها الغصـون تمايلَتْ   طرباً وزهْرُ الروض أضْحَى في ابتسَامْ
يشْـدُو بهـا طـيرُ الهـزَارِ وكلّـما   قد غـرّد الشـحْرُورُ جاوبَه الحمامْ
والـكلُّ منّـا لابـسٌ ثـوبَ الصّفا   والأنسِ تزهْو لا عِتابَ ولا مَلامْ
جـادَت علَـيَّ برشْـفةٍ مـن رِيقهَـا   فثمِلـتُ يا هَـذا وما ذقْـتُ المدامْ
إني ولـعْـت بــحبّهـا وبقرْبهـا   من قبلِ تمييزي ومـْن قبلِ الفطَامْ
وإذا حَـدا الحادي بِذكْـر ربُوعِها   فاضَتْ دمُوعي مثْـلَ هتّانِ الغمامْ
سـكنتْ سُـويدا مُهْجتي فمحِلّها   كالرّوحِ تسْري في المناسِمِ والعظَامْ
هي مهْجَتي هي محنَتي هي كعْبتِي   هي بغْيتي عن كلّ ما يهوَى الأنَامْ

---

(١) وردت في أصل الديوان، وفي «شعراء حضرموت»، وفي «تاريخ الشعراء»: ٤/ ٢١٦-٢١٧.

(٢) علق الأديب علي باكثير على تفعيلة هذه القصيدة وبحرها، بقوله: «هذه القصيدة من بحر الكامل، وقد استعمله الشاعر غير تام الأجزاء، وهو غير جائز عند الخليل والعروضيين». وهذه القصيدة وردت كاملة في الديوان الأصل، ومقتطفات في «شعراء حضرموت» لباكثير، و«تاريخ الشعراء»: ٤/ ٢١٨.

قسَماً بربِّ البيت والركْنِ الذي ... قد طابَ تقبيلاً ومسْحاً والتزامْ
إني لَذاتِ الحسْنِ رقٌّ خالصٌ ... عبدٌ لها حقاً إلىٰ حينِ الحمامْ
فاقَتْ جميعَ الغانياتِ بمثْلِ ما ... فاقَ الخليفةُ أحمُد الندْبُ الهمامْ
أعنِي به العطاسَ حقاً من رقَى ... للمقْعَد الأسمَى بعزٍّ واحتشامْ
حيثُ الحبيبُ منَادمٌ حضّارَهُ ... حيثُ الكؤوسُ تدَارُ في ذاك المقَامْ
من خمرَةِ التقْديسِ والتعْريفِ والـ ... ـتَنْزيهِ لا خمرُ المعَاصي والأثامْ
هو سيدٌ متواضِعٌ متأدبٌ ... قطبٌ حَظِي بالذكْر في يمَنٍ وشَامْ
بحْرُ الشريعةِ والحقيقَةِ والهدَى ... شَيخُ الطريقَةِ والمقدّمُ والإمَامْ
طَودُ العُلا والمجْدِ قَرمٌ باسِلٌ ... حَقاً وللأعْداء قَد سلّ الحسَامْ
هو مقدِمُ العشّاقِ في مَيدانهم ... والملتجَأ في النائباتِ على الدّوامْ
بحرُ المكَارمِ والفضَائلِ لم يزَلْ ... يقْري وقاصِدُه يقيناً لا يضَامْ
شمسُ الهدَى مجلي الرّدى حقاً ومن ... وافاه حماه فإنّه نَالَ المرامْ
يا سيدَ الساداتِ يا كنْز الورَى ... يا بهجةَ الأكوانِ يا بدْرَ التمامْ
أنتَ الذي شهِد الأنامُ بفَضْله ... في حبّه كشْفُ البراقِع واللثَامْ
أنتَ الملاذُ وعُدّتي في شِدّتي ... أنتَ المعَدُّ غداً ليَوم الازدِحامْ
يا سيدي إني محبٌ صَادقٌ ... في حبكُم لا أستمعْ قَولَ الملامْ
متلهفٌ متعَطشٌ لشَرابكم ... جُودوا عليّ بشَربةٍ تطفي الأوَامْ
وتَولّهي ...... الحمَى يا سيدي ... قُلْ أنتَ منّا لا تخفْ يا ذا الغُلامْ
ستنالُ ما ترجُوه فانزِلْ هَاهُنا ... واعقلْ قلوصَك في رحَابِ الاحتِشامْ
حصَل الهنَا نلتُ المنى زالَ العنَا ... تلكَ الخيام وتلكَ ساحاتُ الكرامْ
حيثُ المريدونَ الذين مشَوا على ... قدَم الإرادةِ ليس يثْنُونَ الزمَامْ
وإليكَ تهدَى بنتُ فكْرٍ تزدَهي ... في الحسْنِ قد فاقَتْ على الغيدِ الرّخَامْ
منّوا عليهَا بالقبولِ فإنني ... قد قلتُها والقلْبُ مُضنًى مسْتهامْ



صلّى عليكَ الله بعْدَ محمّدٍ ... ما ناحَ قمريّ فوقَ أغصَان البشَامْ
والآلِ والأصْحابِ مَا ريح الصبا ... هبَّت وما فـاحَ العبيرُ أو الخُزامْ

* * *

وقال في محمد بن سعيد [باطويح]، أحدِ تلامذة أخيه علي بن محمد الحبشي:

سَقتْني بعينَيها كؤوساً من السّحْرِ ... مهَاةٌ رمتْني بالنبَالِ وبالسّمْر
شقيقةُ بدْرِ التمِّ ذاتِ محاسِنٍ ... لقد برزَتْ بالتيه في الحلَلِ الخضْرِ
تحَير أربابَ الغرام إذا بَدتْ ... بصبحِ جبينٍ تحَت ليلٍ من الشّعرِ
على خدّها خالٌ حمى لثْمَ ثغرِها ... وفي جيدِها عقدٌ من التّبرِ والدّرِّ
فناديتُها يا ربَة الحسنِ والبهَا ... ويا من بحسنِ الوجْه فاقتْ على البدْرِ
صِلي مغرَماً قد شفّه الوجدُ والنوَى ... كليم ... البينِ في اللفّ والنّشر
أجابتْ: تقدّمْ يا أخَا المجدِ والحِجَا ... ويَا فائقَ العشّاقِ في البدْو والحضْرِ
فشاهدتُ معنَى حسْنِها وجمالها ... فآليتُ إن الحسنَ فيها بلا نكْرِ
ودارتْ علينا من رحيقِ رضَابها ... مداماً عتيقاً فاقَ معنى على الخمْرِ
ونزِّلُت فيْ قصر المليحَة منْزلاً ... لطيفاً رأيتُ الأنسَ فيه على الحضر
تثنتْ به الأغصَانُ والورْق قد شَدَا ... وغنى حمامُ الأيْكِ بالشفْعِ والوترِ
وقامَ بها الشحْرُور يخطبُ سَاجعاً ... يترجِم ما في سُورة الفتحِ والنصْرِ
وزهر الأقاحِ الغضُّ يضحَكُ معْجَباً ... بما فيه من حُسنٍ على سَائر الزهْرِ
فمن طَربي مما أشَاهدُ ترجمتْ ... لساني بمَدْح العالِم الفاضلِ الحبرِ
وأعني به الشيخَ الإمامَ محمداً ... هو ابنُ سعيدٍ ذي المهابَةِ والقدْرِ
همامٌ له الباعُ الطويلُ على الورَى ... ومجْد علا فَوقَ المجرَّةِ والزهْرِ
إمامٌ حوَى علماً وعقلاً وحكْمةً ... ومعرفةً قد حَازها يا أخَا الفكْرِ
تبحُّر في أصْلِ العلُومِ وفرعِها ... فأمسَى فريداً في العلُومِ بلا نكْرِ

لـه مـن علـوم الديـنِ حـظٌ موفّـر ... بهذا يكون الفخْـر حقاً لذي الفخْرِ
هو النعمَةُ العظْمَى من الحقّ أهديَتْ ... إلىٰ الخلـقِ يهديهـم إلىٰ سبلِ السَّـيرِ
هـو البحْرُ، يا ذَا، مالَه من سَـواحلٍ ... ويلفـظُ دراً فـاقَ معنًـى عـلى الـدّرِّ
بليـغٌ لـه أهـلُ البلاغـة أذعَنُـوا ... بـما قالـه من حسـن نظـم ومـن نثْرِ
عفيـفٌ ظَريـفٌ ذو خصَـالٍ حميـدَةٍ ... لقـد خُـصَّ بالخلق اللطيـفِ وبالبرِّ
أديـبٌ لبيـبٌ سَـالك متواضـعٌ ... جميـلٌ تحـلى بالبشَاشـةِ والبِـشر
جليـلٌ لـه التقديـمُ في كلّ محفَـلٍ ... يحـّق لـه يدعَـى بيَـا عَـالم العـصْرِ
تخلّـص مـن رقّ العبُـودَة وارتقَـى ... إلىٰ المقْعـدِ الأعْـلى فنُـودي بالجـرِّ
فـلا غَـرْو أن الله خصّصـه بـما ... يجـّل عـن التحديدِ والعَـدِّ والحصر
من العلم والعرفانِ والفضْلِ والتقى ... وعلـم لـدنيٍّ ثـوَى داخـلَ الصـدْرِ
فيـا ابـنَ سـعيد دعـوةً لمكبَّـلٍ ... بقيدِ الأمَـاني والحظُوظِ مـع الأسْرِ
يظـلّ ويضْحـي شَـارباً كأسَ غفْلَةٍ ... مُطِيعـاً لنفـسٍ لم يزلْ خلفَهـا يجْري
فهـل عطفةٌ يـا ابـنَ الكـرام ونظرَةٌ ... يـزولُ بها ما كَانَ في القلبِ من غدْرِ
من الميلِ للأضْدادِ والغيرِ والسِّـوَى ... ومـا عاقَ عن طـرقِ الحقيقَةِ والخيرِ
توجّـهْ إلىٰ مَـولاك في دفـعِ هـذه ... العوائـقِ عنّي يـا منَاي ويـا ذخْري
فـإن فـؤادي لم يـزلْ متطلّعـاً ... إلىٰ نيـلِ علـم الفتح من عَـالم الأمْرِ
فأرْجُـو إلـهَ العـرْشِ ربي وخَالقـي ... يحقـّق مـا أرجُـوه في السّـر والجهْرِ
إليـكَ أبـا الأشـبالِ بكـراً خريـدةً ... تحلّتْ بعقْدِ اللؤلؤ الرطْبِ في النحْرِ
سـليلةُ فكـرِ قالهـا ابـنُ محمّـدٍ ... محُـبٌّ لكـم بالسّبقِ في عـالم الـذرِّ
فمنُّـوا عليهَـا بالقبـولِ فإنني ... مقـرٌّ بـأنّ العيـبَ فيهَـا بـلا نكْـرِ
صـلاةٌ مـن الرحمـن كلّ عشـيةٍ ... على أحمَـد المبعوثِ بالفتْـح والنصْرِ
كذا الآلِ والأصْحابِ ما واردٌ رَوى ... من المشْربِ الأصْفى عن المنهَجِ السحْري



* * *

قال جامع الديوان، حسين بن شيخ الحبشي: «وله ستة أبياتٍ وصدْرُ بيتٍ فقط، ولما وقفتُ عليها في مذكرته ذيلتُ عليها وجعلتُ موضوعها مدحاً في والدِه مفتي بلد الله الحرام ((مكة المكرمة)) محمد بن حسين بن عبدالله بن شيخ الحبشي ذلك عام ١٣٥٨هـ»:

حَادي اليعْمُلاتِ باللهِ مهْلاً ... كي تجوبَ القفَارَ وعراً وسهْلا
ثم دعْهَا تطوي الفراقِدَ ليلاً ... إنّ خير المسير ما كَانَ ليْلا
ثم يمّمْ نحو الربُوعِ اللوَاتي ... بين حَافتيها ترَى البدْر يجلى
بين بانِ العُذَيبِ شرقيَّ نجْدٍ ... حيثُما الصّب بالحبيبِ تملى
ورياضٌ بها الغصُونُ تثنّت ... وعليهَا وبلُ الغمامِ اسْتهَلا
فإذا ما وصلتَ للحيِّ فانزِلْ ... واقرَ عني السلامَ كهلاً وطفْلا
وتأدّبْ وصِفْ عزائي وشَوقي ... بهما أمسَت نفسي من البعْدِ تصْلى
وبجسْمِي من الفراق نحُولٌ ... منه صارَتْ مراجلُ القلْب تغْلى
قل تركْتَ الكئيبَ مضْنًى مُعَنّى ... في انتظارٍ لكُم ويطلبُ وصْلا
علّ فيهم فَماً يفُوه بنطق ... بقدُوم المحبِّ أهلاً وسَهلا
فإذا لم يكُنْ وصْلٌ لدَيهم ... وأرى الجودَ منهمُ صَار بخْلا
صُنتِ قِيثَارة القريظِ بعلْمي ... واجعلي النظْمَ في الذي حَاز فضلا
أعني من أمهَر المعالي بجدٍّ ... فارتضَتْه في ذلكَ الوقتِ بَعْلا
من تسمّى محمداً بل ومحمُو ... داً على الناسِ زادَه الله عقْلا
لقبُوه جمالَ دينٍ فأضْحَى ... في الحجازِ الشريفِ للدّين نَصْلا
لم يزلْ صَدرُه لكلِّ فنونِ الـ ... ـعلمِ مَأوْى ومنزلاً ومحَلا
ثم في عامِ مائتينِ مع السبعـ ... ـينِ والألِف حبّذا ما تَولى
كان مفتٍ في مذهَبٍ لابنِ ادريـ ... ـسَ الذي للإمَامِ قد كان أصْلا
ببلادِ الإلَه من جاءَ تحريمٌ ... لها في الكتَابِ يا صَاح يُتلى

مكـةٌ بكـةٌ ومهبِطُ وحـيِ الله ... أضْحـت بعَـصْره تتحَـلى
فأقـام الحـدودَ للـشْرعِ فيهـا ... ونهـى المنكَـر القبيـحَ المضِـلا
أصبـحَ العلـمُ في الحَجـازِ مقيـماً ... وبه صَــــار جـهلُـه مضمَحلا
ولقـد ألّـفَ الكثـيرَ مـن الكتْـبِ ... فأمسَــتْ للطـالبيـــن أخِـــلا
فبِفَتـح الإلـه انفتـحْ بـابُ فهـمٍ ... حتّـى غـدا بِـه الصعْـبُ سـهلا
وعقـودٌ مـن الـلآلي أضَـاءت ... للـذي كانَ في الطريقَـة ضَـلا
فغَـدتْ بلـدةُ الإلَـه بـه تَـزْ ... هُـو ولم تـدْرِ أن للدّهـر نَبْـلا
ثـم في عـام مائتـينِ مـع الألـفِ ... وعــــامٍ مــع الثمانـينَ يـتـلى
عرَجَـتْ روحُـه تلبّـي نـداء الـ ... ـحَـقّ أهـلاً بـذا اللقَـاءِ وسَـهلا
ثـمّ قَـال المشيعونَ مـن الأمْـلا ... ك مهْـلاً بهـذه الـرّوحِ مَهْـلا
ثـم أمسَـى الحجَـازُ يبكِـي حَزيناً ... وكئيبـاً لـمَّــا رأى الخـيرَ ولى
وكـذا الكتْـبُ بعـدَه قـد بكَتْـه ... وعليـهِ منــازلُ العــلْـمِ ثـكْلى
لم تمْـت أيهـاَ الفقيـدُ فـإنّ الـذّ ... كْـرَ بـاقٍ عُمْـره ليـسَ يبْـلى
أمَـلي فيـكَ يـا جمـالُ وإن كَا ... ن كمِثْـلي لجودِكُـم ليـسَ أهْـلا
أنـتَ لي عـدّةٌ ليـومٍ مهُـولٍ ... فيـه يـا سـيدي الصحيفـةُ تُتْـلى
وبأشْـبالِك الضراغـمِ مـن كانُـوا ... لنَـا عـدّة إذا الأمْـرُ جـلا



* * *

وله في أحدِ أمراءِ (العوالق)، مدائحُ، حينَ قام برحلته إليها:

تبدّتْ لنا ذاتُ المحاسنِ جهرَةً ... فأزرتْ بنُورِ الشمْسِ وقتَ الظهيرة
ومن وجنتيها الورد تكي ابتسامة ... ومن ثغـرها شهد دواء لعلتي
وجيــد بهــا أظنى فؤادي بلطفه ... وصــدر بــه الـرمان أعظم منيتي
وخصر رقيق لا يرى من قوله ... كغصن تثنيه الصباح حين هبت

فإن سمحت لي بالوصال فحبذا ويا نعم ما جادت به ثم منت
وإلا سأشكيها إلى المحسن الذي تؤم إليه الخلق من كل وجهة
هو ابن . . من نسل معلق أهيل الحجا والجود ثم الشجاعة
هو الأسد الضرغام في لبة الوغا هو البطل المقدام قبل الكتيبة
إذا سل سيف الهند يوماً على العدو يرويه من أعناقهم كل كسرة
قبيلة أضحت لها الذكر أمياً إذا برزت نحو العدو بقسوة
ترى البيض منهم والرماح لوامعاً كمثل يروق أو مضت جوف ظلمة
فيا أيها الراجي غنى من نواله توجه وقم واسر إليه بهمة
تجد بحر جود قابضاً كل لحظة على الوفد بالاعطاء في كل ساعة
صلاة من الرحمة كل عشية على المصطفى والآل والصحابة



❊ ❊ ❊

وقال معتذراً عن عدم حضوره لجلسات جمعية سيون، لما دعي لحضورها[١]:

أقدّمُ عذْري للكرَامِ أولي الفضْلِ وأسألهمْ أن يقبَلوا العذْرَ من مِثْلي
فإني ضعيفُ الجسْمِ والرأي والحجَا وكثرَةُ أشغالٍ قَدِ استوجبَتْ فصْلي

❊ ❊ ❊

(١) هذه الأبيات نقلا عن قلم الشيخ علي باكثير.

نموذَجُ من نثْرِه الأدَبيِّ

تقريظُه على كتابِ «عقد اليواقيت»
لشيخِه الحبيبِ عيدروس بن عمر الحبشي
المتوفى سنة ١٣١٤هـ[1]



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

«أحمدُكَ اللهُمَّ يا من اخترْتَ أقواماً من عبادكَ، فجعلتَهُم أعلاماً يهتَدِي بهم السالكونَ، وميزتهم من بينِ خَلقِكَ، وعرَّفتهم شرَفَ حقِّكَ، فهم على بساط الأدبِ واقفون، ونشَرْتَ عليهم ألويةَ السعادةِ، وجعلتَهم من أهْلِ السّيادة، فهُم لمعرُوفِك شاكرُون، وخلعْتَ عليهم خِلعَ الرضْوانِ، وكشَفْت لهم عن حقائقِ معنَى الإحْسَان، فهُم في فضْلك راغبونَ، فاجأتهم العَطايا من الفيضِ الامتنانيّ، فهُم من حِياضها يكْرعُونَ، ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾.

وأصلّي وأسلمُ على التعيّنِ الأوّلِ، والإنسَانِ الكاملِ الذي عليه بعدَ الله المعوّل، الجمالِ الصِّرْفِ الذي أشْرقَتْ شمسُه في الفَلكِ الأعلى، والنجْمُ الوهّاجُ

(١) هذا التقريظ مما جمعه ابن المؤلف السيد حسين، وكان مؤملا أن يطبع مع العقد في طبعته الأولى سنة ١٣١٨هـ، ولكن يبدو أن ظروفا حالت دون طبعه آنذاك، وقد تم استدراك هذا الأمر، فجمعت كل التقاريظ وطبعت ملحقة بالمجلد الثاني من الطبعة التي صدرت عن (دار الفتح) سنة ١٤٣٠هـ، ينظر: ٢/ ١١٧٥.

الذي يظْهَرُ للسالكينَ في كل مجْلَى، المؤمنِ الكاملِ، المشَار إليه بالوُسْعِ القلبيِّ في حديثِ: «**ما وَسِعَني أرْضي ولا سَمائي، ولكن وسِعَني قلبُ عبْديَ المؤْمِن**»[1]، وسْعَ معرفةٍ وتمجيدٍ، لا وُسْعَ حُلولٍ وتحديدٍ، سيِّدنا ومولانَا محمدِ ابن عبدِالله، الفاتحِ الخاتمِ، رسُولكَ أبي القاسِمِ، ﷺ ما لمعَتْ بوارقُ الإرشَادِ الحقّي، فأهدَتْ الحائرَ، وهطلَتْ سحائبُ الفضْلِ الإلهيّ، فغمَرت الواردَ والصادر، وعلى آله وأصْحابه، الذين اهتدَوا بهدْيه، وقاموا عند أمْره ونهيه، صلاةً نسْلُكُ بها في منهجِهِمُ الواضحِ، ونعثُر بهما علَى متْجَرهم الرابحِ، آمينَ اللهُمّ آمينَ.

أما بعد؛

فبينما أنا واقفٌ في مَيدانِ التعلّقِ والاشتياقِ، إلىٰ سلُوك طريق القَوم المتخلِّقينَ بأحْسَنِ الأخلاقِ، طريقِ السّادة الصُّوفيةِ، البيضَاءِ النقيةِ، باسِطاً أكفَّ التضرُّعِ والدعاءِ، في أن أسْعَى فيها مع من سَعَى، أنادي: هل من دليلٍ مُوافي، إلىٰ ذلك المنهل الصافي!. فبينما أنا كذلكَ، متطلعاً لما هنالك، إذ هتفَ بي هاتفٌ بلِسَان الحالِ، يبشِّرُني بحصُولِ القصْدِ وبلُوغ الآمالِ، يقُول لي: أينكَ أيُّها الشّخصُ المشتاقُ إلىٰ معرفَة تلكَ الطريقِ، والشرْبِ من ذلكَ الرّحيقِ، من «السِّفْرِ» الذي صُنِّفَ في هذا الفنِّ، و«الكِتَابِ» الذي حوَى كلَّ أسْلُوبٍ حسَنٍ!.

فقُلتُ له: أَفْصِح لي عنِ اسْمِه الواضِح، ونُورِه اللائح. فقَالَ: هو «عقْدُ اليواقيتِ الجوهَريةِ، وسِمْطُ اللآلِيءِ الذهبية»، لمصَنفه الإمَام الكاملِ، والعالمِ العامل، بحْرِ العلُوم الفائضِ في كلِّ آنٍ، وشمْسُ الأنْوار الشّارقةِ في جميع الأكوانِ، من ضَربت عليه السّعادةُ رِواقَها، وأدارتْ عليه العنايةُ نطاقَها، بهجة العصْرِ، ونخبةُ الدهر،

---

(١) أورد هذه المقولة الإمام الغزالي في الإحياء، وقال الحافظ العراقي: «لم أر له أصلا»، وينظر: «كشف الخفاء»: ٢/ ٣٧٢.

مربي المريدِينَ، وموصلُ السالكينَ، القطبُ الغَوثُ، الجامعُ بين الشّريعةِ والحقيقةِ، عيدَرُوس الزمانِ، في الحال والمقالِ، وشيخ الشيوخِ الذينَ رقَوا رُتَب الكمالِ، السيدُ الشّريف، والعلم المنيفُ، عيدَروس ابن سيدِنا عُمَر ابن سيدِنا عيدرُوسِ الحبَشي.

فَحينئذٍ شمّرتُ عن ساعِد الجدِّ في طلبه بالليل والنهَار، فألفيتُه عندَ أهله معادنِ الأسْرار والأنوار، فأخذتُه وقبّلتُه، ثم تصفحته وتأملتُه، فوجدته سِفراً أسفرَ عن محيّى طريقِ القوم، وبحْراً ليسَ كلُّ شخْص يحسُن فيهِ السّباحةَ والعَوم، بستاناً أثمَرتْ أشجارُه، ورَوضاً أينعتْ أزهَارُه، ترتَاحُ القلُوبِ عند سماعِه، فيحْدُوها إلىٰ اقتفَاءِ السيدِ الأعظم واتّباعِه.

شعراً:



تجلّى لأهلِ العَصْر نورٌ من المولى	فقابلَه قَـومٌ فـصَـاروا لَـه مجْلى
تجلّى فأجْلى للصّدى عن قلُوبهم	فأورثَهُـم عِـلـماً وجنّبهـم جهْـلا
بَـدا ذلـكَ الـنّـورُ المبينُ عليهم	وتوّجَهم تاجاً فأضْحَوا له أهْلا
وأغْني به عقْدَ اليواقيتِ فاجتهِدْ مع	معَ الصدق في تحصِيله تدرك الفَضْلا
إذا ما الرّجالُ العَارفونَ تجمّعُوا	وجدْتَ كتاب **العِقْد** ما بينَهم يُتْلى

ولعَمْري؛ إنه قد جمعَ ما تفرقَ في غيره من الكتبِ في هذا الفنّ، وأنّى لمصنفٍ أن ينسُجَ على منواله الحسَنِ، فتأملته فإذا «البَرقةُ المشيقَة» قد لمعتْ في صَفحاته، و«المشْرعُ الرّويّ» قد شُرعَ بين حَافاته، و«العقْدُ النبويّ» قد انتظمت لآليهِ في سِلكه، و«الجزْءُ اللطيفُ» قد أصبحَ جزْءًا من أجزاءِ سبْكِه، و«الجوهر الشفافُ» أضْحَى من فَرائد عقدِه، و«القرطاسُ» قد أشرَقَ فيه كوكَبُ سَعدِه، و«فَيضُ الأسرارِ» قد فاضَ في جداولِه، و«الزّهر الباسِمُ» تبسم في أكمام خمائله، و«مِرآةُ الشموسِ» قد عُرفَتْ بها منازلُه، ورايةُ «النورِ السّافر» قد حملها كاهلُه، و«وُصْلةُ السالكينَ» قد اتصلت بحبلِه المتين، وما في «السلسِلَة العيدروسيّةِ» قد استوعبه باليقين.

وقد قلتُ شِعْراً مشجراً في اسْمِه:

ع	**عقدُ اليواقيتِ** سفْرٌ حافِلٌ جمعَتْ	فيه العلومُ التي تهدِي إلىٰ العمَلِ
ق	قـامَـتْ دلائـلُـه فينَا وناطقُه	يدعُو ألا بادروا للسّعي في عجَلِ
د	دليلُ صدقٍ لأهْلِ السّيرِ يرشِدُهم	إلىٰ طريقِ الرجالِ السادَةِ الأولِ
ا	أبانَ عن منهجِ الساداتِ من سَلكوا	على الطّريقةِ في التفصِيلِ والجمَلِ
ل	لله ما مثـلُه ما فيـهِ مـن حِكَمٍ	ومن عـلوم أتتْ عن سيدِ الرسُلِ
ي	يا صَاحبي إن تُردْ نيلَ العلُومِ فقمْ	تحـلَّ **بالعقدِ** تلقى غاية الأمـلِ
و	وإن ترد نيل ما نال الكرام ففي	**عقْدِ اليواقيتِ** مرقَاةٌ إلىٰ جدلِ
ا	انظُر لما قَد حـواهُ من جهَابذةٍ	أئمّةٍ سلكُوا في أوضَـح السبلِ
ق	قومٌ على السَّننِ الأقْوَى لقدسَلكوا	ولم يبالُوا بـأمـوالٍ ولا خَـولِ
ي	يزهُو بجَوهره الغَالي ولؤلؤِه	فكيفَ تلقَى له في الكتْبِ من مثلِ!
ت	تجمعَتْ فيــه أســرارٌ كما جمعَتْ	في عيدروسِ الإمام العَارف البدلِ



وأيْمُ الله؛ إنه لكتابٌ أوضَح عن طريقِ السّادة العلويينَ، التي هي من بين الطرقِ لبنٌ خالصٌ سائغٌ للشّاربيَن، وصرّح بسندَي الإلباس والتلقينِ، الذين هما من مُعظَم أركانِ الطريقِ عند أهل التمكِين، وأثبتَ فيه مصنفُه ما مضَى به من مشايخه من الوصَايا والإجازاتِ السنية، التي هي من أعظَم الوسَائل والروابط القوية، وبيَّن فيه من الأذكارِ السرية والجهْرية، التي يكون بها صِقالٌ للمرآة القلبيةِ، وبها يرتقي المريدُ الصّادقُ إلىٰ أعْلى المقامَاتِ، حيث المقصودُ الأعظم الذي انتهتْ إليه مطَالب أهل الولايَات، مع ذكْر شَيءٍ من مناقبِ مشَايخه ومشايخهم العَارفين، كلّ ذلكَ تنشِيطاً للمُريدينَ الراغِبين.

فيا عزيزي؛ أيقظَك الله من سِنة الحجَاب، وهداني وإياكَ إلىٰ طريق الصواب، إذا عثرتْ على هذا الكتَابِ الحافِل، الجامع لأشْتاتِ الفضَائل، فتمسّكْ به، فإنه

الكتابُ المرغوبُ، والدِّرياق المجرّب لأدواء القلوبِ، فأبلغ جُهدًا في المثابرَة على مطالعته في كل آن، ينتج لك الترقي إلىٰ مقامات أهل العرفان، كيفَ! وقد أخلصَ مصنفُه في تصنيفه إخلاصَ الكُمَّل من الرجالِ، فلا بدَّ أن ينتفع به كلُّ من طالعَه في الحال والمآل.

شعرٌ مشَجَّر في اسْم المؤلّف:

ع عـالم في العلُوم أضْحَى فريداً	ولَـه في الأخـلاق خلقٌ جميلُ
ي يترقّـى إلىٰ المعَـالي دوامـاً	وهْـوَ للسالكينَ نعْمَ الدّليلُ
د دأبُه كَسْـبُ كلِّ خَـيرٍ وفضْلٍ	فـلَـه همـةٌ ومجـدٌ أثِـيـلُ
ر راجحٌ عَقلُـه وفي الحلم طَودٌ	ولَـه في السخاءِ بَـاعٌ طَويلُ
و وارثُ الـبرِّ من أبيه وأضْحَى	بـعْـدَه في المـقَـام فـرْدٌ جَليلُ
س سرُّ أسْـلافِه سرَى فيـه حَقـاً	وهومِن بعْـدِهم لـه التفصيلُ



ولما كان مؤلفُه، حفظَه الله تعالى، ومتع بحياته، مخلصاً في أعماله ونياته، محباً للخيراتِ بفطْرته، مجتَهداً في إيصَال البرِّ لمن يستحقُّه بهمتِه، خصوصاً للسادة العلويينَ من بني الزهراءِ البتولِ، الذين هم أحْرَى باقتفاءِ سِيرِ آبائهم الفُحول، تلقّى ذلك السفْرَ الميمون كلُّ من رآهُ بالقَبولِ والإقبَال، ودَعا لمؤلفِه بطُولِ العمر على أحْسَن الأحوالِ.

شعراً:

يا خليلَ الوفَا إذا رمت فتحاً	فهو في **العقْدِ** سِفر أهْلِ الصّلاحِ
ذلك **عقدٌ** من **اليواقيتِ** أضْحَى	فوقَ جيدِ الزمانِ شمْسَ الصّلاحِ
سِفْرُ علم حوَى التفوّق حقاً	ولبَـاقي العـلُوم كالمفتَاحِ
وهو تصْنيفُ بهجةِ العَصْرِ صِدقاً	**عيدرُوس** الزمَان بَحْرِ السماحِ
الإمامُ الذي رقَى رتبةَ المجـ	ـدِ جِهاراً وزانَ فيه امتِداحي
طـوّل الله عـمْـرَه في سرُورٍ	وعَـوافٍ مصْحُوبةٍ بالفلاحِ

فنسأل الله تعالى مَولانا العظيمَ الأعظم، متوسلين إليه بالسيدِ الأكرَم ﷺ، رافعين الأكفَّ بالدّعاءِ، في أن يطيلَ عُمْر هذا السيدِ ويبقيه، وأن يديمَ بعَدد الأَنفاسِ واللحظاتِ ترقّيه وتلقيه، حتى ينتفعَ به الخاصُّ والعامّ، وتغمُرَ بركتُه جميعَ الأنام، فهو البقيةُ من المتقدّمينَ، والدليلُ الصادِق إلىٰ نَهْجِ العارفين، مع الألطافِ الشاملةِ، والعوافي الكاملة، آمينَ **اللهُمّ** آمين.

هذا ما أبرزَه الجنانُ، على اللسانِ، ورقمَه اليراعُ بالبنانِ، من التقريظِ على «**عقد اليواقيتِ الجوهرية**»، فالمؤملُ من كلِّ من اطلعَ عليه أن يسبلَ عليهِ ستر الرِّضَا والغفران، وأن يتجَاوزَ عن ما رآه فيه من خطأ أو نِسْيان، وأن يدْعوَ لي بنَيل ما ناله الكُمّلُ من الصادقين، وأن يمنحَني ما منحَه العبادَ المقرّبينَ، في خير وعافية:

وأن تجِدْ عيباً فسُدَّ الخلَـلا   فجـلَّ مـن لا عيـبَ فيـه وعَلا

قال ذلك بفَمِه، ورقمه بقلمه؛ العبد الفقير إلىٰ الله المنشي
شيخ بن محمد بن حسين الحبشي، العلوي الحسيني الحضرمي
عفا الله عنه آمين».

نبذة عن كاتب الرحلة وجامع الديوان
السيد الأديب حسين بن شيخ الحبشي

قبل أن تمثُلَ هذه الرحلة المباركة للطِّباعَة، قدِمَ علينَا من سيئون الطويلَة، إلىٰ جدَّة، أستاذُنا شيخُ الباحثين بحضْرموت، السيدُ المعمَّر، الأستاذ الكبير، جعفر ابن محمد السقاف، حفظه الله، وهو من أصْدقاء السيدِ حُسَين الحبشي، كاتبِ هذه الرِّحلة، وجامعُ ديوانِ أبيه.

ولما كانتِ النفوس متشوِّقةً إلىٰ التعرّفِ على شخصية هذا السيدِ الفاضل، ولقلَّة الأخبَار عنه، وعدَم توفُّر ترجمةٍ متكامِلةٍ له بين أيدي الباحثين، فقد رجوتُ الأستاذَ الكبير أن يكتُبَ ما يعرفه عن صَديقه السيدِ حسين بن شَيخ، فكتبَ حفظه الله هذه السطُورَ، التي أحببتُ أن لا تخلو عنها هَذه الرحلة، لـمـا لَها من تعلّقٍ ومساسٍ بها من نواحٍ عديدة.

حُسَينُ بن شيخ الحبشي

بقلم الأستاذ جعفر بن محمد السقاف

حمداً لربِّنا الرَّحيم، وصلاةً وسلاماً على النبي الكَريم، وآله وأصحابه أجمعين.

وبعدُ؛ فإنه لمن أحبِّ الأمورِ إلىٰ نفسي، الكتابةُ عن زميلي متعدِّد المواهبِ، الأديب، الشَّاعر، الصُّحُفي، الخطّاط، الإداري، حُسَينِ بن شيخ الحبشي، الذي

قضيتُ معَه زهرةَ عمري، منذ تأسيسِه (نادِيَ الشباب) بسيون سنة ١٣٥٨هـ، وحتى وفاته، سنة ...هـ. سنواتٌ مليئةٌ بجلائلِ الأعمال.

نشأ في بيئة الإمامِ علي الحبشي، حيث تنسكبُ ثقافةُ عقلٍ متفتحٍ، وعلومٍ صُوفيةٍ شَفّافة، وحضَارة متميزة، وفي رباطِ عمِّه عليٍّ الحبشي الذي يعجُّ بعلُوم وعلماءَ وحضراتٍ، طوالَ السَّاعات نهاراً، أما أسْمارُه ففي بيته مع أخَويه حامد وعبدالرحمن، رائدَي الغناء والموسيقى بحَضْرموت، وآلاتها الحديثة، ولم تحرِّمْهما مدرسة الحبشي، فحضَرها، وقال:

* قال الفتَى الحبْشي شجَاني البارِحَة صَوتُ الطرَبْ *

وحسَّن ختَامها الموسِيقار العِمْلاقُ علي السَّقاف، ابنُ أختِهم، فكان منهم ومعهم، وببيتِهم. لم تعرفْ سيئون بيتاً جمع بين العلْمِ والأدَب والفنِّ كبيتِ شَيخِ بن محمّدٍ الحبشي، صاحبِ هذه الرحلة.

في سنة ١٣٥٦هـ، وقد أكملَ تعليمه، تولَّى التدريس بمدرسَة (تريس) التي تبعُد عن سيون نحْو ٣ كم، يطويها مشياً أو علَى ظهورِ الحمير، فأنشأ جيلاً بهذه القرية، وتزوّج بها، وفارق. واستفادَ من مكتبات آل الجفري، ثم عادَ إلىٰ سيئون، وتولى وظيفَة إداريّ، مسَاعد مديرِ الإغاثة والزراعة، بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية. فكان نجَاحه في وظيفتيه التعليمية والإنسَانية بنسبة ٩٩٪ بكفاءةٍ وخلُقٍ طيب.

وفي سنة ١٣٥٨هـ، قامَ بتأسيس (نادي الشباب بسيون)، كند لـ(النادي العلمي) الذي أسّسَه علماؤنا؛ صالح بن علي الحامد، والحبيب عبدالقادر بن أحمد السقاف، وعمر بن محمد باكثير. وكنتُ بمعيته، وجيلٍ من شبابِ سيون. فأنجزَ أهداف النادي؛ حفلَةُ مولدٍ نبويٍّ سنوية، وإرسَالُ وفد سَنوي من أعضاء النادي إلىٰ المناطق الريفية: (الجوادة)، (يبهوض)، (عَسْنَبْ)، لنَشْر الدعوة الإسلامية.

وفي سنة ١٣٦٠هـ، أصدر باسْم النادي مجلّة «زهرة الشباب»، الخطية، خلالَ سنيِّ الحرب العالمية الثانية. فتولّى رئاسَة تحريرِها، ثم خلفَه عبدالقادر الصبان، ومحمد سالم الحامد، وأخيرا توليتُ أنا رئاسة تحريرها سنة ١٣٦٣هـ. فقد دبجَتْ يراعته بخَطِّه ومقالاته وأشعاره صَفحاتها المزْدانة بها.

وكان متفنناً تفنُّناً عجيباً بأشعارِه النّبوية، لتأثره بوالده وعمِّه الإمام علي الحبشي، ناهيكَ عن أشْعاره بمناسَبة الحول، ذكرَى وفاةِ عمه عليٍّ، السنوية، في شهر ربيع الثاني.

ولأنه يحبُّ الترويحَ عن النفسِ، كوالدِه، نظمَ أرجوزة مطولةً للشَّباب، عن لُعْبة (ورَق الكُوتْشِينة)، ومصْطلحاتها، وطريقة الفَوز على اللاعبين، وأسْماء أشكالها: (ديمن، سبيك، هارت، ..، والجوكر)!. مما يدلّ على قدرةٍ شعرية، وترَفٍ أدبي، كما أنّ ما خطَّه بقلمِه من كتبٍ وأشعَارٍ هضَمها، فصارتْ رافداً لثقافته الإبداعية.

وفي عام ١٣٦٤م، تولّى وظيفة كبرى، إدارة سِكرْتارية الدولة الكثيرية، ورئيسُها سالم عمر المشْهور، فكان له دورٌ في إرسَاءِ وتنظيم أرشيفها. وتحمِلُ ملفاتُها مئاتِ الوثائق الهامة بقلَمه، إضافةً إلىٰ توليه سكرتاريّة مجلسِ الدولة الكثيرية، ولأنه كسبَ خبرةً من أنظمة الحكُومة، صارَت المؤسسات الأخرى تستعينُ به في كتابة دسَاتيرها بملَكته الإنشائية، وخطِّه الجميل. ولديَّ دستورُ (نَادي الفتوة الثقافي الرياضي، وفرقة المسرح بسيون)، التي خطَّها بقلمِه، العناوين بالحمرة، والمواد بالأسود، كنموذج من مواهبه.

له «ديوان شعر»، وسجلتْ عدَستي العديدَ من صُوَره في المحافل الرسمية، كشخصية اجتماعية بارزة.

ورحلَ عنَّا؛ وهو في منتهى كمالِ الكهولة، سنة ؟؟١٣هـ، وخلّفَ ابنَين، وأحفاداً، لا زالَ سرُّه فيهِم، نبوغاً وأدباً، أكبرُهم أبوبكر، الذي عملَ معَنا في إدارة السياحة، وفي دوائِر أخرى، حالفَه فيها النجاح، حتى أقعدَه المرضُ، ولكنه ببيتِه، ومع أنجَاله ومع أمجادِ والدِهم الحسين، خيرُ خلفٍ لخيرِ سلَفٍ، وآخِرُ دعوانا أنِ الحمدُلله رب العالمين.

❊ والذِّكرُ للإنسانِ عمرٌ ثاني ❊

كتبه بجدة، جعفر بن محمد السقاف
٢٨/٦/١٤٣٢هـ

مصادر ومراجع التحقيق

المخطوطات:

١ ـ ابن شهاب، أبوبكر بن علي، **رحلة الأسفار**، طبعة خاصة، مصورة عن خط مؤلفها، قام بنشرها وترجمة نصها إلىٰ اللغة الملايوية ابنه حامد بن أبي بكر بن شهاب.

٢ ـ باكثير، علي بن أحمد، **شعراء حضرموت**، نسخة خاصة بقلمه.

٣ ـ الحبشي، أبوبكر بن أحمد، **كناشة**، نسخة خاصة، بقلم يده.

٤ ـ الحبشي، علي بن محمد، **مجموع المكاتبات**، بقلم العلامة عبدالقادر بن أحمد السقاف (نسخة خاصة)، في مجلد كبير.

٥ ـ عدة مؤلفين، **الشجرة العلوية الكبرى**، نسخة خاصة.

٦ ـ الكاف، عمر بن علوي، **الفرائد الجوهرية في تراجم رجال الشجرة العلوية**، مخطوط، نسخة خاصة، في ثلاثة أجزاء.

٧ ـ الهادي، محمد بن سقاف، **الفوائد الدرية من الأنفاس الحدادية**، نسخة خاصة.

المطبوعات:

١ ـ آل رشيد، محمد بن عبدالله، **إمداد الفتاح بأسانيد ومرويات الشيخ عبدالفتاح**، (الرياض، مكتبة الإمام الشافعي، ١٤١٩هـ).

٢ ـ آل رشيد، محمد بن عبدالله، **الإعلام بتصحيح كتاب الأعلام**، (الرياض، مكتبة الإمام الشافعي، بالتعاون مع دار ابن حزم، بيروت، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م).

٣ ـ ابن أبي عاصم، **السنة**، (بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٠٠هـ).

٤ـ ابن جبير، **رحلة ابن جبير**، (بيروت، دار الشرق العربي، د.ت).

٥ـ ابن حفيظ، سالم، **منحة الإله في الاتصال ببعض أولياه**، بعناية محمد أبوبكر باذيب، (تريم، دار المقاصد، ١٤٢٨هـ).

٦ـ ابن خلكان، أحمد بن محمد، **وفيات الأعيان**، تحقيق إحسان عباس، (بيروت، دار صادر، د.ت).

٧ـ ابن سميط، عمر بن أحمد، **النفحة الشذية من الديار الحضرمية**، (طبعة خاصة على نفقة الشيخ محمد باشيخ، بدون بيانات).

٨ ـ ابن شبة، عمر بن شبة النمري، **تاريخ المدينة المنورة**، تحقيق فهيم شلتوت، (طبع على نفقة السيد حبيب محمود أحمد الفيض أبادي).

٩ـ ابن طولون، محمد بن علي، **القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية**، (دمشق، مجمع اللغة العربية، ١٩٨١م).

١٠ـ ابن عابدين، محمد أمين بن عمر، **ثبت ابن عابدين المسمّى عقود اللآلئ في الأسانيد العوالي**، تحقيق محمد بن إبراهيم الحسين، (بيروت، دار البشائر الإسلامية، ١٤٣١هـ).

١١ـ ابن العماد، عبدالحي، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، تحقيق محمود الأرنؤوط، (دمشق، دار ابن كثير، ١٤٠٦هـ).

١٢ـ أرسلان، الأمير شكيب، **القول الفصل في رد العامي إلىٰ الأصل**، قدم له وعلق حواشيه محمد خليل الباشا، (المختارة، الشوف، لبنان، الدار التقدمية، ط٢، ٢٠٠٨م).

١٣ـ الأكوع، إسماعيل بن علي، **هجر العلم ومعقله في اليمن**، (بيروت: دار الفكر المعاصر، ١٤١٦/ ١٩٩٥م).

١٤ـ أمين، محمد محمد، وليلى علي إبراهيم، **المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية**، (القاهرة: دار النشر بالجامعة الأمريكية، ١٩٩٠م).

١٥ـ الأنصاري، عبدالقدوس، **مع ابن جبير في رحلته**، (القاهرة: المطبعة العربية الحديثة، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م).

١٦ـ باذيب، محمد أبوبكر عبدالله، **المحاسن المجتمعة في مآثر الإخوة الأربعة**، (الأردن، دار الفتح للدراسات، ١٤٢٦هـ).

١٧ـ باذيب، محمد أبوبكر عبدالله، **السيد أحمد بن عمر بافقيه من رواد الصحافة العربية في القرن العشرين**، (الأردن، دار الفتح للدراسات، ١٤٢٧هـ).

١٨ـ باذيب، محمد أبوبكر عبدالله، **أضواء على حركة نشر التراث الحضرمي في المهجر خلال قرنين ١٨٤٠-٢٠١١م**، (نسخة مرقومة على الحاسوب).

١٩ـ باذيب، محمد أبوبكر عبدالله، **العرف الوردي في ترجمة ومشيخة الشيخ وصفي المسدي**، (الأردن، دار الفتح للدراسات، ١٤٢٦هـ).

٢٠ـ باذيب، محمد أبوبكر عبدالله، **جهود فقهاء حضرموت في خدمة المذهب الشافعي**، (الأردن، دار الفتح للدراسات، ١٤٣١هـ).

٢١ـ بافقيه، عمر بن أحمد، **صلة الأخيار بالرجال الأئمة الكبار**، (سنغافورة، مطبعة كرجاي، ١٤١٢هـ).

٢٢ـ باكثير، علي أحمد، **أزهار الربا في شعر الصبا**، تحقيق محمد أبوبكر حميد، (بيروت، دار المناهل وجدة، الدار اليمنية للتوزيع، ١٤٠٨هـ).

٢٣ـ البرعي، عبدالرحيم بن أحمد، **ديوان البرعي**، (بيروت، دار الحاوي، ١٤٢٨/ ٢٠٠٧م).

٢٤ـ البغدادي، إسماعيل باشا، **هدية العارفين في أسماء المصنفين**، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، مصورا عن الطبعة الأولى بتركيا، د.ت).

٢٥ـ البلادي، عاتق بن غيث، **الإشراف على تاريخ الأشراف**، (بيروت: دار النفائس، ١٤٢٣/ ٢٠٠٢م)،

٢٦ـ البيهقي، أحمد بن الحسين، **شعب الإيمان**، (الرياض، مكتبة الرشد،).

٢٧ـ بيلا، زكريا بن عبدالله، **الجواهر الحسان في تراجم الفضلاء والأعيان من أساتذة وخلان**، دراسة وتعليق عبدالوهاب أبوسليمان ومحمد إبراهيم أحمد علي، (لندن، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، فرع موسوعة مكة المكرمة، ١٤٢٧هـ).

٢٨ـ الترمذي، محمد بن عيسى، **الجامع الصحيح**، تحقيق أحمد شاكر، (بيروت، دار إحياء التراث العربي).

٢٩ـ تيمور، أحمد باشا، التذكرة التيمورية معجم الفوائد ونوادر المسائل، (مطابع دار الكتاب العربي بمصر، لجنة نشر المؤلفات التيمورية، ١٩٥٣م).

٣٠ـ الجنيد، عبدالقادر بن عبدالرحمن، تهذيب النفس بما ورد من الآداب والوصايا في الإجازات الخمس، بعناية محمد أبوبكر باذيب، (الأردن، دار الفتح للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ).

٣١ـ الجويني، عبدالملك بن يوسف، نهاية المطلب في دراسة المذهب، تحقيق عبدالعظيم الديب، (جدة: دار المنهاج، ١٤٢٨/ ٢٠٠٨م).

٣٢ـ حاجي خليفة، مصطفى بن عبدالله، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، مصورا عن الطبعة الأولى بتركيا، د.ت).

٣٣ـ الحافظ، محمد مطيع، دار الحديث النورية، (دمشق، دار الفكر المعاصر، ١٤٢١هـ).

٣٤ـ الحافظ، محمد مطيع، الجامع الأموي بدمشق، نصوص لابن جبير والعمري والنعيمي، (دمشق، دار ابن كثير، ١٤٠٥/ ١٩٨٥م).



٣٥ـ الحافظ، محمد مطيع، ونزار أباظة، تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري، (دار الفكر، دمشق، ١٤٠٦/١٩٨٦م).

٣٦ـ الحافظ، محمد مطيع، ونزار أباظة، المستدرك على تاريخ علماء دمشق، (دمشق، دار الفكر، ١٤١٢هـ).

٣٧ـ الحاكم، أبوعبدالله أحمد بن علي، مستدرك الحاكم، (بيروت، دار الكتب العلمي، مصورة، د.ت).

٣٨ـ الحبشي، أبوبكر بن أحمد، الدليل المشير إلى فلك أسانيد الاتصال بالحبيب البشير ﷺ، (طبعة خاصة، توزيع المكتبة المكية، ١٤١٨هـ).

٣٩ـ الحبشي، عبدالله بن محمد، الرحالة اليمنيون ورحلاتهم شرقا وغرباً، (صنعاء، مكتبة الإرشاد، ١٤٠٩هـ).

٤٠ـ الحبشي، عبدالله بن محمد، جامع الشروح والحواشي، (أبوظبي، المجمع الثقافي، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م).

٤١ـ الحبشي، علي بن محمد، **الجوهر المصون والسر المكنون**، (بتاوي، ١٣٣٩هـ طبعة خاصة على نفقة ابنه محمد).

٤٢ـ الحبشي، عيدروس بن عمر، **عقد اليواقيت الجوهرية وسمط العين الذهبية بذكر طريق السادات العلوية**، اعتنى بتحقيقه محمد أبوبكر عبدالله باذيب، (الأردن، دار الفتح للدراسات، ١٤٣٠هـ).

٤٣ـ الحداد، عبدالله بن علوي، **الدر المنظوم لذوي العقول والفهوم**، (مصححة بمعرفة السيد عبدالقادر خرد، الطبعة الثانية من نوعها، ١٤٢٢هـ).

٤٤ـ الخطيب، عبدالعزيز محمد سهيل، **غرر الشآم في تراجم آل الخطيب الحسنية ومعاصريهم**، (دمشق: دار حسان، ١٤١٧/ ١٩٩٦م).

٤٥ـ دوزي، رينهارت (هولندي)، **تكملة المعاجم العربية**، ترجمة محمد سليم النعيمي، (بغداد، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، ١٩٧٨م).

٤٦ـ الديلمي، **فردوس الأخبار بمأثور الخطاب المخرج على كتاب الشهاب**، قدم له وحققه وخرج أحاديثه فواز أحمد الزمرلي ومحمد المعتصم بالله البغدادي، (القاهرة، دار الريان، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م).

٤٧ـ الذهبي، محمد بن أحمد، **سير أعلام النبلاء**، مجموعة من المحققين، (بيروت، دار الرسالة، الطبعة الحادية عشر، ١٤٢٢هـ).

٤٨ـ الذهبي، محمد بن أحمد، **العبر في خبر من عبر**، للذهبي، تحقيق بسيوني زغلول، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت).

٤٩ـ الزبيدي، مرتضى الحسيني، **تاج العروس من جواهر القاموس**، (نسخة رقمية).

٥٠ـ الزركلي، خير الدين، **الأعلام**، (بيروت، دار العلم للملايين، ط١٢، ١٩٩٢م).

٥١ـ الزمخشري، جار الله، **المستقصى من أمثال العرب**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ طبعة مصورة عن طبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدرأباد، ١٩٧٧م).

٥٢ـ الزيات، شمس الدين محمد، **الكواكب السيارة في ترتيب الزيارة**، (القاهرة، تصوير المكتبة الأزهرية، د.ت).

٥٣ـ السجستاني، أبوداود سليمان بن الأشعث، **سنن أبي داود**، (بيروت، دار الكتاب العربي).

٥٤ـ السخاوي، نور الدين علي بن أحمد، **تحفة الأحباب وبغية الطلاب في الخطط والمزارات والتراجم والبقاع المباركات**، (القاهرة، مكتبة الكليات الأزهرية، ط٢، ١٤٠٦هـ).

٥٥ـ سركيس، يوسف إليان، **معجم المطبوعات العربية والمعربة**، (بيروت، دار صادر، مصورا عن طبعته الأولى الصادرة عام ١٣٤٦هـ).

٥٦ـ السقاف، طه بن حسن، **فيوضات البحر الملي**، (بيروت، دار الحاوي، ١٤٢٦هـ).

٥٧ـ السقاف، عبدالرحمن بن عبيدالله، **إدام القوت أو معجم بلدان حضرموت**، اعتنى به تاريخيا محمد أبوبكر باذيب، (جدة، دار المنهاج، ١٤٢٥هـ).

٥٨ـ السقاف، عبدالله بن محمد، **تاريخ الشعراء الحضرميين**، (الطائف، مكتبة المعارف، مصورا عن طبعة مصر، د.ت).

٥٩ـ السقاف، علوي بن عبدالله، **التلخيص الشافي من تاريخ آل طه بن عمر الصافي**، (القاهرة، مطابع المكتب المصري الحديث، ١٤٠٨هـ).



٦٠ـ سليمان، أحمد السعيد، **تأصيل ما ورد في تاريخ الجبرتي من الدخيل**، (القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٩م).

٦١ـ السمهودي، علي بن عبدالله، **وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى**، تحقيق قاسم السامرائي، (لندن، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ١٤٢٢/ ٢٠٠١م).

٦٢ـ السنباوي، محمد بن محمد الأمير، **ثبت الأمير الكبير**، تحقيق محمد بن إبراهيم الحسين، (بيروت، دار البشائر الإسلامية، ١٤٣٠هـ).

٦٣ـ السندي، محمد عابد، **حصر الشارد من أسانيد محمد عابد**، تحقيق خليل بن عثمان الجبوري السبيعي، (الرياض، مكتبة الرشد، ١٤٢٤هـ).

٦٤ـ السويدي، عبدالله بن الحسين البغدادي، **النفحة المسكية في الرحلة المكية**، ، تحقيق عماد عبدالسلام رؤوف، (بغداد، وزارة الثقافة والفنون، ١٩٧٨م).

٦٥ـ السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن، **الحاوي للفتاوي**، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، (بيروت: المكتبة العصرية، ١٤١١/ ١٩٩١م).

٦٦ـ الشافعي، محمد بن إدريس، **ديوان الإمام الشافعي**، جمع وتحقيق مصطفى بهجت، (دمشق، دار القلم، ط٢، ١٤٢٤/ ٢٠٠٣م).

٦٧ـ الشطي، محمد جميل، **أعيان دمشق في القرن الثالث عشر ونصف من القرن الرابع عشر**، (دمشق، دار البشائر، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م).

٦٨ـ صديق، أبو هشام عبدالله، **الأسر القرشية أعيان مكة المحمية**، (جدة، مطبوعات تهامة، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م).

٦٩ـ الصواف، محمد شريف عدنان، **معجم الأسر والأعلام الدمشقية**، (دمشق، بيت الحكمة، ١٤٢٤/ ٢٠٠٣م).

٧٠ـ عبدالرحيم، ف، (فانيا مبادي)، **الدخيل في اللغة العربية الحديثة**، (طبعة خاصة، مطبعة أوفست حلب. د.ت).

٧١ـ العجلوني، إسماعيل بن محمد، **حلية أهل الفضل والكمال باتصال الأسانيد بكمَّل الرجال**، تحقيق محمد ابراهيم الحسين، (الأردن، دار الفتح للدراسات والنشر، ١٤٣٠هـ).

٧٢ـ العجلوني، إسماعيل بن محمد، **كشف الخفاء ومزيل الالباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس**، اعتنى به أحمد قلاش، (القاهرة، مكتبة دار التراث، د.ت).

٧٣ـ العجمي، محمد بن ناصر، **آل القاسمي ونبوغهم في العلم والتحصيل**، (بيروت: دار البشائر الإسلامية، ١٤٢١/ ١٩٩٩م).

٧٤ـ العطاس، أحمد بن حسن، **مجموع رحلات الإمام أحمد بن حسن العطاس**، جمعها ورتبها ابنه علي بن أحمد العطاس، (طبعة خاصة، الطبعة الأولى، ١٣٧٩هـ/ ١٩٥٩م).

٧٥ـ العطاس، علي بن حسين، **تاج الأعراس على مناقب القطب صالح بن عبدالله العطاس**، (إندونيسيا، قدُس، مطبعة منارة قدُس، بدون تاريخ).

٧٦ـ عقيلة، محمد بن أحمد، **الفوائد الجليلة في مسلسلات ابن عقيلة**، تحقيق وتعليق محمد رضا قهوجي، (بيروت، دار البشائر الإسلامية، ١٤٢١هـ).

٧٧ـ العياشي، إبراهيم بن عبدالله، **المدينة المنورة بين الماضي والحاضر**، (المدينة المنورة، المكتبة العلمية، ١٣٩٢هـ).

٧٨ـ العيدروس، عبدالقادر بن شيخ، **النور السافر من أخبار القرن العاشر**، تحقيق عبدالقادر الأرنؤوط وآخرون، (بيروت، دار صادر، ٢٠٠١م).

٧٩ـ العيدروس، عبدالرحمن بن مصطفى، **العرف العاطر في معرفة الخواطر وغيرها من الجواهر**، اعتنى به منير سالم بازهير، (مركز النور للدراسات والأبحاث، تريم، حضرموت، ١٤٢٤/ ٢٠٠٣).

٨٠ ـ غازي، عبدالله بن محمد، **فتح القوي في أسانيد حسين الحبشي**، بعناية محمد أبوبكر الحبشي، (بيروت: دار الحاوي، ١٤٢٤هـ).

٨١ ـ الغماري، أحمد بن الصديق، **البحر العميق في مرويات ابن الصديق**، (القاهرة، دار الكتبي، د.ت).

٨٢ ـ الغانمي، عبدالله ماهر بن مبيريك، **آل مبيريك شيوخ وأمراء رابغ منذ عام ١٢٥٦هـ حتى الآن**، (الطبعة الأولى، طبعة خاصة، د.ن، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م).

٨٣ ـ الفاداني، محمد ياسين، **إتحاف الإخوان باختصار مطمح الوجدان في أسانيد الشيخ عمر حمدان**، (بيروت، دار البصائر، ط٢، ١٤٠٦هـ).

٨٤ ـ كتبي، أنس، **أعلام من أرض النبوة**، (طبعة خاصة، ١٤١٥هـ).

٨٥ ـ العمري، حسين عبدالله، **يمانيات في التاريخ والثقافة والسياسة**، (دمشق، دار الفكر المعاصر، ١٤١٦/ ١٩٩٦م).

٨٦ ـ المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية،

٨٧ ـ القاسمي، جمال الدين، **رحلتي إلىٰ القدس**، تحقيق محمد ناصر العجمي، (بيروت، دار البشائر الإسلامية، ١٤٣١هـ).

٨٨ ـ القاسمي، جمال الدين، **طبقات مشاهير الدمشقيين**، تحقيق محمود عبدالقادر الأرنؤوط، (دمشق، دار البيروتي ودار البلخي، ١٤٢٧/ ٢٠٠٦م).

٨٩ ـ الكاتب، علي بن موسى التركي، **وصف المدينة المنورة**، تحقيق حمد الجاسر، (الرياض، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م).

٩٠- الكتاني، عبدالحي بن عبدالكبير، **فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات**، تحقيق إحسان عباس، (بيروت، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ).

٩١- الكتاني، محمد بن جعفر، **الرحلة السامية إلىٰ الاسكندرية ومصر والحجاز والبلاد الشامية**، تحقيق محمد بن عزوز وحمزة الكتاني، (بيروت، دار ابن حزم، بالتعاون مع مركز التراث الثقافي المغاربي).

٩٢- كحالة، عمر رضا، **معجم المؤلفين**، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٤هـ).

٩٣- كيدو، أكرم، **مؤسسة شيخ الإسلام في الدولة العثمانية**، ترجمة هاشم الأيوبي، (طرابلس لبنان، منشورات جروس برس، ١٩٩٢م).

٩٤- المالح، محمد رياض، **الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي**، (أبوظبي، المجمع الثقافي، ١٤٢٨/ ٢٠٠٧م).

٩٥- مجاهد، زكي محمد، **الأعلام الشرقية في المائة الرابعة عشر الهجرية**، (بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط٢، ١٩٩٤م).

٩٦- المحبي، محمد أمين، **خلاصة الأثر في تاريخ القرن الثاني عشر**، (مصور عن الطبعة المصرية الأولى، الصادرة عام ١٢٨٤هـ).

٩٧- مخلوف، محمد بن محمد، **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، (بيروت، دار الفكر، طبعة مصورة، بدون تاريخ).

٩٨- مرداد، عبدالله أبوالخير، **المختصر من نشر النور والزهر**، اختصار محمد سعيد العامودي وأحمد علي، (جدة، عالم المعرفة، ط٢، ١٤٠٦هـ).

٩٩- مرشد، أحمد أمين، **طيبة وذكريات الأحبة**، جـ١ (طبعة خاصة، توزيع الشركة السعودية للنشر والتوزيع، ط٣، ١٤١٦هـ).

١٠٠- مرشد، أحمد أمين، **طيبة وذكريات الأحبة**، جـ٢ (طبعة خاصة، توزيع الشركة السعودية للنشر والتوزيع، ١٤١٦هـ).

١٠١- مرشد، أحمد أمين، **طيبة وذكريات الأحبة**، جـ٣ (طبعة خاصة، توزيع الشركة السعودية للنشر والتوزيع، ١٤١٦هـ).

١٠٢- مرشد، أحمد أمين، **طيبة وذكريات الأحبة**، جـ٥ (طبعة خاصة، ١٤٢٧هـ).

١٠٣- المشهور، أبوبكر بن علي، **لوامع النور**، (صنعاء، دار المهاجر، ١٤١٢هـ).

١٠٤ـ المشهور، أبوبكر بن علي، **جني القطاف من مناقب وأحوال الإمام العلامة خليفة الأسلاف عبدالقادر بن أحمد بن عبدالرحمن السقاف**، (تريم، دار المهاجر، ١٤١٩هـ).

١٠٥ـ المشهور، عبدالرحمن بن محمد، **شمس الظهيرة الضاحية المنيرة في نسب أهل البيت من بني علوي فروع فاطمة الزهراء وأمير المؤمنين علي**، حققه محمد ضياء شهاب، (جدة، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م).

١٠٦ـ المعجم الوسيط.

١٠٧ـ مطلوب، أحمد، **العارف عبدالغني النابلسي**، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٤).

١٠٨ـ مغربي، محمد علي، **أعلام الحجاز**، (جدة، مكتبة تهامة، ١٤٠١هـ).

١٠٩ـ مفتي، سحر عبدالرحمن، **أثر الوقف الإسلامي في الحياة العلمية بالمدينة المنورة**، (المدينة المنورة، مركز دراسات وبحوث المدينة المنورة، ١٤٢٤هـ).

١١٠ـ ممدوح، محمود سعيد، **تشنيف الأسماع بشيوخ الإجازة والسماع**، (القاهرة، دار الشباب، د.ت).

١١١ـ المناوي، عبدالرؤوف، **فيض القدير شرح الجامع الصغير**، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م).



١١٢ـ مولى الدويلة، أحمد بيك بن فضل باشا، **الأنوار المحمدية والآثار الأحمدية**، (أستانبول، المطبعة الخيرية، ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م).

١١٣ـ النبهاني، يوسف بن إسماعيل، **جامع كرامات الأولياء**، (بيروت: دار الفكر، ١٤١٤/ ١٩٩٣م).

١١٤ـ النسائي، أحمد بن شعيب، **المجتبى من السنن الكبرى**، رقمها عبدالفتاح أبوغدة، (حلب، مكتب المطبوعات الإسلامية، ط٢، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م).

١١٥ـ النشوقاتي، عمر موفق، **مجموع الأثبات الحديثية لآل الكزبري الدمشقيين وسيرهم وإجازاتهم**، (بيروت، دار البشائر الإسلامية، ودار النوادر، ١٤٢٨هـ).

١١٦ـ نظامي، الشيخ حسن، **رحلة خواجة حسن نظامي الدهلوي في مصر وفلسطين والشام والحجاز ١٩١١م**، تحقيق سمير عبدالحميد إبراهيم، (القاهرة، المشروع القومي للترجمة، ٢٠٠٢م).

١١٧ـ النعيمي، عبدالقادر بن محمد، **الدارس في تاريخ المدارس**، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٠/ ١٩٩٠م).

فهرس الأعلام(*)

(*) فهرس الأعلام لا يتناول حواشي التحقيق.







❊ ❊ ❊

فهرس أسماء الكتب الواردة في نص الرحلة







فهرس المواضع والبلدان





❊ ❊ ❊

فهرس ألفاظ الحضارة والمصطلحات





الفهرس التفصيلي للمحتـويات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة



الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة



الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة





الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة



❊ ❊ ❊

الفهـرس الإجمالي للمحتويـات

أعمال ومشاركاتٌ صدرَتْ للمحقّق(*)

١ـ **النورين في إصلاح الدارين**، تأليف محمد بن عبدالرحمن الحبيشي، (ترجمة المؤلف)، صدرت الطبعة الأولى عن دار الحاوي للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، والثانية عن دار المنهاج ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

٢ـ **نشرُ طيِّ التعريفِ في فضْل حمَلَة العلمِ الشريفِ والردُّ على مَاقِتِهم السَّخيف**، تأليف محمد بن عبدالرحمن الحبيشي، (ترجمة المؤلف)، صدرت الطبعة الأولى عن دار المنهاج ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، والثانية ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.



٣ـ **الكوكب اللامع فيما أهمل من تاريخ يافع**، تأليف عبدالله بن أحمد الناخبي، (مشاركة في التصحيح)، صدر عن دار الأندلس الخضراء، جدة، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

٤ـ **القول المعروف في فضل المعروف**، أربعون حديثاً، تأليف مرعي الكرمي الحنبلي، (تحقيق)، صدر عن دار البشائر الإسلامية، بيروت، ٢٠٠٠م.

٥ـ **نشر ألوية التشريف بالإعلام والتعريف بمن له ولاية عمارة ما سقط من البيت الشريف**، تأليف محمد علي ابن علان البكري الصديقي، (تحقيق)، صدر عن دار البشائر الإسلامية، بيروت، ٢٠٠١م.

٦ـ **مواهب الديان شرح فتح الرحمن**، تأليف سعيد بن محمد باعشن، (ترجمة المؤلف، وكلمة عن عناية علماء حضرموت بمتن فتح الرحمن)، صدر عن دار المنهاج، جدة، ط١: ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، وط٢: ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م.

٧ـ **زيتونة الإلقاح شرح منظومة ضوء المصباح في أحكام النكاح**، تأليف عبدالله بن أحمد باسودان، ومعها كتاب: منح الفتاح على ضوء المصباح، لشيخ الأزهر إبراهيم الباجوري، (ترجمة

(*) مرتبة على تاريخ صدورها.

الباجوري، مع كلمة عن عناية علماء حضرموت بالأنكحة)، صدر عن دار المنهاج، جدة، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

٨ـ **مجمع الأحباب وتذكرة أولي الألباب**، تأليف محمد بن الحسن الواسطي، (نبذة عن عناية علماء حضرموت بالكتاب)، صدر عن دار المنهاج، جدة، ط١: ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

٩ـ **الإمام الداعية الحبيب أحمد مشهور الحداد**، تأليف حامد بن أحمد مشهور الحداد، (مراجعة وتصحيح)، صدر عن دار الفتح، الأردن، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

١٠ـ **ترياق القلوب والأبصار بالتنبيه على العلوم التي تضمنها سيد الاستغفار**، تأليف أحمد بن زين الحبشي، (تحقيق)، صدر عن دار الفتح، الأردن، ٢٠٠٣م.

١١ـ **البلابل الصادحة على أغصان سورة الفاتحة**، تأليف عبدالله بن أبي بكر باشعيب، (تحقيق)، صدر عن دار المنهاج، جدة، ٢٠٠٣م.

١٢ـ **ديوان شاعر الدولة الشيخ عبدالله بن أحمد الناخبي**، (تصحيح ومراجعة)، صدر في طبعة خاصة على نفقة الشاعر، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٣م.

١٣ـ **سمط العقيان شرح منظومة رياضة الصبيان وبغية الإخوان**، تأليف عبدالله بن أحمد باسودان، (تحقيق)، صدر عن دار المنهاج، جدة، ٢٠٠٤م.

١٤ـ **الأنوار اللامعة والتتمات الواسعة على الرسالة الجامعة والتذكرة النافعة**، تأليف عبدالله بن أحمد باسودان، (تحقيق)، صدر عن دار الفتح للدراسات، الأردن، ٢٠٠٤م.

١٥ـ **إدام القوت أو معجم بلدان حضرموت**، تأليف عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف، (اعتنى به تاريخيًا) صدر عن دار المنهاج، جدة، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

١٦ـ **إفادة النفس والإخوان فيما يجب تعلمه على كل إنسان**، تأليف عمر بن إبراهيم مشغان شراحيل الشبامي، (تحقيق)، صدر عن دار الفتح، الأردن، ٢٠٠٤م.

١٧ـ **القول الأغر في مدح سيد البشر ﷺ**، نظم أحمد بن عمر باذيب، (شرح وتعليق)، صدر عن دار الفتح، الأردن، ٢٠٠٤م.

١٨ـ **إجازة عامة في أسانيد ومرويات الشيخ عبدالله بن أحمد الناخبي**، (جمع وإعداد)، صدر عن دار الفتح، ٢٠٠٤م.

١٩ـ **ديوان ابن جبران**، نظم محمد جبران بن عوض جبران، (جمع وتصحيح وتقديم)، صدر عن دار الفتح، الأردن، ٢٠٠٤م.

٢٠ـ **تحفة الإخوان بشرح فتح الرحمن**، تأليف سالم بن عبدالرحمن باصهي، (تقديم ومراجعة)، صدر عن دار الفتح، الأردن، ٢٠٠٤م.

٢١ـ **المنهج القويم بشرح مسائل التعليم**، تأليف ابن حجر الهيتمي، ومعه حاشية الجرهزي الزبيدي، (ترجمة مؤلف المتن والشارح وصاحب الحاشية)، صدر عن دار المنهاج، جدة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م.

٢٢ـ **شرح المقدمة الحضرمية المسمى بشرى الكريم بشرح مسائل التعلم**، تأليف سعيد بن محمد باعشن، (ترجمة المؤلف)، صدر عن دار المنهاج، جدة، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.



٢٣ـ **مسطور الإفادة بما يعين على الحضور في العبادة**، تأليف محمد بن الحسين الأسلافي اليمني، (التمهيد وترجمة المؤلف)، صدر عن دار المنهاج، جدة، ط٢، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م.

٢٤ـ **مجموع مواعظ وكلام الإمام أحمد بن عمر بن سميط**، (تحقيق) صدر عن دار الفتح للدراسات والنشر، الأردن، ٢٠٠٥م.

٢٥ـ **تقريب الشاسع في ترتيب وظيفة الجامع**، تأليف عوض بن محمد عقبة سديس الشبامي، (تحقيق)، صدرت طبعته الأولى عن دار الفتح، الأردن، ٢٠٠٥م (ملحقاً بكتاب مجموع مواعظ ابن سميط). وطبعته الثانية مهيأة للإصدار مستقلة.

٢٦ـ **العرف الوردي في ترجمة ومشيخة فضيلة العالم المربي الخطيب الواعظ وصفي المسدِّي، من علماء مدينة حمص**. (جمع وتأليف)، صدر عن دار الفتح، الأردن، ٢٠٠٥م.

٢٧ـ **تهذيب النفس بما ورد من الآداب والوصايا في الإجازات الخمس**، (تصحيح ومراجعة وتقديم)، صدر عن دار الفتح، الأردن، ٢٠٠٥م.

٢٨ـ **أربعون حديثاً في فضل القرآن الكريم**، جمعها عبدالرحمن بن عبدالله بلفقيه، (تحقيق)، صدر عن دار البشائر الإسلامية، بيروت، ٢٠٠٥م.

٢٩ـ **منحة الإله في الاتصال ببعض أولياء**، تأليف سالم بن حفيظ ابن الشيخ أبي بكر بن سالم، (تقديم وتعليق)، صدر عن دار المقاصد، تريم، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

٣٠ـ **المحاسن المجتمعة في مآثر الإخوة الأربعة**، (جمع وترتيب)، صدر عن دار الفتح، الأردن، ٢٠٠٥م.

٣١ـ **القول المختار فيما لآل العمودي من الأخبار**، تأليف عبدالله بن أحمد الناخبي، (تقديم ومراجعة وتعليق)، صدر عن دار الفتح، الأردن، ٢٠٠٥م.

٣٢ـ **من مقالات الأستاذ محمد بن هاشم العلوي**، (جمع وترتيب)، صدر عن دار الفتح، الأردن، ٢٠٠٥م.

٣٣ـ **فتاوى ابن مزروع الشبامي**، جمعها أحمد شريف بن علي خرد باعلوي، (تحقيق)، صدرت عن دار الفتح، الأردن، ٢٠٠٧م.

٣٤ـ **الذخائر القدسية في زيارة خير البرية**، تأليف عبدالحميد قدس المكي، (ترجمة المؤلف)، صدر عن دار الحاوي، بيروت، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

٣٥ـ **جواهر تاريخ الأحقاف**، تأليف محمد بن علي زاكن باحنان، (مشاركة في التصحيح والتعليق)، صدر عن دار المنهاج، جدة، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٨م.

٣٦ـ **المنهج السوي شرح أصول السادة آل باعلوي**، تأليف زين بن إبراهيم بن سميط، (مشاركة في تراجم الأعلام)، صدر عن دار الفتح، الأردن، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

٣٧ـ **الحديث والمحدثون في اليمن**، (تأليف)، صدر عن دار حضرموت للدراسات والنشر والتوزيع، المكلا، حضرموت، اليمن، ٢٠٠٨م.

٣٨ـ **السيد أحمد بن عمر بافقيه من رواد الصحافة العربية في القرن العشرين، سيرة حياته ونماذج من مقالاته**، (تأليف)، صدر عن دار الفتح، الأردن، ٢٠٠٨م.

٣٩ـ **كنز النجاح والسرور في الأدعية المأثورة التي تشرح الصدور**، تأليف عبدالحميد قدس المكي، (ترجمة المؤلف)، صدر عن دار الحاوي، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

٤٠ـ **الرحلة السميطية إلى الديار الحضرمية**، قام بها عمر بن أحمد بن سميط، دون أحداثها تلميذه محمد جبران بن عوض جبران الشبامي، (تحقيق)، صدرت عن دار الفتح، الأردن، ٢٠٠٩م.

٤١- **صدى السنين ورجع الأنين**، ديوان شعر، نظم أحمد بن علي بافقيه، (جمع ومراجعة وتقديم)، صدر عن دار الفتح، الأردن، ٢٠٠٩م.

٤٢- **عقد اليواقيت الجوهرية وسمط العين الذهبية بذكر طريق السادات العلوية وما أثر عهم من إجازة ووصية**، تأليف عيدروس بن عمر الحبشي، جزآن، (تحقيق)، صدر عن دار الفتح، الأردن، ٢٠٠٩م.

٤٣- **الوسيلة المعظمة**، نظم محمد بن زين بن سميط، (تقديم ومراجعة)، صدرت عن دار الفتح، الأردن، ٢٠٠٩م.

٤٤- **عقود اللجين بتراجم شيوخ الحبيب زين**، (جمع وترتيب)، صدر عن دار الفتح، الأردن، ٢٠٠٩م.

٤٥- **جهود فقهاء حضرموت في خدمة المذهب الشافعي**، جزآن، (تأليف)، صدر عن دار الفتح، الأردن، ٢٠٠٩م.



٤٦- **الاستزادة من أخبار السادة**، تأليف علي بن محسن السقاف، جزآن، (مراجعة وتصحيح)، صدر في طبعة خاصة على نفقة المؤلف، ٢٠٠٩م.

٤٧- **رسالة في أحكام الحيض والنفاس والاستحاضة**، تأليف محمد بن علي الخطيب، (تقديم وتصحيح)، صدرت طبعتها الأولى عن دار الفتح، الأردن، ٢٠٠٣م، والثانية عام ٢٠١٠م.

٤٨- **نصب الشرك لاقتناص ما تشتد إليه الحاجة من علم الفلك**، تأليف عثمان بن أبي بكر العمودي، (مراجعة وتصحيح)، صدر عن دار الفتح، الأردن، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

٤٩- **طراز أعلام الزمن في طبقات أعيان اليمن**، تأليف علي بن الحسن الخزرجي، (مراجعة الجزأين الأول والثاني، لصَالح دار المنهاج، مع التعليق على مواضع مهمة في الكتاب).

٥٠- **أضواء على حركة نشر التراث الحضرمي في المهجر ١٨٤٠-٢٠١١م**، (تأليف)، قيد الطباعة.

٥١- **إدام القوت بين العناية والجناية**، (تأليف)، قيد الطباعة.

٥٢- **الشاهد المقبول في الرحلة إلى الشام ومصر وإسطنبول**، تأليف شيخ بن محمد الحبشي، (تحقيق)، وهو الكتاب الذي بين يدي القارئ الكريم.





هذه الرِّحلة

«هذه الرحلة من أوسع ما وقفت عليه في مجال الرحلات عند أهل اليمن، ويكاد يكون الوحيد الذي تصدى لكتابة الرحلة عن قصد وعناية من أهل حضرموت، فهم على الرغم من كثرة هجراتهم ورحلاتهم، لم نجد منهم من قام بكتابة رحلة مستقلة لنفسه، وإنما هي أخبار شفهية، تقال هنا وهناك، وقد اضمحلت بانتهاء أهلها. فكان العلامة شيخ ابن محمد الحبشي رائد هذا الفن عند الحضارم».

الأستاذ البحاثة عبد الله محمد الحبشي

في كتابه «الرحالة اليمنيون»





هاتف : 199 46 46 6 00962

فاكس : 188 46 46 6 00962

ص.ب : 183479 عمّان 11118 الأردن

info@daralfath.com • www.daralfath.com



9789957232061